



يا صاحب القبة البيضاء

يا صاحب القبة البيضاء في النجف
من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم
تُحظون بالأجر والإقبال والزلف
زوروا لمن تُسمعُ النجوى لديه فمن
يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفي
إذا وصل فأحرم قبل تدخله
مُلبياً وإسع سعياً حوله وطف
حتى إذا طفت سبعا حول قبه
تأمل الباب تلقى وجهه فقِف
وقل سلام من الله السلام على
أهل السلام وأهل العلم والشرف

قَالَ تَعَالَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّا لَنَعْبُدُكَ يَا اللَّهُ الْغُلَامَ

الْقِسْمَةُ
الْبَيْضَاءُ

حَسْبُكَ اللَّهُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا بَدِيعَ الْعَالَمِينَ يَا بَدِيعَ الْوَسْطَانِ

هُوَ الْمَعْرُوفُ

هُوَ الْعَرِيفُ

مَجَلَّةُ انْصَانِيَّةُ اجْتِمَاعِيَّةُ فَصْلِيَّةُ تَصَدُّرُ عَنْ
دَائِرَةِ الْبُحُوثِ وَالْدرَاسَاتِ فِي دِيَوَانِ الْوَقْفِ الشَّيْخِيِّ



الْقِبْلَةُ لِلْبَحْثِ وَالْدرَاسَاتِ

العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

فصلية محكمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م



IRAQI
Academic Scientific Journals

التدقيق اللغوي

أ. م. د. علي عبدالوهاب عباس

الترجمة

علي كاظم شبيب

الرقم المعياري الدولي

ISSN3005_5830

الإشراف العام

الاستاذ

علاء عبد الحسين القسام

مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير

أ. د. سامي حمود الحاج جاسم

مدير التحرير

حسين علي محمد حسن الحسيني

هيئة التحرير

أ. د. علي عطية شرقي الكعبي

أ. د. علي عبد كنو

أ. م. د. مسلم حسين عطية

أ. م. د. عامر ضاحي سلمان

أ. م. د. أركان رحيم جبر

أ. م. د. أحمد عبد خضير

أ. م. د. هديل عباس الريكان

م. د. هديل رحيم الساعدي

م. د. نوزاد صفر بخش

م. د. طارق عودة مري

هيئة التحرير من خارج العراق

أ. د. مها خير بك ناصر

الجامعة اللبنانية / لبنان

أ. د. محمد خاقاني

جامعة اصفهان / إيران

أ. د. خولة خمري

جامعة محمد الشريف / الجزائر

أ. د. نور الدين أبولحية

جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر

فصلية محكمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

القبلة البيضاء

العنوان الموقعي

مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد / باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات

مدير التحرير

٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١

صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي

ISSN3005_5830

رقم الإيداع

في دار الكتب والوثائق (١١٢٧)

لسنة ٢٠٢٣

البريد الإلكتروني

إيميل

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

دليل المؤلف.....

- ١- إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.
- ٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - أ. عنوان البحث باللغة العربية .
 - ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.
 - ت . بريد الباحث الإلكتروني.
 - ث . ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنكليزية.
 - ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.
- ٣- أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص لييزي مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُرَوَّد حياة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانها من البحث، على أن تكون صالحة من الناحية الفنية للطباعة.
- ٤- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).
٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة **APA**
- ٦- أن يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة البالغة (٧٥,٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقي، أو ما يعادلها بالعملة الأجنبية.
- ٧- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- ٨- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.
 - ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢).أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .
- ٩- أن تكون هوامش البحث بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.
- ١٠- تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .
- ١١- في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الإلكتروني المتوافر على شبكة الانترنت.
- ١٢- يبلغ الباحث بقرار صلاحية النشر أو عدمها في مدة لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصوله إلى هيئة التحرير.
- ١٣- يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه وموافقة المجلة بنسخة مُعدّلة في مدة لا تتجاوز (١٥) خمسة عشر يوماً.
- ١٤- لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
- ١٥- لا تعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.
- ١٦- دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.
- ١٧- يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.
- ١٨- يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.
- ١٩- يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.
- ٢٠- تعتبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.
- ٢١- ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد - شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن) أو البريد الإلكتروني: (hussein@gmail.com) بعد دفع الأجر في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.
- ٢٢- لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرط من هذه الشروط .

مَجَلَّةُ أَنْسَانِيَّةٍ أَجْتِمَاعِيَّةٍ فَصْلِيَّةٌ تَصَدَّرُ عَنْ دَائِرَةِ الْبَحْوثِ وَالدراساتِ فِي دِيْوَانِ الْوَقْفِ الشَّيْبِيِّ

محتوى العدد (١)



ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	نظرات في كتاب الشعر في شلب بالاندلس	أ.م.د صفاء عبد الله برهان	٨
٢	العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة. قراءة في قصص عراقية منتخبة	أ.م.د. علي صليبي المرسومي	٢٢
٣	الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي	أ.م.د. نصير كرم كاظم	٣٨
٤	الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)	أ. م. د. عقيل عباس ريسان	٤٨
٥	القرآن الكريم واللغة العربية	أ.د. عبد اللطيف حمودي الطائي	٥٦
٦	أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي	أ.م.د أحمد علي الشنجار	٧٠
٧	النذر في القرآن الكريم / دراسة موضوعية	أ. م. د مسلم حسين عطية م. د وسام هواك ظاهر	٩٠
٨	دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية	م.د. أحمد حميد عجم البديري م.د. هند علي حنون عاشور	١٠٢
٩	القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية	م.د. شيماء صباح عبدال	١٢٢
١٠	منهج الشيخ أحمد ديدات في محاوره النصاري	م.د.أروى مؤيد محمود العاني	١٣٢
١١	الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي	أ.م. عامر ضاحي سلمان	١٤٤
١٢	التشريعات الدستورية في تركيا وأثرها على المجتمع التركي	أ.م. زامل صالح جاسم	١٥٤
١٣	أحكام البصمة الوراثية في نفى النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»	أ.م.د. محمد فرحان عبيد النانلي	١٦٢
١٤	نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)	م.م. خالد حمد حيال	١٧٨
١٥	رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية	أ.م.د. بلاسم حسن حمادي الخفاجي	١٩٤
١٦	بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)	م.م. إيمان عبد الجبار جمال	٢٠٦
١٧	الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)	أ.د. خليل حسن الزركاني	٢١٦
١٨	الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة	أ.م.د. محمد بادى منشد	٢٣٢

ترحب  بالبحوث والدراسات التي تتلاءم واهتماماتها.

ترتيب البحوث خاضع لضوابط فنية.

البحوث والدراسات مسؤولة كاتبها.

 غير ملزمة بإعادة البحوث والدراسات إلى أصحابها.

 متخصصة بالبحوث والدراسات والإنسانية والاجتماعية.

 لىة التحرير إجراء التصويبات اللغوية والنحوية اللازمة.



نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

أ.م.د صفاء عبد الله برهان
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية





المستخلص:

البحث نظرة نقدية موجزة في المجموع الشعري المصنوع «الشعر في شلب بالأندلس جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة» للأستاذ الدكتور محمد عويد السائر والفقيه العالي الأستاذ الدكتور محمود شاكر الساجت، (رحمه الله تعالى) الذي غادرنا مؤخراً على حين غرة، ليفجع الأدب الأندلسي بأحد أعلامه المبرزين - وقد تضمن بيان ما احتواه عملهما من التعريف بالشعراء، وما جمع من الرصيد الشعري المتبقي لتلك المدينة الأندلسية، وما يتفرد به هذا المجموع الشعري الأندلسي لتلك المدينة المهمة، كذلك كان لكاتب البحث أن ييدي عدداً من الملاحظ النقدية التي عنت له بشأن عملهما، ثم الاستدراك على ذلك العمل بما فات الباحثين الكريمين، وقد ابتدأ ذلك بالشروع في التعريف بمصدر الاستدراك، وعرض أهم الأغراض الشعرية للقطع المستدرك بها، وذكر نصوص تلك القطع الشعرية، على وفق ما استنه صناع الدواوين والمجموعات الشعرية؛ لتضيف جديداً إلى المجموع الشعري الشلبي، على أمل أن تسعدنا الأيام بمخطوطات أندلسية، بما يقترب من الرصيد الحقيقي، لما انتجته قرائح شلب في مرحلة الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس، وقد أثر الباحث أن يهدي هذا العمل إلى روح المرحوم الأستاذ الدكتور محمود شاكر الساجت، (رحمه الله تعالى)، وغفر له، وأسكنه فسيح جناته؛ لما قدمه من مآثر جليلة للأدب الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: الأدب الأندلسي، الشعر الأندلسي، المخطوطات

Abstract:

The research is a brief critical look at the manufactured poetic collection "Poetry in Shalab in Andalusia, Collection, Investigation, Documentation and Study" by Prof. Dr. Muhammad Owaid Al-Sayer and the dear late Prof. Dr. Mahmoud Shaker Al-Sajit, may God Almighty have mercy on him - who recently left us by surprise, to afflict Andalusian literature with one of its prominent figures - and a statement included what Their work contained it in defining the poets, and what was collected from the remaining poetic balance of that Andalusian city, and what is unique to this Andalusian poetic collection of that important city. The honorable researchers, and this began by defining the source of redress, and presenting the most important poetic purposes of the pieces

Keywords: Andalusian literature, Andalusian poetry, manuscripts

المقدمة:

مثلت الدواوين والمجموعات الشعرية المصنوعة، بديلاً ضرورياً عن الدواوين الأصلية التي فقدت أصولها المخطوطة؛ نتيجة أسباب متعددة، وتزداد هذه الضرورة مع الأشعار الأندلسية التي تعرضت للكثير من النوازل والكوارث والنكبات؛ بحسب ما مرت عليه أرض الأندلس من تلك الدواهي العظيمة، التي لم تنصرم حتى مع استسلام غرناطة آخر مملكة للمسلمين سنة ٨٩٧هـ. وعلى وفق ذلك انبرى الكثير من الأساتيد في الآداب الأندلسية، منذ العقد الثالث من القرن العشرين إلى تحقيق الأصول المكتشفة، وذهب آخرون إلى ملزمة شتات ما تبقى من الأشعار الأندلسية، فظهرت الدواوين والمجموعات الأندلسية المصنوعة، وأعقبت أحياناً بمستدركات عليها؛ لتشكل صورة مؤقتة لكمية تلك الأشعار الأندلسية، إلى أن يقبض الله تعالى العثور على ما فقد من أصولها المخطوطة، في زوايا النسيان التي زوت الكثير من النتاجات الأدبية الأندلسية.

وتأسيساً على قضية صناعة الأشعار الأندلسية، فقد نحض عدد من الأساتيد في الأدب الأندلسي، ومنهم أساتيد المدرسة العراقية؛ لأجل صناعة مجموعة من الدواوين الشعرية لشعراء الأندلس، كما المجموعات الشعرية التي اختصت بشريحة من





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

الشعراء ممن جمعتهم مدينة واحدة أو ظروف خاصة، فشجعت الباحثين على جمع ما تبقى من شعرهم، ومن ذلك كتاب «الشعر في شلب بالأندلس جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة» الذي صدر هذا العام للأستاذ الدكتور محمد عويد السابر والأستاذ الدكتور محمود شاكر ساجت، فرص عملهما ضمن المنجز العراقي في جمع شتات ما تبقى من أشعار شعراء الفردوس المفقود. أما عن عمل الباحث فتمثل في قراءة نقدية، تابعت صناعة المجموع الشعري، عن طريق تقليب النظر في محتواه، وما برزه من نتاج تحدث عما تبقى من الشعر بمدينة شلب، وقد انقسم البحث في ذلك إلى مدخل تعريفي، وقسمين؛ تضمن القسم الأول نظرة في صناعة الأشعار، وتضمن القسم الثاني فوات الشعر في شلب، بحسب سنة الاستدراك عند صناع الدواوين والمستدركات.

مدخل تعريفي:

يمثل المجموع الشعري الموسوم بـ«الشعر في شلب بالأندلس»، حلقة جديدة من حلقات جمع شتات الشعر الأندلسي، بعدما فقدت أصول النصوص الأدبية الأندلسية، وهو الشأن الذي ألزم المتخصصين في أدب الأندلس، أن ينهضوا بمهمة توثيق ما تبقى من أشعار الشعراء الأندلسيين؛ بغية الحفاظ عليه لنلا يفقد كما فقد غيره، وهذا الشأن كان يتشكل بحسب الموجود وعمل الذات المتخصصة؛ لأن تراث الأندلس الأدبي كان من معالم الحياة الأندلسية العامة، ذات التأثير في المتخصصين فيها، وهو ما يمنح تلك الآداب الرصينة حيزها المعلوم من الآداب الإنسانية عامة.

جاء هذا المجموع الشعري المصنوع؛ ليوجه الباحثين إلى نصوص شعرية مجموعة، في ضمن حيز جغرافي مهم من بلاد الأندلس، ألا وهو الغرب الأندلسي عامة، ومدينة شلب خاصة؛ تبعاً لما أبدته تلك المدينة من منافسة الحواضر الأندلسية الكبرى، كقرطبة وإشبيلية وغرناطة، وهو ما يمكن أن ينبجج واضحاً في الأسماء الكبيرة التي أنجبها الغرب الأندلسي، أمثال ابن دراج القسطلبي (ت ٤٢١هـ)، وابن مقانا الأشبوبي (كان حياً في منتصف القرن الخامس الهجري)، وابن عمار الأندلسي (ت ٤٧٧هـ) وابن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، وابن حربون الشلبي (كان حياً سنة ٥٦٠هـ)، والكثير غيرهم ممن حفلت بهم المصادر الأندلسية وسواها. لقد انبرى الأستاذ الدكتور محمد عويد السابر والمرحوم الأستاذ الدكتور محمود شاكر ساجت من جامعة الأنبار بالعراق؛ ليعملا على جمع أشعار شعراء مدينة أندلسية مهمة، كانت تشغل مساحة مهمة بغرب الأندلس؛ لتلقت الأنظار إلى ما لتلك الجغرافية الأندلسية من ذخائر بشرية، قدّمت أسماء مهمة في الحياة الشعرية في حدودها المحلية، وانطلقت بأسماء أخرى خارج تلك الحدود؛ لتشدو بشعرها في المدن الأندلسية في عصور الازدهار الأدبي، على الرغم من الأحداث المضطربة التي كانت تتناوب على تلك البلاد، بيد أنها لم تمنعها من نشاطها الشعري، ولا سيما أن بلاطات الملوك والأمراء كانت حاضنة لأولئك الشعراء، وكانوا محل عنايتهم الرسمية والاجتماعية في عصور متتابعة.

أما عن خلاصة أحوال ذلك المجموع الشعري، فقد وقع في اثنتين وستين ومائتين صحيفة، توزعت على النحو الآتي: كلمة الأستاذين وبيان عملهما في جمع الشعر الشلبي وكيفية صناعته (ص ٧ _ ص ١٢)، والتعريف بمدينة شلب وتوابعها من المدن والقرى (ص ١٣ _ ص ١٧)، والشعراء أصحاب الدواوين الذين لم تشملهم هذه الدراسة من أهل شلب (ص ١٧ _ ص ٢١)، فالشعراء الذين اشتملت عليهم الدراسة وتجمعت أشعارهم وما بقي من نثر بعضهم فيها (ص ٢١ _ ص ٧٠)، ثم أشعار شعراء شلب «جمع وتوثيق وصناعة» (ص ٧١ _ ص ٢٢٩)، ثم ما ينسب لهم ولغيرهم (ص ٢٣١ _ ص ٢٤٠)، فالنثر (ص ٢٤١ _ ص ٢٤٩)، فقائمة المصادر والمراجع (ص ٢٥٠ _ ص ٢٥٩)، ففهرس المحتويات (ص ٢٦٠ _ ٢٦٢).

إن البحث عن توثيق شعر مدينة معينة، هي فكرة تحفز الباحثين على بيان الصورة الأدبية التي كانت عليها تلك المدينة، وتجعل المتلقي يكتشف حال مجالس الشعراء ومراجعاتهم، وما أنشدوه في المناسبات العامة والخاصة، فتمنح ذلك المجتمع صورته المحلية لسكانته أو الوافدين عليه، فضلاً عن أنها ستعمل على بيان الأفكار الرائجة والمعتقدات السائدة وقتذاك، وما يمكن أن يتوصل إليه الباحث في الخيط الاجتماعي عامة، ومجالس الأدبية خاصة. وهو ما قد وطأ إليه الأستاذان الكريمان، بما يبرز أهم ما قدمته تلك المدينة من أعلام في الشعر الأندلسي، فذكروا أعلام مهمة اجتبتها شلب، كان لها





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

كبير الأثر في الحياة الشعرية الأندلسية.

وبلحظ عام فإن تلك الأسماء الشعرية، لم تحصرها حدود شلب فحسب، بل امتد إلى سائر بلاد الأندلس، وهو ما لم يغفل عنه الأستاذان الكرمان؛ إذ بيناه في ضمن قولهما: (يأتي في مقدمتهم شاعر الأندلس كلها ابن عمار (ت ٤٧٧هـ)، إذ أصله الأول من شلب، وهو شاعر المعتمد ونديمه، ومن كتب فيه الأماديع الكثيرة والمميزة في الموضوع والفن، ونسج الألفاظ والتراكيب والإيقاع، والشاعر ابن الملح الشلي (ت ٥٠٠هـ) وفي شعره من الأوصاف المستملحة، والأغراض الجديدة التي يشهد بها له من ترجم له، وأورد شعره على قلته (١).

والحق أن نظرة إلى واقع الحياة الأدبية بمدينة شلب، تظهر قضية مهمة انفردت بها تلك المدينة عن سائر مدن الأندلس، وهي فصاحة أهلها وسكانها، وسيلان الشعر على ألسنتهم، كما أكد ذلك ابن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ) عند حديثه عن مدينة شلب، بقوله: (أهلها وسكان قراها عرب من اليمن، وغيرها، وهم فصحاء يقولون الشعر، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية الكرم، لا يجاريهم أحد في خصالهم) (٢).

وهذا ما يشكل أهمية على المستوى الفردي والجمعي لتلك المدينة، فيمنح هذا المجموع الشعري أهميته؛ لأنه يوثق أشعار مدينة عرفت بتداول الشعر في بيئتها الاجتماعية، ومن المؤكد أن ذلك جعلها مدينة ولادة بالشعراء. بعد ذلك نبه الأستاذان إلى دراسة أدبية سابقة تخص شعر شلب، فقالا: (سبقنا في عملنا هذا بدراسة قيمة وكبيرة، تناولت الشعر الأندلسي في شلب دراسة موضوعية فنية، وهي دراسة جادة وفيها من سمات الإبداع الشيء الكثير) (٣). وهما بذلك قد التفتا إلى ما قدم من رسالة أكاديمية، تحدثت عن الحياة الشعرية بمدينة شلب، بحسب عصورها السياسية، وحياتها الثقافية، والأغراض الشعرية، والخصائص الفنية لتلك الأشعار (٤).

وهكذا فقد سار صانعا المجموع الشعري في ضمن دائرة مهمة، تضع المتلقي أمام عملية متتابعة، وهي (الجمع والنقد)، فتمثل نغما مهما لاستمرار البحث في التراث الأدبي الأندلسي، وتبين معها عمق الذات الباحثة، وما تحمله من وعي نفسي وأدبي إزاء التراث الأدبي الأندلسي، ولاسيما مع مجتمع مدينة شلب الذي يمثل بحد ذاته، مجتمعا ذا معالم أدبية واضحة، تفرد عن المجتمع الأندلسي في ذائقة الشعرية الجماعية، كما اتضح فيما عرضه من تحدث عن تلك المدينة الفصيحة.

وعلى أساس ذلك شكل مجموعهما الشعري، الذي أعقب تلك الدراسة الأدبية السابقة، محطة مهمة من محطات دراسة الحياة الأدبية في مدينة شلب، فكانت بتلك السبيل ذات تأثير بين في بيان الذهنية الثقافية للمجتمع الشلي، وبيان أهميتها في تشكيل صورة الحياة الشعرية خاصة، فضلا عن أفراد تلك المدينة بدراسة مستقلة؛ ليزيد من الحضور الشعري الذي يختص بدراسة شعراء المدن الأندلسية، وليسد حاجة مهمة للباحثين في تطور الحركة الشعرية بغرب الأندلس، ومن ثم كان لهما أن يوضحا منهجهما في صناعة هذا الوليد الشعري الجديد، بقولهما: (عملنا هذا يأتي في التحقيق والتوثيق والصناعة لشعر شعراء شلب، من غير أصحاب الدواوين المحققة والمجموعات الشعرية المصنوعة، وسار العمل على وفق منهج الدراسة العراقية في الجمع والترتيب والوحدات الشعرية وإيانتها ومطابقتها) (٥).

وبهذه الأدوات المنهجية في صناعة الدواوين والمجموعات الشعرية، ولاسيما تلك التي تختص بشعر مجتمع معين، كحال شعراء مجتمع مدينة شلب، اكتنزت صفحات «الشعر في شلب بالأندلس»، تلك الأفكار الأدبية التي تذهب إلى تجسير أواصر الباحثين المعاصرين، مع ما بقي من التراث الشعري الأندلسي، ولاسيما أولئك الباحثون الذين يعدون سليلي ذلك التراث، أو ممن عشقوا الأندلس حضارة وتاريخا وثقافة، وإن انقطعت أخبار ذلك الفردوس منذ قرون خلت، ولكن بقي ذكرها الذي يظهر جوهر الثقافة في تلك الظروف العسيرة، والذي أجلته المخطوطات المكتشفة والمتناثرة في خزائن شمال إفريقيا وغيرها من الأصقاع المجاورة والبعيدة، لتعلن صورة وقتية من حياة أدبية عاشتها الأندلس، طيلة مرحلة الحضور الثقافي العربي هناك، ومن ثم فإنها فرصة كبيرة للتعاطي مع المكتشف الذي يغني المتون الأدبية الأندلسية، ويعمل على وصل رقاب بعضها ببعضها الآخر؛ لتحقيق المتبغى من البحث في هذا التراث الأصيل، وإيصال أكر قدر ممكن منه إلى الأجيال المعاصرة والقادمة، كما فعل أسلافنا رحمهم الله تعالى.





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

نظرة في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

أولاً: مدينة شلب

شرح الأستاذان الكريمان عملهما في المجموع الشعري، عن طريق التعريف بمدينة شلب وتوابعها من المدن والقرى، فقدا تعريفًا مكثفًا، معتمدا ما ورد في «معجم البلدان» لمؤلفه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، كذلك ما جاء في «الروض المعطار في خبر الأقطار» لابن عبد المنعم الحميري، وما أفرده ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) في سفره «المغرب في حلى المغرب»، واعتمده من تصنيف لأعمال مدينة شلب (٦).

ويبدو من هذه الوجهة التعريفية التي اعتنقها الأستاذان، أنهما كانا يركنان إلى مصدرين مهمين من المصادر الجغرافية، التي اعتمدت في التعريف بالبلدان والمدن، فضلا عما تحتويه متونهما من روايات مهمة عن تواريخ تلك البلدان والمدن، وما يلتقطه من نصوص شعرية يستشهد بها في محله، بلحاظ آخر وهو مشرقية المصدر الأول ومغربية المصدر الآخر، وهو ما يعطي روية متوازنة من قبل المشاركة والمغاربة، من دون التفريط بالجهد الجغرافي لأي منهما؛ لأنهما يعلمان أن الجمع بين الرويتين، يمثل تكاملا في وصف تلك المدينة الأندلسية. ولم يكتف الأستاذان الكريمان بذلك، بل إنهما اعتمدا مصدرا ثالثا كما تقدم؛ له أهميتان الأولى أدبية تفس موضوع الدراسة من جهة، والأخرى جغرافية بحسب التوصيفات والتقسيمات التي أوردها ابن سعيد الأندلسي من جهة أخرى، وقد تابع الأستاذان الكريمان على تصنيف ابن سعيد الأندلسي، عندما قدما تعريفًا بينا للقرى التي تنسب إلى مدينة شلب، بحسب ما صنّفه ابن سعيد نفسه، وهو يعرض لشعراء تلك القرى، وهي «شلبوس، ورمادة، وشتتمرية، والعليا، وقسطلة، ومُرجيق، وجلة» (٧).

بعد ذلك نبه الأستاذان إلى ذكر الشعراء أصحاب الدواوين، الذين لم تشملهم الدراسة من أهل شلب، وهي نقطة مهمة تحسب لهما؛ لأنهما أفردا عملهما عن الأعمال السابقة، واعترفا بفضل الباحثين السابقين في جمع أشعار شعراء من شلب. وبذلك منحنا عملهما هويته المستقلة، وبيننا ضرورة الالتفات إلى ذلك؛ لأنه مما يعطي الأعمال الخاصة بجمع الأشعار أهميتها، ولا سيما أن مساحتهما التي عملا عليها، تتفرد بمزيتها المونوغرافية، التي تبحث في النتاجات المحلية للمدن، فتفردهما عن الأعمال الخاصة بالشاعر؛ لذا أوضح الأستاذان تلك الأعمال السابقة التي خصت بشعراء شلب، ممن جمعت أشعارهم، وهي: (٨)

١_ يوسف الرقادي (ت ٤٠٣هـ)، جمع شعره ماهر زهير جزار، بعنوان «شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري» سنة ١٩٨٠م.

٢_ إدريس بن اليمان اليابسي (ت بعد ٤٧٠هـ)، وشعره جمعه الأستاذ الدكتور أحمد عبد القادر صلاحية بعنوان «شعر إدريس بن اليمان اليابسي الأندلسي دراسة وتحقيق» سنة ٢٠٠٦م، والدكتور محمد عويد السايير في كتابه «شعراء أندلسيون متسيون» سنة ٢٠١٤م.

٣_ ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار (ت ٤٧٧هـ)، وذكرنا أن شعره جمعه الدكتور صلاح خالص، في كتابه «محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد»، سنة ١٩٥٧م.

٤_ أبو بكر بن الملح الشلي (ت ٥٠٠هـ)، وشعره جمعه الدكتور عبد المنعم عزيز النصر، في مجلة كلية التربية الأساسية بالجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٦م. والأستاذ الدكتور محمود محمد العامودي، في كتابه «شعراء أندلسيون» سنة ٢٠١٠م.

٥_ أبو محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، وقد جمع شعره كل من الأستاذ الدكتور صاحب أبو جناح تحت عنوان «ابن السيد البطليوسي اللغوي الأديب»، والدكتور رجب عبد الجواد ابراهيم، تحت عنوان «شعر ابن السيد البطليوسي جمع وتوثيق ودراسة» سنة ٢٠٠٧م.

٦_ ابن حربون الشلي (ت بعد ٥٧٠هـ)، جمع شعره الدكتور علي الغريب الشناوي بعنوان «شعر أبي عمر ابن حربون الشلي جمع وتوثيق ودراسة» سنة ٢٠٠٤م.





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

٧_ الأدبية الشلبية ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، و قد جمعت شعرهما الدكتوراة واقدة يوسف كرم في كتابها «ديوان شواعر الأندلس جمع وتحقيق»، سنة ٢٠٢٠ م.

ومما يلحظ على تقديمهما هذا، أنهما وضعا ابن اليمان اليابسي في زمرة الشعراء الشليبين، وقد ركنا في ذلك إلى تصنيف ابن سعيد الأندلسي للشاعر، عندما تعرض إلى المملكة الشلبية، يلحظ أن ابن سعيد نفسه قد قال عن الشاعر: (أطال الإقامة في جزيرة يابسة حتى عرف منها) (٩). كذلك فعلى الرغم من أن أصل ذويه من قسطة الغرب من عمل شنت مرية من شلب، بيد أنه لم يولد فيها، ولم يترعرع في تلك القرية، أو غيرها من القرى الشلبية الأخرى، بل كانت ولادته في جزيرة يابسة الشرقية، وكانت نشأته وتعلمه بمدينة دانية جنوب شرق الأندلس، وتردد على ملوك الطوائف من بني حمود العلويين بمالقة، ومن بني عباد اللخمين بإشبيلية وغيرها، ولم تذكر له نشأة أو إقامة شلب أو أعمالها المعروفة. (١٠)، وقد أكد لي الأستاذ الدكتور أحمد عبد القادر صلاحية في مراسلة: «أن اليابسي ليس من شعراء شلب».

كذلك فيما يتعلق بالشاعر ابن عمار الأندلسي، فقد فاتحنا ذكر عمل الدكتور محمد حلمي السيد البادي بعنوان «شعر ابن عمار الأندلسي جمع ودراسة وتحقيق» سنة ١٩٩٠ م، ولم أطلع على هذا العمل، كذلك فقد عمل الصديق الأستاذ الدكتور مصطفى الغديري من جامعة وجدة، على جمع شعر الشاعر تحت عنوان «شعر محمد بن عمار الأندلسي»، سنة ٢٠٠١ م، وهذا العمل فاق عمل الدكتور صلاح خالص، وقد اعتمد الدكتور الغديري خروم مخطوط قديم موجودة في خزانة القرويين بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، وغيره من المصادر المخطوطة والمطبوعة.

ثانياً: أسماء شعراء شلب

احتوى المجموع الشعري عددا مهما من الشعراء، ممن نشأ وترعرع في مدينة شلب إلى أن أدركته الوفاة فيها، ومن تنقل في مراحل من مراحل حياته فيها، ونسب إليها، وعند مطالعة تلك الأسماء الشعرية، يلحظ المتلقي أسماء شعرية لم تشتهر اشتها الأسماء الشلبية المعروفة أمثال ابن عمار وابن حربون، كذلك يقف على أسماء أخرى كانت ذات صيت في زمانها، ولكن يد الأحداث لم تصل إلينا بما ذاع عنها، ومهما يكن من شأن فقد قدم الأستاذان أسماء شعرية تخص تلك المدينة الأندلسية المعروفة، وعملا على حصر ما وقعت عليه أنظارهما من شعرائها، ويمكن توضيح ذلك في الجدول أدناه:

ت	الشاعر	المدة الزمنية	الصفحة
١	أبو عمرو بن الإمام الأندلسي	توفي بعد سنة ٥٥٠ هـ	٢١
٢	أبو القاسم بن بدر بن الحضرمي	كان حيا سنة ٦٠٨ هـ	٢٣-٢٢
٣	أبو بكر بن التروج الأموي	كان حيا غرة للمائة السابعة	٢٤-٢٣
٤	أبو بكر بن مكن الشلبي	كان حيا منتصف المائة السابعة	٢٦-٢٤
٥	أبو الوليد بن الشواش المغربي	كان حيا سنة ٥٥٨ هـ	٢٦
٦	أبو الوليد بن الطلاء القيبي	كان حيا منتصف المائة السابعة	٢٨-٢٧
٧	أبو القاسم بن قسي الشلبي	توفي بعد ٥٦٠ هـ	٢٩-٢٨
٨	أبو الحسن بن قلثة المرجيقي	توفي سنة ٥٠٧ هـ	٣٥-٣٣
٩	أبو القاسم بن المنح اللخمي	توفي بعد سنة ٥٠٠ هـ	٣٦-٣٥
١٠	أبو بكر بن المنخل المهري	توفي سنة ٥٦٠ هـ	٣٧
١١	أبو محمد بن أبي بكر المنخل	لم تذكر سنة وفاته	٣٨
١٢	أبو الوليد بن المنذر الشلبي	توفي سنة ٥٨٠ هـ	٤٠-٣٨
١٣	أبو بكر بن مهيب اللخمي	توفي سنة ٥٤٦ هـ	٤١-٤٠
١٤	أبو القلاء بن يحيى الأنصاري	توفي سنة ٦٢٦ هـ	٤٣-٤٢





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالاندلس

١٥	أبو بكر بن عبد القادر الشلبي	لم تذكر سنة وفاته	٤٤
١٦	أبو الحسن بن السيد البطليوسي	توفي نحو سنة ٤٨٠ هـ	٤٤
١٧	أبو الحسن بن صالح الشنقري	من شعراء المائة للمساعدة	٤٥
١٨	أبو الحسن بن هارون اللمتري	لم تذكر سنة وفاته	٤٦
١٩	أبو العباس الشلبي	لم تذكر سنة وفاته	٤٦
٢٠	أبو عبد الله الشلبي	لم تذكر سنة وفاته	٤٦
٢١	أبو عمرو بن محمد أمير اللخمي	لم تذكر سنة وفاته	٤٧
٢٢	أبو القاسم بن كامل الشلبي	من شعراء المائة للمساعدة	٤٨
٢٣	أبو العجاج بن الأعظم الشنقري	توفي سنة ٤٧٦ هـ	٥٠_٤٨
٢٤	أبو الفضل بن الأعظم الشنقري	توفي سنة ٥٤٧ هـ	٥١_٥٠
٢٥	أبو محمد بن أبي حبيب الأنصاري	توفي سنة ٥٤٨ هـ	٥٥_٥٢
٢٦	أبو الوليد بن أبي حبيب الأنصاري	لم تذكر سنة وفاته	٥٦
٢٧	أبو بكر بن وزير القيسي	توفي سنة ٦٠٩ هـ	٥٧_٥٦
٢٨	أبو محمد بن وزير القيسي	توفي سنة ٦٢٧ هـ	٥٨
٢٩	أبو الوليد بن المصيصي	لم تذكر سنة وفاته	٦٠_٥٩
٣٠	أبو بكر العلوي النحوي	توفي سنة ٥٣٢ هـ	٦٢_٦١
٣١	أبو الحسن بن يوسف الرمادي	لم تذكر سنة وفاته	٦٢
٣٢	أبو الحسن بن مسعود الأنصاري	كان حيا سنة ٥٦٥ هـ	٦٦_٦٢
٣٣	أبو الربيع المشهور بكثير العلوي	توفي سنة ٥٦٥ هـ	٦٩_٦٦
٣٤	أبو عبد الله محمد بن أبي العباس	لم تذكر سنة وفاته	٦٩

والملاحظ على السير التي أوردها الأستاذان، أنها لم تضبط بحسب الترتيب الزمني، فثمة عدم ترتيب في السنوات التي تخص الشعراء، فضلا عن عدم تحديد دقيق لأخرى، وغياب لوفيات بعضهم.

ويدرك كل من طالع الصفحات المؤشرة إزاء كل شاعر، أن الأستاذين اكتفيا بنقل ما ذكره المؤرخون، في ضمن أقواس التنصيص التي أثبتوها، من دون أن يضيفا عليها إلا ما ندر من رؤيتهما ومعالجتهما لتلك النصوص، فأبقيا ما أورده المؤرخون من دون تدخل فيه، فكانت النصوص يتبع بعضها بعضا دون تعقيب.

كذلك يلحظ المتلقي لتلك الصفحات التفاوت بين سيرة وأخرى، فهناك من الشعراء من لم يتجاوز التعريف به السطر الواحد، وهناك من افترشت سيرته الخمس صفحات، كما يبدو من ترقيم الصفحات.

ثالثا: كمية الشعر الشلبي المجموع:

أما فيما يتعلق بكمية الشعر الواصل إلينا مننتاجات الشعراء الشلبيين، فقد تفاوتت هي الأخرى بين شاعر وآخر، وذلك بحسب ما أبقي الزمان من نتاج الشاعر، كذلك تفاوتت مرة أخرى بين القصيدة والمقطوعة والنبقة والبيت اليتيم، يلحظ أنه لا يمثل واقع الشعر الذي نظمته الشعراء الشلبيون، والجدول الآتي يبين تلك الكمية الشعرية المجموعة، بحسب وفرتها من الأعلى إلى الأدنى:



فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

ت	الشاعر	قصيدة	مقطوعة	نقطة	بيت	العدد
١	أبو الوليد بن الشواش المغربي	٥				١٨١
٢	أبو بكر بن المنخل الشلبي	٥	٤	٢	١	١٧٣
٣	أبو الحسن بن صالح الشنتمري	٣	٦	٥		٩٣
٤	أبو بكر بن مهيب اللخمي	٣	١	١	١	٦٤
٥	أبو القاسم بن كامل الشلبي	٤	٤	٤	١	٥٦
٦	أبو محمد بن أبي بكر المنخل	١		٢		٥٤
٧	أبو الفضل بن الأعلام الشنتمري	٢	١	٦		٤٧
٨	أبو الوليد حسان بن المصيصي	٥		١	٦	٤٣
٩	أبو بكر بن وزير القيسي	٢	٤			٣٤
١٠	أبو الوليد بن المنذر الشلبي	١	١	١		٢٤
١١	أبو القاسم بن قسي الشلبي	١	٢	١		٢٤
١٢	أبو الحسن بن هارون الاستحي		٤			١٩
١٣	أبو الحجاج بن الأعلام الشنتمري	١	١			١٨
١٤	أبو بكر بن السكن الأموي	١	١	١		١٧
١٥	أبو الربيع كثير العلياري	١	١	١	١	١٦
١٦	أبو محمد بن وزير القيسي	١	١	١		١٣
١٧	أبو القاسم بن بدر بن الأموي		١	٣		١٢
١٨	أبو عمرو بن سيد أمير اللخمي		٢			٨
١٩	أبو عبد الله الشلبي		٢			٨
٢٠	أبو محمد بن أبي حبيب الأنصاري			٣	١	٧
٢١	أبو عمرو بن الإمام الأنطلسي		١			٦
٢٢	أبو النقاء بن يعقوب الأنصاري		٢			٦
٢٣	أبو الحسن بن السيد البطلوني		١			٦
٢٤	أبو الحسن بن مسعود الأنصاري		١			٦
٢٥	أبو عبد الله محمد بن أبي العباس		١			٥





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

٢٦	أبو بكر بن الروح الأموي		١		١	٥
٢٧	أبو القاسم بن للمح اللخمي		١			٥
٢٨	أبو الوليد بن أبي حبيب الأنصاري		١			٤
٢٩	أبو بكر العامري التحوي		١			٤
٣٠	أبو بكر بن عبد القادر الشلبي		١			٣
٣١	أبو الحصن بن فظة المرجيقي			١		٢
٣٢	أبو الوليد بن الطلاء للقيسي			١		٢
٣٣	أبو العباس الشلبي			١		٢
٣٤	أبو الحصن علي بن يوسف الرمادي				١	١
	المجموع الكلي	٣٣	٤٧	٣٧	١٣	٩١٤

إن أهم ما يمكن أن يتحصله المتلقي، من هذا الجدول الذي يمثل ما تبقى من أشعار شعراء شلب، هو الوصول إلى «٩١٤» بيتا شعريا في ضمن «١٣٤» قطعة شعرية، توزعت على «٣٣» قصيدة، و«٤٧» مقطوعة، و«٣٧» نتفة، و«١٣» بيتا مفردا، والحق أن ذلك لا يمثل كل ما نظمته أربعة وثلاثون شاعرا، ممن تمكن الأستاذان الكرمان أن يحصوهم من شعراء مدينة شلب الأندلسية. ويبدو أن هذا الأمر أمرا طبيعيا لبلاد عانت الكوارث والنوازل، فلم يسلم من تراثها الإنساني عامة والشعري خاصة، إلا ما أبقت المصادر المحفوظة بعيدا عن تلك النكبات المتتابعة.

ومما ينبغي ذكره أن القصائد الواصلة إلينا، قد توافرت على العدد الأكبر من الشعر الشلبي المتبقي؛ بحسب طول القصيدة إزاء المقطوعة والنتفة والبيت اليتيم، ويمكن أن نجد صدى ذلك في قصيدة أبي بكر بن المنخل، وابنه أبي محمد (١١)؛ إذ بلغت خمسين بيتا، كذلك وردت ثامة في المجموع الشعري، ويجب أن يوضع بالحسبان أن ثمة نصوص لم تصل إلينا كاملة، فعمل مقطوعة ذكرت هي في الأصل قصيدة، ومثلها النتفة والبيت اليتيم؛ بحسب ما سلم منها وما أورده المصدر الذي رواها، وهذا الشأن يؤثر مدى ما كانت عليه القرائح الشلبية. كذلك عقد الأستاذان بابا للموشحات، فوردت موشحة واحدة للشاعر ابن أبي حبيب، ولم يعثر على موشحة شلبية أخرى، هذا فضلا عن باب للشعر المتدافع نسبتبه بين شعراء المجموع الشعري وسواهم من شعراء الأندلس، وذيلها عملهما بإيراد «١٦» قطعة نثرية لأدباء مدينة شلب (١٢).

إن ما ذيل به من هذا المجموع الشعري كان ملحقا به، أثر الأستاذان أن يرصفاه في ضمن النتاج الأدبي، على الرغم من أن موضوعه ليس متصلا بالمضمون الذي يختص بالشعر، كذلك فهما لم يذكر ذلك في تقديمهما للمجموع الشعري، أو في بيان عملهما في هذا المجموع الشعري المصنوع.

رابعاً: مصادر المجموع الشعري

تنوعت المصادر التي اعتمدت في المجموع الشعري، بحسب جغرافيتها الأدبية والتاريخية، فتوزعت بين الأندلسية والمغربية والمشرقية، كذلك تنوعت في مظاهرها بين الاختيارات الشعرية، وكتب السير والتاريخي المحلية التي اختصت ببلاد العدوتين، فضلا عن غيرها من كتب الطبقات والرجال، وهذا التنوع في مصادر المجموع الشعري، يدل على سعة الاطلاع، وبعد التقصي الذي بذل من الأستاذين، وهما يجمعان شتات ما تبقى من أشعار شعراء مدينة شلب.

وكان حاديهما في ذلك الاستقصاء الحثيث، هو عدم التفريط بأي بيت شعري متبقي من أشعار أولئك الشعراء، مما





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

يتحصل على أكبر كمية، وهو ما يبرز معه تحقيق هوية هذا المجموع الشعري الأندلسي، وعليه تجلت تلك المصادر بحسب أندلسيتها ومغربيته ومشرقيتها، وستذكر تبعاً لترتيبها الزمني، وهي تسعة عشر مصدراً، وعلى النحو الآتي:

١- **المصادر الأندلسية** وهذه المجموعة تمثلت في عشرة مصادر أندلسية، من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الهجري، منذ أيام الحضور العربي ببلاد الأندلس، لمؤلفين أندلسيين معروفين، وكانت تمثل المادة الشعرية الأوفر التي تحصل عليها مما تبقى شعر مدينة شلب، والمصادر هي:

— (جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) لأبي عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ)، وهذا المصدر سقط من قائمة المصادر والمراجع:

— (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، لأبي الحسن بن بتمام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ).
— (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر)، لأبي بحر التجيبي (ت ٥٩٨هـ).
— (بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس)، لابن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ).
— (أعلام مالقة) المسمى بـ(مطلع الأنوار ونزهة البصائر والابصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييم ما لهم من المناقب والآثار) لابن عسكر المالقي (ت ٦٣٦هـ)، وأكمله ابن اخته ابن خميس المالقي (٦٣٩هـ).
— (تحفة القادِم)، و(التكملة لكتاب الصلة) كلاهما ابن الأبار البُلنسي (ت ٦٥٨هـ).
— (جنى الأزاهر النصيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالذخيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة)، لأبي الحسن الرعيني (ت ٦٦٦هـ).

— (رايات المبرزين وغايات المميزين)، لابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ).
— (أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجري في ذلك من الكلام)، و(الإحاطة في أخبار غرناطة) كلاهما لأبي عبد الله ابن الخطيب الغرناطي (ت ٧٧٦هـ).

٢- المصادر المغربية:

وعلى الرغم من أن هذه المصادر لم تتجاوز الأربعة مصادر، بيد أنها احتوت أشعاراً فاقت الأشعار التي احتجتها المصادر المشرقية، وهي:

— (تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين)، لأبي محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ).

— (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب _ قسم الموحدين)، لابن عذاري المراكشي (ت ٦٩٥هـ).
— (الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة)، لابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ).

— (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض)، للمقري التلمساني (ت ١٠٤٢هـ)، وقد سقط هو الآخر من قائمة المصادر والمراجع.

٣- المصادر المشرقية:

وهذه المصادر رددت في الغالب ما أوردته المصادر الأندلسية والمغربية، ولم تنفرد إلا بأقل مما ورد في تلك المصادر، وهي خمسة مصادر:

— (أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر)، لأبي طاهر السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٠هـ).
— (خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس)، للعماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ).

— (إكمال الإكمال)، لابن نقطة البغدادي (ت ٦٢٩هـ).
— (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)، لأبي عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

— (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

وكما يبدو من طبيعة المصادر المعتمدة، فإنها تخلو من الأصول المخطوطة؛ إذ لم يتسن للباحثين الكرمين الوقوف على مخطوطات أندلسية جديدة، بعدما حقق ما عثر عليه، ومع ذلك حصد الأستاذان أشعاراً متوافرة في هذه المصادر، وعملاً على جمعها وتوثيقها، وصناعة مجموعتهما الشعري، في القسم الثاني من الدراسة الذي حمل عنوان (أشعار شعراء شلب جمع وتوثيق وصناعة).





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

وواضح من عمل الأستاذين أنهما في صناعة الأشعار الشلبية، اعتمدا تلك المصادر المتنوعة، وكانا يسعيان إلى بيان المنجز الشعري الذي قدمته تلك المدينة الأندلسية، في ضمن مراحل متنوعة من عصر الطوائف إلى عصر المرابطين إلى عصر الموحدي، حتى سقوط تلك المدينة الأندلسية سنة «٦٤٠ هـ»، وهي مرحلة زمنية طويلة، شرعها الأستاذان بتتبع كل شاردة وواردة في الكتب الأدبية والتاريخية والجغرافية، والمؤكد أنهما قد بذلا جهدا كبيرا ومحمودا، في ضمن مرحلة صناعة المجموع بين سنتي ٢٠٢٠ م. و ٢٠٢٢ م. وهي مرحلة وباء كورونا العسيرة؛ في سبيل الوصول إلى ميتغاهما من الحصول على كل بيت أو نتفة أو مقطوعة أو قصيدة، فقدموا هذا المجموع الشعري الشلبي، بما احتفظت به بطون المصادر المطبوعة، وهنا لا يجد الباحث حديثا عن المصادر المخطوطة في ذلك المجموع، ولو قدر للباحثين الوصول إليها لكانا قد توصلا إلى عدد آخر من الأبيات الشعرية، ولعل الأيام تكشف منها ما يري عدد الشعراء والأشعار الشلبيين، أو قد تكشف أصول الدواوين الشعرية التي فقدت، لتتوضح الهوية الشعرية لتلك المدينة، التي اختط الأستاذان الخطوة الأولى المؤسسة لهويتها المحلية.

ومما ينبغي ذكره في عمل الأستاذين، أنهما قد أعرضا عن صناعة الفهارس الفنية، بأنواعها التي تختص بموضوع المجموع الشعري، وهي فهارس الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والأشعار المجموعة، فضلا عن الأشعار الواردة ضمنا في الكتاب، وفهارس الأعلام البشرية، كما فهارس الجماعات العرقية والدينية، وفهارس المواضع الجغرافية، وكان من المأمول أن يتزين بها مجموعهما الشعري؛ لأنهما مما يعين الباحث على الوصول إلى المعلومة، ويزدان بها المجموع لما لها من أهمية في عملية صناعة الأشعار. ومهما يكن من شأن فقد قدم الباحثان الكرمان، عملا شعريا مؤنغرافيا مهما، عرض إلى ما تحلت به مدينة شلب الأندلسية، من هوية شعرية واضحة المعالم، أبرزها عن طريق ما لم يجمع من شعر شعرائها المعروفين والمغمورين، وقد أجهدا ذاتهما الكريمة في تتبع تلك الأشعار من البيت إلى المطولة، مع بيان الروايات المختلفة في توثيق الأبيات وغيرها من المزايا التي يجدها من يطالع ذلك المجموع الشعري المصنوع.

قوات الشعر في شلب بالأندلس

أما فيما يتعلق بهذا الموضوع من البحث، فيندرج في ضمن عمل المستدرجات على الدواوين والمجموعات الشعرية، سواء ما كان منها محققا بحسب المخطوطات المكتشفة أم مصنوعا، بما يجمع من شتات الأشعار المتبقية، وعمل الباحث في ضمن الصنف الآخر، بعدما توافرت لدى الباحث مادة شعرية جديدة، فأتت صانعي المجموع الشعري، على الرغم من أنهما اعتمدا عددا من المصادر، بما ذكره أبو الحسن الرعيبي (ت ٦٦٦ هـ) الذي اعتمدها في صنعتها، زد على ذلك ما لم يتسن لهما الوقوف عليه وهو كتاب (عرائس الأدب) لأبي الحسن بن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ)، عن الشاعر المعروف أبي القاسم بن الملح والشاعر المغمور أبي بكر بن المنخل، بحسب ذكرهما في هذين المصدرين أو ما ورد من عدد من القطع الشعرية، مما يستفاد منها بحسب تخريجها الجديدة ومقابلتها مع روايات القطع المذكورة لهما، معصدا بما ذكرته المصادر الأخرى. وقبل الشروع ببيان ذلك، لابد من ذكر أن اختيارات أبي الحسن الرعيبي، هو ذيل لكتاني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ومطمح النفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، وهو من نفائس خزانة الزاوية الأزاريفية (١٣)، تم اكتشاف هذا السفر النفيس عن طريق زيارة قام بها الصديقان المغربيان الكرمان الأستاذ الدكتور البشير التهامي والأستاذ الدكتور رشيد كنائي، وقتذاك سمح لهما صاحب الزاوية الشريف محمد الأزاريفي بالاطلاع عليه، واعارهما إياه، فوجداه من الأعلام الأدبية الأندلسية النفيسة، وعكفا على تحقيقه ومن ثم قبض الله تعالى لهما نشره، بعد أن بذلا جهدا جبارا في تحقيق الكتاب والتعليق عليه، وفتح أسرار ما غمض منه؛ ليكملا حلقة مهمة من حلقات كتب الاختيارات الشعرية الأندلسية، فلهما خالص الإجلال والخبّة.

كذلك كان حال مختارات ابن سعيد الأندلسي المسماة عرائس الأدب، فهي من المصادر الأندلسية النفيسة التي لم يرد لها ذكرا في فهارس الخزائن، بل حتى في مصنفات ابن سعيد التي تحدثت عنها المصادر والمراجع الأندلسية عامة، وقد عثر عليها في بعض الخزائن الخاصة بمدينة الجلفة، وهو ما ذكره المحققان عندما وصفا النسخة، وتلك الخزنة بقولهما: (هي إحدى مخطوطات مكتبة الأستاذ أبي بكر بلقاسم ضيف في مدينة الجلفة في الجزائر وتقع في أربع وسبعين لوحة. وهي بخط المؤلف أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد وتاريخ كتابة المخطوطة بعد سنة ٦٦٢ هـ). وهو ما يبين معه أهمية هذا الاكتشاف الجديد في عالم الدراسات الأندلسية، بما يبعث الآمال بالعثور على نظائر مفقودة من أعلام مخطوطات الفردوس المفقود.





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

أولاً : ذكر الشاعرين:

أورد أبو الحسن بن سعيد الأندلسي ذكرًا لأبي القاسم بن الملح، فقال: (ومن أبناء الخطباء والزهاد أحمد بن أبي عبد الله بن الملح، كتب له أبوه... طريقه الخير ومطالعة الكتب. ورحل إلى إشبيلية واختل في شرب الخمر، وتزوج امرأة مترجة تلعب بالدف. وصار يلعب به معها، واشتهرت قضيته، وكان أبوه في أول أمره يعتبه على كثرة صلاته وصيامه ويقول له: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) (١٤). كذلك أورد أبو الحسن الرعيبي تحلية أبي بكر بن المنخل الشلبي، فقال في ذلك: (هذا رجل بنى للسودد قباباً، وأقام للشرف هضاباً، فرعته معلواته الجوزاء، وناصبت مآثراته العواء، إلى دين أخلصت سرائره، واستحصدت مراثيه، وأما أدبه فكالبحر الزاخر، يزري بالدر الفاخر، وقد أثبت من كلامه ما يروق، جملة وتفصيلاً، ويسري كما هب النسيم عليلاً) (١٥). ومن هذه المفردات ندرك ما للرجل من منزلة كبيرة، كانت علامة له بين أئدانه ومعاصريه؛ لما احتوته ذاته من معالي الأمور في الشرف والرفعة والدين والسريرة، وقد حاز مع ذلك منزلة كبيرة في الأدب، وفيض في ذلك، بسالة ألفاظ، وجميل معانٍ، ورفعة ذوق، ولا ريب في كل ذلك فهو ابن تلك المدينة الأندلسية التي تشبعت بالشعر الذي عبر بصدق عن قوة مشاعرها.

ثانياً: تخرجات جديدة:

— القطعة: ٥٠: أورد أبو الحسن الرعيبي برواية لقصة الأبيات، فقال في ذلك: (حدثني بعض أهل شلب، قال: كان بين ابن المنخل هذا وابن الملاح صداقة في الشباب إلى الهرم، ونشا ابناهما على مثل ذلك، إلى أن وقع بين الولد ما يقع بين الناس، فعتب ابن المنخل ولده على إقذاعه فيه فأنشده ولده هجاء لابن الملاح ولولده فيهما، وكانا يسيران على واد فيه ضفادع تنق فقال أبو بكر... (١٦).

وفيها: البيت ٣: (صمتهم بدلا من صوتهم).

— القطعة: ٦٦: اختيارات أبي الحسن الرعيبي: ١٢٢، وفيها: البيت ٣: (أطراف) بدلا من (أطفار)، والبيت ٤: (المجر) بدلا من (التيه).

— القطعة: ٦٨: اختيارات أبي الحسن الرعيبي: ص ١٢١، وفيها: البيت ٢: (ودنت) بدلا من (فوددت)، و(خمارا) بدل من (ضمارا)، والبيت ٣: (بدارا) بدلا من (بوارا).

— القطعة: ١٣١: عرائس الأدب: ٨٥، وفيها: البيت ١: (يارفيقي) بدلا من (يا بنتي)، والبيت ٢: (أسخت) بدلا من (أبكيت)، (هدمت مجدي) بدلا من (أطلت حزني)، والشطر الثاني رواه ابن سعيد هكذا: (وكان أعلى من الثريا)، البيت ٤: (الجون لهما) بدلا من (الزنا ارتكابا)، فجأوبه ابنه المذكور: وفيها: البيت ٤: (المناب) بدلا من (الخلاص).

ثالثاً: فوات الشعر في شلب

أولاً: شعر أبو القاسم بن الملح

— القطعة ٩ مما ينسب إليهم وينسب لغيرهم، تخرج: عرائس الأدب: ٨٦. وفيها وردت زيادة هذا البيت بعد البيت الأول: (المتقارب) فقلت: عساه يرد السلام فتبلغ نفسي منه مناهما

الفاء

(١)

له: [السرير]

١- مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى شَاعِرٍ يَمْنَعُنِي بِأَهْجُو (١٧) ثُمَّ اخْتَفَى

٢- مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى عَيْنِهِ حَكْمُهُ فِي صَفْعِ ذَاكَ الْقَفَا

التخريج: (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، صفوان بن إدريس: ٣٤١، واختيارات أبي الحسن الرعيبي: ١٢٣).



نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

النون

(٢)

فمن ذاك وهو آخر شعره: [الطويل]

١_ مَضَتْ لِي سِنٌ (١٨) بَعْدَ سَبْعِينَ حُجَّةً
٢_ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ مَتَى (١٩)
وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَ سَكُونٌ
يَكُونُ الَّذِي لَأُبْدُ أَنْ سَيَكُونُ

التخريج: (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر: ٣٤١، واختيارات أبي الحسن الرعيبي: ١٢١، والذيل والتكملة لكتاني الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، ٩٥، والمستملح من كتاب التكملة، الذهبي: ٦١، و نفح الطيب: ٤/ ١١٧).

الهاء

(٣)

وله في صباه: [الكامل]

١_ وَ خَرِيدَةٌ مَرَّتْ بِشَاطِئِي جَذُولٌ
٢_ فَكَانَتْهَا بَلْقَيْسُ وَأَفَتْ صَرخَهَا
كَالشَّمْسِ طَالَعَةً عَلَى آفَاقِهَا
لَوْ أَنَّهَا كَشَفَتْ لَنَا عَنْ سَاقِهَا (٢٠)
التخريج: (اختيارات أبي الحسن الرعيبي: ١٢٢).

نتائج البحث:

بعد أن وصلت مفردات البحث إلى ختامها، فقد آن لها أن تحصر ما أحرزت من النتائج التي توصل إليها الباحث، وهو يقلب النظر في صفحات «الشعر في شلب بالأندلس»، ويعقب عليه في محتواها الشعري، وما ظهر منها من مزايا كثيرة، فقد عنت للباحث عددا من النتائج التي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

— مثلت شلب قاعدة مهمة من قواعد الشعر ببلاد الأندلس، مثلما كانت قاعدة من قواعد الحكم الإسلامي هناك؛ لأنها كانت موطن الفصاحة والتغني بالشعر في ضمن مفردات الحياة اليومية، وقد شاع ذلك عن شرائح مجتمعتها كافة، فضرب بهم المثل في ذلك، وهو ما لم تحزه الحواضر الأندلسية على اشتهاها.

— تمكن صانعا المجموع الشعري من وضع خطوة مؤسسية، تؤصل لما سيعقبها من خطوات مستقبلية— بإذن الله تعالى— تخص ما يتعلق بالحركة الشعرية بشلب، والتنبيه لما تختزنه من رصيد شعري، حري بالباحثين في الآداب الأندلسية، أن يفردوه بالتتبع والدراسة؛ لما يشكل ذلك من التفاتة مهمة لشعر الغرب الأندلسي خاصة.

— كانت حصيلة المجموع الشعري أربعة وثلاثين شاعرا شليبا، في ضمن مساحة زمنية امتدت من عصر الطوائف إلى سقوط المدينة سنة «٦٤٠ هـ»، والمؤكد أن ذلك لا يمثل العدد الحقيقي للشعراء بشلب، وهي مدينة الشعر والشعراء كما عرف عنها؛ لذا فثمة أسماء شعرية أخرى، فقد ذكرها مع ما فقد من التراث الأدبي الأندلسي، ومع ذلك لم يدخر صانعا المجموع الشعري جهدا في استقصاء المنجز الشعري الشليبي، الموجود، فجمعها كل ما وقع تحت أيديهما.

— كذلك استدرك الباحث على صانعي الديوان بعدد من التخریجات الجديدة لشعر أبو بكر بن المنخل الشليبي، فضلا عن ثلاث قطع من الشعر لم يذكرهما المحققان الكریمان؛ ليرصفا إلى الرصيد الشعري لشعراء شلب إلى أن يقيض الله تعالى من يعثر على أصول الدواوين الشعرية لشعراء تلك المدينة الأندلسية الشاعرة.

وفي الختام لا يسع الباحث إلا الدعاء للباحثين الكریمین، ولاسيما المرحوم الغالي الأستاذ الدكتور محمود شاکر الباحث بالرحمة والغفران، وأن يجعل هذا العمل وأمثاله شافعا مشفعا له في الدار الآخرة، ويسكنه فسيح جناته.

الهوامش:

- (١) الشعر في شلب بالأندلس جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة، دار كفاءة المعرفة، ط١، عمان، ٢٠٢٢ م: ٩.
- (٢) الروض المبطر في خبر الأقطار، تحقيق، د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت، ١٩٨٠ م: ٣٤٢.
- (٣) السامر والساجت، الشعر في شلب: ١٠.
- (٤) ينظر: الشعر في شلب من عصر الطوائف حتى سقوطها، رباح حامد بحر، عمادة الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠٠٩ م: أ— د.
- (٥) الشعر في شلب: ١٠.
- (٦) الشعر في شلب: ١٣— ١٥.
- (٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٤— ١٥.





نظرات في كتاب الشعر في شلب بالأندلس

- (٨) ينظر: الشعر في شلب: ١٧- ٢٠.
(٩) المغرب في حلى المغرب، تحقيق، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣م: ١/ ٤٠٠.
(١٠) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن ابن بسام الشنتريني، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ١/ ١- ٨٦٢، و جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبو عبد الله الحميدي، تحقيق، د. بشار عواد معروف وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط١، تونس، ٢٠٠٨م: ١/ ٢٨٩، والتكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله ابن الأبار البلسي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٩٥م: ١/ ٣٢٣.
(١١) ينظر: الشعر في شلب: ١٠١ و ٢٠٣.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٩- ٢٣٠، و ٢٣١- ٢٤٠، ٢٤١- ٢٤٩.
(١٣) الأزارقية: التسمية نسبة إلى قرية أزاريف التي تقع على قمة جبل بسوس، وقد تأسست مدرستها من القرن الثامن. على يد أسرة ذات علم وفصل، اشتهر فيها كثيرون في العهدين السعدي والعلوي، ولهم خزان كتب عامرة محفوظة تزخر بالنوادير من المخطوطات. ينظر: سوس العاملة، المختار السوسي، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٦٠م: ١٣٢.
(١٤) عرائس الأدب: تحقيق أ. د صلاح محمد جرار وآخرون.
(١٥) اختيارات أبي الحسن الرعيني: ١٢١.
(١٦) اختيارات أبي الحسن الرعيني: ١٢٣. وابن الملاح هذا هو أبو بكر بن الملاح. من أهل شلب، كان صقيا لابن المنخل، ينظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م: ٣/ ٥٢٠.
(١٧) في اختيارات الرعيني: (ينسني بالهجر).
(١٨) في المستملح والذيل والتكملة ونفع الطيب: (ست).
(١٩) في الذيل والتكملة: (كيف وأين).
(٢٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ...﴾ سورة النمل/ من الآية ٤٤.

المصادر والمراجع:

- بعد القرآن الكريم برواية حفص عاصم بن أبي النجود الكوفي
_ ابن الأبار البلسي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، د. عبد السلام المراس، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٥م.
_ أبو عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق، د. بشار عواد معروف وآخرون، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٨م.
_ أبو الحسن الرعيني (ت ٦٦٦هـ)، اختيارات أبي الحسن الرعيني، المسماة: (جنى الأزاهر النظيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالذخيرة مما ولدته أحوال من المحاسن في هذه المدة الأخيرة)، تحقيق، د. البشير النحالي ود. رشيد كنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٩م.
_ ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، الذيل والتكملة لكتاني الموصول والصلة، تحقيق د. محمد بن شريفة، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ط١، ١٩٨٤م.
_ أبو الحسن بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، د. إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠م.
_ أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، د. إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٩٨٠م.
_ المختار السوسي، سوس العاملة، المحمدية، مطبعة فضالة، د ط، ١٩٦٠م.
_ صفوان بن إدريس، زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، تحقيق، د. محمد بن شريفة، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ١٩٩٩.
_ أ. د محمد عويد محمد السايير، و أ. د محمود شاكر الساجت، الشعر في شلب بالأندلس «جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة»، عشان، دار كفاءة المعرفة، ط١، ٢٠٢٢م.
_ أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، عرائس الأدب، أبو ظبي، دار البصائر، ط١، ٢٠٢٢م.
_ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٩هـ)، المستملح من كتاب التكملة، تحقيق، د. بشار عواد معروف، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٨م.
_ أبو الحسن بن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق، د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣م.
_ المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، بيروت دار صادر، ١٩٦٨م
الرسائل والدوريات الأكاديمية:
_ رباح حامد بحر، الشعر في شلب من عصر الطوائف حتى سقوطها، التحليل، رسالة ماجستير في عمادة الدراسات العليا، بجامعة الخليل، سنة ٢٠٠٩م.





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة
قراءة في قصص عراقية منتخبة

أ.م.د. علي صليبي المرسومي
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية





الملخص:

يعمل البحث على مقارنة عتبة مهمة من عتبات الكتابة الإبداعية ألا وهي عتبة العنوان، وفحص قيمة هذه العنوان بالنسبة لطبقات المتن النصي والنسبة لعتبات النصية الأخرى، ولا شك في أن عتبة العنوان هي عتبة أصيلة في النصوص القصص الحديثة، فإذا كانت الدراسات النقدية قديماً لا تهتم بقضاء العنوان بحكم عدم وجود وعي بأهميتها، فإن الدراسات النقدية الحديثة وبعد الوعي الكبير بخطورة العتبات النصية ودورها ووظيفتها في فهم النص وعلاقتها بالمتلقي من خلال هذه العتبات، أصبحت تعطي لهذه العتبات عموماً وعتبة العنوان خصوصاً أهمية بالغة، لما لها من اثر كبير في فهم النص الأدبي.

يعتمد البحث في دراسته على ثلاثة مجاميع قصصية من السرد القصصي العراقي الحديث، الأولى مجموعة (حالات) للقاص محمود جنداري، والثانية مجموعة (أرض من لعسل) للقاص هيثم بهنام بردي والثالثة مجموعة (مدن وحقائب) للقاص سعدي المالح، وحاول البحث دراسة العلاقة بين بنية العنوان الخارجية للمجموعة القصصية وبين العناوانات الداخلية التي تتضمنها تلك المجموعة. إضافة إلى الكشف عن قيمة وخطورة العنوان ووعيتها عند القاص، وما يحققه ذلك من تشكيل على صعيد البناء الفني للقصّة، وما يؤديه العنوان من وظائف مهمة لا تتوقف عند حدّ الدلالة البسيطة في علاقة دوال العنوان بالمتن القصصي، بل تفتح هذه الوظيفة على احتواء فضاء القصص وتمثلها والإيحاء برموزها وقضاياها.

Abstract:

The research works on approaching an important threshold of creative writing thresholds, which is the addressing threshold, and examining the value of this heading in relation to the textual body layers and in relation to other textual thresholds. Addressing due to the lack of awareness of its importance, modern critical studies and after the great awareness of the seriousness of the textual thresholds, their role and function in understanding the text and its relationship to the recipient through these thresholds, have begun to give these thresholds in general and the threshold of the title in particular a great importance, because of its great impact in understanding the literary text. In his study, the research relies on three collections of stories from modern Iraqi storytelling. The first is a collection (cases) by the storyteller Mahmoud Jandari, the second is a collection (A Land of Honey) by the storyteller Haitham Behnam Barada, and the third is a collection (Cities and Bags) by the storyteller Saadi al-Maleh. The research attempts to study the relationship between the structure of The external title of the collection of stories and the internal titles included in that collection. In addition to revealing the value and seriousness of addressing and its awareness of the storyteller, and the formation that this achieves in terms of the artistic construction of the story, and the important functions that the title performs that do not stop at the limit of simple significance in the relationship of the title functions to the narrative body, but rather this function opens to contain the space of stories and represent them. And the revelation of its symbols and issues.





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

مدخل: في معنى العنونة القصصية

أضحت اليوم دراسة عتبة العنوان في النصوص الأدبية من الدراسات الجديدة ذات الطابع النبوي السيميائي التي تكشف عن قيم ودلالات أخرى فيها، ولاسيما في تحليل العلاقة الوثيقة بين العنوان والمقت النصي للكشف عن هذه القيم والدلالات، وربما تكون القصة القصيرة من أهم وأبرز الفنون الأدبية التي تحظى بتقدير عالٍ في قضية العنونة، فالعنوان في القصة يكون جزءاً فاعلاً من نسيج السرد القصصي لا يمكن فصله، يحكم ضيق المساحة الكتابية قياساً بالرواية مثلاً، لذا نحسب أن القاص يولي قضية العنونة في قصصه أهمية كبيرة، إذ يجب أن تتنازع عنوان القصص بالحدق والمهارة والتركيز والتكثيف بحيث يمكن أن تحيى على أسئلة المقت السردية بكفاءة وقوة وثقل عالٍ.

وانتخبنا على هذا الصعيد ثلاثة تجارب قصصية مهمة من السرد القصصي العراقي الحديث كي تكون عينة للبحث، التجربة الأولى هي تجربة القاص محمود جنداري في مجموعته القصصية (المفصلية) في تجربته الموسومة بـ (حالات)، وذلك لخصوصيتها في نقل تجربته من القصص التجريبي إلى القصص الحداثي، والتجربة الثانية هي تجربة القاص هيثم بنام بردى في مجموعته القصصية (أرض من عسل) وذلك لكفاءتها وتميزها في طريقة التعامل بين العنوان والمقت القصصي، إذ هي تسعى إلى استيلاد علاقة سردية بين الرؤية والمخيال منذ عتبة العنوان حتى طبقات المقت، والتجربة الثالثة هي تجربة القاص سعدي المالح في مجموعته القصصية (مدن وحقائب) لتمييزها في التعبير المركز حول قضية المكان المتحرك المتعلق بتجربة السفر، حيث تمخضت العلاقة بين عتبة العنوان والمقت عن توافق وقائيل وخصوصية أسهمت في تطوير بنية القصة التشكيلية بأكملها.

إنَّ عتبة العنوان تشكل في الدراسات النقدية الحديثة محوراً أساسياً في دراستها المنهجية على مستوى التشكيل والوظيفة، بعدما عانى العنوان الإهمال ولفترة طويلة من الزمن، فهو لا يشكل موضع اهتمام من لدن الكاتب، بل منهم من يعدّه توثيقاً للنص، لذا نجد أن أغلب العنونات قدما ترتبط بالحادثة لا بالنص.

كان لآراء جينت دوراً مهماً في توجيه النظر إلى أهمية هذه العتبة، وبيان قوة الترابط بين العنوان والنص الأدبي، وما ينتج عن هذه البنية من وظائف متعددة منها (الإغراء، الإيحاء، الوصف والتعيين)، فهذه الوظائف تحاول أن تبني نمطاً قرائياً مختلفاً، وتحيل القارئ على شبكة واسعة من الاحتمالات التي يحتويها العنوان. فهو يمثل قمة الهرم النصي، وهو أول مثير يواجه القارئ عند دخوله إلى النص، فهو ((العتبة النصية الأولى التي يواجهها القارئ وهو يقارب أي نص، ولا شك في أن هذه المواجهة الابتدائية تنطوي على أهمية بالغة من حيث صحة الدخول القرآني على المقت النصي، إذ كلما كان هذا الدخول صحيحاً من الناحية المنهجية انعكس إيجاباً على كل مراحل القراءة اللاحقة، على النحو الذي تنتهي فيه القراءة إلى مقارنة نقدية صحيحة يكون بوسعها إنتاج ممارسة نقدية عالية المستوى)) (١)، لذا يجب أن يقف عند هذه البنية محلاً للترابط الموجود بينها العنوان والمقت النصي.

فالعنوان لم يعد مجرد جملة تعنلي النص، بل هو بنية تحمل الكثير من الدلالات التي تمكن القارئ من فتح الكثير من المغاليق التي قد تعترضه في تحليله للنص الأدبي، لذا نجد إن العلاقة بين بنية العنوان والنص علاقة ((قائمة على بنية افتقار، ذلك أن العنوان لا يشغل إلا في إطار النص، وهذه البنية المؤلفة عبر هذه العلاقة تشير إلى التلاحم الروحي والجسدي والنبوي بين الاثنين)) (٢)، وهو ما يظهر على نحو أكثر تحليلاً في فن القصة القصيرة بوصفه الفن الأكثر تركيزاً وتكثيفاً، وهو ما يحتاج إلى عتبة عنوان دقيقة وثرية ومتفاعلة على نحو كبير مع متن القصص، ونحسب أن اختياراتنا هنا لمجموعات منتخبة من القصص العراقي الحديث تأتي مستجيبة تماماً للرؤية البحثية التي يشغل عليها بحثنا، وهو يسعى إلى تحليل العتبة العنوانية في قصص محمود جنداري وهيثم بنام بردى وسعدي المالح في سياق العلاقة البنيوية السيميائية بين التشكيل والوظيفة.

عنوان ((حالات)): فضاء العنونة العنقودية

تتميز عنوان المجموعة القصصية الموسومة بـ ((حالات)) للقاص محمود جنداري بما اصطّلحنا عليه هنا بـ (فضاء العنونة





العنوان القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

العنقودية)، والمقصود بهذا المصطلح هو أن العنوان (حالات) هو عنوان مركزي كلي يحيط بعنونة قصص المجموعة كلها، فكل قصة من قصص المجموعة الست تبدأ بالخبر (حالة) ثم تعقبها الصفة على هذا الشكل:

١. حالة خاصة.

٢. حالة استثنائية.

٣. حالة تاريخية.

٤. حالة يومية.

٥. حالة حرب.

٦. حالة للحب والحرب (٣).

فتكرار المفردة الأولى من العنوان (حالة) تتجمع كلها في عتبة العنوان الكبرى بالصورة الجمعية (حالات)، فالقصص كلها تتساوى هنا في الجزء الأول من عنونتها بمفردة (حالة) لكنها تختلف بالصفات، حيث تأتي القصة الأولى بصفة (خاصة) والقصة الثانية بصفة (استثنائية) والقصة الثالثة بصفة (تاريخية) والقصة الرابعة بصفة (يومية) والقصة الخامسة بصفة (حرب)، وتنفرد القصة الأخيرة السادسة بصفة نعتية مزدوجة ومجرورة (للحب والحرب)، وهكذا تتعلق كل القصص بعنوان المجموعة (حالات) بشكل عنقودي.

يمكن أن نلاحظ ونحن نفحص التجليات السيميائية والسردية لعنوانات القصص في مجموعة (حالات) حضور المكان في صلب الفضاء العنوي، وبعد المكان ((من أهم المظاهر الأسلوبية والسيميائية للثقافة الإنسانية، تحويل الظواهر الطبيعية إلى حقائق سيميوطيقية. والمكان إحدى هذه الظواهر التي تحولت في الفكر الإنساني الممتد إلى حقيقة علامية تدرك بوصفها معطى ثقافياً)) (٤)، يؤسس للكثير من القيم الدلالية التي تنبعث من الصورة العنوانية في كل حالة من الحالات التي تنعكس عبر القيمة الدلالية لكل منها.

أما الحضور اللافت الثاني في طبقات العنوان فهو حضور الشخصية الاستثنائية، ولو تدخلنا في الجوهر التي للقصص سنجد قوة حضور الشخصية وهي تتراءى من خلال دلالات العنوان، وذلك ((لأن الشخصية في القصة تشييد، يركبه القارئ من إشارات متنوعة ومتفرقة على طول النص. هذا «التركيب» أو «إعادة التشييد» يصفه بارث كجزء من «عملية التسمية» التي في رأيه مترادفة مع فعل القراءة)) (٥)، على النحو الذي يحقق التفاعل المطلوب بين القصة بعنوانها أولاً ويمتتها ثانياً وبين مجتمع القراءة.

ولعل الصفات العنوانية التي برزت على نحو مركزي ومتداخل أحياناً (خاصة، استثنائية، تاريخية، يومية، حب، للحب والحرب) تسهم عميقاً في تطوير فضاء الشخصية، وتعمل على ((تدفق انفعالات داخلية تخلق في نفسية الشخصية، إنه بمعنى آخر رديف سبر الأغوار الداخلية للشخصية وهي تنفعل تحت تأثير حدث ما، حيث يتم التعبير بواسطة المشهد عن الإحساس المرافق لهذا الحدث)) (٦)، ويمكن استشفاف كل هذه القيم بالنظر المعتمق في مفهوم حالة مرتبطة بالسرد القصصي وتمثلة هذه الصفات.

إن العنوان العنقودي المركزي (حالة) ينتشر بصورة عمودية وأفقية على مساحة القصص جميعاً، وبحسب الصفة العنوانية اللاحقة للخبر، إذ ((إن مفهوم)) (حالة)) مفهوم فضائي يجمع داخل حاضنته الدلالية الأولية: الزمن المعلق في جوهر الدال، وهو زمن مشدود بقوة إلى مكان محتمل يحيط بهذا الزمن المعلق، وهذه العلاقة الغامضة بين الزمن والمكان تفتح على رؤية كامنة لا يمكن الوصول إليها من دون معرفة الصفة المحتملة التي ستسند إليها (حالة)، وهو ما سيحصل حين نتقل من عتبة العنوان الكبرى بصيغتها الجمعية ((حالات)) إلى كل حالة من الحالات التي احتوتها حادثة هذه التجربة القصصية، وعندها تتكشف صورة الزمن المعلق، والمكان المحيط، والرؤية التي ستحيل على معطى جمالي مرتكن بالمعطى النقائي)) (٧)، وهو ما يجعل من مركزية ((حالة)) تفيض على شبكة عناوين القصص بما تنطوي عليه كل قصة من صفة جوهرية تمثل فلسفة القصة. فعنوان قصة (حالة خاصة) تحيل على كل ما تنطوي عليه مفردة (خاصة) من حيوية





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

ونشاط ورؤية تتعلق بالشخصية الرئيسة في القصة، والخصوصية هي حالة (ذاتية) لا يمكن أن تنطبق إلا على شخص محدد ومعيّن وموصوف داخل القصة، وحين ترتبط الصفة المنكّرة (خاصة) بالموصوف الخبري المنكّر أيضاً (حالة) فإنّ المعنى القصصي العنواني يأخذ حيزاً أبعد في فضاء الخصوصية، باعتبار أن معنى (حالة) تتمتع أساساً بنوع من الخصوصية حين ترد على هذا النحو.

وعنوان قصة (حالة استثنائية) تكتسب معناها النوعي من الصفة (استثنائية) وهي تلتقي مع صفة (خاصة) في ميدان وتفرّق عنها في ميدان آخر، فحالة الاستثناء تتمتع بالضرورة بخصوصية منفردة يمكن أن تأخذ من صفة (خاصة) الشيء الكثير، غير أن الافتراق الدلالي بينهما هو أن صفة (خاصة) قد لا تكون (استثنائية) بحكم ما تتميز به صفة (استثنائية) من تفرد وقيمة تتجاوز المألوف وتتحداه وتتفوق عليه.

أما قصة (حالة تاريخية) فإنّها تحيل على فضاء التاريخ مباشرة بسبب الصفة الواضحة (تاريخية)، لكنّ القصة تشتغل في منها القصصي على نوع من استحضار التاريخ وتشغيله بدلالة العنونة في سياق الراهن، على النحو الذي تبدو فيه صفة (تاريخية) وكأنّها تحيل على معنى التاريخ لكنها في الحقيقة تحيل على سرديّة التاريخ.

وتؤدّي قصة (حالة يومية) وظيفة سرديّة إجرائية منذ عتبة العنوان، إذ إن الصفة (يومية) تحيل على جانب سير ذاتي يوميّ، ويمكن أن تنتج دالتين متناقضتين، الأولى أن الصفة (يومية) ذات طابع متكرر يومي تحدث كل يوم، والثانية على العكس من ذلك أنّها حدثت في يوم واحد لن تتكرر، لكن القراءة المتعمّنة في القصة تكشف أن القاص يحاول تمثيل المعنيين المتناقضين داخل القصة، وهو ما يمنح القصة طاقة تعبيرية أعلى حين تكون مفردة (حالة) وحيدة منفردة، وهي في الوقت نفسه متكررة متعددة.

قصة (حالة حب) ربما تحظى بعنوان يتكرر كثيراً في سياق العنونة القصصية عند الكثير من القاصّين، وذلك لأن مفردة (حب) بصيغتها التذكيرية كما وردت هنا في إحدى حالات جنداري شائعة كثيراً على مستوى التسمية والاستخدام، غير أن براعة القاص تجعل منها وكأنّها تستخدم أول مرة، ونحسب أن القاص محمود جنداري في (حالة حب) صنع خصوصية غاية في التفرد لمفردة (حب)، على نحو بدت وكأنّها فعلاً تستخدم للمرة الأولى من حيث الصورة والدلالة والقيمة والمعنى والتفاصيل السردية المتعلقة بالمكان والشخصية.

تختتم مجموعة (حالات) قصصها بقصة (حالة للحب والحرب)، وهي قصة تحاول أن توجد علاقة بين النقيضين في حالة واحدة. حالة (الحب) بما تنطوي عليه كلمة حب من دلالات واسعة لا حصر لها، وحالة (الحرب) بما تتمخض عنه من دلالات تناقض دلالات الحب تماماً وعلى المستويات كافة، لكن ثمة ما يجمع بينهما في حالة قصصية واحدة يتكررها محمود جنداري بقوة السرد والتخييل والرؤية. وبهذا تكون عنوان المجموعة (حالات) مع عنوان قصصها الست ((حالة خاصة، حالة استثنائية، حالة تاريخية، حالة يومية، حالة حب، حالة للحب والحرب))، قد حققت على صعيد فلسفة التسمية والعنونة طاقة جديدة على مستوى التشكيل الذي جاء عنقودياً، وعلى مستوى الوظيفة حيث حققت مبتغاها من العنونة داخل كل (قصة/حالة) من جهة، وبمجموع (القصص/الحالات) من جهة أخرى. لكننا حين نطّلع على خطاب القاص محمود جنداري وهو بصدد الدفاع عن القصصية (حالات) سنجد أن يقدّم رؤية فلسفة سرديّة في هذا السياق، إذ أطلق عليها تسمية (حالات) وعنون كل قصة بحالة معينة في سبيل إشراك القارئ في الفعل التشكيلي والوظيفي لهذه القصص، وهو هنا يعوّل على القارئ المبدع الذي يتجاوز كسله القرائي التقليدي ويحاول أن يتعامل مع هذه القصص بروح إبداعية، ومن هنا تبدأ الخصوصية التعبيرية التي تتحلّى بها قصص (حالات) اعتباراً من عتبات عنواناتها ووصولاً إلى متونها، ويجب أن تكون قراءة المتن تحت إشراف وحضور عتبة العنوان دائماً.

فهو يقول في هذا الصدد:

((إنّ (حالات) هي: لوحات ممتلئة بفرغات، ومساحات شاسعة تنتظر من القارئ المبدع أن يضع ما يغطيها. تنتظر منه أن يكمل، غير أن يشعر بأنّ هذا فراغ ليملأه. هناك دائماً مكان للقارئ في كلّ لوحة من لوحات (حالات) (((أ)).





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

وهذا ما يعطي عنوان (حالات) هذا الانفتاح على منطقة القارئ ومجتمع القراءة كي يكون القارئ شريكاً في رسم الحالة القصصية وإنتاجها، فهي لو كانت معنونة بـ (قصة) ربما لتعامل معها القارئ على أنها نص مكتمل، غير أن معنى (حالة) لا يوحي بالاكتمال لذا يمكن أن يقتنع القارئ برأي القاص في المشاركة والإنتاج.

ثم يتوغل القاص محمود جنداري عميقاً في لقاء الضوء على تجربته القصصية المتميزة (حالات) من خلال توضيح رؤيتها وطبيعتها وخصوصيتها، والبلاغ الذي يقدمه القاص هنا في غاية الأهمية حين يقول بأن هذه الحالات الست ناقصة، فثمة ثلاث حالات أخرى اضطر إلى حذفها من أجل نشر المجموعة، وهي (الحالة الصعبة) وهي الحالة الوحيدة التي جاءت معرفة هي وصفها، ثم (حالة لطائر غريب)، و (حالتان للسعادة القصوى)، على النحو الذي ظل فيها معنى (حالات) ناقصاً من دون هذه الحالات الثلاث الأخرى، وهو ما يجعل عنقود العنونة (حالات) غير مكتمل كما جاء في المجموعة بالشكل الذي يجعل القراءة، قراءة العنونة للحالات جميعاً وقراءة متونها ناقصة أيضاً، وهذا التوضيح بلا شك يلقي الضوء على جانب ثقافي يصاحب الجانب الجمالي البيوي في تشكيل العنونة وتعيين وظيفتها، وتصريحه هنا على الرغم مما فيه من إدانة واضحة إلا أنه يكشف عن قصور محتمل في قراءة القارئ، ولا سيما أنه انتدبه ليكون شريكاً في بلوغ (حالات) أعلى درجات صياغتها على مستوى التشكيل والتعبير والوظيفة، وهو يقول في هذا السياق:

((حالات: نصوص مفتوحة ليس على نفسها فحسب، وإنما مفتوحة على وعي القارئ- الناقد نفسه. إنها ليست نسقاً واحداً كما توحي القراءة الأولى لها، بل هناك ثلاث أو أربع قصص تنتمي إلى الروحية نفسها، وهي في تقديري من أجل الحالات، أسقطت من المجموعة عند تقديمها إلى مديرية النشر والتأليف في عام (١٩٨٣) بل ومن أجل أن تطبع المجموعة اشترطوا رفع هذه القصص علماً أنها جميعها كانت قد نشرت أيضاً في مجلات عراقية، فقد نشرت (الحالة الصعبة) في مجلة الأقلام، وقصة (حالة لطائر غريب) في ملحق جريدة الثورة الملقى، و(حالتان للسعادة القصوى) في مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل.

فلو نشرت هذه القصص الثلاث ضمن الحالات لأصبح من السهل التعرف إليها. إن حالات مرحلة متقدمة ومتميزة في تطور القصة لدي)) (٩).

ثمة معنى مغيب إذاً ومسكوت عنه في قصص (حالات) له علاقة بالقصص التي نَحِيت من المجموعة فبقي العنقود ناقصاً، فقصة (الحالة الصعبة) كانت ستكشف عن مساحة جديدة مضافة للحالات الأخرى، بدلالة التعريف أولاً حيث جاء الخبر والصفة بصيغة معرفة بـ (الصفة الصعبة) وهي تقود إلى فتح مسار دلالي جديد مختلف داخل عنقود الحالات السابقة عبر التكثيف العالي في المفردة المعرفة وقيمتها الدلالية.

أما قصة (حالة لطائر غريب) فهي الأخرى تفتح على قضاء سيميائي دلالي يتميز عن فضاء الحالات الأخرى بشكل مختلف، فالعنونة تتكون من الخبر (حالة) وهو يسند إلى تشكيل مجرور بحرف الجر (اللام) يقدم صورة وصفية هي (طائر غريب)، بكل ما ينطوي عليه دال (طائر) من رؤية وحساسية فضائية، وبكل ما يضيفه (غريب) من شحن سيميائي عميق لطائر وهما ينتميان معاً للآزمة العنوانية (حالة)، بالشكل الذي يحقق فريدة عنوانية جديدة على صعيد العنونة المتشابهة لمجموعة (حالات). في حين تقوم قصة (حالتان للسعادة القصوى) على مضاعفة العدد في (حالة) حيث وردت مفردة في كل القصص السابقة، لكنها جاءت هنا بصورة تثنية (حالتان) كي تفترق عن زميلاتها الأخريات المنشورات والمحجوبات عن النشر، فضلاً على أن التكملة العنوانية (للسعادة القصوى) جاءت على نحو مكون من صفة وموصوف في حالة جز، فالموصوف (السعادة) قد يكون كافياً للتعبير عن التشكيل العنواني مع (حالتان) كي يؤدي العنوان وظيفته المقصودة، غير أن الصفة (القصوى) تفتح مساراً جديداً للنظر إلى عتبة العنونة يذهب إلى الذروة أو الحد الأعلى الممكن والمتوقع الذي يمكن أن تصله (السعادة)، على النحو الذي يفتح فضاء العنونة على مستوى عال من الحضور الكثيف لفكرة السعادة واحتمالاتها المتنوعة. وإذا ما حشدنا الآن الحالات التي احتوتها مجموعة (حالات) رسمياً وهي الحالات الست ((حالة خاصة، حالة استثنائية، حالة تاريخية، حالة يومية، حالة حب، حالة للحب والحرب))، وأضفنا إليها





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

الحالات الثلاث المحجوبة ((الحالة الصعبة، حالة لطائر غريب، حالتان للسعادة القصوى))، لأدركنا أن الصورة العنوانية العامة لا تكتمل إلا بحضور الحالات التسع كلها، أو العشر إذا أخذنا بنظر الاعتبار العددي أن (حالتان للسعادة القصوى) تمثل حالتين وليس حالة واحدة، وهو ما يجعل صورة الاكتمال العنواني حاضرة في هذه القصص التي تقتضي من القارئ البحث عنها في مضامها، وقد أشار القاص إلى أماكن نشرها تحريضاً للقارئ على التواصل معها من أجل استكمال الصورة العنوانية التي تمثل المجموعة، ولا سبيل إلى الوصول إلى استيعاب عنواني مكتمل لها من دون ذلك. ويسهب القاص محمود جنداري في شرح التفاصيل الداخلية والخارجية التي أحاطت بهذه التجربة القصصية الجديدة على الوسط الثقافي الأدبي، وعلى السلطة النقدية التي وجه إليها نقداً لا دعماً تمثل بسقوط أدواتها، وهو ما يحيل على أن المجموعة لم تأخذ حظها من الاهتمام على النحو الذي يليق بها، وقوبلت (بفتور مصطنع وحذر) في إشارة إلى وجود مواقف ضدها على أكثر من صعيد فني وثقافي، حيث يقول:

((لقد تخلص القص في (حالات) من غبار العاطفة الذي يعمي البصيرة في كثير من الأحيان، والذي ينتابني في أثناء الكتابة. حالات لوحات فنية أنيقة وهادئة ولكنها غير مكتملة، تُجملها فراغات مرسومة بتعمد وعناية، وأخرى مرسومة بصورة عفوية. لوحات فيها مكان للمشاهد، وفيها مكان للقارئ، فيها مكان لأية إضافة، وفيها زيادة مقصودة يُراد فهمها على النحو السليم. حالات تعبير دقيق لمرحلة دقيقة من مراحل التطور والنضج الفنيين التي عشتها، لكنها مع الأسف لم تقابل بالطريقة التي توقعتها. قوبلت بفتور مصطنع وحذر. إنما تنطوي على شيء من المفاجأة للنقد كما اعتقد، بحيث جعلته يتقن بأن الحجر الذي يلعب به لم يعد صالحاً للعب)) (١٠).

بمعنى أن المجموعة القصصية الموسومة بـ (حالات) للقاص محمود جنداري تؤسس منذ عتبة عنواها لتحولات كبيرة في مسيرة القص العراقي الحديث، ويأتي الإعلان عن هذه التحولات ابتداءً من عتبة العنوان (حالات)، فهي عتبة عنوانية مغايرة غادرت مصطلح (قصص) وجاءت بمصطلح آخر هو (حالات) للتعبير عن اقتراح التغيير والتجاوز الذي تضمنته، وهو ما يصفها القاص بمجموعة من المميزات تتمثل بالنقاط الآتية:

١. تخلص القص في (حالات) من غبار العاطفة الذي يعمي البصيرة في كثير من الأحيان، والذي ينتابني في أثناء الكتابة.
٢. حالات لوحات فنية أنيقة وهادئة ولكنها غير مكتملة، تُجملها فراغات مرسومة بتعمد وعناية، وأخرى مرسومة بصورة عفوية.

٣. لوحات فيها مكان للمشاهد، وفيها مكان للقارئ، فيها مكان لأية إضافة، وفيها زيادة مقصودة يُراد فهمها على النحو السليم.

٤. حالات تعبير دقيق لمرحلة دقيقة من مراحل التطور والنضج الفنيين التي عشتها.
وهو ما يجعل من عتبة العنوان عتبة بالغة الأهمية تعلن عن حالات تطور ونضج وتقدم في مسيرة القص العراقي الحديث، أسهمت العنونة (حالات) في لفت النظر إلى هذا التحول وخصوصياته وتفاصيله وحيثياته.

العنونة في ((أرض من عسل)): الرؤية والمخيال

تتمتع البنية العنوتية بقوة حضور استثنائية في النصوص القصصية العراقية، ولأهمية هذه البنية العنوتية تشكيلاً ووظيفةً حاولنا مقارنتها في قراءة المجموعة القصصية للقاص والروائي هيثم بزمان بردى، والتي تحمل عنوان (أرض من عسل)، ترصد مقارنتنا مجموعته القصصية (أرض من عسل) (١١)، وهو العنوان الرئيس لمجموعته القصصية، لكنه في الوقت ذاته هو عنوان لإحدى قصص المجموعة، وهو ما عمل عليه القاص في مجموعاته الأخرى، وهذا بدوره يدل على ((استثنائية هذه القصة من جهة، وأهميتها السردية من جهة أخرى، كما أن هذه العناوين تفلح في إقامة جسر دلالي بين النص وبين العنوان المثبت على الغلاف بوصفه ثريا النص - على حد تعبير بارت -)) (١٢)، فهذا العنوان حاول أن يضع القارئ أمام قيمة جمالية وسيمائية لا يمكن فهمها إلا من خلال الغوص في ثنايا النصوص القصصية. وإذا ما أردنا دراسة العنوان الخارجي للمجموعة القصصية، فيجب علينا النظر إليه من جانبيين من ناحية التركيب والدلالة.





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

فمن ناحية التركيب فإن عتبة العنوان تمثل بصيغة جملة اسمية نكرة موصوفة ، على تقدير (هذه أرض من عسل) ، لذا نجد إن معظم عناوين القصص الأخرى والتي تنضوي تحت هذا العنوان نكرة ومقدرة (حكايه ، حكاية عروة بن الورد وأخيراً أرض من عسل) وهو عنوان المجموعة ، في حين جاءت بقية العناوين معرفة وهي (الرسالة ، والنبيض الأبدى). فالصفة التذكيرية لهذه العناوين جاءت متوافقة مع أحداث هذه القصص إذ نجد أن أغلب الشخصيات هي شخصيات غير معرفة وتنتهي نهايات سلبية. وإذا ما حاولنا النظر إلى العنوان من الناحية الدلالية ، فنجد أن بنية العنوان الرئيسة منها والفرعية منها أيضاً تنسم بصفة المفارقة ، ف (أرض من عسل) ، وهي صفة من صفات الجنة كدلالة أولى على وجود نحر من عسل في الجنة ، وغالباً ما تدل على الرخاء والتنعيم ، ولكن إذا ما دخلنا إلى متن هذه النصوص نجد أنها على العكس من ذلك أرض من جحيم تقسو على من يعيش عليها في مفارقة دلالية سيمائية. وربما كان ذلك سبباً في جعل العنوان منكراً للقاري ، ولكنه حاول فكّ هذا التكرير من خلال وصف طبيعة هذه الأرض فوصفها بـ (العسل)، ولم يقتصر على ذلك بل تجده يبدأ بمجموعته القصصية بنص شعري لقصيد السياب ، ليحدد ماهية هذه الأرض واسمها وهي أرض السواد (العراق) بكل ما تملكه من خيرات.

وكان اختيار القاص لنص السياب دون غيره ، للدلالة على المفارقة التي تربط بين عناوين القصص وممتها. فالسياب على الرغم من مكانته الشعرية ، والبلد الذي يعيش فيه إلا أنه لم يكن متنعماً بخيراته، بل على العكس عانى الفقر ومات في الغربة ، ونجد انعكاسات هذه المفارقة في عناوين القصص الأخرى ، إذ إن أغلب شخصيات القاص تنتهي بالضيق في مصير مجهول ، وتكون قسوة الزمان والمكان سبباً في ذلك.

تمثل (حكايه) أولى قصص المجموعة التي يحاول فيها القاص أن يمزج بين بدائية الحكاية وما تحمله من دلالات وبين تقانة السرد الحديث ، إذ حاول بناء قصته على نمط يشبه الحكاية حيث نجد مجموعة من الحكايات المتداخلة مع بعضها والتي يكمل بعضها الآخر ، لتؤدي إلى نهاية حكايتية واحدة تستجيب لبنية العنوان. فالقصة تتكون من ثلاثة مشاهد حكايتية مرتبطة بخيط سردي واحد ، فأولى هذه الحكايات إن . صح التعبير. هو الحديث الذي يدور بين الزوجة التي تنظر المولود وأبيه، وبين الهر الذي كان يلزم هذه الزوجة ويؤنس وحدتها ، بعد ذلك تحاول أن تحدّثه عن وحدتها زوجها ومولودها المنتظر:

((انتظر أيها الهر الطيب ، لقد أمسى قريباً ، إنه الآن في آخر محطة وسأيتي قريباً جداً ، ستصبحان صديقين ، أليس كذلك ؟..

ينظر إليّ بفرح فاستلني.

- أمنيته وعد، أنه وعدي من أبيه ، أنت تجهل هذا .. منذ ولاتي كان القدر قد ساقه إليّ، رجل ككل الرجال، أنت لا تراه إلا نادراً، لا تكتب، سوف تراه حتى تسأله)) (١٣).

أما المشهد الحكائي الثاني الذي حاول فيه القاص أن يتمثل الحكاية بكل موروثاتها بدءاً من سارد الحكاية والمتمثل بشخصية (الجدّة)، والتي تمثل كنزاً حكايتياً هائلاً بالنسبة للأطفال، وحتى النهاية السعيدة التي تمت في اللقاء بين الزوجين، فضلاً عن أسماء الشخصيات ، والتي غالباً ما تتكرر في الحكايات الموروثة (الفارس وبدر البدور). استطاع القاص أن يجعل من هذه الحكاية الموروثة معادلاً لقصة الزوجة ، بل مكافئاً لها ف (عبد الكريم هو فارس) و (الزوجة . وصال . هي بدر البدور)، وحتى الأحداث هي ذاتها ، لذا نجد في النهاية اتحاد (فارس مع عبد الكريم):

((... وفارس يأتيني ملثماً متمنطقاً سيفه ، يقف فوق رأسي ، شمساً جبلاً ، عاصفة ... أراه يتسم ، بشيل الوليد بين يديه ويقبله بحنان فأهتف له .

- إنه وعد يا عبد الكريم)) (١٤) .

أما في المشهد الحكائي الثالث فيحاول القاص أن يسرد الأحداث التي مرت بـ (عبد الكريم) والظلم العنف والتغيب الذي تعرض له، والذي كان سبباً في غيابه عن زوجته وعن مولوده، ومن خلال ما تقدم نجد أن هناك ترابطاً وثيقاً بين





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

المفن وبنية العنوان . فالمشهد الأول والثاني يتمثل عنوان القصة (حكاية) ويستجيب لها، في حين نرى أن المشهد الحكائي الثالث يمثل منطقة استجابة لبنية العنوان الرئيسية.

أما في قصة (الرسالة) فإن القاص تمثل هذا العنوان بصورة دقيقة، إذ نرى أن القصة محصورة بين رسالتين، رسالة صوتية تأتي من الطبيب تعلن وفاة (ليث عبد الوهاب)، ورسالة كتابية تحاول أن تبين ماهية هذه الشخصية والغموض الذي كان يلفها، والتي أثارت فضول (عامر أحمد) الحياط، إذ حاول اللحاق به من أجل التعرف عن سبب تعلقه بصنع الدمى، وحبّه للأطفال والتي كانت سبباً في فراقه عنه:

((ما الذي جاء بك ... ؟))

قلت ملاطفاً .

- أهكذا تستقبل الأصدقاء ؟

تشنج وجهه وهمس كالكلم المتألم .

- لما أفسدت الصداقة الحميمة التي كانت تربطنا .. لم ... ؟

ثم صرخ .

- اغرب عن وجهي .

وكانت تلك آخر مرة أرى ليث منها رغم بحثي المضني والمينوس منه لفترة ليست بالقصيرة ... (((١٥)))
وتبرز أهمية هذه الرسالة بعد وفاة (ليث) هذه الشخصية التي كانت في نظر الناس شخصية معنوية غريبة الأطوار، إلا أنها في الحقيقة كانت تمتلك إحساساً إنسانياً لا يقدر، فهو وليد الظروف التي مرت به والتي عانى منها ، فهو بحسب رسالته لمعلم للأطفال يكون قد وجد فيهم مستقبل وطنه، إلا انه يصطدم بنهاية مأساوية من إحدى النهايات التي يعاني منها أهل هذه الأرض، والموت بصورة شنيعة.

استطاع القاص أن يرسم هذه الشخصية بصورة دقيقة، من خلال وصف الإحساس الذي كان يحمله (ليث) تجاه الأطفال، وطريقة تعامله معهم، فهو يحاول أن يسرد الكثير من الأناشيد المحبة للأطفال، ولم يكتفِ بذلك بل حتى بعد أصابته بالجنون التصق بصنع الدمى، تعويضاً عما افتقده من الأطفال بسبب قصف الملجأ:

((كان ليث جالساً وأمامه عدداً لا يحصى من الدمى المصنوعة من خرق القماش على شكل وجوه أطفال: ضاحكة، صوبحة، ساحرة ...، في هيات مختلفة، جالسة، راقصة، راکضة، وبسمات مختلفة، سمراء، حنطية، شقراء، بيضاء، سوداء ...، وفوق كل منها وعند موضع الرأس ثمة قطعة صغيرة من الورق المقوى مكتوب عليها اسماء اناث بخط جميل: مريم، أمل، زينب، سماح، شذى، سمر، هاجر .. إلخ، وليث جالس يتأمل والدموع تنساب من مآقيه نقية ساطعة صافية زاخرة بالشجن)) ((١٦)). استطاع ليث أن يكون عالماً آخر يعوض ما افتقده، ويتنعد عن قسوة ما يعيشه من وضع لا يضع كرامة لأي شخص، معلناً الابتعاد ((لن أحترم العالم ما دام في الأرض طفل منكسر العينين)) ((١٧))، لنكتشف أن الرسالة وهي -عنوان القصة- استطاعت أن تلعب دوراً مهماً في هذه البنية السردية، واختزلت الكثير من الأحداث، وأن تفك الغموض الذي كان يحيم على هذه الشخصية، والتي كانت موضع تساؤل من قبل الآخرين.

يمثل العنوان في قصة (النبض الأبدي) عنواناً مفارقاً لمفنى النص، من حيث التركيب والدلالة، فعلى الرغم من تعريف العنوان، إلا أن بيئة النص جاءت نكرة، من حيث الزمان والمكان والشخصيات. إذ يتخذ القاص الجبل طريقاً لتساؤلاته عن الجحيم الذي حل بهذه القرية على الرغم من صمود أركانها والمتمثلة بهذا الجبل ، من خلال عدسة كاميرائية تحاول أن تصف القرية التي عاشت ويلات الحرب والدمار، والتي كانت سبباً في نزوح أهل هذه القرية وبقاء هذا الجبل وحيداً متفرداً شامخاً وسط الطبيعة:

((هذا الجبل لا يفهم الآن وهو يرجع صدى فرقعات بعيدة ويحتضن وميضاً بارقاً، ويطرشه صفيّر مدوّ، يعجز الآن عن فهم سبب هجرة الناس رغم أنه لا يزال يحاول أن يهبهم الحياة والأمان، هذا الجبل مستعد أن يفني حجارتة وكيانه كله





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

من أجل أن يبقى أهل القرية يتسمون بوجهه صباح مساء، يحميهم نهاراً ويحرسهم ليلاً بنفس جلدى.
- إذا لماذا تركوا بيوتهم وذهبوا؟ ((١٨).

ربما كان هذا السؤال الوحيد والأصعب الذي كان يتردد في ذهن الجبل - الشخصية. إذ حاول القاص أن يعطي لهذا الجبل الأمل في رجوع أهل القرية، من خلال شخصية الراعي التي ظهرت بشكل مفاجئ ليوجه تلك التساؤلات إلى هذا الراعي حتى وإن لم يجب:

((افترت شفتاه عن ابتسامة رضا حين عاين الراعي بملابسه المميزة أنا اعرف هذا الراعي لا يتخلى عن قطيعة)) ((١٩)
وهي دلالة على الترابط الأزلي بين الراعي وقطيعة.

إن القاص حول التأمل من الجبل إلى الراعي ليدخل في تفاصيل تلك القرية، فهو يقف على ما تبقى من تلك القرية ويحاول أن يسترجع ما ذهب منها، من خلال تأملاته:

((يقيناً أن هناك كركرة وغناء؟ أمكن؟.. هل هذا معقول؟ وزحف على بطنه، المناجاة حقيقية والنبات المنعمة جلية، ولكن أين الأم؟ أين الرضيع؟ أه ما أجمل نبرة الأم حين تناغي، يتطامن صوتها ليغطي الكون بأجمل صدادح. يقف الراعي، يفرك عينيه ويحدق .. المهد يهتز جينة وذهاباً، وتترفرف حول أطرافه نفايات الشرف والدانيلا وصوت الكركرة يغطي الفراغ بين كل وقفة ولا حقتها من غناء الأم، يصل المهد، يرفع رأسه ويرج ستاره.
- انه فارغ! لا أثر للطفل فيه)) ((٢٠).

ولم يقتصر على ذلك بل هو يستخدم الموروث الديني (شجرة التفاح) بصورة مفارقة والتي كانت سبباً في خروج آدم من الجنة والنعيم، إلى الأرض حيث الشقاء والجحيم.

حاول القاص أن يوظف هذا الموروث بصورة دقيقة، إذ إن أول من أغرى آدم (عليه السلام) هي حواء، وهي امرأة، وهذا ما نراه في القصة إذ تتوحد الشجرة مع صورة والدة الراعي فتغريه للتقدم إليها واحتضانها، نجد إن (الله سبحانه وتعالى) حذر آدم (عليه السلام) كثيراً من الاقتراب إلى هذه الشجرة، وهذا ما نلمسه من تعالي أصوات (الشجرة والأم) محذرة الراعي من التقدم لأن ذلك سبباً في هلاكه في إحالة على قصة آدم:
((قالت شجرة التفاح

- حاذر يا ولدي .

تحركت الأم وخطت اثنتين وهمست .

- أيها الراعي الطيب ، احترس يا ولدي)) ((٢١)

وعلى الرغم من ذلك لم يسمع لكل هذا فتقدم نحو الشجرة - الأم، لتكون نهاية الاتحاد بهذه الشجرة والدخول إلى أحشائها، ولتكون كما وصفت (شجر الخلد) والبقاء الأزلي ويعود من حيثما خرج أول مرة موطنه الأصلي ((دخل الحشايا ، وجد طريقه إلى القلب، استشعر الأمان والدعة ودفق الحياة وهو يغذ السير في رحلة عجيبة نادرة إلى موطنه الأول، حتى انه لم يفهم ما معنى الذي يحصل له ويراه بأم عينه)) ((٢٢).

أما قصة (عروة ابن الورد وما جرى له في أحشاء الغولة)، فإن العنوان فيها يقسم على شقين، واقعي وأسطوري، فشخصية عروة الشاعر معروفة للكل، وبما تحمله هذه الشخصية من دلالات الثورة والتمرد والصعلكة، تحاول أن تبني نوعاً من العدالة بغض النظر عن آليته في تحقيق ذلك، في حين يقع في المقابل منه الغولة وهي حيوان أسطوري غير واقعي (وهو للدلالة على الواقع الذي نعيشه)، وربما كان اختار القاص هذا العنوان للدلالة على قسوة الواقع مشبهاً إياه بالغول الذي يفترس ما يقع في طريقه. حاول القاص أن يبني نصه القصصي هذا بطريقة سردية تختلف عما سبقه من النصوص، إذ نراه يقسم قصته على مجموعات قصصية وبعناوين مستقلة وخاصة، ف ((كل مشهد يبدأ بجملة أشبه بعنوان وكأنها عنوان على طريقة بعض السرود والكتابات الثرية العربية القديمة، بحيث أصبحت عتبة تشكيلة مقطعية لها دلالتها في تفعيل جملة أساسية على شكل مظلة)) ((٢٣).





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

اعتمد القاص في قصته هذه على السرد الدائري، حيث ينتهي من حيثما بدأ، (صوت خارق يبعث عروة بن الورد إلى هذا العالم الصوت الخارق يأمر عروة بالعودة ولكن... ٢)، إن ما يميز هذه القصة إنما قائمة على المفارقة، فعلى الرغم من استدعاه هذه الشخصية التي كانت تمثل في الماضي ملاذاً آمناً للجوع والفقر، إلا أنها فشلت فيما استدعيت من أجله، فهو لم يستطع تغيير هذا الواقع المرير إلى ما هو أفضل، لذا بقيت نهاية هذه القصة مفتوحة ويبقى الاستدراك (لكن) هو السؤال الوحيد عن المجهول الغائب الذي يقف بوجه الظلم ويغير هذا الواقع: ((وفجأة لعل صوت صمّ أذن المسلح الذي حسبه قصف رعد رغم أن سماء المدينة كانت صاحية.

- عروة ...

وصدر عن جسد عروة، الواقف كالتمثال على الرصيف، صرخة.

- من يناديني؟

- عد إلى مكانك يا ابن الورد.

وأمام ذهول المسلح اختفى الجسد بغتة كفص الملح)) (٢٤).

من خلال ما تقدم نكتشف أن المفارقة هي السمة الأساسية لهذه القصة، من بدايتها وحتى النهاية. ومما زاد من هذه المفارقة هو الهامش الأخير الذي ذكره القاص ليؤكد على تناقض ما تقدم، فمفارقة الاستدعاء هي مكملة لمفارقة مكان قبر عروة.

تمثل (أرض من غسل) وهي آخر فصص المجموعة، نشيداً جماعياً يمثل حب هذه الأرض وهي (العراق) مستدعياً فيها القاص كل الإمكانيات السردية التي تعبر عن هذا الحب.

يحاول القاص ومن خلال شخصية الرجل الكبير وما يحمله من مخزون ذكرياتي هائل عن هذه المدينة التي لم يبق منها سوى الاسم والشعارات التي تنم عن السلام والأمان أن يؤسس لتشكيل القصة، فيبدأ حدثه القصصي من خلال جملة مكتوبة على إحدى الشاشات (أهلاً بكم في بغداد ... دار السلام)، والتي أثارت هذا الرجل الستيني ليعقد مقارنة بين عالم ماضي من الذكريات وبين واقع اتسم بالقسوة والبطش، موظفاً كل الصفات التي تدل على هذا الواقع المرير، من خلال تساؤلاته عن هذه المدينة التي غيرت معاملها بسبب الظروف التي تعيشها، والخراب الذي تسبب على أركانها، فلا يجد للحياة أثراً فيها بعدما كانت تزخر فيها، فهي أرض الحضارات والفن كما هو معروف عنها. وعلى الرغم من كل هذا صور إلا أنه لم يتخل عن ارتباطه بهذه الأرض إذ يرى أن هناك بقايا للنهوض من جديد:

((وأمام الباب المفتوح المحدد بأزهار الدفلى الذي تعلوه قطعة تعلن عن مدرسة ابتدائية وقف التلاميذ الصغار بابتسامة جعلته نقياً كشمس الشفق الربيعي.

وبغته انطلق الأطفال يشدون:

((أنا من العراق

أنا عراقي

العراق وطني

فيه أمي وأبي، فيه أختي وأخي)) (٢٥).

ليتحد صوته مع صوت يجد فيه بعث مدينته من جديد:

((فيه أهلي وبني، وفيه أصدقائي)) (٢٦).

مسترجعاً ذاكرته لزم من مضى لم يبق منه إلا الأناشيد، ليعلوا فوق هذه الأرض على الرغم من مرارة واقعها، فهي تبقى أرضاً من غسل في مخيلته. وبهذا يكون القاص هيثم بختام بردي قد وفى بمتطلبات العنونة القصصية فيما يخص التشكيل في علاقاته الداخلية والخارجية، والوظيفة السيميائية حين تؤدي العنونة وظيفة مركبة في دلالتها الموضوعية الأولى، وفي دلالتها داخل التركيب العام للقصة.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

العنونة في ((مدن وحقائب)): فضاء المكان المتحرك

المجموعة القصصية الموسومة بـ ((مدن وحقائب)) (٢٧) للقاص والروائي سعدي المالح تنحو نحو آخر في تشكيل عتبة العنونة، فهي لا تستفيد من عنونة إحدى قصصها لوضعها عنواناً كبيراً للمجموعة بل تستقل بعنوان كلي يمثل كل قصص المجموعة، ويكشف هذا عن وعي القاص بأهمية عتبة العنونة وخطورتها من جهة، وقدرة قصصه على الانتظام في سياق سردي واحد تقريباً حين تعبر عن فكرة مشتركة تعمل عليها جميع القصص.

عنوان المجموعة هو ((مدن وحقائب)) بينما تأتي عنوانات قصص المجموعة على النحو الآتي ((فتاة على كرة/الفار/مريم/أمل/دفع الثلج/ما اسم هذه الوردة/عطل مفاجئ في مطار مير أبيل/الحظ))، وربما من حيث المبدأ لا نرى علاقة على مستوى التسمية العنوانية بين العنوان الكلي للمجموعة والعنوانات الصغرى للقصص، سوى قصة ((عطل مفاجئ في مطار مير أبيل)) التي تدل على السفر، لكننا حين نتوغل في متون هذه القصص سنجد أن العلاقة وثيقة جداً، وأن التسمية مناسبة.

الثنائية التي تقدمها عتبة العنوان الرئيسة ((مدن وحقائب)) تحيل على ثقافة السفر، فمفردة ((مدن)) تدل على كثرة وتنوع وتعدد، ومفردة ((حقائب)) تدل على حركة مستمرة بين هذه المدن، ولا شك في أننا حين نطلع على سيرة الكاتب سعدي المالح نرى فيما يخص موضوع هذه المجموعة من حيث السفر والتنقل والغربة، ما تمثله هذه العبارة ((عمل صحفياً ومترجماً ومدرساً جامعياً في أكثر من بلد)) (٢٨)، إذ سنعرف أنه كان مسافراً دائماً بين البلدان ونفهم طبيعة هذه القصص من حيث التشكيل السردية والوظيفة الدلالية.

في قصة ((فتاة على كرة)) تتجسد صورة السفر حيث المدن المنتظرة والحقائب الجاهزة من هذا الحوار بين الابن المسافر والأم:

((ضمت والدته بين ذراعيها وطبعت على خديه الأسمرين قبلتين حنونتين تسيحان دمعاً سخياً، كان دفعاً حاضنها بخدرة ويجعله يستسلم لعواطفه، في لحظات الوداع الأخيرة، بينما لا مناص له من السفر، فانتزع نفسه من حاضنها بتؤدة: ستمضي السنوات مثل الحلم وسأرجع.

ارجع .. ارجع .. حتى أشوفك قبل أن أموت يا ولدي.

سأرجع بالتأكيد.

ولا تتزوج يا بني .. سنجد لك عروسا حين عودتك.

ولا أتزوج.

ولا تقطع عنا الرسائل ولا تنسنا.

ولن أنساكم)) (٢٩)

إن لوعة السفر تشكل هنا من طبيعة الحوار الدائر بين الابن المسافر سفراً طويلاً والأم التي تريد أن تحتفظ بابنها، وهذا الحوار يعبر عن البعد العاطفي والوجداني الذي يتجسد من حضور فكرة السفر بمعنى الهجرة وترك الوطن، فخوف الأم هنا على ابنها المهاجر يضع مفردة ((مدن)) التي تحتلها عتبة العنوان الكبرى للمجموعة مرهونة بمفردة ((حقائب)) التي يضع فيها المهاجر أحلامه وأمنيته بحثاً عن مدينة مجهولة، ويظهر هنا مدى التعلق الكبير الذي تبديه الأم تجاه ولدها المسافر وهي تمنيه بالعودة والزواج.

قصة سعدي المالح الموسومة بـ ((مريم)) هي الأخرى تصحّ بمآسي الغربة وأوجاعها وقضاياها، وتستعير صورتها ودلالاتها من الأغنية التي تمجد الأم (ست الحبايب) ولها حضور بارز في الذاكرة العربية ولها سطوة كبيرة حين يتعلق الأمر بالهجرة وترك الأم في الوطن والحنين إليها، حيث يبقى صوت الأم والحنين إلى كل شيء عبرها عالياً:

((هزجت المطربة:

يا أغلى من روحي ودمي ...





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

قالت الفتاة:

. هذه أول مرة أبعد فيها عن أمي.

(قالت ليلي:

. هنأتني ابنتي في الصباح، وهنأت والدي في المساء، أما الوقت بين الصباح والمساء فخصصته لنفسی، احتفلت به.

قالت أمي:

. ليأخذ الله أرواح الذين أخذوا مني أبنائي((((٣٠).

إذ تبدو العواطف في الغربة ضيقة ومحدودة إلى أبعد الحدود، ولا سيما في المناسبات والأعياد حيث يظهر الحنين إلى الوطن في أبرز صوره، وهو ما يتناسب أيضاً مع الفكرة القصصية التي تطرحها عتبة العنونة الكبرى ((مدن وحقائب))، على النحو الذي يقود الأم إلى إطلاق صرختها المدوية ((. ليأخذ الله أرواح الذين أخذوا مني أبنائي))، هذه الصرخة التي تتردد بين مدن الغربة وحقائب السفر المحشوة بالألم والحزن دائماً.

في قصة ((أمل)) تتجلى الغربة على أعلى ما يكون عاطفياً ونفسياً وانفعالياً، وتتكرر صورة المدن والحقائب بوصفها الصورة المركزية في التعبير عن الغربة، وتستثمر القصة هنا الموروث الشعبي الغنائي الذي يصور الوطن بوصفه جنة مفتقدة، مقابل الغربة التي هي نار حاضرة راهنة تأخذ من المغترب الكثير من الحياة والعاطفة والفرح:

((قالت أمل:

. أنا سألحة)

قال آخر:

. لكل أسبابه، البعض يتصور أن الجنة هناك، والبعض الآخر يتصورها هنا.

وارتفع صوت المطرب من آلة التسجيل:

جنة يا وطنًا

جنة، جنة، جنة

يا بو تراب الطيب

يا وطن يا حبيب

حتى نارك جنة

ركض الجميع إلى حلبة الرقص، لكن بعد انتهاء الأغنية ارتفع صوت المطرب نفسه في مَوَال فتوقفوا عن الرقص.

واللي مضيع ذهب بسوق الذهب يلقاه

واللي مضيع محب يمكن سنة وينساه

واللي مضيع وطن وين الوطن يلقاه

ترقرقت الدموع في عينيه، فرقع كأسه مترعة بالأمل الكبير وعيها في جوفه وهو يقول في نفسه:

. نحب الوطن الذي لا يجب أن يضيع.

وغير أحدهم الشريط، فانبعثت من آلة التسجيل موسيقى غربية صاخبة فنهض معظم الحاضرين إلى الرقص من جديد.)) (٣١).

يقدم هذا النص المأخوذ من قصة ((أمل)) ومنذ عتبة عنوان القصة صورة أخرى من صور الغربة المتمثلة على نحو ما في عتبة العنونة الكبرى ((مدن وحقائب))، وهي تتمثل كلمة (أمل) بكل ما تنطوي عليه من دلالة ومعنى وفضاء في تجسيد العلاقة العاطفية والوجدانية بين مدينة الغربة والوطن، بين الحقيقة المأساوية المعدّة للسفر دائماً وبين الثبات في المكان حيث الهدوء والحياة الآمنة المستقرة.

ويجري توظيف هذه الأغنية بصورة جميلة في هذا السياق لأنها تعبر أساساً عن مشكلة الغربة والحنين إلى الوطن، والتحريض على تذكره في الغربة وإمكانية العودة إليه، والأغنية وأحداث القصة كلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعتبة العنونة. أما قصته الموسومة بـ ((ما اسم هذه الوردة)) فتقدم المدينة الغربية من خلال المطعم الذي اتفق الراوي على لقاء حبيبته





العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

فيه ، وهو يصوره على نحو حضاري كبير لكن وزوده تذكركه بالقرية التي هجرها وحلّ في مدينة لا تربطه بها صلة تذكر: ((المطعم مزدحم ، لكن بلا ضجيج ، رفعت رأسي فوجدت نفسي أجلس قبالة حرف M أصفر نصب أمام مبنى ذي طراز معروف ينتشر في أماكن كثيرة من العالم ، التفت يساراً فأرى مبنى آخر ضخماً تحتل واجهته علامة معروفة جداً ، في كل مكان ، تصطف أمامه ، في ساحة كبيرة عشرات السيارات ، كلها جديدة ، لامعة ، تغري العابر ، أشحت ببصري عنها ناظراً إلى الأسفل ، كان هناك كشك معدني لطائف عمومي يرتجف من البرد وحده ، ضحكت في سري ، وقلت: ثلاث أضواء المسرح ! وسحبت الكرسي الذي كنت أجلس عليه إلى الوراء قليلاً ، فأصبح لصق آنية تحوي وروداً طبيعية لم أر مثلها من قبل ، قربت أنفي منها وشممتها ، كانت رائحة زكية تبعث منها ، ذكرتني برائحة الزهور البرية في حقول القرية)) (٣٢)

إن صورة المدينة من خلال صورة المطعم تعبر عن صلة فقيرة محدودة بين الراوي المغترب وبين المدينة، لذا فهو بعد وصفه لها سرعان ما يتذكر القرية التي تتوازي فيها الورد الطيب في المدينة الغربية مع الورد البرية في القرية، وهو ما ينتج معنى سردياً يضع بركة القرية فوق طبيعيتها المدينة الغربية ((ذكرتني برائحة الزهور البرية في حقول القرية))، حيث إن الذاكرة السردية تعمل هنا على بناء استرجاع مشهدي يحيل على تفادي الغربة بالتذكر، بمعنى أن الذاكرة لا تسترجع القرية هنا تجرد أحداث نوع من الموازنة بين ورود المدينة الغربية وورد القرية، بل تعمل هذه الذكرى على تحقيق استرجاع كلي للقرية وسط هذه المدينة، بكل ما ينطوي عليه ذلك من دلالات وقيم وصور وتجارب.

ويبدو حسن الغربة عالياً في قصة ((عطل مفاجئ في مطار ميرابيل)) حيث تتجلى المدن القتالة من بعيد، وتبرز الحقائق المرة وهي تحمل الألم والقسوة والغربة منذ أول خطوة تقود المغترب خارج أرض الوطن: ((كان صباحاً باكراً ، ساخناً ، في الطريق إلى المطار دهست سيارة رجلاً فأردته قتيلاً أمام أعيننا . توقف السير واختنق الشارع.

قال صبري ، وكان مودعي الوحيد:

. انتبه هذا صباح الشر .

قلت:

. أجل ، لكن ليس لي وحدي ، بل وللوطن الذي أترك .

وتملكنتني آنذاك عشرات الشكوك)) (٣٣)

ولعلنا هنا لو أخذنا الدوال السالبة في هذا المقطع المأخوذ من القصة لعرفنا قيمة صورة الغربة التي تتشكل في ذهن المغترب منذ أول خطوة، وهذه الدوال هي ((ساخناً ، دهست سيارة ، فأردته قتيلاً ، اختنق الشارع ، مودعي الوحيد ، صباح الشر ، للوطن الذي أترك ، عشرات الشكوك))، فهي دوال كثيفة في سلبيتها وتعطي فكرة عن طبيعة ((مدن)) مقترنة بطبيعة ((حقائب))، وقد جسدها عنوان المجموعة أفضل تجسيد. من هنا يكتشف القارئ قيمة إدراك خطوة العنونة ووعيتها عند القاص، وما يحققه ذلك من تشكيل على صعيد البناء الفني للقصة، وما يؤديه العنوان من وظائف مهمة لا تتوقف عند حد الدلالة البسيطة في علاقة دوال العنوان بالمحتن القصصي، بل تفتح هذه الوظيفة على احتواء فضاء القصص وتمثلها والإيحاء برموزها وقضاياها.

الإحالات والهوامش:

- (١) حالات، محمود جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٤.
- (٢) حساسة النص القصصي، قضايا وشواغل سردية، فيصل غازي النعيمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١٢: ٦٧.
- (٣) التخيل القصصي، شلوميت زيمون كنعان، ترجمة حسن أحمامة، دار التكوين للنّاليف والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١٠: ٥٩.
- (٤) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩: ٥٨.
- (٥) التشكيل النصي، الشعري، القصصي، الروائي، د. محمد صابر عبيد، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط ١، ٢٠١٣: ١٦٧.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

العنونة القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة

- (٦) حوار أجراه رعد فاضل مع القاص ومحمود جنداري، ملحق جريدة المسار، الموصل، بتاريخ ١٤ / تشرين الثاني / ٢٠٠٦.
- (٧) ملحق المسار.
- (٨) ملحق المسار.
- (٩) أرض من عسل، مجموعة قصصية، هيثم بختام بردي، دار الحوار - سوريا، ط١، ٢٠١٢.
- (١٠) المغامرة السردية (جمالية التشكيل القصصي، رؤية فنية في مدونة فرح ياسين القصصية)، د. سوسن هادي جعفر، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، ط١، ٢٠١٠، ٢٣٦-٢٣٧.
- (١١) أرض من عسل : ١٩.
- (١٢) م. ن. : ٣٥.
- (١٣) م. ن. : ٤٧.
- (١٤) م. ن. : ٤٦-٤٧.
- (١٥) م. ن. : ٤٩.
- (١٦) م. ن. : ٥٧-٥٨.
- (١٧) م. ن. : ٥٨.
- (١٨) م. ن. : ٥٩.
- (١٩) م. ن. : ٦١.
- (٢٠) م. ن. : ٦٢.
- (٢١) سحر النص (من أجنحة الشعر إلى أفق السرد قراءة في المدونة الإبداعية لإبراهيم نصر الله) إعداد وتقديم ومشاركة أ. د محمد صابر عبيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٨ : ٢٠٣.
- (٢٢) أرض من عسل : ٧٤.
- (٢٣) م. ن. : ٨٥-٨٦.
- (٢٤) م. ن. : ٨٦.
- (٢٥) مدن وحقائب، سعدي المالح، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩.
- (٢٦) الغلاف الأخير لمجموعة مدن وحقائب وقد تضمنت هذه المجموعة سيرة موجزة للكتاب تعرف بغربة الكاتب بين المدن والحقائب.
- (٢٧) مدن وحقائب : ٩ - ١٠.
- (٢٨) م. ن. : ٤٤.
- (٢٩) م. ن. : ٦٣-٦٤.
- (٣٠) م. ن. : ٧٣-٧٤.
- (٣١) م. ن. : ٨٣-٨٤.
- (٣٢) م. ن. : ٦٤.
- (٣٣) م. ن. : ٦٤.

المصادر والمراجع

المصادر:

- (١) أرض من عسل، مجموعة قصصية، هيثم بختام بردي، دار الحوار - سوريا، ط١، ٢٠١٢.
- (٢) حالات، محمود جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٤.
- (٣) مدن وحقائب، سعدي المالح، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، ط٤، ٢٠٠٩.

المراجع:

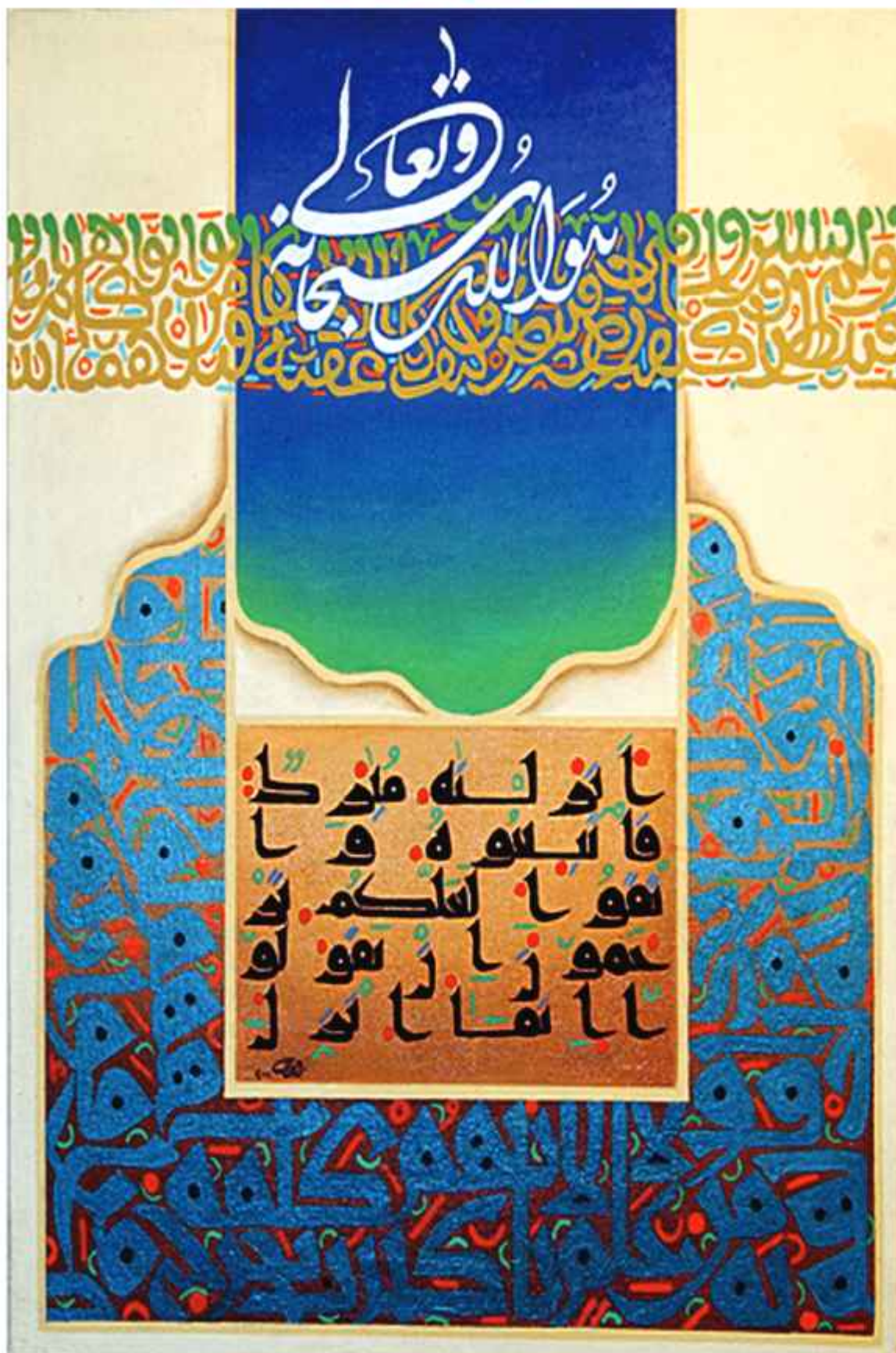
- (١) التخيل القصصي، شلوميت رمون كنعان، ترجمة حسن أحمامة، دار التكوين للناليف والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠.
- (٢) التشكيل النصي، الشعري، القصصي، الروائي، د. محمد صابر عبيد، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- (٣) حساسية النص القصصي، قضايا وشواغل سردية، فيصل غازي النعيمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٢.
- (٤) حوار أجراه رعد فاضل مع القاص ومحمود جنداري، ملحق جريدة المسار، الموصل، بتاريخ ١٤ / تشرين الثاني / ٢٠٠٦.
- (٥) سحر النص (من أجنحة الشعر إلى أفق السرد قراءة في المدونة الإبداعية لإبراهيم نصر الله) إعداد وتقديم ومشاركة أ. د محمد صابر عبيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٨.
- (٦) المغامرة السردية (جمالية التشكيل القصصي، رؤية فنية في مدونة فرح ياسين القصصية)، د. سوسن هادي جعفر، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٠.
- (٧) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

العنوان القصصية: من التشكيل إلى الوظيفة قراءة في قصص عراقية منتخبة



التبليغ النبوي



الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي



أ.م.د. نصير كريم كاظم
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة





المستخلص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد و علي آلہ الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر المحجلين.

تعد السنة النبوية المصدر الثاني للعقيدة والشرعية، لذا عكف المسلمون على جمع ما روي عنه (١) من قول أو فعل أو تقرير، بنحو لا مثيل له في الأمم السابقة، وقد استأثرت السنة باهمية بالغة عند المسلمين حدت بهم الى تأسيس علوم متنوعة، بغية فهمها وإدراك مغازيها وفقه معانيها، هذا من جانب (٢).

ومن جانب آخر تعرضت السنة للتحريف والتزوير ودست فيها احاديث كثيرة من قبل الاهواء ورجال العيث والفساد، ولذا تصدى عدد من العلماء السابقين الى جمع ماورد عن المعصومين (عليهم السلام)، وهم بذلك حفظوا لنا الركن الثاني من التشريع جزاهم الله خيراً.

ومن اوائل من تصدوا لذلك الشيخ الكليني الذي افنى زهرة شبابه في البحث والتنقيب والتدقيق عن مرويات اهل البيت (عليهم السلام) حتى استقام له كتاب الكافي بعشرون سنة من الجهد والعمل والترحال بين المدن والامصار. وليبيان جهوده الكبيرة في التأسيس لهذا السفر الخالد الذي يعد من اهم الاصول الاربعة للشيعة الامامية الاثنا عشرية مع من لا يحضره الفقيه للشيخ القمي وكتابي الشيخ الطوسي التهذيب والاستبصار.

سنتحدث عن حياته ومنهجه في كتابه الكافي، وان كنا لاندعي الاحاطة بكل الموضوع؛ لان هذه الوريقات لاتكفي، إذ ان كتاب الكافي ومؤلفه قد تناوله العلماء والباحثين بالبحث والتدقيق والشروح المتعددة كونه مرجعاً اساسياً في مجال الفقه والاستدلال وكل جوانب المعرفة.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, Abi Al-Qasim Muhammad, and his pure and pure family, and his young, radiant companions. The Sunnah of the Prophet is the second source of faith and Sharia, so Muslims set out to collect what was narrated from him (1) of words, deeds, or reports, in a way that is unparalleled in previous nations. Its meanings and the jurisprudence of its meanings, this is from (2). On the other hand, the Sunnah has been subjected to distortion and forgery, and many hadiths have been trampled upon by whims and men of wickedness and corruption. Therefore, a number of former scholars have taken up the collection of what was reported about the infallible (peace be upon them), and they have thus preserved for us the second pillar of legislation, may God reward them with good. Among the first to stand up to that was Sheikh al-Kulayni, who spent the flower of his youth searching, excavating, and checking the narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them), until the book al-Kafi was established for him with twenty years of effort, work, and travel between cities and regions. And to demonstrate his great efforts in the establishment of this immortal book, which is one of the most important four principles of the Twelver Imamate Shiites, with whom the jurist does not bring to Sheikh Al-Qummi and the two books of





الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

Sheikh Al-Tusi, Al-Tahdheeb and Al-Istibsar. We will talk about his life and methodology in his book Al-Kafi, although we do not pretend to be aware of the whole issue. Because these papers are not enough, as the book Al-Kafi and its author have been dealt with by scholars and researchers with research, scrutiny, and multiple explanations, as it is a basic reference in the field of jurisprudence, reasoning, and all aspects of knowledge.

المطلب الأول : الشيخ الكليني .

أولاً: اسمه ونسبه وولادته:

الكليني: هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكليني الرازي السلسلي، البغدادي ثقة الإسلام. أطبقت المصادر القديمة والحديثة على عدم ذكر سنة ولادته ومكان تولده وكم هو عمره، إذ إن حياته ونشأته الأولى مجهولة، ولا يمكن القطع بأي تاريخ على وجه التعيين لسنة ولادته، وكل الذي بأيدينا أنه ولد في زمان الإمام العسكري (عليه السلام) (٣)، ويعرف بالسلسلي: لنزوله درب السلسلة ببغداد (٤)، والبغدادي لنزوله في بغداد، وثقة الإسلام تعبيراً عن المكانة التي يحتلها عند العلماء بل لدى العامة والخاصة فكان الإسلام وثقه (٥).

عاش الشيخ في زمن السفراء الأربعة، فقد أدرك زمن الإمام الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وأدرك شطراً من حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٦). ولد الشيخ في بلدة (كلين) من بلاد الري، التي تبتعد في زماننا من ضواحي مدينة طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية (٧).

والري: مدينة مشهورة قديماً وحديثاً، تقع في جنوب طهران الحالية، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال كما تحدث عنها ياقوت الحموي، إذ إنها معروفة بفواكهها وخضرواتها طيلة أيام السنة، من محاصيلها الزراعية المتنوعة (٨).

ثانياً: نشأته العلمية:

مرت الحياة العلمية للشيخ الكليني بدورين عموماً:

الدور الأول: منذ نشأته في الري وإلى حدود هجرته إلى بغداد:

وهذه المرحلة كانت لها انعكاساتها المستقبلية على حياة الكليني إذ حددت الشكل المستقبلي لحياته العلمية، فلا يخفى ما لطبيعة النشأة والطفولة من انعكاسات واسعة على شخصيته ومستقبل الإنسان، ومنها ما تجده حاضراً في شخصية الشيخ الكليني، إذ أن بلاد الري التي ولد فيها خلقت أجواء خاصة لنشأته، وانعكست على طبيعته العلمية إذ نشأ في بيت علم ومعرفة، وترعرع في حجر والده، وأخذ عنه في أوائل سنينه، ووالده يعقوب الكليني، من كبار علماء الإمامية في زمن الغيبة الصغرى في مدينة «كلين» التي آلت إلى الخراب، إذ هناك مدفنه، وله قبة قديمة، ومزار معروف.

وأخذ عن خاله أبو الحسن علي بن محمد المعروف بعلان، ومحمد بن عقيل الكليني، وأحمد بن محمد أخ أبي الحسن. وتولى رئاسة فقهاء الشيعة والإمامية في زمن المقتدر بالله العباسي، إذ كان بيته مأوى العلماء، ومجلسه محفلاً للعلم والبحث والمناظرة، يقصده الخاص والعام من أهل العلم والعلماء.

ثم درس بعد ذلك على مشايخ عصره، وفطاحل العلماء في وقته الذين كانوا

في بلاد الري، كما أخذ عن المشايخ القميين بعد ما شد الرحال إليهم (٩).

لم توثق حياة الكليني في هذه المرحلة إلا القليل منها بسبب بعض الظروف التي كانت سائدة في عصر نشأة الكليني الأولى، من أهمها الأجواء السياسية في أواخر القرن الثالث الهجري، إذ حتمت على كثير من رجال الإمامية وعلمائهم أن يتخفوا عن الأنظار، أو أن يبتعدوا عن الصراعات الدائرة والفتن الشاخصة، والتي كان من ورائها رجال الدولة العباسيين.





الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

لذا فإن حياته العلمية الأولى لم تكن بارزة في الري تفصيلاً مع علو شأنه بل أن الغموض هو العنصر البارز في النصف الأول من حياة الشيخ قدس سره.

الدور الثاني: برزت شخصية الشيخ العلمية في الري في النصف الثاني من حياته، وقبل سفره إلى العراق، وبرزت ملامحها أكثر عند انتقال الشيخ إلى بغداد، إذ استقبله علماء الطائفة بحفاوة والتفوا حوله، وقصده كبار الشيعة؛ لأجل علمه وزهده وتقواه الذي علمه القاضي والدائي، بعد أن أصبح من الأعلام المشهورين في زمن الغيبة، بل ومن المقربين إلى النواب الأربعة، ولما كانت له منزلة رفيعة عند أولئك النواب والوكلاء ذاع صيته، وتآلق نجمه، وأخذ العلماء يختلفون إليه، وينهلوا من علمه، ويرووا عنه، إلى أن شاع كتابه الكافي في بغداد بين الخاص والعام، وأصبح مرجعاً للجميع. فالسبب في اشتهاار الشيخ الكليني في بغداد أكثر من اشتهااره في بلاد الري هو الاستقرار النسبي الذي كانت تتمتع به بغداد، وإن كان هناك نزاعات وخصومات ولكنها أقل حدة مما كان في الري.

وهذه المرحلة من حياته يمكن أن نسميها مرحلة العطاء الفكري والتي اتسمت بالنشاط والفاعلية، وهذا قطعاً لم يبرز إلا بعد اطلاع علماء الشيعة على منزلة الشيخ العلمية، ومثابرته على جمع أحاديث أهل البيت في موسوعته الجليلية (الكافي)، ولا يشك أحد في أن الفترة التي استغرقت في تأليف هذا الكتاب الشريف والتي ناهزت عشرين عاماً قد جاب خلالها البلدان كالعراق ودمشق وبعبك وتفليس، واتصل بالعلماء، حرصاً على جمع آثار الأنمة الأطهار عليهم السلام، فإن كثرة ملاقاته للمشايخ وجهابذة الشيعة قد أكسبته شهرة وعلواً.

ثالثاً: الحالة السياسية في عصره:

أدرك الشيخ الكليني من خلفاء العباسيين: المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) المتعبد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ) الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) (١٠).

رابعاً: أقوال العلماء فيه:

لقد حضى الشيخ الكليني، بشهرة واسعة بين العلماء وحاز على ثقة جميع العلماء، وكثرة ما قيل فيه سأختصر حديثهم على بعض الأقوال فقط:

قال الشيخ النجاشي: شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم.

وقال عنه الشيخ الطوسي: ثقة، عارف بالإخبار... وقال عنه: جليل القدر، عالم بالإخبار.

وقال العلامة الخلي: شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم.

وقال السيد رضي الدين بن طاووس: الشيخ المتفق على ثقته، وأمانته محمد بن يعقوب الكليني... وقال عنه: أبلغ فيما يرويه، وأصدق في الدراية.

قال الشيخ الجليل حسين والد الشيخ البهائي: شيخ عصره في وقته، ووجه العلماء والنبلاء، كان أوثق الناس في الحديث، وأنقدهم له وأعرفهم به.

قال ابن الأثير: أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الفقيه، الإمام على مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، عالم في مذهبه، كبير، فاضل عندهم، مشهور (١١).

خامساً: شيوخه:

روى الكليني عن كثرة من علماء أهل البيت (عليهم السلام) ورجائهم ومحدثيهم، ولايسع المقام ذكرهم جميعاً وسندكر مجموعة منهم، لهذا اختصرنا الحديث عنهم:

١ - أحمد بن إدريس بن أحمد، أبو علي الأشعري القمي، ت ٣٠٦ هـ ثقة.

٢ - أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمان بن زياد، أبو العباس الكوفي، ابن عقدة المتوفى (سنة ٣٣٣ هـ)، موثق كالصحيح.

٣ - محمد بن جعفر بن محمد القرشي، أبو العباس الكوفي الرزاز، (ت ٣٠١ هـ)، ثقة.





الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

- ٤ - محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي ، أبو جعفر ، المتوفى ٢٩٠ هـ ، ثقة .
- ٥ - حميد بن زياد بن حماد بن حماد بن زياد ، أبو القاسم ، المتوفى (٣١٠ هـ) كوفي ، سكن سورا ثم انتقل إلى نينوى كربلاء بالقرب من الخائر الحسيني .
- ٦ - علي بن إبراهيم بن هاشم ، أبو الحسن القمي ، المتوفى ٣٠٧ هـ ، روى عنه الكليني قريبا من أربعة آلاف حديثا ، وغيرهم كثير (١٢) .

سادساً: تلامذته:

- ١- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني .
- ٢- علي بن أحمد الرازي .
- ٣- أحمد بن إبراهيم الصميري .
- ٤- محمد بن أحمد القضاعي الكوفي .
- ٥- وجعفر بن محمد بن قولويه القمي (١٣) . وغيرهم .

سابعاً: مؤلفاته:

- ١- رسائل الأئمة عليهم السلام .
- ٢- الرد على القرامطة .
- ٣- ما قيل في الأئمة عليهم السلام .
- ٤- كتاب الرجال .
- ٥- تعبير الرؤيا .
- ٦- من الشعر .
- ٧- الدواجن والرواجن .
- ٨ - الزري والتجمل (١٤)

ثامناً: وفاته وقبره:

توفي أبو جعفر الكليني (رحمه الله) ببغداد على الأرجح سنة (٣٢٩هـ) وقيل (٣٢٨هـ) على رواية، ودفن بباب الكوفة في بغداد. وينقل أحد الباحثين أن بعض حكام بغداد رأى بناء قبر الكليني فسأل عنه، فقيل هو قبر بعض الشيعة فأمر بدممه وحفر قبره، وراه بكفنه لم يتغير وقد دفن معه آخر صغير بكفنه أيضاً، فأعاد بنائه بعد بناء قبة عليه (١٥).

المطلب الثاني: كتاب الكافي:

أولاً: أسباب تأليف الكافي:

أقام الكليني في أواخر عمره في بلد النوب (رضوان الله تعالى عليهم)، وكان الناس يختلفون إليه في السؤال، ويظهر أن سبب تأليفه على ما أشار به في مقدمة كتابه (الكافي) هو سؤال بعض المؤمنين منه تأليف كتاب نافع لهم، يقول الشيخ الكليني: ((إنك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع فيه من جميع فنون علم الدين والعمل، وبما يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)) (١٦)، ويمكن إجمال بعض النقاط من كلام الشيخ مما جاء في مقدمة كتابه: أولاً: الطلب الحثيث من بعض أهل العلم والفضل من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) والذي لهم ارتباط وثيق مع الشيخ الكليني في تصنيف هذا الكتاب .

ثانياً: يظهر أن الدافع وراء التأليف هو ما وجده السائل من إقبال الناس على الدنيا، وضعف الهمم، وانتشار الجهل. ثالثاً: الواجب الديني والشرعي الذي أحسه المؤلف بسبب انتشار العقائد الفاسدة والمذاهب الضالة حفزه أن يصنف ذلك الكتاب.

رابعاً: طلب السائل أن يكون كتاب الكافي مرجعاً للمؤمنين ينهل منه الطالب والأستاذ والعالم (١٧) .





ثانياً: تسمية الكتاب:

لم يصرح الشيخ الكليني باسم الكتاب وإنما تعارف عليه بهذا الاسم مما أفاده العلماء من مقدمة كتابه نفسه: ((والمؤلف لم يصرح بالتسمية، وقد تستفاد التسمية من المقدمة حيث استجاب إلى طلب من سألته تأليف كتاب كافي)) (١٨).
ثالثاً: وصف الكتاب:

لقد وزعت أحاديث الكافي على الكتب والأبواب، وكان مجموع الكتب (٣٤) كتاباً، تبدأ بكتاب العقل ومن ثم فضل العلم، حتى كتاب الروضة وهو آخر كتب الكافي، ويشتمل الكتاب على ثمانية أجزاء:
١- أصول الدين جزاء، كل جزء يتضمن أربعة كتب.
٢- فروع الدين خمسة أجزاء، يتعرض فيه إلى الفروع الفقهية.
٣- الروضة (كتاب أخلاقي) جزء واحد، يتضمن بعض خطب الأئمة (عليهم السلام) ومواعظهم، وبعض القضايا التاريخية المرتبطة بهم (١٩).
رابعاً: حجية أحاديث الكافي:

لقد مرّ كتاب الكافي بمرحلتين على مستوى الاحتجاج بأحاديثه:
الأولى: عصر الإخباريين:

وفي هذه المرحلة كانت تعد جميع أحاديث الكافي صحيحة، وقطعية، إذ لا يمكن النقاش فيها لا سنداً ولا متناً، باعتبار إن الكليني قد عاصر الإمام الحجة (عج) والسفراء الأربعة، فمن الطبيعي أن يكون قد عرضه عليهم، إذ نقل عن الإمام (عج) قوله في الكافي (الكافي كافٍ لشيئتنا) (٢٠).

وان استبعد السيد هاشم معروف الحسني أن يكون الإمام (عج) قد ورد عنه هذا الكلام، وأنه هذا الحديث موضوع من مقلدة الإخباريين (٢١)، ومن العلماء الذين ذهبوا إلى قطعية أحاديث الكافي: الحر العاملي والميرزا الاسترآبادي (١٠٢١ هـ) (٢٢).
واستمر هذا الدور مدة ثلاثة قرون إلى أواخر القرن السابع الهجري، أبان ظهور دور ابن طاووس والخلي (٢٣).

الثانية: عصر المحققين:

الذي بدأ بتصدي العلامة الخلي وأستاذه ابن طاووس لكل كتب الحديث ومنها مرويات الكافي بالنقد والتحليل وإخضاعها إلى موازين صحة السند وعلم الجرح والتعديل ونقد المتن.

وخرجوا إلى التقسيم الرباعي للحديث (الصحيح والموثوق وحسن وضعيف) (٢٤) (٢٥).
ومن هنا بدأت أنظار العلماء إلى الكافي تختلف؛ لأن محققي الشيعة مع تقديرهم لجهود الكليني اقتصدوا في تقريره والثناء عليه، ولم يدعوا أن كل ما جاء في مؤلفاته من النوع الذي لا يخضع للنقد والتجريح، ووقفوا في وجه الإخباريين الذين جعلوه فوق الشبهات كما صنع حشوية العامة في أحاديث سلفهم حتى لو خالفت أصول الإسلام (٢٦).
لذا استقر رأي الإمامية على عدم قطعية جميع أحاديث الكافي، يقول السيد الخوئي: ((والمتحصل أنه لم تثبت صحة جميع روايات الكافي، بل لا شك في أن بعضها ضعيفة، بل أن بعضها يطمأن بعدم صدورها عن المعصوم (عليه السلام)، والله اعلم بواطن الأمور)) (٢٧).

خامساً: عدد أحاديث الكافي:

أحصى العلماء أحاديث الكافي فوجدوها تقرب ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً:

١- الصحيح: خمسة آلاف واثنان وسبعون حديثاً.

٢- الحسن: مائة وأربعة وأربعون حديثاً.

٣- الموثوق: ألف ومائة وثمانية وعشرون حديثاً.

٤- الضعيف: تسعة آلاف وأربعة وخمسة وثمانون حديثاً (٢٨).





الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

ومما تجدر الإشارة إليه أن اتصاف هذا المقدار من مرويات الكافي بالضعف، لا يعني سقوطها بكاملها عن درجة الاعتبار، وعدم الحجية؛ لأن وصف الرواية بالضعف من حيث سندها، وبلحاظ ذاتها لا يمنع من قوتها من ناحية ثانية: كوجودها في أحد الأصول الأربعمئة، أو في بعض الكتب المعتمدة، أو موافقتها للكتاب والسنة، أو كونها معمولة عند العلماء مما يقويها ويجعلها في إطار الحجية (٢٩).

سادساً: خصائص الكافي:

يتسم الكافي عموماً بمميزات منها:

أولاً: أن المؤلف كان حياً في زمن الإمام الحجة (عج) والنواب والسفراء الأربعة (رضوان الله عليهم) (٣٠)، مما يعطي قوة وأهمية للكتاب كونه قريب من عصر المعصوم.

ثانياً: أمضى مدة عشرون سنة في تأليفه، إذ جاب خلالها البلدان والأقطار واتصل بالمشايخ وأهل الإجازات، ومن لقي الإمام وأخذ عنه، بالخصوص والنواب الأربعة، مما يدل على دقته وسعة علمه في استقصاء الروايات وضبطها.

ثالثاً: أظهر الشيخ الكليني آثار مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في المعقول، وبين في الجزء الأول من الأصول الخصائص العقلية لتلك الآثار، ودورها في البناء العقائدي للطائفة مما جعله مصدراً مهماً في هذا المجال.

رابعاً: أغلب الأصول الأربعمئة (٣١)، ومصنفات أصحاب الأئمة (عليهم السلام) كانت عند الشيخ الكليني، وقد نقل عنها مباشرة، ثم ما نجده في صدر الحديث من سلسلة السند إنما هي طرق إجازته إلى أصحاب الأصول التي ثبتت نسبتها إلى أصحابها، بل إن تلك الأصول كانت متداولة بين حملة العلم والحديث والفقهاء (٣٢).

سابعاً: منهجه:

أولاً: السند:

١- سلك الشيخ الكليني منهجاً سندياً ينم عن ذهنية وقادة وعلم غزير في متابعة طرق الروايات وتفصيل أسانيدها، إذ التزم بذكر سند الحديث في الأعم الأغلب، إلا ما ندر.

٢- في الأعم الأغلب يذكر المصنف سلسلة سند الحديث في كل الأبواب والكتب إلا ما ندر، وأحياناً يعول السند على ما سبقه، وأحياناً أخرى لا يذكره إذا سبق له ذكر في أحد الأبواب المتقدمة، ((قد يحذف الكليني صدر السند في خبر مبتنئاً على الخبر الذي قبله، وهذا ما يعبر عنه كلام أهل الدراية (بالتعليق))) (٣٣).

٣- هناك ظاهرة اختصت بالكليني في الكافي وهي روايته عن عدة من أصحابنا فقد أكثر في بداية السند من قوله عدة من أصحابنا، فالعدة: إما أن تروي عن أحمد بن محمد بن عيسى، أو عن أحمد بن محمد البرقي، أو عن سهل بن زياد، ((واعتمد لفظة العدة للهروب من التطويل وبين بعد ذلك المعنيين بالعدة بأسمائهم وأشخاصهم دفعاً للالتباس)) (٣٤).

٤- اعتمد في السند على الرجال والنساء، والرجال على نحوين، المعصومين (عليهم السلام) وإلى غيرهم، وهذا الغير من موافق لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومخالف لهم (٣٥)، أما النساء الراويات فقد بلغن ستاً وعشرين امرأة.

ثانياً: علم الرجال:

من متابعة كلام الكافي يتضح أن الكليني كانت لديه معرفة كبيرة بالرجال وكناهم وأنسابهم وعلاقاتهم بالأئمة (عليهم السلام)، ومن المحتمل أنه أعطانا تفصيلات عن هؤلاء في كتابه (الرجال) الذي لم يصل إلينا، ومن ذلك ما جاء في الكافي من تعريفه لبعض الرواة: كقوله: عن أبي جعفر محمد ابن النعمان الأحول أنه صاحب الطاق (٣٦)، وأن القنبري رجل من ولد قبر الكبير مولى الإمام الحسن الرضا (عليه السلام) (٣٧)، ويذكر أحياناً المدينة التي ينتسب إليها الراوي إن كان من أهل المدينة أو مكة أو الكوفة، أو واسط...، ويشير إلى بعض مذاهب بعض الرواة المتفرعة من المذهب الأمامي: كالناووسية والفضحية والواقفة (٣٨)، فضلاً عن تخصيصه باباً يتحدث فيه عن حياة الرسو (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاطهار وفاطمة الزهراء (عليهم السلام) (٣٩).

ثالثاً: المتن: واهتم الشيخ الكليني كثيراً في المتن كونه الميدان الأساس في عرض عمله ومنهجه في جمع وتبويب وترتيب





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

المرويات:

- ١- وضوح الأمور المهمة في متن الحديث.
- ٢- بيان مبتدأته الكلامية والفلسفية في أصول الكافي.
- ٣- بيان رأيه عند التعارض في الروايات.
- ٤- تصنيف روايته المخرجة المرتبة على الأبواب على الترتيب بحسب الصحة والوضوح.
- ٥- بيان بعض آرائه الفقهية معقباتاً بما بعض الروايات.
- ٦- اهتمامه البالغ في رواية المشهور والمتواتر خصوصاً في أصول الكافي وفروعه (٤٠)، والابتعاد عن الروايات التي يراها غير قابلة للرواية.
- ٧- ترتيب أحاديث الأبواب إنما تكون حسب الصحة والوضوح، لذا أحاديث أواخر الأبواب لا تخلو من نظر في صحتها، سنداً وممتناً، لما فيها من إجمال أو خفاء.
- ٨- الاهتمام والتركيز على المروايات التي تتصل بمكانة أهل البيت (عليهم السلام)، وفضلهم، وعلمهم، وإمامتهم، والنص عليهم مع التفصيل الكثير من أحوالهم.
- ٩- إن ما أورده الكليني في الأبواب من أحاديث إنما هي مقتصرة على ما يوافق عنوان الباب فحسب، ولم يورد ما يعارضه من الأحاديث.

ثامناً: شروح الكافي:

مما تقدم يظهر أهمية كتاب الكافي على الساحة العلمية إذ يعد المصدر الأول في كتب الحديث عند الإمامية، ولشدة أهميته فقد تناوله العلماء بالشرح والتحقيق، وكثرت سنن إلى بعضها:

- ١ - شرحه المولى نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ.
- ٢ - شرحه الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي النجفي، المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ.
- ٣ - شرحه المولى محمد باقر الداماد الحسيني، المتوفى ١٠٤٠ هـ، طبع بطهران سنة ١٣١١ هـ، والشرح اسمه: (الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية)، وشرحه وحققه الكثير من العلماء، حتى كانت أكثر من أربعين شرحاً (٤١).

الخاتمة:

يعد كتاب الكافي من أهم كتب الحديث ليس عند الإمامية بل في كتب الحديث الإسلامية عموماً لما احتواه من مرويات سجلت لنا تراث المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام)، وارتخت لفترة زمنية مهمة ومحورية في زمن الأمة، ويعد وثيقة تاريخية تقدمها وقربها لعصر المعصومين (عليهم السلام)، وقدم لنا خدمة في النقل عن الأصول التي ضاعت، وبذلك يعد كتاب الكافي من أهم المصادر التي يرجع إليها أتباع أهل البيت عليهم السلام في مختلف ضروب المعرفة على المستوى العقدي والفقهية والأخلاقي والتربوي على الرغم من بعض النقود التي تعرض لها من قبل العلماء؛ لكن يبقى هو أقدم المصادر الحديثية التي احتوت على نفائس تراث أهل البيت (عليهم السلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد.. وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وأصحابه الغر المحجلين.

الهوامش:

- ١- ينظر: الحديث النبوي بين الدراية والرواية: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع) - قم المشرفة، ط ٢: ١٤٣٠ هـ: ٧.
- ٢- ينظر: الكليني والكافي: الشيخ عبد الرسول الغفار، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المشرفة، ط: ١٤١٦ هـ: ١٢٥، و تاج العروس: الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤١٤ - ١٩٩٤ م: ١٨ / ٤٨٢.
- ٣- ينظر: تاج العروس: ١٨ / ٤٨٢.
- ٤- بحوث في علم الدراية والرواية: الشيخ مالك العاملي، دار الهادي - بيروت، ط: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م: ٢٨٤، وثلاثيات الكليني: الشيخ أمين ترمس العاملي، تقديم: السيد أحمد المددي، مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط: ١٤١٧ هـ: ٤٧.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م



الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكليني

- ٥- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: محمد باقر الايرواني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م: ٢٣٧.
- ٦- ينظر: ثلاثيات الكليني: ٤٨.
- ٧- ينظر: معجم البلدان: الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م: ٣ / ١١٦.
- ٨- ينظر: الكليني والكليني: ١٢٦، و ثلاثيات الكليني: ٤٧، و نهاية الدراية: السيد حسن الصدر، تحقيق: ماجد الغرباوي، المشعر- قم: ٥٣٩.
- ٩- الكليني والكليني: ٢٢١.
- ١٠- ينظر: كليات في علم الرجال: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق (ع)- قم المشرفة، ط: ١٤٣٢ هـ: ٣٧٣، ودراية الحديث: محمد حسين الجلاي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ١٤٢-١٤٣، والكليني والكليني: ٢٠٠-٢١٣.
- ١١- الكليني والكليني: ١٦٦ - ١٧٠، وينظر: دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢٥٦-٢٥١.
- ١٢- ينظر: مذاهب الإسلاميين في الحديث: الدكتور حسن الحكيم، (د.ت): ١٣٠.
- ١٣- دراية الحديث: ١٤٦، و ثلاثيات الكليني: ٤٧ - ٥٢، نهاية الدراية: ٥٤٧.
- ١٤- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢٣٧.
- ١٥- الكليني: للشيخ الكليني، مطبعة الحيدري. طهران، ط: ١٣٧٩ هـ: مقدمة الكتاب: ٥٥ / ١.
- ١٦- ينظر: دراسات في الحديث والمحدثين: ٤٥، وتدوين الحديث عند الشيعة الامامية: الدكتور محمد علي مهدي راد، مطبعة النكارش- طهران، ط: ٢٠١٠ م: ١٣٢.
- ١٧- دراية الحديث: ١٤٦.
- ١٨- ينظر: مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث: ١٣٢، ودروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢٣٨-٢٣٩.
- ١٩- الكليني والكليني: ٣٩٢.
- ٢٠- ينظر: دراسات في الحديث والمحدثين: ١٢٩، و دراية الحديث: ١٥٤، وبحوث في علم الدراية والرواية: ٢٨٤.
- ٢١- أصول الحديث: الدكتور عبد الهادي الفضلي، مؤسسة ام القرى للتحقيق - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ - ٢١٠: ٢١٢.
- ٢٢- ينظر: دراسات في الحديث والمحدثين: ١٣٠.
- ٢٣- الحديث الصحيح: (اتصال سنده إلى المعصوم بنقل العدل الضابط عن مثله في جميع الطبقات، بشرط أن يكون امامياً عادلاً ضابطاً)، والحسن: (هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بإمامي ممدوح من غير نص على عدالته، مع تحقق ذلك في جميع مراتبه، او في بعضها مع كون الباقي من رجال الصحيح)، والموثوق: (هو ما دخل في طريقه من ليس بإمامي، ولكنه = منصوب على توثيقه بين الأصحاب)، والضعيف: (وهو الذي لم تجتمع فيه احد شروط الأقسام الثلاثة السابقة). ينظر: ضياء الدراية: السيد ضياء الدين العلامة، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ط ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م: ٢٤-٢٥، وأصول الحديث وأحكامه في علم الدراية: الشيخ جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة (ع)- قم المشرفة، ط: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م: ٤٨.
- ٢٤- ينظر: الأصول العامة علم الحديث علم الرجال: لشيخ عفيف النابلسي، دار إيوان- بيروت، ط ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ١٦٣، ومختصر علم الحديث عند الإمامية: الشيخ نور الدين مرتضى كاطع، مطبعة الديواني- بغداد، ط: ٢٠٠٣ م: ٥.
- ٢٥- الموضوعات في الآثار والأخبار: هاشم معروف الحسني، دار التعارف- بيروت، ط: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٤٤، ودروس موجزة في علمي الرجال والدريّة: الشيخ جعفر السبحاني، المركز العالمي للدراسات الإسلامية- قم المشرفة، ط: ١٤٢٢ هـ - ١٨: ٢٠.
- ٢٦- معجم رجال الحديث: السيد ابو القاسم الخوئي، مطبعة الآداب- النجف الاشرف، ط ١٣٩٠ - ١٩٧٠: ١٠٤.
- ٢٧- ينظر: دور الشيعة في الحديث والرجال نشأة وتطوراً: الشيخ جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة (ع)- قم المشرفة، ط ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م: ٢٣١، وكليات في علم الرجال: ٣٧٥، ودراسات في الحديث والمحدثين: ١٣٣.
- ٢٩- ينظر: دراسات في الحديث والمحدثين: ١٣٣.
- ٣٠- النواب الأربعة هم: أبو عمر عثمان بن سعيد العمري (٢٦٦ هـ)، كان وكيلاً للإمام العسكري ومن قبله الإمام الهادي (عليهما السلام)، وأبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (٣٠٥ هـ)، وأبو القاسم الحسين بن روح النوبختي (٣٢٦ هـ)، وأبو الحسن علي بن محمد السمرري (٣٢٩ هـ).
- ٣١- وهي مجموع ما وثقه أصحاب الأمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) مباشرة منهم، وكانت أربعمائة كتاب، ولم تصل اينما والواصل منها ما أثبتته الكليني، والصدوق والطوسي (قدس أسرارهم جميعاً). ينظر: دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢٤٠.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الشيخ الكليني ومنهجه في كتابه الكافي

- ٣٢- الكليني والكافي: ٤٢٢ - ٤٣٢.
- ٣٣- كليات في علم الرجال: ٤٦٦، وينظر: دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢٤١.
- ٣٤- دراسات في الحديث والحديث: ١٣٧، وينظر: بحوث في علم الدراية والرواية: ٢٧٠ - ٢٧٣.
- ٣٥- ينظر: المصدر نفسه: ١٤٠.
- ٣٦- الكافي: ٣/ ١٨٩.
- ٣٧- الكافي: ٢/ ١٢٣.
- ٣٨- النواوسية: وهم الذين يعتقدون بانتهاء الإمامة بالإمام الصادق ()، وأنه لم يمت وهو الإمام المنتظر، وسيظهر في آخر الزمان، وهم نسبة إلى صاحب الفكرة رجل من البصرة يلقب بالنواوس. والقطعية: هم الذين يقولون بانتقال الإمامة من الصادق ()، إلى ابنه عبد الله الاطّح، وهو اخو اسماعيل من أبيه وأمه، وكان أسن أولاد الإمام الصادق ()، وقد عاش بعد أبيه سبعين يوماً ومات ولم يعقب له ولداً ذكراً. والواقفية: هم الذين يقولون بانتقال الإمامة من الصادق ()، إلى ابنه الإمام موسى بن جعفر () ولكنهم يتوقفون عليه بان الإمامة تنتهي عنده، وهو الإمام المنتظر، ولم يمت وسيظهر في آخر الزمان. ينظر: كليات في علم الرجال: ٤٢٣ - ٤٢٨.
- ٣٩- ينظر: مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث: ١٣٦.
- ٤٠- الكليني والكافي: ٤٥٣.
- ٤١- ينظر: مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث: ١٣٧، والكليني والكافي: ٤٥٥.

...المراجع...

- ١- أصول الحديث: الدكتور عبد الهادي الفضلي، مؤسسة أم القرى للتحقيق - بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.
- ٢- أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية: الشيخ جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة (ع) - قم المشرفة، ط: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٣- الأصول العامة علم الحديث علم الرجال: لشيخ عفيف النابلسي، دار إيوان - بيروت، ط: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤- بحوث في علم الدراية والرواية: الشيخ مالك العاملي، دار الهادي - بيروت، ط: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٥- تاج العروس: الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤١٤ - ١٩٩٤ م.
- ٦- تدوين الحديث عند الشيعة الإمامية: الدكتور محمد علي مهدي راد، مطبعة النكارش - طهران، ط: ٢٠١٠ م.
- ٧- ثلاثيات الكليني: الشيخ أمين ترمس العاملي، تقديم: السيد أحمد المددي، مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط: ١٤١٧ هـ.
- ٨- دراية الحديث: محمد حسين الجلاي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٩- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: محمد باقر الايرواني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ١٠- دروس موجزة في علمي الرجال والدراية: الشيخ جعفر السبحاني، المركز العالمي للدراسات الإسلامية - قم المشرفة، ط: ١٤٢٢ هـ.
- ١١- دور الشيعة في الحديث والرجال نشأة وتطوراً: الشيخ جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة (ع) - قم المشرفة، ط: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١٢- الحديث النبوي بين الدراية والرواية: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع) - قم المشرفة، ط: ١٤٣٠ هـ.
- ١٣- ضياء الدراية: السيد ضياء الدين العلامة، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ١٤- الكافي: للشيخ الكليني: مطبعة الحيدري - طهران، ط: ١٣٧٩ هـ.
- ١٥- كليات في علم الرجال: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع) - قم المشرفة، ط: ١٤٣٢ هـ.
- ١٦- الكليني والكافي: الشيخ عبد الرسول الغفار، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المشرفة، ط: ١٤١٦ هـ.
- ١٧- مذاهب الإسلاميين في الحديث: الدكتور حسن الحكيم، (د.ت).
- ١٨- مختصر علم الحديث عند الإمامية: الشيخ نور الدين مرتضى كاطع، مطبعة الديواني - بغداد، ط: ٢٠١٣ م.
- ١٩- معجم البلدان: الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م.
- ٢٠- معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة الآداب - النجف الاشرف، ط: ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م.
- ٢١- الموضوعات في الآثار والأخبار: هاشم معروف الحسني، دار المعارف - بيروت، ط: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٢- نهاية الدراية: السيد حسن الصدر، تحقيق: ماجد الغرابوي، المشعر - قم.



الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

أ.م. د. عقيل عباس ريسان
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية





الملخص:

إنّ بحثنا الموسوم بـ (الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)) خصّصنا المبحث الأول؛ الغاية من بعث الأنبياء (عليهم السلام)، بينا وظيفة الرسل عليهم السلام، وأهداف البعثة، فضلاً عن بيان تركية النفس بمعناها القرآني. ثمّ بينا في المبحث الثاني: التركيبة في نظريات علم النفس الحديث، وتضمن بيان التربية بالقُدوة (النمذجة)، وأنواع النمذجة.

ثمّ وضّحنا في المبحث الثالث: الحاجة لنموذج بشري متميّز يؤدي رسالة ربانية، وتضمّنت شخصية الرسول (ص) والتوكيدية هي تأكيد الذات والقدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار بدرجة عالية من الصحة النفسية والفاعلية. الكلمات المفتاحية: تركية النفس، النمذجة، نظرية باندورا.

Abstract:

Our research, marked with (The Wisdom from the Mission of the Prophets (peace be upon them)), devoted the first topic; The purpose of sending the prophets (peace be upon them), explaining the function of the messengers, peace be upon them, and the objectives of the mission, as well as clarifying self-purification in its Qur'anic meaning. Then we explained in the second topic: acclamation in the theories of modern psychology, and it included a statement of education by example (modelling), and the types of modeling. Then we clarified in the third topic: the need for a distinct human model that performs a divine message, which included the personality of the Messenger (peace be upon him) and the affirmation of self-affirmation and the ability to express feelings and thoughts with a high degree of psychological health and effectiveness.

Keywords: self-purification, modeling, Bandura's theory

المقدمة:

لقد أجمع علماء المسلمين على أن الهدف من بعث الأنبياء هو تعديل التفكير وتغيير الاتجاهات والسلوك الانساني بعد أن انحرف الانسان عن جادة الصواب، لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

وإن السلوك والعادات لا تستقر وتستمر إلا من خلال أساليب وتطبيقات عملية قادرة على تحويل المعاني والمفاهيم الأخلاقية إلى أنماط ثابتة من السلوك تقوم على مفاهيم وأفكار إيجابية، يحرص المجتمع على مكافأتها وتدعيمها حتى تتأصل وتستمر.

في بحثنا هذا خصّصنا المبحث الأول؛ الغاية من بعث الأنبياء (عليهم السلام)، بينا وظيفة الرسل عليهم السلام، وأهداف البعثة، فضلاً عن بيان تركية النفس بمعناها القرآني. ثمّ بينا في المبحث الثاني: التركيبة في نظريات علم النفس الحديث، وتضمن بيان التربية بالقُدوة (النمذجة)، وأنواع النمذجة. ثمّ وضّحنا في المبحث الثالث: الحاجة لنموذج بشري متميّز يؤدي رسالة ربانية، وتضمّنت شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) والتوكيدية هي تأكيد الذات والقدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار بدرجة عالية من الصحة النفسية والفاعلية.

المبحث الأول: الغاية من بعث الأنبياء (عليه السلام).





الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

المطلب الأول : وظيفة الرسل (عليهم السلام).

يمكن استقراء وظائف الرسل (عليهم السلام) من خلال النصوص القرآنية التي أشار إليها علماء الكلام من مختلف المدارس الكلامية وأبرز هذه الوظائف:

أولاً: دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد الذي لا إله غيره، والإيمان بوحدانيته وهذه هي الوظيفة الأساسية والكبرى لمهمة الرسل (عليهم السلام) (١)، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (٢) (٣).

ثانياً: تبليغ الشريعة الربانية وأوامر الله عز وجل ونواهيه إلى البشر، فالشريعة الربانية لا بد لها من مبلغ، وكان المبلغون للشريعة هم الرسل (عليهم السلام) الذين هم من البشر (٤)، قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} (٥).

ثالثاً: هداية الناس الذين أرسل إليهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، وتوضيح وتبيين معاني ما أنزل على الرسول من نصوص (٦) وهذه وظيفة مهمة، فالرسول في أمته هادٍ ومعلم لهم ومرشدهم إلى طريق الخير (٧)، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (٨).

رابعاً: التزكية (٩) {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (١٠).

المطلب الثاني : أهداف البعثة

اجمع علماء المسلمين على أن الهدف من بعث الأنبياء هو تعديل التفكير وتغيير الاتجاهات والسلوك الانساني بعد ان انحرف الانسان عن جادة الصواب (١١). قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (١٢).

ولقد ظهر في النصف الثاني من العقد الأخير كم هائل من الدراسات والأبحاث التجريبية المنضبطة التي تشير جميعها إلى أن السلوك الإنسان لا يتغير من خلال التوجيهات والنصائح أو كثرة الوعظ والكلام عن القيم النبيلة والفضائل والآداب الرفيعة فقط.

وبالرغم من أهمية هذه النصائح والتوجيهات فإن أثرها الفعلي في تعديل التفكير وتغيير الاتجاهات والسلوك يظل محدوداً ما لم يرتبط بتطبيقات عملية وأنماط سلوكية تستمر لفترات طويلة، وتدعم من البيئة المحيطة لضمان تكرارها وتثبيتها؛ حتى تتحول إلى عادات راسخة.

ويصدق هذا بالطبع بل ويصبح أكثر إلحاحاً في عصرنا هذا.. عصر السرعة والتعجل والتشويش الذهني الناتج عن تأثير الثقافات والسلوكيات الواردة إلينا من الشرق والغرب، وحالة عدم التوازن وفقدان القدرة على تحديد الأهداف ومواصلة السعي لتحقيقها التي أصبحت أيضاً من العوامل التي تؤكد على أن التغيير الإيجابي المنشود لن يأت أبداً من خلال الخطاب الوعظي أو التوجيهات الصارمة أو العلوم والحفوظات النظرية المنفصلة عن الواقع والتي تجعل الناس تعيش في منظومة لانهاية من الازدواجيات والتناقضات (١٣).

إن السلوك والعادات لا تستقر وتستمر إلا من خلال أساليب وتطبيقات عملية قادرة على تحويل المعاني والمفاهيم الأخلاقية إلى أنماط ثابتة من السلوك تقوم على مفاهيم وأفكار إيجابية، يحرص المجتمع على مكافأتها وتدعيمها حتى تنأصل وتستمر.

المطلب الثالث: تزكية النفس (المعنى القرآني)

جاءت التزكية في الاستعمال القرآني على ثلاثة وجوه:

الأول: الإصلاح؛ ومنه قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٤)، أي: تصلحهم بها.





الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

الثاني: الثناء والمدح: ومنه قوله تعالى: { فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } (١٥) أي: فلا تمدهوها (١٦).
الثالث: الطهارة والنقاء: ومنه قوله تعالى: { قَدْ أَقْلَحَ مِنْ زَكَاةَا } (١٧)، أي: طهرها من الذنوب والمعاصي (١٨).
وقد ورد في تفسير معنى (التزكية) في المصطلح القرآني القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُزَكِّيهِمْ}.
قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى «التزكية»: التطهير، وأن معنى «الزكاة»: النماء والزيادة، فمعنى قوله: {وَيُزَكِّيهِمْ} في هذا الموضع: ويظهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينميهم ويكثرهم بطاعة الله، كما حدثني المثنى بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «{يُتْلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ}» (١٩) يتلو عليهم آياتك ويذكرهم» قال، يعني بالزكاة، طاعة الله والإخلاص (٢٠).
ويتضح من المعنى اللغوي والاصطلاحي، وحتى التعريف القرآني لمعنى التزكية هو تعديل السلوك البشري (حسب اصطلاحات العلوم التربوية والنفسية الحديثة وسيأتي الكلام فيها) وكذلك تنميته نحو الكمالات.

المبحث الثاني: التزكية في نظريات علم النفس الحديث

المطلب الأول: مبحث التزكية في الدراسات الحديثة

إن مفهوم التزكية كما تقدم يعد واحداً من أهم مجالات البحث والدراسة في العلوم الحديثة، لارتباطه الوثيق بعملية تعديل السلوك، فلقد تناولته علوم التربية وعلم النفس تحت مصطلح تعديل السلوك في الإسلام فالاعجاز السلوكي يتجلى واضحاً من خلال مقارنة سلوكيات وأفعال الرسول (صلى الله عليه وآله) وأسلوبه في تعديل سلوك عادات من حوله طبقاً لمعطيات العلوم السلوكية وعلم النفس المعرفي السلوكي الحديث ولاساليبه ومبادئ تطبيقه، والتحكم فيها وتعديلها نحو خير الفرد والمجتمع، ومن خلال مقارنة ما ورد في القرآن الكريم من نصوص وإشارات وتوجيهات لتعديل السلوك الإنساني وما قدمه الرسول (صلى الله عليه وآله) من نماذج وتطبيقات عملية للسلوك السوي، وكيفية ضبطه وتعديله بما توصلت إليه الدراسات الحديثة يدل بصورة قاطعة على أن القرآن ليس من عند محمد (صلى الله عليه وآله)، بل هو من عند الخالق العظيم العالم بالنفس الإنسانية التي خلقها وأبدع صنعها (٢١). فمن الذي علم الرسول إلا الله العلي القدير (٢٢)، ومن كان قدوته في مثل تلك البيئة الجرداء الفقراء، وهل يمكن أن يكتسب هذا الكم من العادات والسلوكيات الإنسانية الراقية المهنية المنظمة من بيئة لا تعرف ولا تدعم إلا السلوكيات السلبية والعادات الانفعالية إن الإنسان لا يستطيع أبداً - وهذا ما أثبتته تجارب ودراسات علم النفس السلوكي - أن يتكرر سلوكاً وعادات غير موجودة في بيئته الأصلية وأن قدرة الإنسان على ذلك محدودة جداً ولا يمكن أن تصل إلى وضع هذه المنظومة المتسعة من قواعد السلوك والقدرة على تعديل السلوكيات الراسخة في جذور النشاط العصبي و النفسي للفرد.

المطلب الثاني: التربية بالقدوة (النمذجة) .. نظرين باندورا

إن الأساس الذي تنطلق منه هذه النظرية لتفسير السلوك البشري والعادات والتقاليد المكتسبة جاءت اجابة على اسئلة بسيطة من خلال ملاحظة التغيرات على سلوكيات الاطفال ابتداءً، مثل كيف تعلمت ركوب الدراجة؟ وكان الجواب ببساطة: أراهن أنك تعلمت هذه المهارات من خلال مشاهدة شخص آخر يركب دراجته.
هذا ما اثبتته «ألبرت باندورا» (٢٣)، عالم النفس المعرفي الاجتماعي وصاحب هذه النظرية من خلال أبحاثه ودراساته، ولأن التعلم عملية معقدة تتأثر بمجموعة متنوعة من العوامل، يمكن أن تلعب الملاحظة دوراً حاسماً في تحديد كيف يتعلم الأطفال، وما الذي يتعلمونه.

حاولت كثير من نظريات علم النفس تفسير السلوك البشري المعقد، وعني بعض منها بعوامل داخلية -تعمل على مستوى الشعور- كمحدد رئيس للسلوك.

في حين أن البعض الآخر قد أهمل هذا الجانب، ووضع اهتمامه في العوامل الخارجية البيئية القابلة للملاحظة والقياس. تتعد ميادين أو مجالات اسلوب النمذجة اسلوباً من اساليب تعديل السلوك، اذ يعد هذا الاسلوب من الاساليب الفعالة والتي يمكن ان تحدث تعديلاً في سلوك الافراد في وقت قصير مقارنة بطرق التعلم الاخرى.





الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

المطلب الثالث: انواع النمذجة (٢٤):

يمكن تصنيف انواع النمذجة (Modeling Type) الى الاشكال الاتية:

أ- النمذجة اللفظية (Modeling Verbal) وتتم عن طريق الكلام ويتمكن الفرد من خلال هذا النوع من النمذجة ان يربط العديد من الاشياء المعقدة، كما يتعلم طريقة التصرف في مختلف المواقف غير المألوفة لديه، وطريقة اداء وظائفه بطريقة مضبوطة (٢٥).

ب- النمذجة المصورة (Filmed modeling) ويقصد بها تقليد سلوك نموذج مصور وتتم عن طريق التلفزيون، الافلام. الصور المنشورة، ولقد وضح باندورا انه يمكن اكتساب الاستجابات الانفعالية والاتجاهات الاجتماعية والنماذج السلوكية من خلال هذه الوسائل والى جانب هذا فان وسائل الاعلام تلعب دورا كبيرا في تشكيل الاتجاهات الاجتماعية.

ت- النمذجة الحية (Live Modeling) ويقصد بها تقليد سلوك النموذج واقعي يحدث امام المتعلم.

ث- النمذجة المقصودة: ويقصد بها تقليد سلوك النموذج عن رغبة وتعميم مسبقين وذلك بهدف اكتساب انواع جديدة من السلوك.

ج- النمذجة غير المقصودة: ويقصد بها تقليد سلوك الآخرين او المشاركة مع الآخرين في القيام باعمال او نشاطات قد لا يقتنع الفرد بالقيام بها.

ح- النمذجة الفردية: ويقصد بها تقليد سلوك النموذج الفردي حيث تقوم العلاقة على اساس فردية.

خ- النمذجة الجماعية: ويقصد بها تقليد سلوك النموذج من قبل مجموعة كبيرة من الناس (٢٦).

المبحث الثالث : الحاجة لنموذج بشري متميز يؤدي رسالة ربانية (٢٧)

المطلب الأول : شخصية الرسول والتوكيدية (٢٨)

التوكيدية Assertiveness هي تأكيد الذات والقدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار بدرجة عالية من الصحة النفسية والفاعلية (٢٩)، ولقد أخذ هذا المفهوم أهميته العلمية بعد دراسات العالم الأمريكي «سالتر Salter» عام ١٩٩٤ والذي أكد فيه أهمية التي كندية (تأكيد الذات) خاصة أو سمة شخصية مثلها مثل الانبساطية أو الانطواء. ولقد أشار أيضا كلا من «ولي Wolpe» و«لازاروس Lazarus» قبل ذلك بسنوات إلى هذه الخاصية كقدرة يمكن من خلال تدريبها تحقيق درجات أعلى من الصحة النفسية ويمكن أيضا من خلال دراستها فهم المشكلات الاجتماعية والنفسية وعلاجها، ولذلك اتجه عدد كبير من العلماء إلى ابتكار برامج التنمية وتدريب هذه القدرة .

ان هذه المهارات والقدرات إلى توافر سمات شخصية إيجابية ناتجة - كما يقول دولارد وميلر - (٣٠) من تعلم طويل الأمد يبدأ منذ الطفولة تقوم به البيئة كارتباطات متكررة بين منبهات واستجابات تشكل في النهاية مجموعة من العادات أو الأساليب الاعتيادية للاستجابة التي تعلمها الشخص من المحيطين به ودعمتها البيئة على مدار سنوات طويلة والذي يدرس سلوكيات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المواقف المختلفة يعرف المعنى الحقيقي للتوكيدية بمفهومها الذي أشارت إليه الدراسات الحديثة، إذ تجمع بين المهارات الاجتماعية والدفاع عن الحقوق بالحكمة واللين والرحمة والموعظة الحسنة.

المطلب الثاني : تعديل السلوك بالتأمل والتفكير

من الإعجاز السلوكي في القرآن والسنة أن يتفقا مع أحدث دراسات علم النفس وأبحاث العلاج في تعديل السلوك الإنساني ومع مدارس العلاج المعرفي السلوكي التي أسسها (أرون بيك)، ومدرسة العلاج العقلاني التي أسسها (ألبرت اليس) وغيرهما، والتي كشفت وفندت الكثير من الافتراضات الخاطئة للتحليل النفسي التقليدي والمدارس التابعة له وجميع هذه الاتجاهات الحديثة تعتمد في تعديل سلوك الفرد على تعديل التفكير والمفاهيم والتصورات السلبية الخاطئة (٣١).

ويرى عالم النفس «كانفر» ومن جامعة إلينوي بأن فاعلية العلاج النفسي وتعديل سلوك الإنسان يعتمد في الأساس





الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

على عوامل ذات طابع ذهني وفكري ، وقد أكد ولي أن التغيرات الإيجابية في السلوك تحدث نتيجة تأكيد الذات وأنها تشمل ضمناً تغير في طريقة تفكير الفرد وفي تقديره للأشياء، وأن مخاوف الفرد تكون في كثير من الأحيان مبالغاً وتشويه للواقع ويحدد الرسم التخطيطي التالي العلاقة بين التفكير والانفعال والسلوك أنها علاقة دائرية متصلة يدخل فيها الدوائر العصبية التي تتحكم في النشاط العصبي والمروني للجسم ولقد حرص القرآن الكريم على دعوة الإنسان للتفكير والتقدير والتأمل والتعلم وقد اتبع الرسول في كل مواقفه هذا المنهج وجسده فكراً وعملاً.

القرآن الكريم بدأ آياته يدفع الإنسان للتعلم « أقرأ » وكرر توصية الإنسان بالتفكير {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (٣٢)، {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (٣٣)! ولقد كان أول شيء علمه الله تعالى لآدم (عليه السلام) هو أسماء جميع الأشياء « وتعلم آدم الأشياء كلها » (٣٤) تؤكد الدراسات الحديثة أن تعلم أسماء الأشياء في تعلم المفاهيم والرموز والقدرة على التفكير التجريدي وهي أهم خطوات تعلم التفكير التي تساعد على التحليل والتركيب والمقارنة والتمييز واتخاذ القرارات وحل المشكلات (٣٥).

المطلب الثالث : النمذجة والمحاكاة

استخدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أسلوب تقديم نماذج سلوكية تطبيقية في مواقف حية (٣٦) (overt modeling) وربما كان هذا من أحد باب نزول القرآن منجماً حسب الأحداث والمواقف والتي تمثل أفضل أساليب التعلم وأكثرها تأثير ، فقد قدم القدرة وتعرض طريقه و أسلوب السلوك الصحيح في كل موقف من المواقف، واستعان بالتصوير والتجسيد وتنشيط المخيلة والقدرة على التوقع والتصور، كما استعان بالقصص والأمثال وتجسيد المشاهد وتقديم البيانات اللفظية والعملية لشرح المواقف التعليمية التي تسهل عمليات التعلم وتساعد الإنسان على تغيير تصرفاته والتغلب على العادات والسلوكيات السلبية ولقد أتاح ذلك للمسلمين التعلم بالملاحظة كأحد أهم وأحدث أساليب التعلم وتعديل السلوك والتي وردت في دراسات العديد من العلماء المعاصرين ومنهم ألبرت باندورا في أبحاث أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي (observational learning Social).

الخلاصة:

١. اجمع علماء المسلمين على أن الهدف من بعث الأنبياء هو تعديل التفكير وتغيير الاتجاهات والسلوك الإنساني بعد أن انحرف الإنسان عن جادة الصواب، لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.
٢. إن السلوك والعادات لا تستقر وتستمر إلا من خلال أساليب وتطبيقات عملية قادرة على تحويل المعاني والمفاهيم الأخلاقية إلى أنماط ثابتة من السلوك تقوم على مفاهيم وأفكار إيجابية، يحرص المجتمع على مكافأتها وتدعيمها حتى تتأصل وتستمر.
٣. يتضح من المعنى اللغوي والاصطلاحي ، وحتى التعريف القرآني لمعنى التزكية هو تعديل السلوك البشري (حسب اصطلاحات العلوم التربوية والنفسية الحديثة وسيأتي الكلام فيها) وكذلك تنميته نحو الكمالات .
٤. إن مفهوم التزكية كما تقدم يعد واحداً من أهم مجالات البحث والدراسة في العلوم الحديثة، لارتباطه الوثيق بعملية تعديل السلوك ، فلقد تناولته علوم التربية وعلم النفس تحت مصطلح تعديل السلوك في الإسلام فالاعجاز السلوكي يتجلى واضحاً من خلال مقارنة سلوكيات وأفعال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلوبه في تعديل سلوك عادات من حوله.
٥. تتعد ميادين أو مجالات أسلوب النمذجة أسلوباً من أساليب تعديل السلوك، إذ يعد هذا الأسلوب من الأساليب الفعالة والتي يمكن أن تحدث تعديلاً في سلوك الأفراد في وقت قصير مقارنة بطرق التعلم الأخرى.
٦. الذي يدرس سلوكيات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المواقف المختلفة يعرف المعنى الحقيقي (للتوكيدية) بمفهومها الذي أشارت إليه الدراسات الحديثة، إذ تجمع بين المهارات الاجتماعية والدفاع عن الحقوق بالحكمة واللين والرحمة والموعظة الحسنة.



الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

٧. من الإعجاز السلوكي في القرآن والسنة أن يتفقا مع أحدث دراسات علم النفس وأبحاث العلاج في تعديل السلوك الإنساني ومع مدارس العلاج المعرفي السلوكي، ومدرسة العلاج العقلاني، والتي كشفت وفندت الكثير من الافتراضات الخاطئة للتحليل النفسي التقليدي والمدارس التابعة له وجميع هذه الاتجاهات الحديثة تعتمد في تعديل سلوك الفرد على تعديل التفكير والمفاهيم والتصورات السلبية الخاطئة.

الهوامش:

- ١- ينظر: الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة ٢، ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٨٠٧.
- ٢- الأنبياء: ٢٥.
- ٣- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار التربة والثرث، مكة المكرمة، السعودية، ج ١٨، ص ٤٢٧.
- ٤- ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطبيب الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م، ص ٣٥٦.
- ٥- الأحزاب: ٣٩.
- ٦- ينظر: دلائل الصدق لنهج الحق، محمد حسن المظفر، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم، إيران، ج ١، ص ٣٦٥. وينظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت، ط ٢، ١٩٨٣ م، ص ٤٥.
- ٧- ينظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ)، تحقيق: فؤاد حسين محمود، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٧ م، ص ١٢٠.
- ٨- النحل: ٤٤.
- ٩- عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٦، ١٩٨٦ م، ص ٤٨.
- ١٠- آل عمران: ١٦٤.
- ١١- ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج ١٩، ص ٢٦٤.
- ١٢- الجمعة: ٢.
- ١٣- التوحيد، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، قم، إيران، ص ٤١٣.
- ١٤- التوبة: ١٠٣.
- ١٥- النجم: ٣٢.
- ١٦- ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١ هـ)، دار الشعب، القاهرة، ج ١١، ص ٣٧.
- ١٧- الشمس: ٩.
- ١٨- ينظر: الخمر الوجيز، ابن عطية، ج ٥، ص ٤٨٨.
- ١٩- آل عمران: ١٦٤.
- ٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار التربة والثرث، مكة المكرمة، السعودية، بدون، ج ٣، ص ٨٨.
- ٢١- ينظر: الإعجاز السلوكي والاخلاقي في الاسلام، د. طه رامي، موقع النجاح على شبكة الانترنت، <https://www.annajah.net>، تاريخ زيارة الموقع ٢٦/٥/٢٠٢١.
- ٢٢- ينظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، ط ٥، ١٩٨٣ م، ص ١١٣.
- ٢٣- عالم نفس، وأستاذ في علم النفس الاجتماعي في جامعة ستانفورد (أمريكا) ولد سنة ١٩٢٥ م، صاحب هذه النظرية وله العديد من المؤلفات في هذا العلم، ينظر: «Psychologists and Their Theories for»، Bandura, Albert. Students, Ed. Kristine Krapp, Vol ١, Detroit: Gale, ٢٠٠٥, ٣٩-٦٦. Virtual Gale.
- ٢٤- تعديل السلوك بالتمذجة، علي محمود كاظم الجبوري، مقرر دراسي للمرحلة الرابعة قسم التربية وعلم النفس، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١ م.
- ٢٥- قصص الأنبياء، محمد الشعراوي، دار القدس، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٦ م، ص ٧-٢٠.
- ٢٦- المصدر نفسه، ص ٥٤. وينظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، ص ١٢١.
- ٢٧- ينظر: الإعجاز السلوكي والاخلاقي في الاسلام، د. طه رامي، مقال منشور على موقع <https://www.annajah.net>





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

الحكمة من بعثة الأنبياء (عليهم السلام)

بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٩.

٢٨- ينظر : الإعجاز السلوكي في شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، محمد عبدالله فضل الله ، مقال منشور على موقع <http://arabic.bayynat.org> بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١٤

٢٩- التوكيدية لدى الطلبة ذوي العاقة البصرية وعالقتها بالقدرة على تجهيز المعلومات ، آية هشام ياسين عبداللطيف ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم علم النفس في كلية التربية ، الجامعة الاسلامية بغزة . فلسطين ، ٢٠١٨م ، ص ١٦ .

٣٠- ينظر : عمليات تجهيز المعلومات وعالقتها بالقلق الاجتماعي والدافعية الاجتماعية ، زينب بدوي ، مجلة كلية التربية وعلم النفس بجامعة عين شمس ، العدد ٣٣ ، ٢٠٠٩م ، ص ٧٠-٧٤ .

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري ، ج ١٤ ، ص ٣٨١ .

٣٢- الروم : ٨ .

٣٣- الذاريات: ٢١ .

٣٤- الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٦ ، ص ١٥٨ .

٣٥- اثر أسلوب النمذجة في تعديل الاتجاهات السلبيه نحو البيئة لدى طلاب المرحلة المتوسطة ، سعد قياض عبدالله الدهلكي ، ص ٨٣ .

٣٦- ينظر : منهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في التربية من خلال السيرة النبوية ، منال موسى علي دبابش ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية قسم أصول التربية-التربية الإسلامية في الجامعة الاسلامية بغزة . فلسطين ، ٢٠٠٨م ، ص ٣٨ .

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم.

١. الأساس في السنة وفقهها (العقائد الإسلامية) ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة . مصر ، ط ٢ ، ١٩٩٢م .

٢. الإعجاز السلوكي في شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، محمد عبدالله فضل الله ، مقال منشور على موقع <http://arabic.bayynat.org> .

٣. الاعجاز السلوكي والاخلاقي في الاسلام ، د. طه رامي ، موقع النجاح على شبكة الانترنت <https://www.annajah.net> .

٤. تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن محمد أيوب ، دار الندوة الجديدة ، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨٣م .

٥. تعديل السلوك بالنمذجة ، علي محمود كاظم الجبوري ، مقرر دراسي للمرحلة الرابعة قسم التربية وعلم النفس ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، العام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١م .

٦. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة.

٧. تهذيب الأوائل في تلخيص الدلائل ، محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

٨. التوحيد، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم ، قم . إيران .

٩. التوكيدية لدى الطلبة ذوي العاقة البصرية وعالقتها بالقدرة على تجهيز المعلومات ، آية هشام ياسين عبداللطيف ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم علم النفس في كلية التربية ، الجامعة الاسلامية بغزة . فلسطين ، ٢٠١٨م .

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة . السعودية .

١١. دلائل الصديق لنهج الحق ، محمد حسن المظفر ، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم . إيران .

١٢. الرسل والرسالات، عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت، ط ٢ ، ١٩٨٣م .

١٣. عقائد الإمامية ، الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٦م .

١٤. عمليات تجهيز المعلومات وعالقتها بالقلق الاجتماعي والدافعية الاجتماعية ، زينب بدوي ، مجلة كلية التربية وعلم النفس بجامعة عين شمس ، العدد ٣٣ ، ٢٠٠٩م .

١٥. قصص الأنبياء ، محمد الشعراوي ، دار القدس، عمان . الاردن ، ٢٠٠٦م .

١٦. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨هـ) ، تحقيق: فوفية حسين محمود ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م .

١٧. منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) في التربية من خلال السيرة النبوية ، منال موسى علي دبابش ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية قسم أصول التربية-التربية الإسلامية في الجامعة الاسلامية بغزة . فلسطين ، ٢٠٠٨م .

١٨. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان .

١٩. Bandura, Albert. » Psychologists and Their Theories for Students. Ed. Kristine» .

Krapp, Vol. 1. Detroit: Gale, 2005, 39-66. Gale 2Virtual Reference Library





القرآن الكريم واللغة العربية

أ.د. عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد - كلية الآداب



المستخلص:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية الناضجة التي تكلمت بها قريش ومعظم العرب ، وكان نضوج اللغة العربية وقيامها مستوية لتحضن القرآن الكريم بين دفتيها قبل اربعمئة سنة الى ثلاثمئة سنة قبل الإسلام ، وهذا الافتراض منتزع من قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في تقدير عمر الشعر الناضج الذي وصل الى الرواة ، والينا من خلاصه فقد قال الجاحظ (١): وما الشعر فحديث الولادة صغير السن فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتني عام) ، وفي هذه المرحلة وصلت اللغة الى النضج التام ، فنزل بها القرآن الكريم ، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى العرب بلغتهم من حيث هي كلمات وليس من ناحية الأفكار ، ولا يكون التحدي إلا بين المتكافئين (اللغة العربية والقران الكريم) ، وآيات القرآن الكريم تشير الى ذلك وتؤكد فقد قال الله سبحانه وتعالى (٢) : { إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلهم يعقلون } وقال في آية أخرى (٣) : { وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون } ، وبما أن الجزيرة العربية كانت متعددة الديانات منها السماوية مثل : الحنيفية ، واليهودية ، والنصرانية ، فضلاً عن الوثنية ، وكان بعض أبناء القبائل العربية يعتنقون الديانات السماوية ، وقد ترسبت كثيراً من الأفكار التوحيدية في أشعارهم ، فبعضها جاء متناصاً لفظاً ومعنى والكثير منها جاء بالمعنى ، هو ما يعرف اليوم بعلم التناسخ ، وفي هذا البحث البسيط أعرض عليكم نماذج من الشعر الجاهلي حملت افكاراً قرآنية منها :

Abstract:

The Noble Qur'an was revealed in the mature Arabic language that was spoken by the Quraysh and most of the Arabs, and the maturity of the Arabic language and its rise was level to embrace the Noble Qur'an between its covers four hundred years to three hundred years before Islam, and this assumption is extracted from the words of Al-Jahiz (d. 255 AH) in estimating the age of mature poetry that reached The narrators, and to us through them, Al-Jahiz (1) said: (And what is poetry, for the newborn is young in age..... If we memorize poetry, we will find it for him until God brought Islam fifty and one hundred years, and if we memorize with the aim of memorization, then two hundred years), and at this stage the language reached To complete maturity, and the Noble Qur'an was revealed in it, and God Almighty challenged the Arabs with their language in terms of words and not in terms of ideas, and the challenge is only between equals (the Arabic language and the Noble Qur'an). And the verses of the Noble Qur'an indicate and confirm this. God Almighty said (2): {We have sent it down as an Arabic Qur'an, so that you may understand} And He said in another verse (3): {And thus We have sent it down as an Arabic Qur'an, and We have diversified therein from the warning that they may fear}, and since the Arabian Peninsula was There are many monotheistic religions, such as: Hanifism, Judaism, and Christianity, in addition to paganism. Some of the sons of the Arab tribes embraced monotheistic religions, and many monotheistic ideas were deposited in their poetry. In this simple research, I present to you examples of pre-Islamic poetry that carried Quranic ideas, including:



القرآن الكريم واللغة العربية

١- قال حاتم الطائي (٤) :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
عندما ندقق النظر في قول حاتم الطائي : سيتأكد لنا بما لا يقبل الشك أن الرجل لم يكن مشركاً ؛ ولا وثنياً ؛ بل كان
من الموحدين الأحناف الذين يؤمنون بالله وحده ؛ لا شريك له ، والأحناف هم بقايا دين النبي إبراهيم الخليل (عليه
السلام) ؛ وهم يؤمنون بأنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده ؛ وأنه هو وحده يحيي ويميت ؛ شأن أصحاب
الديانات السماوية الأخرى ؛ وحاتم الطائي من الأحناف الموحدين ؛ وقد حج بيت الله الحرام على طريقة الأحناف ؛
فقال الشاعر الغرياني بن سهيلة الطائي (٥) :

نجيماً والذي حج حاتم أخونك عهداً إنني غير خوان

قال أبو زيد الأنصاري (٦) : (حج حاتم : أراد بيت الله الذي حجّه حاتم) ؛ والقرآن الكريم أكد هذا التناص في علم
الغيب مع ما قاله حاتم الطائي ؛ وصدّقه في قوله تعالى (٧) : { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً } ؛ ولكن اللافت
للنظر هو الشطر الثاني من قول حاتم الطائي الذي يتناص مع القرآن الكريم ؛ ويتطابق معه تماماً ؛ فبعد أن نحذف كلمة
(البيض) من الشطر ؛ يصبح آية كريمة (٨) : { ... قال من يحيي العظام وهي رميم } ؛ فذاك التطابق المطلق يؤكد
أن العرب يعرفون الديانات السماوية ويؤمن بها كثير منهم ؛ وحاتم الطائي نفسه يقسم بالله قسماً جازماً ؛ وكأنه مسلم
؛ سمع القرآن الكريم ، واطلع عليه ، فأمن به ؛ علماً أن حاتم الطائي مات قبل الاسلام بأكثر من سبعين عاماً تقريباً
؛ وهذا زهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة والسلام ؛ وهو الآخر لم يدرك الإسلام ؛ يؤكد صحة ما قاله حاتم الطائي ؛
ويؤمن به ؛ وذلك بعد ما مرّ زهير على شجرة عضاة مخضرة ؛ وكان قد رآها قبل ذلك يابسة ؛ فخطبها قائلاً (٩) :
(لولا أن تسبني العرب ؛ لأمنت أن الذي أحيأك بعد يئس ؛ سيحيي العظام وهي رميم) ؛ والسبب التي جاءت في ((
سيحيي)) هي لما يستقبل من الزمان ؛ سواء كان قريباً أم بعيداً ؛ ومنها نفهم أن زهير بن أبي سلمى هو الآخر رجل
موحد يؤمن بالبعث والنشور وإحياء الموتى والحساب ؛ ومصدق ذلك قوله :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وبذلك وجدنا حاتم الطائي ؛ ومن بعده زهير بن أبي سلمى يؤمنان بأن الله سبحانه وتعالى ؛ يحيي الموتى يوم الحساب ؛
وقد أكد زهير هذه الرؤية مرة ثانية في قوله مخاطباً بنيه (١٠) : (لولا أن تفندون ؛ لسجدت للذي يحيي الأرض بعد
موتها) ؛ فمن هو الذي سيحيي الأرض بعد موتها ؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى القائل (١١) : { اعلموا أن الله يحيي
الأرض بعد موتها } وسوف نقف على تفصيل الشاهد الشعري لزهير لاحقاً في موضعه إن شاء الله في شعر زهير ؛ وما
تقدم يمثل معتقد الموحدين من الأحناف واليهود والنصارى ؛ وأما المشركون من الوثنيين فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان
؛ ولا يقرون بعبودية الخالصة لله الواحد الأحد ؛ ولا يؤمنون بالبعث والحياة الأخرى ؛ فوصفهم الله سبحانه وتعالى في
قوله (١٢) : { إن هؤلاء ليقولون * إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين } ؛ وكذلك قال (١٣) : { ما هي إلا
حياتنا الدنيا ثموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ... } .

٢- وقال حاتم الطائي (١٤) :

كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا فإن على الرحمن رزقكم غدا

يخاطب حاتم الطائي قومه ويطلب منهم أن يأكلوا مما رزقهم الله ؛ والرزق الرباني يحول الإنسان من حالة العسر إلى
حالة اليسر ؛ أي من حالة الفقر وسوء الحال إلى الغنى ؛ وأن أرزاق العباد هي بيد الله الرحمن ؛ ونلاحظ هنا أن حاتم
استخدم صفة الرحمن مع الرزق ؛ وأراد أن يشعر قومه بأن الأرزاق هي هبة ورحمة من الله الرحمن الرحيم ؛ وهو الذي
يحول عسر اليوم غداً إلى يسر من خلال الرزق ؛ وقول حاتم هذا يتناص ويتعلق مع القرآن الكريم في قوله تعالى (١٥)
: { كلوا واشربوا من رزق الله } .

٣- النابعة الديباني : (١٦) :





القرآن الكريم واللغة العربية

والمؤمن العائذات تمسحها ركباً مكة بين الغيل والسند

المؤمن هو الله جلّ جلاله الذي منح الأمن والأمان لكل المخلوقات في الحرم المكي ؛ والعائذات هي الطيور التي تلجأ إلى مكة المكرمة بحثاً عن الأمن والطعام الذي يقدمه لها الحجيج ؛ وسميت تلك الطيور بالعائذات لأنها إلتجأت إلى بيت الله الحرام طلباً للأمان ، علماً أنها أمنت فطرياً وعفويّاً بأنّ الله سبحانه وتعالى سيحميها ؛ وفعلاً فقد حرم الله صيدها وتقيجها أن تخاف ؛ فيصيبها الرعب والخوف ؛ وركبان مكة ؛ هم الحجيج الذين يقصدون مكة لزيارة بيت الله الحرام ؛ لأداء مناسك الحج أو العمرة ؛ والتحريم هنا يخص المحرّمون الذين عقدوا النية على الحج أو العمرة ؛ وقد حدد النابغة الذبياني المنطقة المحرمة بين (الغيل والسند) وهي المنطقة المحصورة بين مكة المكرمة ومنى ؛ وهما أجمتان معروفتان عند الحجيج ؛ وهذه المنطقة المحرمة متعارف عليها عند العرب وزوار بيت الله الحرام في الجاهلية ؛ وجاء الإسلام فأكدتها ؛ وما قال به النابغة يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى (١٧) : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ... }

٤- قال النابغة الذبياني (١٨) :

إلا سليمان إن قال الإله له قم في البرية احدها عن القند
وخيس الجن إن قد أذنت لهم ينون تدمر بالصفاح والعسد

سليمان هو نبي الله بن النبي داود (عليهما السلام) كان نبياً وملكاً أعطاه الله ملكاً لم يعط مثله لنبي أو ملك ممن خلق ؛ إذ كان كل شيء في الوجود مسخر في خدمته وبإمرته ؛ فقد أمره الله أن يقيم مملكته على أساس العدل والحق وينشر المساواة بموجب تكافؤ الفرص بالحق بعيداً عن الظلم والتعسف ، وأحددها أي حدودها بالحق والعدل ؛ وعندما عزم سليمان على بناء مدينة تدمر سخر الله سبحانه وتعالى له الجنّ ينونها بالأحجار العريضة والسواري من الرخام ؛ وهذا يتناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (١٩) : { ... وَمَنْ الْجَنِّ مِنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ... }

٥- زهير بن أبي سلمى (٢٠) :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

زهير بن أبي سلمى معروف عنه أنّه شاعر الحكمة والسلم ؛ وهو من الشعراء الموحدين الأحناف ؛ ولو لم نكن نعرف أنّ زهيراً مات قبل الإسلام ؛ لقلنا أنّ الشاعر لشاعر إسلامي ؛ وذلك من خلال الألفاظ التي جاءت في البيتين ؛ فما قاله زهير يتناص مع قوله تعالى (٢١) : { وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } ؛ وكذلك يتناص مع قول رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث الشريف : (إذا يخفى عليك المرء يئسك فعله) ؛ هذا ما يتعلق بالبيت الأول ، أما ما جاء في البيت الثاني فإنه يتعالق مع قوله تعالى (٢٢) : { إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } ، وأما فيما يتعلق بالعقوبات الأخروية والدينية فقد وردت في عدد كبير من الآيات الكريمة ؛ تمثلت في العقوبات التي طالت الأمم التي سبقت العرب والإسلام مثل : قوم عاد وثمود ولوط وفرعون وهامان وغيرهم ممن طالتهم تلك العقوبات .

٦- قال زهير بن أبي سلمى (٢٣) :

فلو كان حيّ ناجياً لوحدته من الموت في أحراسه ربّ مارد

يقول زهير لا يستطيع كائن من كان الإفلات من قبضة الموت ، ذلك لأن قبضة الموت تطال جميع الأحياء بلا استثناء ، ولو أحاط الإنسان نفسه بالرجال والحراس وأحكم غلق الحصون المنيع ، فإنّ الموت حتماً سيطله ، ولا مفر منه ، وقول زهير هذا يتناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٢٤) : { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ } .

٦- قال الأعشى (٢٥) :

طريفٌ وجبارٌ أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب





القرآن الكريم واللغة العربية

هذا البيت من قصيدة هجا بما الأعشى الحارث بن وعلة ، ودعا عليه بسوء العاقبة ؛ كما حدث لأبرهة وجنوده ؛ حينما جمع كيدُهُ ؛ وجاء ليجتاح مكة المكرمة ؛ ويستبيح ديارها ؛ ويهدمُ كعبتها المشرفة ؛ رمز توحيد العرب وعزتهم على الرغم من جاهليتهم ؛ فخبب الله سبحانه وتعالى سعيهم ورد كيدهم إلى نحورهم ؛ فجعلهم أشلاء ممزقة مبعثرة ؛ لتكون طعاماً للضواري والجوارح ؛ وذلك بعد أن سلط عليهم طير الأبايل ؛ التي أبادتهم عن بكرة أبيهم ؛ ولم تغادر منهم أحداً ؛ فجعلتهم خيراً بعد عين ؛ والنعيب هو صوت الغراب ؛ والعرب تشاءم من سماع صوت الغراب المرتبط بقصة هابيل وقايل ابني آدم (عليه السلام) والتي أكدها القرآن الكريم في قوله تعالى (٢٦) : {فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يُؤاري سوءة أخيه قال يويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخيه فأصبح من النادمين} ؛ وهذا المعتقد ارتبط عند الأعشى مع ذكر طير الأبايل ؛ وهي الطيور التي دمرت جيش أبرهة الحبشي حينما هاجمته تلك الطيور ؛ وأخذت ترميهم بحجارة نارية تحرقهم فتخترقهم ؛ فجعلتهم كالعصف المأكول ؛ وقد أكد القرآن الكريم هذا التعالق في سورة الفيل في قوله تعالى (٢٧) : {وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ} وهذا يعني أن الأعشى والعرب بصورة عامة ؛ يعرفون قصة هلاك أبرهة الحبشي وجيشه بطير الأبايل ؛ مثلما يعرفون قصة غراب ابني آدم (عليه السلام) ، فالأعشى يؤكد أن من يتمادى في الظلم والطغيان سيكون مصيره مثل مصير أبرهة وجيشه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم ؛ فهو يجهل ولا يهمل ؛ وعلى الإنسان أن يأخذ العبرة من قصة أبرهة ، فلا يظلم الآخرين فيندم على ما فرط في حق نفسه فتأكله الحسرة والندامة .

٧- قال الأعشى في وصيته لابنه بصير (٢٨) :

ورثك لا تُشرك به إن الشرك يحط من الخيرات تلك البواقي

بل الله فاعبد لا شريك لوجهه يكن لك فيما تكدخ اليوم راعياً

كل الديانات السماوية ، وبلا استثناء تدعو لعبادة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وتؤكد على اتباعها وعدم الشرك ، لأن الشرك عاقبته وخيمة ، ومن خلال البيتين نفهم أن الأعشى رجل موحد يؤمن بأن الله وحده لا شريك له ؛ على افتراض أن الأعشى يُدين بالنصرانية ؛ لذا فهو يوصي ابنه بصير بتوحيد الله وعدم الشرك به ؛ لأن من يُشرك بالله سيتعرض للعقاب الإلهي إن أجلاً أم عاجلاً ؛ ومن تلك العقوبات حبس الخيرات ؛ أما إذا كان الإنسان موحداً عابداً مخلصاً لله ؛ ولا يشرك به أحداً ، ويتعد عن عبادة الأوثان والأصنام ؛ فسيجد الله حافظاً له من كل سوء ، وأن الله سيوسع عليه رزقه ؛ وهذا المعنى يتناص مع وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ؛ والتي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى (٢٩) : { وأذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيمٌ } ؛ فمن البيتين نفهم أن الأعشى في وصيته يؤكد تنزيه الله وعدم الشرك به ؛ وعند ذلك سيكون الله حصناً حصيناً للعبد الموحّد وسيحميه من كل الشر .

٨- وقال الأعشى أيضاً في وصيته لابنه بصير (٣٠) :

واياك والميتات لا تقربتها كفى بكلام الله عن ذاك ناهياً

الأعشى يحيط احاطة تامة بوصية لقمان الحكيم لابنه ، وها هو يعيد عليه بعض مقاطعها ، لذلك وجدناه يوصيه بعدم أكل لحوم الحيوانات الميتة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد حرمها لأسباب صحية تضر بصحة الإنسان ؛ وعلى الإنسان أن يتعد عنها فلا يتناولها ؛ وذلك امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيهِ ؛ وهذا يعني أن الديانات السماوية كافة ؛ والتي سبقت الإسلام كانت تحرم أكل اللحوم الميتة ؛ أما في الإسلام فقد أكد الله سبحانه وتعالى تحريمها في القرآن الكريم ؛ في قوله تعالى (٣١) : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ... } ؛ فنجد القرآن الكريم قد فصل في أنواع اللحوم المحرمة ومنها الميتة ، وما وصى الأعشى به ابنه يتطابق يتناص مع الآية الكريمة السابقة الذكر من حيث الفكر والمضمون .

٩- قال الأعشى (٣٢) :





القرآن الكريم واللغة العربية

لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَ وَالسَّلَوى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طَعْمًا فِيهِمْ نَجْعًا

هذا البيت من القصيدة التي مدح فيها الأعشى هودّة بن علي رئيس بني حنيفة من قبيلة بكر بن وائل ؛ وذلك بعد توسطه لفكالك أسرى قبيلة تميم الذين كانوا محبوسين في سجن المشقر باليمامة ؛ وذلك بعد استيلائهم على قافلة تجارية فارسية متجهة إلى اليمن ؛ وهؤلاء الأسرى وكما يصفهم الأعشى مرعبون ؛ يسيطر عليهم الخوف والهلع ؛ وينتاجهم فرغ شديد خوفاً من مصيرهم المجهول ؛ الذي سيؤول بهم حتماً إلى الموت ، لذلك لو أطعم هؤلاء الأسرى المن والسلوى ؛ وهو أمان من الله سبحانه وتعالى ؛ أنزله على قوم موسى (عليه السلام) في قوله (٣٣) : { وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى } ، ما اطمأنوا أبداً ؛ فوجههم تدل على ذلك ؛ وقد استجاب حاكم اليمامة لطلب هودّة بن علي فأطلق سراح مائة أسير ؛ منهم الشاعر المعروف ربعة بن مقروم الضبي ؛ فالتناص واضح بين الآية الكريمة والبيت الشعري من خلال مفردتي المن والسلوى .

١٠- قالت الخنساء تعرض بني سليم وعامرأ على غطفان لقتلهم أخاها معاوية (٣٤) :

لا شيء يبقى غير وجه مليكنا ولست أرى حياً على الدهر خالداً

معاوية بن الشريد السلمي أخو الخنساء غير الشقيق ؛ قتله حرمة بن هاشم في غزوة جرت بين الطرفين ؛ ولما رأت الخنساء بقاء قومها في طلب ثار أخيها ؛ قالت تحرضهم وتحضهم ، وتعرض معهم حلفائهم من بني عامر للأخذ بثأر معاوية من حرمة وقبيلة غطفان ؛ فالخنساء تقول لهم : لم هذا التباطؤ والتخاذل ؟ أهو خوفاً من الموت ؟ فإنه سيظالمكم إن عاجلاً أم آجلاً ، فكل مخلوق لابد أن تطاله يد الموت مهما طال عُمره وامتد ؛ والاستثناء الوحيد هو مليكنا ؛ وأرادت بذلك الله سبحانه وتعالى القاهر فوق عباده ؛ وما قالته الخنساء يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى (٣٥) : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ، والمليك هو الله سبحانه وتعالى (٣٦) : { في مقعد صدق عند مليك مقتدر } .

١١- وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرأ (٣٧) :

ألا ليت أمتي لم تلدني سويةً وكنت تراباً بين أيدي القوالب

تتمنى الخنساء لو أن أمها ولدتها ميتة ؛ ولم تشهد اليوم الذي قتل فيه أخاها صخر بن الشريد ، فتعيش تلك الفاجعة والمأساة الأليمة ؛ فكانت تتمنى لو أنها كانت تراباً عند ولادتها ولم تعيش فترى ما ترى ؛ ولا يتمنى الإنسان مثل هذه الأمان ؛ إلا عندما يكون في أسوأ حالاته ، فلا يحسده أحد ؛ فهذه المواقف لا تغيب عدواً ؛ ولا تسر صديقاً ؛ وهذه الأمنية تتناص مع أمان الكفار يوم القيامة ؛ حين يستلمون كتبهم في شمالكهم ويساقون إلى جهنم زمراً ؛ وقد صور القرآن الكريم أمنيته هذه في قوله تعالى (٣٨) : { وَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً } ذلك لأن الله سبحانه وتعالى سيحول المخلوقات كافة ؛ والتي لا تعرض في عرصات القيامة إلى تراب ؛ مثل البهائم والجرائم ؛ فالكافر يتمنى لو كان بحيمة أو جرثومة ؛ ولا يرى خزي العذاب وذل المقام ؛ وكذلك تمتن الخنساء لو أنها كانت تراباً ؛ ولم تشهد فاجعة مقتل أخيها صخر ابن الشريد السلمي .

١٢- قال السموّل (٣٩) :

وأتاني اليقين أتي إذا م.....ت وإن رُم أعظمي مبعوث

السموّل شاعر يهودي كان يسكن في تيماء بالحصن الأبلق الذي بناه النبي سليمان بن داود (عليه السلام) ؛ وقد ورثه السموّل عن آبائه ؛ لأنه من سلالة سليمان بن داود (عليه السلام) ؛ وبالحصلة النهائية فهو رجل موحد يؤمن بأن الله واحد لا شريك له ، والسموّل ممن يقرأون التوراة ويفقهونها ويحيطون بتعاليمها ؛ وهو بذلك هو يؤمن إيماناً مطلقاً بالبعث والتشور ، وأن الله سيبعث من في القبور ؛ وأن الناس كافة سوف يُعرضون على الله يوم القيامة للحساب ؛ لينال كل واحد منهم جزاءه الذي يستحق ؛ بما قدمت يداه لنفسه من عمل في دار الدنيا ؛ و (مبعوث لغة في مبعوث) ولا عجب بعد ذلك من تناص هذه الأفكار وغيرها من العقائد الدينية اليهودية التي جاءت في التوراة على لسان





القرآن الكريم واللغة العربية

البسمول ؛ فالتوراة كتاب سماوي ؛ أنزله الله على النبي موسى (عليه السلام) ؛ وجاء القرآن الكريم مصديقاً لما جاء في التوراة ؛ فالقرآن الكريم يعضد ويؤكد ما قاله الشاعر وذلك في قوله تعالى (٤٠) : {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} .

١٣- قال عارق الطائي (٤١) :

فلا تقزني منا ولا تتعجبي فلست أرى فيما قضى الله لي بدا

يؤكد (عارق الطائي) وهو قيس بن جروة أن الإنسان في حياته مُسيرٌ وغير مُخير ؛ ولو كان الأمر بيده لاختار لنفسه الأفضل والأحسن ؛ ولكن الأمر خارج يده ؛ فهو بيد الله سبحانه وتعالى وحده ؛ وعلى الإنسان أن يرضى بما قدر الله له ، وهذا الكلام يتعالق مع قوله تعالى (٤٢) : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} ، فالإنسان ومهما عمل جاهداً ، فلن يستطيع أن يفر مما كتب الله له فهو لاقبه ؛ وما عليه إلا القبول بما قدر الله سبحانه وتعالى له .

١٤- قال أمية بن أبي الصلت (٤٣) :

والشهر بين هلاله ومحاقه أجلّ لعلم الناس كيف يعدد

لا نقص فيه غير أن خبيته قمر وساهور يُسلّ ويغمد

المقصود بالأجل الذي ورد في الشعر هو الشهر القمري ؛ والساهور هو الغلاف الذي يحيط بالقمر ؛ بل هو القمر بجزيئه المضيء والمظلم ؛ وكلنا يلحظ القمر في أيامه الأولى عندما يولد هلالاً ؛ نرى جزءاً منه أسوداً غير مضيء والجزء الآخر مضيئاً ويسمى هلالاً ؛ والهلال مرور الأيام يكبر شيئاً فشيئاً ، حتى يغطي الساهور كله فيكون بدرًا ؛ وذلك في منتصف الشهر القمري ؛ ومن ثم يبدأ العد التنازلي والتناقص شيئاً فشيئاً حتى يختفي القمر تماماً ؛ وذلك في اليوم الأخير من الشهر القمري ؛ ويسمى ذلك اليوم بالحاق ؛ ومنه يولد هلال الشهر القمري الجديد ؛ والشهر القمري كما هو معروف ثلاثون يوماً ؛ يبدأ من الحاق وبه ينتهي ؛ ويستغرق خروج القمر كلياً من الساهور خمسة عشر يوماً ليصبح بدرًا ؛ يستغرق ذات المدة في الدخول إلى الحاق ؛ وأدوار القمر مع الساهور ؛ تطرق إليها القرآن الكريم في قوله تعالى (٤٤) : {وَالْقَمَرُ قَدَرُهُ مَنَازِلٌ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} ؛ وهذا تناص تام مع ما جاء في القرآن الكريم ؛ وكذلك أن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان حساب الأشهر والسنين من خلال القمر وأدواره ؛ إذ أن كل أدوار القمر من الحاق وإلى الحاق تمثل شهراً واحداً ؛ وكل إثني عشر شهر تمثل سنة ؛ جاء ذلك في قوله تعالى (٤٥) : {... وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٌ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ ...} ؛ وهذا تناص آخر وتعالق بين القرآن الكريم والنص الشعري الجاهلي .

١٥- وقال أمية بن أبي الصلت (٤٦) :

فقلت له : يا اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

المتكلم هو الله سبحانه وتعالى ؛ والمخاطب هو النبي موسى بن عمران ؛ وأخاه هارون (عليهما السلام) أمره الله سبحانه وتعالى أن يصطحب أخاه هارون ؛ ويذهبا إلى فرعون الذي تجبر وطمع ؛ ويبلغاه رسالة الله سبحانه وتعالى ؛ ويدعوانه إلى سبيل الرشاد ، والحكم بالحق والعدل بين الرعية ، ولا يظلم بني إسرائيل ؛ من قبل أن يأتيه يوم لا مرد له من الله ؛ وعندئذ لا ينفعه الندم وعض الأنامل ؛ فيكون خشية أو حجارة في نار جهنم ؛ يصلها مذموماً مدحوراً ؛ وهذا القول جاء متناصاً ومتطابقاً مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٤٧) : {إِذْ هَبْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِذْ قَرَّبَا كُرْسِيَّكَمَا أَوْ بَدَأَا فِي ذِكْرِكَ} ؛ اذهبا إلى فرعون أنه طغي .

١٦- قال أمية بن أبي الصلت (٤٨) :

عند ذي العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والكلام الخفيا

الشاعر يخاطب قومه ويقول لهم : إن كل ما خلق الله سبحانه وتعالى من إنس وجن وملائكة يعرضون عليه يوم القيامة ؛ وأن الله محيطٌ بعلم كل شيء ؛ ولو أسررت شيئاً ما في نفوسكم ؛ ولم تبوحوا به لأحد ؛ فإن الله يعلمه وسيحاسبكم ؛





القرآن الكريم واللغة العربية

عليه يوم القيامة ؛ والشرط الثاني من البيت يتناص مع جاء في قوله تعالى (٤٩) : { سنقرنك فلا تنسى إلا ما شاء الله أنه يعلم الجهر وما يخفى } ؛ وكذلك يتناص مع قوله تعالى (٥٠) : { يومئذ تعرضون عليه لا تخفى منكم خافية } .
١٧- قال أمية بن أبي الصلت (٥١) :

ربّ كلّاً حتمته وارذ لنا ر كتاباً حتمه مقضياً

الشاعر يؤمن بأنّ كلّ ما خلق الله سبحانه وتعالى لابدّ أن يعرض يوم القيامة على النار ؛ وليس هناك استثناء لأحد مهما كان ؛ والعرض على النار لا يعني بالضرورة أن يكون عقوبة أو الدخول فيها ؛ وإثما هو من باب الإطلاع والمعرفة ؛ والوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها ؛ وما قال به الشاعر يتعلق ويتناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٥٢) : { وإنّ منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً } .
١٨- قال أمية بن أبي الصلت (٥٣) :

يوم تأتيه مثل ما قال فرداً لم يدر فيه رشداً وغويا

يقول الشاعر في يوم الحشر عندما تأتي الخلائق إلى عرصات القيامة لا تأتي زمرّاً ؛ بل يأتون أفراداً كما خلقهم الله أول مرة ؛ ليس لهم مال ولا أولاد ولا أنصار ؛ فصاحب الخيرات يقف إلى جوار صاحب السيئات ؛ ولم يتخلف أحدٌ من الخلق أبداً ؛ بل سيعرضون جميعاً ؛ وعندئذ سيكون كلّاً منهم مشغولاً بنفسه ؛ لا يهمة أمر غيره ؛ ولا يعنيه ؛ وسيحشر الملوك إلى جوار السوقة كما وعد الله سبحانه بذلك ؛ لا فوارق بينهم حينئذ ؛ ولن يتخلف عن حضور هذا المشهد كائن من يكون ؛ فكل ما خلق الله سبحانه وتعالى يأتي فرداً كما ولدته أمه ؛ وقول الشاعر يتناص مع ما جاء في القرآن الكريم (٥٤) : { وكلهم آتية يوم القيامة فرداً } .

١٩- قال أمية بن أبي الصلت (٥٥) :

ألا كلّ شيء هالكٌ غير ربنا والله ميراث الذي كان فانيا

ما قاله الشاعر أمية بن أبي الصلت هو من الأفكار التي جاءت في القرآن الكريم والكتب السماوية كافة ؛ فالشرط الأول منه يتناص مع قوله تعالى في الآية الكرّمة (٥٦) : { لا إله إلا هو كلّ شيء هالكٌ إلا وجهه } ؛ الشاعر يقول كل ما خلق الله لابدّ أن يهلك ؛ ولا يبقى غير الله جلّت قدرته ليرث السموات والأرض ومن عليهما ؛ والمقصود بالفانيا هو ملك السموات والأرض ؛ وهذا التناص جاء متطابقاً حرفياً وفكرياً مع الآية الكرّمة ؛ ولكن بتبديل بعض الألفاظ ليستقيم الوزن للشاعر ؛ فيما يتناص الشرط الثاني مع قوله تعالى (٥٧) : { والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير } ؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى بعد الصحة الأولى التي قيمت الخلائق كافة ؛ لا يبقى حي غيره فهو الوارث الوحيد الذي يرث كلّما خلق ؛ لأنه هو من خلق الخلائق فالملوك يومئذ لله وحده .

٢٠- قال أمية بن أبي الصلت (٥٨) :

دعا ابنه نوحاً ألا اركب فإني دعوتك لما أقبل الماء طاغيا

فقال سارقي فوق أعيط حالي فقال له : لست الغديّة ناجيا

هذه النتفة تمثل تسجيلاً للحوار الذي جرى بين نبي الله نوح (عليه السلام) وابنه كنعان وقيل يام (٥٩) ؛ وذلك بعد أن أرسلت السماء مطرها مدراراً لعدة أيام ؛ وغمر الماء وجه كلّ شيء ؛ حتى لم يُعد يُرى سوى وجه الماء ؛ هنا نادى نوح (عليه السلام) ابنه بعاطفة الأبوة مشفقاً عليه من الغرق ؛ أن اركب معنا في السفينة ؛ ولكن الكفر والضلال أبيا أن يفارقا ذلك الابن الضال ؛ فأجاب قانلاً : أنه سيُرتقي الجبل المجاور لهم ؛ فيكون في مأمن من الماء والغرق ؛ ولكن مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته أرادت أن يغرق الكافرين كافة ؛ ولا ينجو منهم دياراً ؛ فموتوا جميعاً غرقى ؛ لينقطع هذا النسل الكافر ؛ ويؤول مصيرهم إلى جهنم ونس المهاد ؛ ومع ذلك أخبر نوح (عليه السلام) ابنه أنه لا ينجو ولا يسلم من الغرق إلا من رحمه الله ؛ وما جاء في القرآن الكريم هو قوله تعالى (٦٠) : { وهي تجري بهم في موج كالجبال ؛ ونادى نوح ابنه ؛ وكان في معزل ؛ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين } قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ؛





القرآن الكريم واللغة العربية

قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينهما الموج فكان من المغرقيين ؛ وهذه الآيات الكريمات تنصص مع ما قال به الشاعر أمية .

٢١- قال أبو قلابة الطائفي الخذلي (٦١) :

ولا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تبين ما ينمي لك الماني

أبو قلابة شاعر جاهلي من قبيلة هذيل يخاطب قومه ويقول لهم : إذا عزمتم على القيام بأمر ما ؛ فلا تستعجلوا حتى يتبين لكم الأمر بوضوح ؛ وأن الأمور كلها معقودة بمشيئة الله سبحانه وتعالى وحده ؛ والماني هو الله عز وجل ؛ والشرط الأول من البيت يتناصص روحاً ومعنى مع القرآن الكريم في قول الله تعالى (٦٢) : { ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ... } ؛ نلاحظ هنا أن رؤية الشاعر قد تطابقت تماماً مع ما أراده الله سبحانه وتعالى ؛ فيما يتناصص الشرط الثاني مع قوله تعالى (٦٣) : { وما تشاءون إلا أن يشاء الله ... } ؛ ذلك لأن الأمور قد تتغير ؛ فلا يستطيع الإنسان الوفاء بما عزم القيام به ؛ وعند ذلك تضيق كلمته ؛ وتذهب أدراج الرياح ؛ وهنا على المتكلم أن لا يستعجل الأمور ؛ حتى تتضح له بصورة جلية واضحة ؛ لأنها مرتبطة بمشيئة الله وتوفيقه

٢٢- قال إياس بن مالك الطائي (٦٤) :

كلا نعليننا طامع بغنية وقد قدر الرحمن ما هو قادر

يقول إياس بن مالك على الإنسان أن لا يطمع في شيء ذلك لأن الأمور كافة ؛ تجري بمشيئة الله سبحانه وحده ؛ فهو الذي قدر الأقدار على خلقه ؛ وهي ستطبق عليهم في حياتهم الدنيا ، وأن ما يريد الله هو الذي سيطل الإنسان إن شاء أم أبي ، وما ذهب إليه إياس يتناصص مع قوله تعالى (٦٥) : { إن الله بالغ أمره وقد جعل لكل شيء قدراً } .

٢٣- قال خباب بن عدي الطائي (٦٦) :

وأرمي بنفسي في فروج كثيرة وليس لأمر حمة الله صارف

يقول خباب يضع الإنسان نفسه في مآزق ومهلكات متعددة ؛ لأسباب مختلفة ومتنوعة ؛ ومع ذلك يكتب الله له السلامة فيخرج منها سالماً معاف ؛ ذلك لأن أمر الله سبحانه هو قدر مقدر ؛ فهو وحده يرمي به من يريد من عباده ويصرفه عمن يريد ؛ له الأمر من قبل ومن بعد ؛ وهذا النوع من التفكير والرؤية يتناصص مع قوله تعالى (٦٧) :

٢٤- قال خثاف بن عبد الله الطائي (٦٨) :

أرهب اليوم إن تأتي علي صيحة مثل صيحة الأحقاف

خثاف رجل موحد يخاف الله سبحانه ؛ ويخشى على نفسه من أن يعاقبه الله إذا ما تمادى في غيه وعصيانه ؛ فهو ينذر نفسه من سوء العاقبة ؛ لأن الله يجهل ولا يهمل ، فهو سيحاسب إن أجلاً أم عاجلاً ؛ لذلك فهو يخاف أن يُسمِعَهُ الله صيحة مثل صيحة أهل الأحقاف ؛ وهم قوم عاد لما عصوا أمر ربهم ؛ ولجوا في تمردهم وعصيانهم وطغيانهم ؛ فأخذتهم الصيحة ، وأصبحوا جاثمين في ديارهم لا حراك لهم ؛ فأصبحوا خيراً بعد عين ؛ وهذا الإيمان يتطابق بل يتناصص مع قوله تعالى (٦٩) : { واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ... } وكانت نتيجة الإنذار أن أخذتهم الصيحة (٧٠) في قوله تعالى : { فأخذتهم الصيحة بالحق ... } أي عاقبهم الله على سوء أعمالهم ؛ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

٢٥- قال ملحان الطائي (٧١) :

وأبيض مجتأب إذ الليل جنة رعى حذر النار النجوم الطوالعا

إذا استنقل الأقوام نوماً رأيت حذار عقاب الله ؛ لله ضارعا

يقول ملحان على المؤمن الموحد لله عندما يقف في جوف الليل بين يدي الله أن يكون قلبه مثل الثوب الأبيض خال من الذنوب ؛ وعليه أن يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يجنبه النار في ليل ملأت سماءه النجوم ؛ وملحان في الوقت يتضرع إلى الله أن يدرأ عنه حر نار جهنم ؛ فالناس يغطون في نوم عميق ؛ وهم في غفلة لا يدرون ما يجري حولهم ؛





القرآن الكريم واللغة العربية

وهو مسهّد حذر من عقاب الله ؛ فهو يدعو ويتضرع إليه خفية ؛ لكي يجنبه شر ذلك المشهد الرهيب ؛ وهذه الرؤية التوحيدية تتطابق وتتناص مع القرآن الكريم في عدة آيات هي : (٧٢) : { وَمَنْ يَلْبِسْ خَيْبَةً يَخْتَفِئْ بِهَا نَافِلَةً ... } ؛ وقوله تعالى (٧٣) : { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ... } ؛ وقوله تعالى (٧٤) : { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ... } .

٢٦- عبيد - قال عبيد بن الأبرص (٧٥) :

حلفت بالله إن الله ذو نعيم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

يقسم عبيد بن الأبرص قسماً جازماً أن الخير العليم والنعيم التي لا تنفذ ؛ هي بيد الله سبحانه وتعالى وحده ؛ فهو يهب لمن يشاء ؛ ويمنع عمن يشاء ؛ وفي الوقت نفسه هو عفو غفور ؛ يعفو عمن يشاء من عباده ؛ ويتجاوز عن سيئاتهم وهذا المعنى يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم ويتعلق معه في قوله تعالى (٧٦) : { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ... } .

٢٧- قال عمرو بن كلثوم التغلبي (٧٧) :

بضرب تشخص الأبصار منه وطعن مثل إفراغ الدلاء

يؤكد عمرو أن ضربات قومه في التصدي لأعدائهم في الهجوم والدفاع عن حمى القبيلة تشخص من شدتها الأبصار خوفاً ورعباً ؛ ولا تشخص الأبصار إلا عند الدهول من رهبة الموقف ؛ فأعداؤهم شخصت أبصارهم من شدة القتال وقسوته ؛ أما طعنات رماحهم فهي تشبه دلاء البئر المملوءة بالماء عندما تفرغ ما فيها من ماء بسرعة كبيرة ؛ وهذا المعنى يتعلق مع قوله تعالى (٧٨) : { شَاحِصَةً أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ؛ أي أن المشركين والمنافقين سيذهلون يوم القيامة من هول الخشر وشدته ؛ فتشخص أبصارهم من الخوف والرعب .

٢٨- وقال كعب بن زهير (٧٩) :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلٍ الهدباء محمول

عندما أهدر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دم كعب بن زهير بعد أن هجا رسول الله والإسلام ؛ ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ؛ فأين سيولي وجهه ؛ فالقتل سيطله إن عاجلاً أم آجلاً ؛ لأنه كان يعرف يقيناً أن النبي إذا ظفر به سيقتله فيموت ؛ وإن لم يظفر به ؛ فسيأتي عليه يوماً سيموت فيه حتماً ؛ وفي كلا الحالين هو ميت لا محالة ؛ وبدلاً من أن يعيش ما بقي من عمره خائفاً يترقب ؛ عليه أن يتخذ قراراً حاسماً يقرر فيه مصيره ؛ فقرر الذهاب إلى المدينة وطلب العفو من رسول الله ؛ ومن ثم الدخول تحت راية الإسلام ليحقق دمه ؛ فنظم قصيدة البردة وقدم بها إلى المدينة ؛ فأنشدتها بين يدي رسول الله ؛ وكانت قصيدة البردة تضم بين جوارحها بيتاً يشتم منه رائحة تقول : كل ابن ذكر وأنثى مهما امتد به العمر وعاش ؛ فلا بد أن يطاله الموت في يوم ما ويحمل على الأعواد إلى مثواه الأخير ؛ وهذا الكلام يتعلق مع قوله تعالى ويتناص مع قوله تعالى (٨٠) : { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام } .

٢٩- قال الربيع بن زياد (٨١) :

أقول ولم أملك لنفس نصيحة أرى ما ترى والله بالغيب أعلم

الربيع بن زياد العبسي يعلم علم اليقين أنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى شأنه شأن عامة الموحدين من الأحناف والنصارى واليهود ؛ وشعره هذا يتعلق مع القرآن الكريم في قوله تعالى (٨٢) : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِنُهَا إِلَّا هُوَ } .

الخاتمة :

بعد الاطلاع على عدد من الأبيات الشعرية الجاهلية التي تناصت مع القرآن الكريم ؛ وجدنا أن الشعراء الجاهليين الذين تناص شعرهم مع القرآن الكريم كان معظمهم من الموحدين ؛ فضلاً عن أن الشعراء الجاهليين والعرب بصورة عامة كانوا مطلعين على الديانات السماوية اليهودية والنصرانية وأخبار الأمم التي سبقتهم ؛ بل كان عدد كبير منهم على اليهودية مثل السموأل ؛ كما كان الأعشى الكبير ، وأمّية بن أبي الصلت على النصرانية ؛ لذلك لا نستغرب أن وجدنا مفاهيماً وقيماً وتعاليماً إسلامية مثبتة في أشعارهم ؛ وفي الوقت نفسه ننفي عن العرب صفة الجهل والتي عُرِفَ بها عصرهم ؛ فالجاهلية عند العرب قبل الإسلام ؛ تعني جهلهم في الدين لا غير ؛ لأن سوادهم الأكبر كان يعبد الأصنام والأوثان ؛ وهي حجارة





القرآن الكريم واللغة العربية

لا تضر ولا تنفع ؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله صلى الله على حبيبه المصطفى وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر
الميامين وسلم تسليماً كثيراً .

الهوامش :

- ١- الحيوان للجاحظ : ١ / ٧٤
- ٢- سورة يوسف الآية : ٢
- ٣- سورة طه الآية : ١١٣
- ٤- ديوانه : ١٨٤
- ٥- النوادر في اللغة : ٦٥
- ٦- النوادر في اللغة : ٦٥
- ٧- سورة الجن : الآية ٢٦
- ٨- سورة الأنعام : الآية : ٥٩
- ٩- سورة يس : الآية ٧٨
- ١٠- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ٢ / ٢٧٧
- ١١- جمهرة أشعار العرب : ١ / ٧٠
- ١٢- سورة الدخان : الآيتان : ٣٤-٣٥
- ١٣- سورة الجاثية : الآية : ٢٤
- ١٤- ديوانه : ٢٣١
- ١٥- سورة البقرة : الآية : ٦٠
- ١٦- ديوانه : ٢٥
- ١٧- سورة المائدة : ٩٥
- ١٨- ديوانه : ٢٠ - ٢١
- ١٩- سورة البقرة الآية : ١٠٢
- ٢٠- ديوانه : ١٨
- ٢١- سورة طه : الآية ٧
- ٢٢- سورة يس : الآية ١٢
- ٢٣- ديوانه : ٢٣٦
- ٢٤- سورة النساء الآية : ٢٨
- ٢٥- ديوانه : الآية ٣١
- ٢٦- سورة المائدة الآية : ٣١
- ٢٧- سورة الفيل الآيات : ٣ - ٥
- ٢٨- ديوانه : ١٩
- ٢٩- سورة لقمان : الآية : ١٣
- ٣٠- ديوانه : ١٩٨
- ٣١- سورة المائدة : الآية ٣
- ٣٢- ديوانه : ١٠٨
- ٣٣- سورة الأعراف : الآية ١٦٠
- ٣٤- ديوانها : ١٨
- ٣٥- سورة طه : الآية ٧
- ٣٦- سورة يس : الآية ١٢
- ٣٧- ديوانها : ٨١





القرآن الكريم واللغة العربية



- ٣٨- سورة الحج : الآية ٧
٣٩- ديوانه : ١٨٤
٤٠- سورة يس : الآية ٣٩
٤١- شعر طيء : ٥٥٠ / ٢
٤٢- سورة الأحزاب الآية : ٣٦
٤٣- ديوانه : ١٨٤
٤٤- سورة يس : الآية ٣٩
٤٥- سورة يونس : الآية ٥
٤٦- ديوانه : ٣٩٦
٤٧- سورة طه : الآيتان ٤٢-٤٣
٤٨- ديوانه : ٣١٣-٣١٤
٤٩- سورة الأعلى الآية : ٧
٥٠- سورة الحاقة : الآية : ١٨
٥١- ديوانه : ٣١٤
٥٢- سورة مريم الآية : ٧١
٥٣- ديوانه : ٣١٤
٥٤- سورة مريم : ٩٥
٥٥- ديوانه : ٣١٦
٥٦- سورة القصص الآية : ٨٨
٥٧- سورة آل عمران الآية : ١٢٨
٥٨- ديوانه : ٣١٨
٥٩- مجمع البيان : ٥ / ٢١١
٦٠- سورة هود الآيتان : ٤٢-٤٣
٦١- شرح أشعار المذليين : ٧١٣ / ٢
٦٢- سورة الكهف : الآيتان : ٢٣-٢٤
٦٣- سورة الإنسان : الآية : ٣٠
٦٤- شعر طيء : ٢١٨ / ١
٦٥- سورة الطلاق : ٣
٦٦- شعر طيء : ٥٦٧ / ٢
٦٧- سورة النور الآية : ٤٣
٦٨- شعر طيء : ٥٨٦
٦٩- سورة الأحقاف : ٢١
٧٠- سورة المؤمنون الآية : ٤٣
٧١- شعر طيء : ٦٩٢ / ٢ ؛ وملحان هو ابن خال عدي بن حاتم لأنه ابن أخ ماوية زوج حاتم الطائي ؛ ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٣٨
٧٢- سورة الإسراء الآية : ٧٩
٧٣- سورة الأعراف الآية : ٢٠٥
٧٤- سورة الأعراف الآية : ٥٥
٧٥- ديوانه : ٤٩
٧٦- سورة آل عمران الآية : ٣٧ ؛ وسورة النور الآية : ٣٨



القرآن الكريم واللغة العربية

٧٧- ديوانه : ٢٠

٧٨- سورة الرحمن الآية : ٢٦

٧٩- ديوان كعب بن زهير : ٢٠

٨٠- سورة الرحمن الآية : ٢٦

٨١- شعره : ٣٩٨

٨٢- سورة الأنعام : الآية : ٥٩

المصادر

- القرآن الكريم .

- أمية بن أبي الصلت : حياته وشعره - دراسة وتحقيق د. بحجة عبدالغفور الخديشي ؛ ط ٢ ؛ طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ؛ ١٩٩١م ؛ بغداد .

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الألوسي ؛ شرح وتصحيح محمد بحجة الأثري ؛ ط ٣ ؛ (د. ت. م.) .

- مجلة الجمع العلمي العراقي ؛ المجلد ٥٨ ؛ الجزء الثاني ؛ لسنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ؛ بغداد .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - للتعالي (ت ٤٢٩هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ دار المعارف بمصر ؛ (د. ت.) .

- جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي ؛ شرحه وقدم له علي فاعور ؛ ط ١ ؛ دار الكتب العلمية ؛ ١٩٨٦م ؛ بيروت .

- الخنساء - شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها - شرح وتقديم إسماعيل اليوسف ؛ منشورات دار الكتاب العربي ؛ دمشق - سوريا د. ت. .

- ديوان الأعشى - شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره - صنعة صالح بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د. ت.) .

- ديوان عبيد بن الأبرص - دار صادر ؛ دار بيروت ؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- ديوان كعب بن زهير - برواية أبي سعيد السكري ؛ مراجعة نخبة من الأدباء ؛ دار الفكر للجمع ؛ بيروت ؛ ١٩٦٨م .
- ديوانا عروة بن الورد والسمؤال - دار صادر ؛ بيروت ؛ د. ت. .

- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ ، ٢٠١٧م .

- شرح أشعار المذليين - صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) ؛ حققه عبد الستار أحمد فراج ؛ وأحمد محمود شاكر ؛ مكتبة دار العروبة ؛ مطبعة المدني ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٥م .

- شرح ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي - شرح وتحقيق د. رحاب عكاوي ؛ دار الفكر العربي ؛ ط ١ ؛ ١٩٩٦م ؛ بيروت .

- شعر الربيع بن زياد - تحقيق د. عادل البياتي ؛ مجلة كلية الآداب ؛ المجلد الأول ؛ العدد : ١٤ ؛ لسنة ١٩٩٧م .

- شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة الأعلام الشنتمري ؛ تحقيق د. فخرالدين قباوة ؛ منشورات دار الآفاق الجديدة ؛ ط ٣ ؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ؛ بيروت .

- شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام - جمع وتحقيق ودراسة د. وفاء فهمي السنديوني ؛ العلوم العلوم للطباعة والنشر ؛ ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ؛ الرياض .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ؛ دار الجيل ؛ ط ٤ ؛ ١٩٧٢م ؛ بيروت .

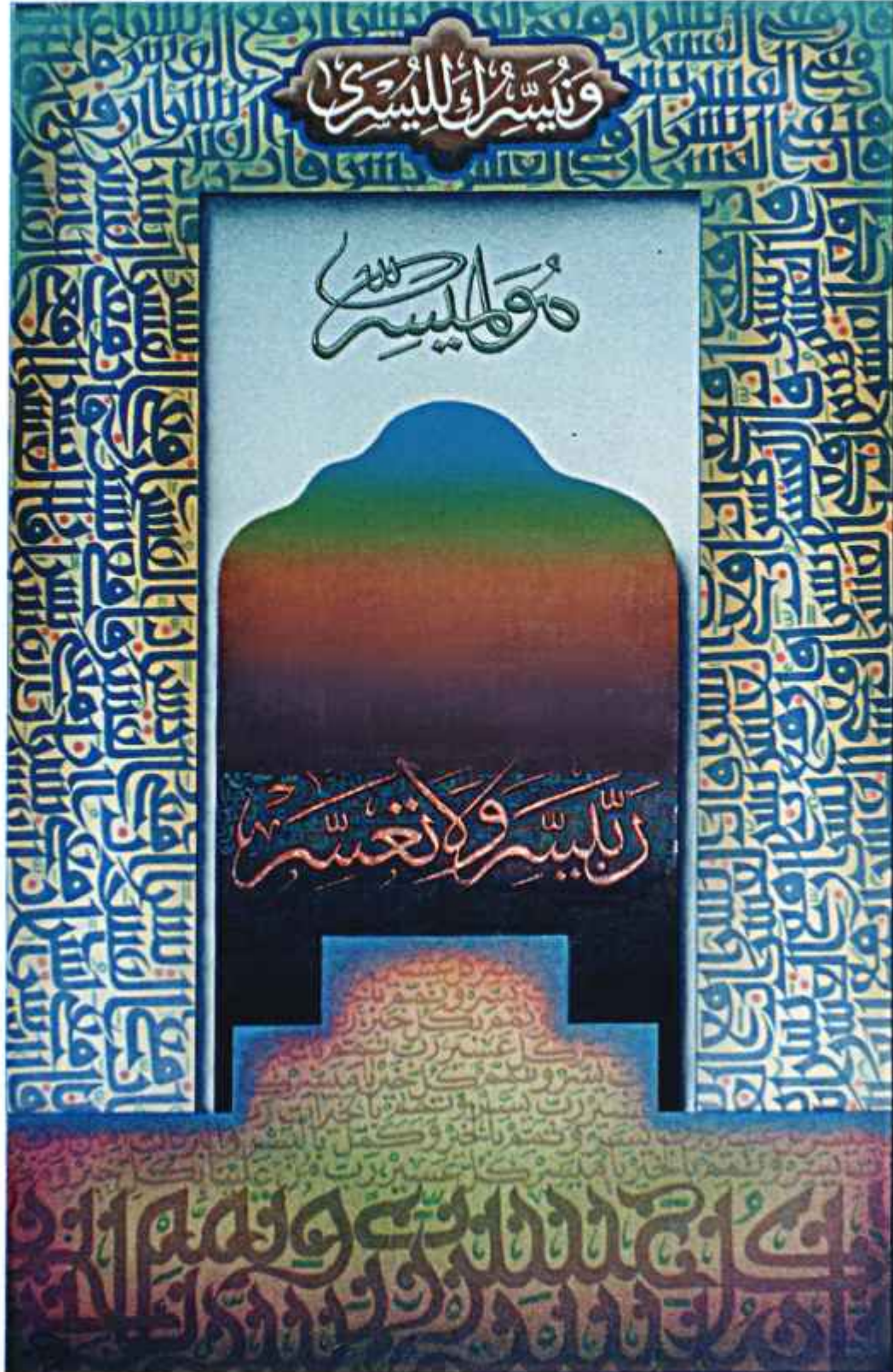
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم - للطبرسي ؛ وضع حواشيه وخرج آياته وشواهد إبراهيم شمس الدين ؛ منشورات دار الكتب العلمية ؛ ط ١ ؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ؛ بيروت - لبنان .





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

القرآن الكريم واللغة العربية



العدد ١



أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل
مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

أ. م. د أحمد علي الشنجار
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية





الملخص:

يهدف البحث الحالي التعرف على اثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات، لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي ، ولتحقيق هدف البحث وضع الباحث الفرضية الصفرية الآتية: -ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات تحصيل تلاميذ المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة الاجتماعيات على وفق إستراتيجية داخل وخارج الدائرة وتلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية (التقليدية).

ولتحقيق هدف البحث اتبع الباحث إجراءات المنهج التجريبي ذي الضبط الجزئي ، وتألقت عينة البحث من (٦٤) تلميذ بواقع (٣٢) تلميذ في المجموعة التجريبية و (٣٢) تلميذ في المجموعة الضابطة، كوفت المجموعتان في متغيرات العمر الزمني، والذكاء والمعرفة السابقة ، وطبق الباحث الاختبار التحصيلي واستعمل الباحث الوسائل الإحصائية الآتية (الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، معادلة معامل الصعوبة ، ومعادلة معامل التمييز ، ومعادلة معامل فاعلية البدائل ، ومعامل ارتباط بيرسون ، ومعادلة الفا كرونباخ)

وأُسفرت الدراسة على النتائج الآتية ، تفوق المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية داخل وخارج الدائرة على المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة التقليدية في اختبار التحصيل .

وفي ضوء نتائج هذا البحث توصل الباحث إلى الاستنتاجات الآتية ، منها :

١ - إستراتيجية داخل وخارج الدائرة ساهمت في زيادة تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في مادة الاجتماعيات مقارنة بالطريقة التقليدية

وفي ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يأتي:

١ - اعتماد إستراتيجية داخل وخارج الدائرة في تدريس الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية لما لها من الخصائص والأثر الإيجابي في زيادة مستوى التحصيل

المقترحات :

١ - إجراء دراسة مماثلة على مراحل دراسية أخرى

Abstract :

The objective of the present research is to identify the effect of a strategy within and outside the department in the collection of social subjects in the fourth grade students. To achieve the objective of the research, the researcher put the following zero hypothesis: - There is no statistically significant difference between (0.05) They study social subjects according to a strategy within and outside the department and students of the control group who study the same subject according to the conventional method. To achieve the objective of the research, the researcher followed the procedures of the partial experimental experimental method. The sample consisted of 64 students with 32 students in the experimental group and 32 students in the control group. The two groups were rewarded in the variables of time, intelligence and previous knowledge. The researcher used the following statistical methods (TEST for two independent samples, the coefficient of difficulty coefficient, the coefficient of discrimination, the coefficient of the effectiveness of the alternatives, the Pearson correlation coefficient, and the alpha-Cronbach equation) The study yielded the following results: The experimental group, which studied a strategy within and outside the department, surpassed the control group who studied according to the traditional method of the achievement test. In light of the results of this research, the researcher reached the following conclusions:





1- A strategy within and outside the department contributed to increase the achievement of fourth grade students in social subjects compared to the traditional method In light of the research results, the researcher recommends the following:

1- Adopting a strategy within and outside the department in the teaching of social studies in the primary stage because of its characteristics and positive impact in increasing the level of achievement

Proposals:

1. Conduct a similar study in other study stages

الفصل الأول:

التعريف بالبحث

مشكلة البحث

في الوقت الذي تزداد فيه التحديات وتتسارع معه تكنولوجيا المعلومات لم يعد التعلم قاصراً على حدود التلقي داخل الصف، ولم يعد كافياً ما تحمله صفحات الكتاب لتُخزن داخل العقول ولم يعد الاستماع والانصات داخل جدران الصف كفيلاً بالتعليم الذي ينبغي أن يواكب التسارع في المعرفة وتحديث المعلومات وفقاً لأحدث التقنيات والاستراتيجيات (بدير، ٢٠٠٨: ١٨).

وعلى هذا فإن نظام التعليم في العراق يحتاج إلى نقلة نوعية من التلقين إلى التمكين، من التفكير المنفرد إلى المشاركة الواعية، من الخطاب وحيد الاتجاه إلى خطاب يؤدي إلى استجابة ناجحة (العجيلي وحمزة، ٢٠١١: ١٧). فالملاحظ على النظام التربوي الحالي في العراق إنه ورث مشكلات معقدة وصعبة الحل في كل جوانب ومفاصل العملية التربوية (رضيو، ٢٠١٣: ٥٧). وهذا ما انعكس على نسب النجاح للطلبة في العراق، إذ أنها منخفضة مما تدل على التردّي الواضح في العملية التربوية والتعليمية (خلف، ٢٠١٤: ٢)، وهذا أيضاً ما أكدت عليه الإحصاءات التي أجريت في العراق من عام ٢٠٠٧ وحتى عام ٢٠١٠ حول نسب الراسبين في المرحلة الابتدائية إذ قد بلغت أعلى معدل لها في عام

(٢٠٠٩-٢٠٠٨) بنسبة (١٧,١٪) مقارنة بالعام الدراسي (٢٠٠٨-٢٠٠٧) بلغت (١٥,٦٪) وفي العام الدراسي (٢٠١٠-٢٠٠٩) بلغت (١٤,٧٪)

حيث أجرى الباحث بنفسه استبانته بسيطة شملت مجموعة من المدارس الابتدائية، أخذت فيها آراء المعلمين حول مستوى التحصيل لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي وأكد المعلمون والمعلمات من خلال هذه الاستبانة ما تقدم من وجود انخفاض في مستوى تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي.

ولمعالجة ظاهرة تدني مستوى التحصيل في المرحلة الابتدائية في العراق لابد من تحفيز المعلمين وجعلهم أكثر دراية بطرائق التدريس الحديثة التي تجعل من المتعلم عنصراً نشطاً في الدرس إضافة إلى جذب انتباهه، خلق الدافعية والاستعداد وتشجيع المتعلمين على التنافس والمشاركة الفعالة في الأنشطة الصفية واللاصفية، ومحاولة تلافي جوانب القصور، واستخدام الوسائل التعليمية المتاحة وزيادة دافعية المتعلمين.

وفي ضوء ما سبق فإن هذا يستوجب وقفه جادة من قبل مُعلمي مادة الاجتماعيات لإعادة النظر في طرائق تدريسهم والأنشطة التي يستخدمونها لبذل الجهد لمعالجة مشكلة انخفاض مستوى التحصيل المتعلمين في مادة الاجتماعيات.

وانطلاقاً من هذا الواقع غير النشط في تدريس مادة الاجتماعيات، أصبح من الضروري المطالبة باستخدام إستراتيجيات حديثة تهدف إلى تفعيل دور المتعلم في الموقف التعليمي الصفّي.

ويعتقد الباحث أن باختياره إحدى استراتيجيات التعلم النشط وهو من أكثر أنماط التعليم حداثة حيث تتيح إستراتيجياته





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

ومن ضمنها استراتيجية (داخل وخارج الدائرة) للمتعلمين الفرصة الجيدة للمشاركة والتفاعل في دروس الاجتماعيات وبإمكانهم إنشاء أو تعديل معرفتهم فيها .

وعلى هذا تبلورت مشكلة البحث في السؤال الآتي :

هل لإستراتيجية داخل وخارج الدائرة أثر في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي ؟

أهمية البحث:

يشهد عصرنا الحالي تطوراً تكنولوجيا هائلاً وثورة معلوماتية شكلت تحدياً للنظام التربوي بضرورة إصلاحه واستيعاب الكم الهائل من المعرفة وتوظيفها والاستفادة منها عن طريق إعداد الملاكات العلمية والتربوية التي تأخذ دورها الفعال في التنمية . (عبد السلام، ٢٠٠٦ : ٥٠)، لتنمي الفرد في جميع النواحي المعرفية والوجدانية والمهارية والاجتماعية؛ ليكون نافعاً لنفسه ومجتمعه (الحيلة، ٢٠٠٨ : ٢١).

إن التربية من المقومات الأساسية لتكوين الإنسان بصفته أنساناً يمتلك قدرة عقلية تمكنه من استعمالها في مواجهة الحياة؛ تعد الوسيلة والأداة في إعداد المواطن الصالح . (الأمين، ١٩٩٤ : ٨).

وبعد المنهج أحد الوسائل التي تستخدمها التربية في جميع الدول من أجل تحقيق أهدافها وإعداد الأجيال إعداداً مناسباً فهي تعمل على اكتساب الفرد القدرة على حسن التعامل مع الآخرين وإثراء قدرته على اكتساب العادات والقيم السليمة (اللقاني، ١٩٧٩ : ٩٨).

ويشكل المنهج مركزاً أساسياً في العملية التربوية إلى الحد الذي يمكن وصفه بالعمود الفقري للتربية، ونظراً لهذه الأهمية كان لا بد لأي نظام تربوي أن يتبنى منهجاً مدرسياً معيناً يستطيع أن يعكس اتجاهات المجتمع الذي يحيا فيه من أجل تعليم الأفراد وتربيتهم على أسس علمية مدروسة (دندش، ٢٠٠٣ : ٩)، وبهذا أصبح أنواع النشاطات التي يؤديها المتعلمون الخبرات جميعها التي يمرون بها تحت إشراف المدرسة أو بتوجيه منها سواء كان ذلك داخل البنية المدرسية أو خارجها (الساموك وهدي، ٢٠٠٦ : ٤٤).

وتعتبر الاجتماعيات جزءاً مهماً من أجزاء المنهج الدراسي، وهذا يتطلب تزويد منهاج الدراسات الاجتماعية بالوقت الكافي، وبالمواد التدريسية، والإمكانات اللازمة لإنجاحها، وأن لا يكون المعلمون مسؤولين فقط بل لا بد من تشجيعهم على القيام ببنى وتطبيق الاتجاهات الجديدة والجيدة مع تلامذتهم، كأدوات المحاكاة، وطريقة الاستكشاف والمشاركة الاجتماعية الحقيقية، وينبغي أن تحظى الدراسات الاجتماعية بالتأييد القوي من جانب الإداريين والمعلمين ومجالس التربية، والمجتمع المحلي (نزال، ٢٠١٤ : ٥٩)، وتشكل المرحلة الابتدائية قاعدة النظام التعليمي، وتتلأثر في كفاءتها، كفاية النظام التعليمي جميعه، فإن أي عملية تطوير من مهارات، ونشاطات، وطرائق، ومناهج إن لم تعتمد على المرحلة الابتدائية فإن التلامذة الذين ينتقلون من تلك المرحلة إلى مرحلة متقدمة قد يواجهون صعوبات كثيرة في تعليمهم (الوندادي، ٢٠٠٧ : ١٨).

وعند الحديث عن تلامذة الصف الرابع الابتدائي إذ أنهم بهذه المرحلة يكونون قد بلغوا بداية مرحلة التفكير المجرد من حيث أن نمط تفكيرهم يختلف عن نمط تفكير تلامذة الصفوف السابقة لأنهم يسعون في التعرف على البيئة المادية والاجتماعية حوّلهم والتفاعل معها واختبار أفكارهم مع أفكار غيرهم (الخليلي وآخرون، ١٩٩٦ : ٦٥).

حيث أن التدريس على وفق استراتيجيات وطرائق تدريسية حديثة تجعل للمعلم دوراً يختلف عن دوره التقليدي الذي يقتصر على نقل المعارف والعلوم وتلقينها، وتتميز وظائفه بالتجديد ويتطلب أداؤها خبرات جديدة لا بد من اكتسابها، فهو رجل التربية التقني الذي تميز بقدرته على تصميم مجالات التعليم، وتوظيف ما يتوفر من تقنيات تربوية لمصلحة إكساب تلامذته خبرات متنوعة تساعدهم على مواجهة متطلبات العصر، لذا باتت النظرة إلى المعلم على أنه مصمم للبيئة التي تحقق التعلم لذا التجأوا إلى الإستراتيجيات التي تعمل على تنمية عمليات التعلم لدى المتعلمين وتدريبهم على تقدير نشاطات التعلم المختلفة وهي إستراتيجيات التعلم النشط (الهاشمي والدليمي، ٢٠٠٨ : ٣٦)، وهي عبارة





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

عن مجموعة من الإجراءات والأنشطة التي يتبعها المتعلم بتوجيه وإرشاد من المعلم تجربهم على التفكير فيما يتعلمونه (شاهين، ٢٠٠٩ : ١٣٩) .

لذا ارتأى الباحث استخدام إحدى إستراتيجيات التعلم النشط التي قد تساعد على رفع مستوى تحصيل المتعلمين، وهي إستراتيجية داخل وخارج الدائرة لمناسبتها مستوى النمو العقلي للمرحلة العمرية المحددة وفي هذا يؤكد (الشمري، ٢٠١١) بأنه إستراتيجية داخل وخارج الدائرة إستراتيجية مناسبة للمرحلة الابتدائية إذ تشجع جميع الطلاب على الاستماع الفعال والمشاركة الفعالة في مناقشات الفصل (الشمري، ٢٠١١ : ص ٨٠) وإستناداً إلى ما تقدم تنجلي أهمية هذا البحث في الآتي :-

- ١- الثورة المعلوماتية وضرورة مواكبتها.
 - ٢- أن الإستراتيجية مهمة للتطبيق في المرحلة الابتدائية إذ تحتاج هذه المرحلة إلى التفاعل، والأنشطة المختلفة بما يتناسب مع عمر التلامذة ومستوى تفهمهم العقلي .
 - ٣- اهتم البحث باستخدام أحد الإستراتيجيات التدريسية الحديثة والمتطورة لتدريس مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية من خلال التخطيط للدروس بإستراتيجيات التعلم النشط ومنها إستراتيجية (داخل وخارج الدائرة) وكيفية تنفيذها وتقويمها داخل الصف .
 - ٤- تستعين هذه الدراسة بإحدى إستراتيجيات التعلم النشط وهي إستراتيجية (داخل وخارج الدائرة) التي هي على حد علم الباحث تعتبر الأولى في تدريس المواد الاجتماعية في المدارس العراقية .
 - ٥- أهمية المرحلة الابتدائية في إعداد المتعلمين؛ لكونها تمثل حجر الأساس لبقية المراحل التعليمية اللاحقة
- هدف البحث :
- يهدف هذا البحث إلى التعرف على : (أثر إستراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي) .
- فرضية البحث :

لتحقيق هدف البحث وضع الباحث الفرضية الصفرية الآتية :-

ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات تحصيل تلاميذ المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة الاجتماعيات على وفق إستراتيجية داخل وخارج الدائرة، ومتوسط درجات تحصيل تلاميذ المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

حدود البحث

يقتصر البحث على :-

١. تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في المدارس الابتدائية النهارية المختلطة التابعة لمدرسة التربية الكرخ الثالثة في مدينة بغداد للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ .
 ٢. الفصل الأول والثاني من الوحدة الأولى من كتاب مادة الاجتماعيات للصف الرابع الابتدائي المقرر تدريسه للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ .
- تحديد المصطلحات:

أولاً: الإستراتيجية: عرفها كل من :

(عليان، ٢٠١٠) : بأنها: «عملية مخططة تتم من خلال إتباع مجموعة من الإجراءات المنظمة لتنفيذ الدرس وتحقيق أهدافه» (عليان، ٢٠١٠ : ٩٩) .

التعريف الإجرائي: هي «مجموعة الإجراءات التي اعتمدها المُدرِّس (الباحث) داخل غرفة الصف؛ لتدريس أفراد عينة البحث (تلاميذ المجموعة التجريبية) بدءاً من صياغة الأغراض السلوكية وصولاً إلى أساليب التقويم» .





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجيات داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

ثانياً: استراتيجيات داخل وخارج الدائرة

الشمري (٢٠١١) :- هي إحدى استراتيجيات التعلم النشط ،تستخدم للمرحلة الابتدائية وهي نشاط بسيط يمكن التلاميذ من اجراء محادثة جماعية في وقت قصير ،حيث تمكنهم من تبادل الافكار لغرض او هدف محدد وكذلك تشجع جميع الطلاب على الاستماع الفعال والمشاركة الفعالة في مناقشات الفصل(الشمري ،٢٠١١ : ٨٠) التعريف الإجرائي :

إستراتيجية يدرس بها تلاميذ المجموعة التجريبية في عينة البحث ،وفق خطوات مخطط لها تشملها إستراتيجية داخل وخارج الدائرة .

ثالثاً : التحصيل :

العقيل (٢٠٠٣) :- المعرفة والمهارات المكتسبة من قبل المتعلمين كنتيجة لدراسة موضوع أو وحدة تعليمية معينة . (العقيل ،٢٠٠٣ : ٣٩) .

التعريف الإجرائي :

هو مقدار ما حصل عليه تلاميذ الصف الرابع الإبتدائي (عينة البحث) من معلومات في مادة الاجتماعيات مقاساً بالدرجة التي حصل عليها في الاختبار التحصيلي الذي أعده الباحث لأغراض البحث

رابعاً : الاجتماعيات :

نزال (٢٠١٤) : هي تلك العلوم الاجتماعية المبسطة والمعدلة لأغراض تعليمية ،وتعتبر جزء من برنامج دراسي تتضمن (الجغرافية ،التاريخ ،التربية الوطنية) تزود المتعلمين بالمفاهيم والاتجاهات ليكونوا أفراد قادرين على حياة ناجحة ونشطة في مجتمعاتهم (نزال ،٢٠١٤ : ٢٥) .

التعريف الإجرائي :وهو جزء من المنهاج الدراسي للصف الرابع الإبتدائي والمتكون من (الجغرافية ،التاريخ ،التربية الوطنية) ،والذي اعتمده الباحث في تدريسه لكلا المجموعتين .

خامساً : الصف الرابع الإبتدائي :

هو الصف الرابع من المرحلة الإبتدائية المكونة من ستة صفوف والتي تعد التلميذ إلى المرحلة المتوسطة بعد تخرجه من الصف الخامس و السادس الإبتدائي .(وزارة التربية ،١٩٨٧ : ٧٢)

الفصل الثاني

جوانب نظرية

تتضمن الجوانب النظرية ما يلي :

أولاً : التعلم النشط : Active Learning

في ظل التطور المعرفي والنظريات التربوية تأتي إستراتيجيات التدريس الحديثة والتي تعتبر المتعلم محور العملية التعليمية على غرار ما تقوم عليه الإستراتيجيات التقليدية ،وقد بدأ الاهتمام بالتعلم النشط في التسعينات من القرن العشرين وأخذ الاهتمام بتزايد منذ مطلع القرن الحادي والعشرين في الولايات المتحدة الأمريكية ،ودخل المنطقة العربية مع مطلع الألفية الثالثة وأخذ ينتشر في أرجاء مختلفة من البلدان العربية (الأسطل ،٢٠١٠ : ١١) حيث أن فكرة التعلم النشط ليست بالفكرة الجديدة،برغم التعريفات التي يتم طرحها،فهي في الواقع تعود إلى أيام سقراط،كما كانت ماثراً لاهتمام المربين المطورين وعلى رأسهم جون ديوي،ومع ذلك فلو قام شخص بجولة تفقدية لما يدور في حجرة الصف،لتبين له ما يدور من عملية تعليمية تعليمية وهي عبارة عن إجراءات نشطة في حد ذاتها،فهي تقوم على وضع الطلاب ضمن أوضاع تجبرهم أو تشجعهم على القراءة والحديث والاستماع والتفكير والكتابة،وذلك بعكس ما يتم في المحاضرة التقليدية والتي لا تتعدى الاستماع لما يطرحه المعلم (سعادة واخرون،٢٠٠٦ : ٣١) .

وقد ظهرت الحاجة إلى التعلم النشط نتيجة عوامل عدة ،لعل أبرزها حالة الحيرة والارتباك التي يشكو منها المتعلمون





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

بعد كل موقف تعليمي، والتي يمكن أن تفسر بأنها نتيجة عدم اندماج المعلومات الجديدة بصورة حقيقية في عقولهم بعد كل نشاط تعليمي تقليدي (طرية، ٢٠٠٨: ٨٤).

إن للتعليم النشط فلسفة تربوية تعتمد على إيجابية المتعلم في الموقف التعليمي وتشمل جميع الممارسات التربوية والإجراءات التدريسية التي تهدف إلى تفعيل دور المتعلم ودفعه للاعتماد على ذاته في الحصول على المعلومات وتكوين القيم والاتجاهات فهو لا يركز على الحفظ والتلقين وإنما على تنمية التفكير والقدرة على حل المشكلات وعلى العمل الجماعي والتعلم التعاوني (علي، ٢٠١١: ٢٣٤).

إن التعلم النشط يحول بؤرة التدريس من (ماذا يجب عليك أن تدرسه أو توصله للمتعلمين) إلى (ماذا تريد للمتعلمين أن يكونوا قادرين على عمله عن طريق مادة المقرر) (بدوي، ٢٠١٠: ٣٣٢).

حيث يرى سيلبرمان (Silberman) إن المتعلمين في التعلم النشط يستعملون مهاراتهم بفاعلية ويدرسون الأفكار جيداً ويعملون على حل المشكلات، كما يطبقون منها في ضوء استيعابهم في جو من الاستمتاع بعملية التعلم، لأنهم في التعلم النشط يمارسون أنشطة تتناول قضايا حيوية متنوعة (بدير، ٢٠٠٨: ٣٥).

— دور المعلم والمتعلم في التعلم النشط:

أولاً : دور المعلم : The role of the teacher

من الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المعلم في مواقف التعلم النشط ما يأتي:

١. تشجيع المتعلمين ومساعدتهم على كيفية التعلم، والبحث عن مصادر التعلم، وكيفية استخدامها والمفاضلة بينها.
٢. أعداد بيئة داعمة تزيد من دافعية المتعلمين وثقتهم بأنفسهم وتمكنهم من تقبل مسؤوليات تعلمهم واتخاذ قرارات تتعلق بها.
٣. يصغي للمتعلمين ويعمل على إثارتهم والتفاوض معهم بشأن المعاني والأفكار والآراء الكثيرة.
٤. دور المعلم ليس ميسراً للمعارف والمعلومات فقط، بل يعمل على تحويل التفاهات من متعلم لآخر أو من مجموعة إلى أخرى.
٥. توقع الصعوبات التي يواجهها المتعلمون، وتقديم الدعم لهم في الوقت المناسب.
٦. اختيار الأساليب التدريسية الملائمة لمواقف التعلم النشط.
٧. توفير المصادر المادية والبشرية التي تساعد التعلم النشط بما في ذلك توفير الوقت والمكان الملائمين لتسهيله.
٨. توفير المناخ الودي الآمن والداعم وتهيئة البيئة التعليمية التعليمية الغنية وتزويدها بالخرائط المثيرة للتعلم النشط.
٩. طرح الأسئلة التي تشجع على التأمل والتفكير واستخدام المعارف المختلفة وحل المشكلات (المالكي، ٢٠١٠: ٤٢).

ثانياً : دور المتعلم : The role of the learner

يمكن تلخيص دور المتعلم في مواقف التعلم النشط فيما يأتي :

١. رغبته الحقيقية للمشاركة في الخبرات التعليمية التعليمية.
 ٢. يتمتع في الموقف التعليمي النشط بالإيجابية والفاعلية، والمشاركة في تخطيط وتنفيذ الدروس.
 ٣. يبحث عن المعلومة بنفسه من مصادر متعددة، ويشارك في تقييم نفسه ويحدد مدى ما حققه من أهداف.
 ٤. يكون له القدرة على المناقشة وإدارة الحوار والمشاركة في البيئة التعليمية.
 ٥. ثقته بقدراته في التعامل بنجاح مع البيئة التعليمية التعليمية المحيطة به.
 ٦. يفكر تفكيراً ناقداً في طريقه تعلمه وجودة هذا التعلم، مما يتيح له بناء المعرفة وتطويرها.
 ٧. توظيفه للمعارف والمهارات والاتجاهات التي اكتسبها في مواقف تعليمية وحياتية جديدة (الحري، ٢٠١٠: ٢٩).
- (المالكي، ٢٠١٠: ٤٤).

ثانياً: استراتيجية داخل وخارج الدائرة

وهي إحدى استراتيجيات التعلم النشط، تستخدم للمرحلة الابتدائية وهي نشاط بسيط يمكن التلاميذ من اجراء محادثة جماعية في وقت قصير، حيث تمكنهم من تبادل الافكار لغرض او هدف محدد وكذلك تشجع جميع الطلاب على





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

الاستماع الفعال والمشاركة الفعالة في مناقشات الفصل. (الشمري، ٢٠١١: ٨٠)

-المهارات التي تضمنتها الاستراتيجية

التحدث بمدوء، التحرك من أجل الهدف، تبادل المعلومات، الاستماع، تلخيص أفكار الآخرين، التنبؤ، مساعدة الآخرين، طرح الأسئلة.

خطوات الاستراتيجية

- يقسم المعلم التلاميذ الى اربعة مجاميع

-تشكيل كل مجموعتين دائرة خارجية ودائرة داخلية

-تلاميذ الدائرة الداخلية يقابلون تلاميذ الدائرة الخارجية وجها لوجه

-يعطي المعلم تلاميذ الدائرة الداخلية بطاقات تحتوي على اسئلة واجاباتها في جهة واحدة من البطاقة (مثال اسئلة اختيار من متعدد)

- تستمر الدائرة الخارجية بالدوران حتى تكتمل الدورة .

-يقدم المعلم بطاقات اخرى جديدة ويطلب من التلاميذ تبادل الادوار بين المجموعتين الداخلية والخارجية

-ليس من الضرورة استخدام البطاقات فقد يطلب المعلم من المجموعة الداخلية طرح اسئلة حول الدرس (الشمري ٨٠، ٢٠١١)

الدراسات سابقة

تناول هذا المحور بعض من الدراسات المقارنة لدراسة البحث الحالي كون أنه لم يتم العثور على أي دراسة عراقية أو عربية أو أجنبية تكون قد تناولت المتغير المستقل آلا وهو إستراتيجية (داخل وخارج الدائرة) لذا تم الأخذ بدراسات مقارنة حيث اختيرت دراسات متنوعة ما بين الدراسات التي تناولت بعض من إستراتيجيات التعلم النشط، والمرحلة الابتدائية

١. دراسة مذکور (٢٠٢) :

• أجريت الدراسة في العراق - بغداد .

• هدفت هذه الدراسة التعرف على أثر أسلوب الدور التمثيلي في تحصيل تلميذات الصف الخامس الابتدائي في مادة الجغرافية .

• اعتمدت الباحثة المنهج التجريبي ، حيث تكونت عينة الدراسة من (٦٧) تلميذة بواقع (٣٣) تلميذة للمجموعة التجريبية و (٣٤) تلميذة للمجموعة الضابطة .

• تمثلت أداة البحث بالاختبار التحصيلي البعدي في مادة الجغرافية .

• الوسائل الإحصائية : الاختبار التائي لتحليل البيانات وبيان الفرق ذو الدلالة الإحصائية بين المجموعتين .

• أظهرت نتائج الدراسة وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط تحصيل تلميذات المجموعة التجريبية اللواتي درسن وفق أسلوب الدور التمثيلي ومتوسط تحصيل تلميذات المجموعة الضابطة اللواتي درسن وفق الطريقة الاعتيادية لصالح المجموعة التجريبية .

• أوصت الدراسة بالتأكيد على أسلوب الدور التمثيلي في مادة الجغرافية في المرحلة الابتدائية من خلال الدورات التأهيلية في مديريات الإعداد والتدريب

٢. دراسة عبد الوهاب (٢٠٠٤) :

• أجريت الدراسة في مصر

• هدفت الدراسة إلى معرفة فعالية استخدام بعض إستراتيجيات التعلم النشط في تحصيل العلوم وتنمية بعض مهارات التعلم مدى الحياة والميول لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي .

• استخدمت الباحثة المنهج التجريبي ، وكانت عينة الدراسة (٧٠) تلميذ مقسمة إلى (٣٥) تجريبية و(٣٥) ضابطة .

• أدوات الدراسة كانت عبارة عن الاختبار التحصيلي ، واختبار مهارات التعلم مدى الحياة ومقياس الميول العلمية





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

، واستخدمت الباحثة اختبار (T-test) لمعرفة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية ، كما استخدمت مربع آيتا لمعرفة حجم التأثير .

• توصلت الدراسة إلى تفوق المجموعة التجريبية التي استخدمت إستراتيجيات التعلم النشط على المجموعة الضابطة في التحصيل وفي مهارات التعلم مدى الحياة ، والميول العلمية مقارنة بالمجموعة الضابطة .

• أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بممارسة وتدريب التلاميذ ، وبصفة خاصة في المرحلة الابتدائية وأكدت على استخدام إستراتيجيات التعلم النشط .

ما تميزت به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

- تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة من حيث أخذها لمتغير مستقل واحد كما في دراسة كل من (مذكور ٢٠٠٢) ، أما دراسة (عبد الوهاب ، ٢٠٠٤) فقد تناولت أكثر من متغير مستقل.

- ومن حيث المتغير التابع (التحصيل) إذ تتفق الدراسة الحالية في تناولها لهذا المتغير مع دراسة (مذكور ٢٠٠٢) ، ودراسة (عبد الوهاب ٢٠٠٤) .

- و من حيث نتائج الدراسة فقد أظهرت جميع الدراسات تفوقاً للمجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة وأكدت على الأثر الإيجابي لإستراتيجيات التعلم النشط في المتغيرات التابعة التي تناولتها كل دراسة ، وفي هذا البحث سيقوم الباحث بعرض النتائج التي توصل إليها عن طريق إجراء تجربته ومن ثم تفسيرها وفقاً لطبيعة البحث وفرضيته .

جوانب الافادة من الدراسات السابقة:

أفاد الاطلاع على الدراسات السابقة الباحث في:

١- الاطلاع على المصادر ذات العلاقة بموضوع البحث.

٢ - اختيار عينة البحث الملائمة.

٣- اختيار التصميم التجريبي الملائم لهذه الدراسة.

٤- تحديد متغيرات تكافؤ البحث.

٥- اختيار الوسائل الاحصائية الملائمة.

الفصل الثالث:

أجراءات البحث

يتضمن هذا الفصل عرضاً لإجراءات البحث ومنها اختيار التصميم التجريبي، ومجتمع البحث وعينته، وأداته، وتطبيق التجربة وما له صلة بها، والوسائل الإحصائية وعلى ما يأتي:

أولاً: منهج البحث: اتبع الباحث المنهج التجريبي في تطبيق بحثه، وقد اختار الباحث التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي، لأنه أكثر ملاءمة لإجراءات بحثه وكما مبين في الشكل الآتي:

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	نوع الاختبار
التجريبية	إستراتيجية داخل وخارج الدائرة	التحصيل	بغدي
الضابطة	—		

يوضح التصميم التجريبي للبحث

ثانياً: مجتمع البحث: يشتمل مجتمع البحث على تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في بغداد - المديرية العامة لتربية الكرخ الثالثة للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨.

ثالثاً: عينة البحث: لغرض اختيار مدرسة من المدارس الابتدائية للذكور ميداناً لتطبيق التجربة، سيضع الباحث عدداً من الشروط التي يرى ضرورة توافرها في المدرسة وهي





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

١. أن يكون جنس المدرسة ذكور فقط وأن لا يقل عدد شعب الصف الرابع الابتدائي فيها عن شعبتين، لإتاحة الفرصة لاستعمال العشوائية في اختيار الشعبتين التجريبية والضابطة.
٢. أن يكون المكان الجغرافي للمدرسة ضمن محافظة بغداد، وضمن مدارس المديرية العامة لتربية الكرخ الثالثة.
- لذلك اختار الباحث مدرسة (طه حسين) لتوفر المتطلبات السابقة فيها، بعد ذلك كان لا بد من تحديد عينة التلاميذ في المدرسة المذكورة وقد كانت تضم المدرسة ثلاث شعب للصف الرابع الابتدائي واختار الباحث عشوائياً شعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية واختاراً الشعبة (ج) لتمثل المجموعة الضابطة. وقد بلغ عدد تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في الشعبتين (٧٠) تلميذ بواقع (٣٦) تلميذ للمجموعة التجريبية و (٣٤) تلميذ للمجموعة الضابطة وبعد استبعاد التلاميذ الراسين البالغ عددهم (٦) تلميذ، أصبح عدد التلاميذ النهائي (٦٤) تلميذ، وبواقع (٣٢) تلميذ لكل مجموعة، وكما مبيّن في الجدول (١)

جدول رقم (١) عدد التلاميذ في كل مجموعة

المجموعة	الشعبة	العدد قبل الاستبعاد	العدد بعد الاستبعاد
التجريبية	ب	٣٦	٣٢
الضابطة	ج	٣٤	٣٢

رابعاً: / تكافؤ مجموعتي البحث : حرص الباحث قبل الشروع ببدء التجربة على تكافؤ تلاميذ مجموعتي البحث إحصائياً، في عدد من المتغيرات التي يعتقد أنها تؤثر في سلامة التجربة، على الرغم من أن تلاميذ العينة من منطقة واحدة، ومن الجنس نفسه وهذه المتغيرات هي: العمر الزمني للتلاميذ، والذكاء، واختبار المعرفة السابقة، والجدول (٢) ادناه يوضح النتائج التي توصل إليها باستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين .

ت	المجموعة	العدد	المتغيرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	شعبة	مستوى دالة
	التجريبية	٣٢	فصل قرائي	١٥٤,٨٠	٥,٨	فصلية	٠,٠٥
	الضابطة	٣٢	فصل قرائي	١٥٤,٨٣	٥,٥٢	فصلية	٠,٠٥
	التجريبية	٣٢	فصل قرائي	٣١,٠٢	٨,٢٣	فصلية	٠,٠٥
	الضابطة	٣٢	فصل قرائي	٣٢,٢٣	٦,٨٠	فصلية	٠,٠٥
	التجريبية	٣٢	فصل قرائي	١٩,٣٧	٣,٦٧	فصلية	٠,٠٥
	الضابطة	٣٢	فصل قرائي	١٨,٦٣	٣,٦٦	فصلية	٠,٠٥

جدول رقم (٢) العمر الزمني للتلاميذ، والذكاء، واختبار المعرفة السابقة

خامساً : ضبط المتغيرات الدخيلة : يتأثر المتغير التابع بعوامل متعددة غير العامل التجريبي لذلك لا بُدّ من ضبط هذه العوامل، وإتاحة المجال للمتغير التجريبي وحده لتأثير في المتغير التابع، وبعد ضبط المتغيرات واحداً من الإجراءات المهمة في البحث التجريبي وذلك لتوفير درجة مقبولة من الصدق الداخلي للتصميم، بمعنى أن يتمكن الباحث من





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

عزو معظم التباين في المتغير التابع الى المتغير المستقل في الدراسة، وليس إلى متغيرات أخرى، ولغرض الحفاظ على سلامة التجربة، حاول الباحث ضبط بعض المتغيرات الدخيلة التي قد تؤثر في دقة النتائج، وعلى الرغم مما قام به الباحث من إجراء التكافؤ الإحصائي بين مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات، إلا أنه حاول قدر الإمكان السيطرة على عدة من المتغيرات الدخيلة، وفيما يأتي هذه المتغيرات، وكيفية ضبطها:

١ - الحوادث المصاحبة: لم تتعرض التجربة في البحث الحالي إلى أي ظرف طارئ، أو حادث يعرقل سيرها .
٢ - الاندثار التجريبي: المقصود به الأثر المتولد من ترك، أو انقطاع بعض التلاميذ الخاضعين للتجربة مما يؤثر في متوسط التحصيل. (الزويبي ومحمد، ١٩٨١ : ٩٨).

لم يتعرض البحث الحالي لحالات الترك، أو الانقطاع، أو الانتقال طيلة مدة التجربة، عدا حالات الغياب الفردية وهي حالة طبيعية، إذ إن مجموعتي البحث كانتا تتعرضان لها بنسب ضئيلة، ومتساوية تقريباً.

٣- اختيار أفراد العينة: حاول الباحث تفادي تأثير هذا العامل في نتائج البحث، وذلك بإجراء عمليات التكافؤ الإحصائي بين تلاميذ مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات، وذلك لظروف التلاميذ الاجتماعية والاقتصادية التي تكاد تكون متشابهة إلى حد كبير، فضلاً عن أن التلاميذ ينتمون إلى بيئة اجتماعية واحدة.

٤- أداة القياس: استعمل الباحث أداة واحدة موحدة (اختبار التحصيل)

٥- الإجراءات التجريبية: لقد حرص الباحث على جعل هذا العامل غير مؤثر في سير التجربة وتمثل ذلك في سرية البحث، وتوزيع الحصص الدراسية، ومدة التجربة.

سادساً: مستلزمات البحث

أ-تحديد المادة العلمية: خدد الباحث المادة العلمية التي سيدرسها وقد اشتملت على الوحدة الأولى (الفصل الأول والفصل الثاني) من كتاب الاجتماعيات للصف الرابع الابتدائي

ب-صياغة الأهداف السلوكية : حيث تم صياغة (٦٠) هدفاً سلوكياً في ضوء الأهداف العامة لتدريس مادة الاجتماعيات، ومحتوى المادة العلمية المقررة لمدة التجربة، تناول الباحث المستويات الثلاثة من تصنيف بلوم والمتمثلة في (معرفة ، فهم ، تطبيق) ، ملائمتها لأعمار عينة البحث وإمكانية ملاحظتها وقياسها، ولأنها أكثر شيوعاً واستعمالاً. (Bloom، ١٩٧١ : ١٧٧) ، وقد عرض الأهداف السلوكية على مجموعة من المحكمين والخبراء في مجال التربية وطرائق التدريس، لبيان آرائهم وملاحظاتهم جرت إعادة صياغة بعض الأهداف السلوكية وتعديل المستوى الذي تقيسه، وحصلت الأهداف السلوكية على نسبة اتفاق (٨٠٪) من آراء الخبراء أي قبلت الأهداف جميعها بعد إجراء بعض التعديلات والملاحظات التي أبدها الخبراء

ج-إعداد الخطط التدريسية : في ضوء محتوى المادة التعليمية والإغراض السلوكية ، جرى إعداد الخطط التدريسية لمجموعتي البحث، وبواقع (٢٠) خطة لكل مجموعة وقد عرضت نماذج من هذه الخطط على مجموعة من الخبراء، لبيان آرائهم وملاحظاتهم وقد اخذ بما اتفق عليه معظمهم من ملاحظات .

سابعاً: أداة البحث : ويتطلب البحث الحالي ما يأتي

١-اختبار تحصيلي في مادة الاجتماعيات:

ومن متطلبات هذا البحث وجود اختبار تحصيل لقياس أثر المتغير المستقل في المتغير التابع (التحصيل)، ولعدم وجود اختبار تحصيلي جاهز، فقد أعد الباحث اختباراً تحصيلياً في ضوء الأهداف السلوكية ومستوياتها ومحتوى المادة الدراسية المحددة في التجربة، فالاختبار الجيد هو الذي يوفق بين الأهداف السلوكية من ناحية ومحتوى المادة العلمية من ناحية أخرى، وقد بلغت عدد فقرات الاختبار التحصيلي (٣٠) فقره لكل فقرة ثلاث بدائل تمثل أحدها الإجابة الصحيحة ملحق(١)، وقد اتبع الباحث الخطوات الآتية في إعداد الاختبار .

أ-إعداد جدول المواصفات : أعد الباحث خريطة إختبارية تحتوي الفصول الأول والثاني من كتاب الاجتماعيات المقرر





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

للفصل الرابع الابتدائي، وُحدّد أوزان محتوى الفصول في ضوء عدد الأهداف لكل فصل، و اعتمد الباحث في تحديد الأسئلة في كل مستوى على الوزن لمتوي لكل مستوى (معرفة، فهم، تطبيق)، وتمّ تحديد عدد فقرات الاختبار بـ (٣٠) فقره اختيارية وزعت على محتوى الفصول الأول والثاني والمستويات (معرفة، فهم، تطبيق) للأهداف السلوكية بحسب تصنيف بلوم على وفق نسبتها في الخريطة الاختبارية

جدول (٣)

جدول الموازنة

ت	الفصل	عدد الأهداف	الأهمية النسبية	عدد الأهداف السلوكية لكل مستوى			عدد فقرات كل مستوى			عدد الفقرات
				معرفة	فهم	تطبيق	معرفة	فهم	تطبيق	
١	الأول	٢٠	%٣٣	١٠	٨	٢	٥	٤	١	١٠
٢	الثاني	٤٠	%٦٧	٢٠	١٥	٥	١٠	٨	٢	٢٠
	المجموع	٦٠	%١٠٠	٣٠	٢٣	٧	١٥	١٢	٣	٣٠

ب- صياغة فقرات الاختبار: اختار الباحث من الاختبارات الموضوعية، الاختبار من متعدد ليكون هذا النوع من الاختبارات تمتاز بمزايا كثيرة منها، متعددة الاستخدام حيث تستخدم لتحديد قدرة الطالب على استدعاء معلومات معينة ويمكن الفاحص من قياس مدى تحقيق جميع الأهداف التربوية لاسيما ما يتعلق منها بالعمليات العقلية الدنيا (المعرفة والفهم والتطبيق) وتقلل من تخمين الجواب الصحيح أو تخمينه إلى أدنى حد ممكن بسبب تعدد المموهات والبدائل (عمر وآخرون ٢٠١٠: ٤٤٢) وبلغت فقرات الاختبار التحصيلي (٣٠) فقرة من نوع الاختبار من متعدد ووضع الباحث التعليمات الآتية عند مقدمة الاختبار وهي

١- الإجابة على ورقة الأسئلة.

٢- عدم ترك أي سؤال دون إجابة.

٣- تعامل الفقرة المتروكة مثل الفقرة الخطأ أي صفر

٤- تعطى درجة واحدة لكل اجابة صحيحة، وصفر لكل أجابة غير صحيحة او متروكة او متعدد الإجابة وللتحقق من صلاحية فقراته اتبع الباحث الخطوات الآتية :

١- صدق الاختبار

أ- الصدق الظاهري: تم عرض الاختبار على مجموعة من الخبراء في مادة الجغرافية والتاريخ وطرائق تدريسها ، ليقرأ مدى تمثيل الفقرات الاختبارية للصفة والموضوع الدراسي المراد قياسه لبيان آرائهم ومقترحاتهم في مدى صدق قياس هذه الفقرات للأهداف السلوكية، وفي ضوء ملاحظاتهم ومقترحاتهم، أعيدت صياغة بعض الفقرات استخدمت النسبة المئوية معياراً لقياس صلاحية الفقرات ، إذ حصلت على موافقة أكثر من (٨٠٪) من آراء المحكمين ولذلك لم تحذف أي فقرة، وبهذا فإن عدد الفقرات بقي كما هو (٣٠) فقرة، جميعها صالحة لقياس التحصيل الدراسي .

ب- صدق المحتوى : قد أعدَّ الباحث اختبار التحصيل و جدول المواصفات وعرضهما على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في طرائق التدريس والقياس والتقويم لإبداء آرائهم وملاحظاتهم في صلاحية الفقرات وصحة إعداد جدول المواصفات، وفي ضوء آرائهم وملاحظاتهم أجريت بعض التعديلات على فقرات الاختبار وتم التثبت من صحة إعداد جدول المواصفات وبذلك تم التوصل إلى صدق المحتوى





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

-التطبيق الاستطلاعي والتحليل الإحصائي لفقرات الاختبار
التطبيق الاستطلاعي هو للتثبت من وضوح فقرات الاختبار وتعليماته ، والوقت المستغرق في الإجابة عنه فكان متوسط زمن الإجابة عن فقرات الاختبار التحصيلي (٤٠) دقيقة .
إما التحليل الإحصائي لغرض معرفة مستوى صعوبة فقرات الاختبار وقوة تمييزها وفعاليتها بدائلها المخطوطة طبق الباحث الاختبار على عينة ماثلة لعينة البحث تكونت من (١٠٠) تلميذ من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في (مدرسة المنتهي) ، وبعد تصحيح أجابات التلاميذ قسم الباحث الأفراد إلى مجموعتين عليا ودنيا الفئة العليا (٥٠٪) والفئة الدنيا (٥٠٪) لأننا تعطينا حجم وتمايز دقيق عن معامل الصعوبة والتمييز وفعالية البدائل المخطوطة ويشير (عودة، ١٩٩٣) إذ كان عدد الطلاب (١٠٠) فأقل يمكن قسمة الطلبة إلى فئتين هما فئة عليا (٥٠٪) وفئة دنيا (٥٠٪) لأننا تزودنا بمعلومات دقيقة جدا عن المجموعتين . (عودة، ١٩٩٣، ٢٨٥) ثم جرى تحليل أجابات كل من المجموعتين العليا والدنيا من حيث صعوبة الفقرات وقوة تمييزها وفعالية البدائل وثبات الاختبار إذ بلغت قيمته (٠,٩٠) وأصبح الاختبار بصيغته النهائية يتكون من (٣٠) فقرة .
ثامناً: تطبيق التجربة

اجرى الباحث في أثناء تطبيق التجربة ما يأتي :

- ١-طبقت التجربة على أفراد المجموعتين في الفصل الأول للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨
- ٢-اجرى الاختبار التحصيلي على المجموعتين بنفس الوقت و بمساعدة معلم الجغرافية في المدرسة
- تاسعاً : الوسائل الاحصائية: اعتمدت الوسائل الاحصائية الآتية
- معادلة كودر ريتشاردسون ٢٠ : لاستخراج ثبات الاختبار . (ملحم ، ٢٠٠٢ : ٢٦٥)
- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين
- معامل الصعوبة : لحساب قوة صعوبة الفقرات .
- قوة التمييز : لاستخراج القوة التمييزية لفقرات الاختبار .
- فعالية البدائل الخاطئة: استعملت لحساب فعالية البدائل غير الصحيحة لفقرات الاختبار من متعدد التي تألف منها الاختبار

الفصل الرابع:

عرض النتائج وتفسيرها

تحقيقاً لهدف البحث الحالي، وللإجابة عن الفرضية التي تضمنها البحث، حللت بيانات الاختبار، لمعرفة الدلالة الإحصائية للفروق في الأوساط الحسابية للدرجات التي حصل عليها تلاميذ المجموعة التجريبية، و المجموعة الضابطة، وكما يأتي:

أولاً: عرض النتائج:

١-نتائج التحصيل

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق إستراتيجية داخل وخارج الدائرة ، وبين متوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل وللتحقق من صحة الفرضية، طبق الباحث اختبار التحصيل على مجموعتي البحث بعد انتهاء التجربة وبعد تصحيح الإجابات عولجت البيانات إحصائياً فأتضح ان الفرق كان بدلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) إذ كانت القيمة التائية المحسوبة لدلالة الفرق (٥,٦٥) أكبر من القيمة التائية الجدولية (٢,٠٠٠) بدرجة حرية (٦٢) وكان هذا الفرق لصالح المجموعة التجريبية وبذلك ترفض الفرضية الصفرية وجدول (٤) يوضح ذلك:





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

جدول (٤)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لتلاميذ مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة ٠.٠٥
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٢	٢٤,٨٤	٤,٤٢	٦٢	٨,٦٥	٣	دال إحصائياً
ضابطة	٣٢	٢٠,٠٩	٢,٣٤				

ثانياً: تفسير النتيجة :

في ضوء النتيجة التي عُرضت في جدول (٤)، ظهر تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية الذين درسوا بإستراتيجية داخل وخارج الدائرة على تلاميذ المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية، ويرى الباحث أن سبب ذلك قد يعود إلى:

١- إن إستراتيجية داخل وخارج الدائرة من ضمن إستراتيجيات التعلم النشط التي تعمل على جعل التلاميذ مشاركين في عملية التعلم والتعليم، إذ يكونوا إيجابيين وليس سلبيين كما في الطريقة التقليدية.

٢- إن هذه الاستراتيجية حققت جواً من التفاعل داخل غرفة الصف بين المعلم والتلاميذ وبين التلاميذ أنفسهم ومن ثم أصبح دورهم أكثر إيجابية في الموقف الصفّي.

٣- ساعدت هذه الإستراتيجية على تحويل المادة الدراسية من مادة صعبة وجافة إلى مادة مبسطة مرنة، مما يؤدي إلى سهولة فهمها واستقبالها وحب المادة الدراسية

الفصل الخامس

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات:

١. إستراتيجية القصصات ساهمت في زيادة تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة الاجتماعيات مقارنة بالطريقة التقليدية

٢. إستراتيجية القصصات أثبتت فاعليتها في جعل المتعلمين محوراً للعملية التعليمية وهذا ما تحدف إليه جميع الدراسات والإستراتيجيات الحديثة.

التوصيات :

١- اعتماد إستراتيجية داخل وخارج الدائرة في تدريس الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية لما لها من الخصائص والأثر الإيجابي في زيادة مستوى التحصيل

٢- توجيه المشرفين التربويين والمهتمين بطرائق التدريس بضرورة الاعتماد على إستراتيجيات التدريس الحديثة، ولاسيما إستراتيجية داخل وخارج الدائرة في تدريس مادة الاجتماعيات للصف الرابع الابتدائي.

المقترحات:

١- إجراء دراسة مماثلة على مراحل دراسية أخرى.

٢- إجراء دراسة مماثلة في مواد دراسية أخرى

المصادر

١- الأسطل، محمد زياد (٢٠١٠)، أثر تطبيق إستراتيجيتين للتعلم النشط في تحصيل طلاب الصف التاسع في مادة التاريخ وفي تنمية تفكيرهم الناقد، جامعة الشرق الأوسط للدراسات





أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

- ٢- أمبو سعيدي، عبد الله خميس، الحوسنية، هدى بنت علي (٢٠١٦)، إستراتيجيات التعلم النشط (١٨٠) إستراتيجية مع الأمثلة التطبيقية) ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- ٣- بدوي، رمضان سعد (٢٠١٠)، التعلم النشط، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
- ٤- بدير، كرمحمد محمد (٢٠٠٨)، التعلم النشط، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- ٥- خلف، أرشد ذياب (٢٠١٤)، تدني المستوى التعليمي الأسباب والمعالجات، دائرة البحوث، مجلس النواب، جمهورية العراق.
- ٦- شاهين، نجاة (٢٠٠٩)، أثر استخدام إستراتيجيات التعلم النشط على التحصيل وتنمية عمليات العلم لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي، مجلة التربية العملية (مجلة علمية محكمة)، المجلد (١٢)، غزة، فلسطين.
- ٧- الشمري، ماشي بن حمد (٢٠١١)، ١٠١ إستراتيجية في التعلم النشط، وزارة التربية والتعليم، ط١، السعودية.
- ٨- عبد الوهاب، فاطمة محمد (٢٠٠٤)، فاعلية استخدام بعض إستراتيجيات التعلم النشط في تحصيل العلوم وتنمية بعض مهارات التعلم مدى الحياة والميول العلمية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مجلة التربية العلمية، المجلد الثامن، العدد (٢).
- ٩- العقيل، إبراهيم (٢٠٠٣)، الشامل في تدريب المعلمين مهارات الأسئلة الصعبة والاختبارات التحصيلية، ط١، الجزء السادس، دار الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- ١٠- علي، محمد السيد (٢٠١١)، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرائق التدريس، ط١، دائرة المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- ١١- مذكور، بشرى حسن (٢٠٠٢): أثر اسلوب الدور التمثيلي في تحصيل تلميذات الصف الخامس الابتدائي في مادة الجغرافية، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، رسالة ماجستير غير منشورة.
- ١٢- نزال، شكري حامد (٢٠١٤)، مناهج الدراسات الاجتماعية وأصول تدريسها، ط١، دار الكتاب الجامعي، الإمارات.
- ١٣- الهاشمي، عبد الرحمن عبد، الدليمي، طه علي حسين (٢٠٠٨)، استراتيجيات حديثة في فن التدريس، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- ١٤- وزارة التربية (١٩٨٧)، نظام المدارس الابتدائية، مديرية مطبعة وزارة التربية، بغداد، العراق.
- ١٥- الوندوي، صباح جليل خليل (٢٠٠٧)، أثر أتموزجي ميرل-تينسون وكلوز ماير التعليميين في اكتساب تلامذة المرحلة الابتدائية المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة الكردية والاحتفاظ بها، أطروحة دكتورا غير منشورة، كلية التربية/ ابن رشد، بغداد، العراق.
- ١٦- الحيلة، محمد محمود، (٢٠٠٨): أساسيات تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية، ط٤، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- ١٧- دندش، فايز مراد، (٢٠٠٣): اتجاهات جديدة في المناهج وطرائق التدريس، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية.
- ١٨- الساموك، سعدون وهدى الشمري، (٢٠٠٦): مناهج التربية الإسلامية - البنية والتحليل، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- ١٩- عليان، شاهر ربحي، (٢٠١٠): مناهج العلوم الطبيعة وطرق تدريسها النظرية والتطبيق، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- ٢٠- الأمين، شاكر محمود وآخرون، (١٩٩٤): أصول تدريس المواد الاجتماعية، لمعاهد المعلمين، ط٤، مكتبة الصياد للطباعة، بغداد.
- ٢١- عبد السلام، مصطفى، (٢٠٠٦): تدريس العلوم ومتطلبات العصر، ط١، دار الفكر العربي، مصر.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

- ٢٢- الحربي، خالد عودة، ٢٠١٠، « أثر التعلم النشط في التحصيل والاتجاه نحو الفيزياء لدى طلاب الصف الثانوي بالمدينة المنورة »، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، جامعة طيبة.
- ٢٣- سعادة، جودت احمد، وآخرون، ٢٠٠٦، التعلم النشط بين النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الاردن.
- ٢٤- المالكي، عبد الملك، ٢٠١٠، « فاعلية برنامج مقترح على اكتساب معلمي الرياضيات بعض مهارات التعلم النشط وعلى تحصيل واتجاهات طلابهم نحو الرياضيات » اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة ام القرى.
- ٢٥- العجيلي، شمران، وحزمة، كريم محمد، ٢٠١١، المشروع الاستراتيجي التعليم في العراق، ط١، بيت الحكمة، بغداد العراق
- ٢٦- طرية، محمد عصام (٢٠٠٨)، طرق وأساليب التدريس الحديثة، ط١، دار حموزي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن .
- ٢٧- اللقاني، احمد حسين، (١٩٧٩): المواد الاجتماعية وتنمية التفكير الناقد، ط١، عالم الكتب، القاهرة .
- ٢٨- رضوي، علي عباس، ٢٠١٣، التراجع العلمي والتربوي في العراق الاسباب والمعالجات، دائرة البحوث، مجلس النواب، جمهورية العراق.
- ٢٩- الخليلي، خليل يوسف، وآخرون (١٩٩٦)، تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، ط١، دار القلم، دبي
- ٣٠- الزويبي، عبد الجليل، ومحمد الغنام، (١٩٨١)، مناهج البحث في التربية، ج ١، مطبعة جامعة بغداد
- ٣١- عمر، محمود، وآخرون، (٢٠١٠)، القياس النفسي والتربوي، ط١، دار المسيرة للنشر، عمان
- ٣٢- عودة، احمد سليمان، (١٩٩٣)، القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان .

Hand book on formative and summative, (١٩٧١).Bloom.B.S-٣٣
Evaluation of student Learning, Mc Graw Hill book co. New York

ملحق (١)

تعليمات الاختبار التحصيلي

الاسم :

الصف والشعبة :

المدرسة :

عزيزي التلميذ :

يتضمن الاختبار (٣٠) فقرة من نوع اختبار من متعدد، لكل فقرة ثلاث إجابات واحدة منها صحيحة .
التعليمات :

اقرأ كل سؤال بدقة وعناية.

أجب عن جميع الأسئلة من دون ترك سؤال من غير إجابة.

عدم اختيار أكثر من إجابة واحدة في كل فقرة.

إجابة الفقرة الصحيحة لها درجة واحد وصفر للإجابة الخاطئة أو المتروكة.

أتبع حل الأسئلة حسب المثال التوضيحي

المثال التوضيحي :

ضع دائرة ● حول الإجابة الصحيحة للعبارات الآتية:-

س/ يجري بحر الفرات في الأراضي :-





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

١. اللبنانية ب - العراقية ج. المصرية

مع تمنياتي لكم بالنجاح

١- من اشكال الظواهر الطبيعية هو:

أ- المطر ب- السيارة ج- البيت

٢- اذا كان الشرق عن يميني يكون الغرب عن:

أ- خلفي ب- يساري ج- امامي

٣- العلم الذي يدرس المكان بما تحويه من ظواهر طبيعية وبشرية يعرف ب:

أ- الاجتماع ب- الجغرافية ج- التاريخ

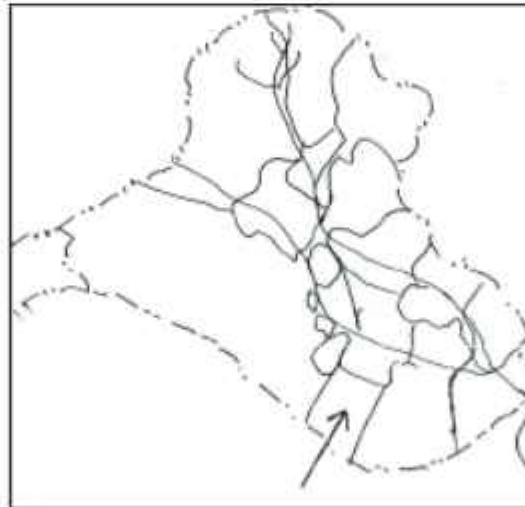
٤- الخط الرئيس الذي يحيط بالخريطة من جميع جهاتها يعرف ب:

أ- اطار الخريطة ب- عنوان الخريطة ج- مقياس الرسم

٥- تجمع سكاني كبيرة المساحة كثيرة السكان تعرف ب:

أ- القرية ب- المدينة ج- الناحية

٦- الموقع الذي يشير اليه السهم في الخريطة الماثلة امامك يعرف بمحافظه:



أ- النجف ب- الأنبار ج- دهوك

٧- الجهة الواقعة بين الشمال والشرق هي:

أ- الشمال الغربي ب- الشمال الشرقي ج- الجنوب الشرقي

٨- الظواهر التي يتدخل الانسان في تكوينها تعرف بالظواهر:

أ- البشرية ب- الطبيعية ج- الاجتماعية

٩- محافظة نذهب إليها لغرض الاصطياف في الصيف هي محافظة:

أ- الحلة ب- أربيل ج- الأنبار

١٠- للتقليل من التلوث يجب:

أ- زرع الأشجار ب- زيادة دخل الفرد ج- بناء الأبنية

١١- عاصمة العراق هي:

أ- بغداد ب- البصرة ج- الموصل





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

١٢- تحتاج الخارطة لـ :

أ- كشف الطرق وتعييدها ب- لمعرفة مواقع الدول ج- لتحديد مسارات الطائرات

١٣- يبلغ عدد قارات العالم :

أ- سبعة ب- ستة ج- خمس

١٤- يسمى العراق ببلاد :

أ- النيل ب- الأناضول ج- الرافدين

١٥- النبات الذي ينمو دون تدخل الإنسان هو :

أ- النخيل ب- النبات الطبيعي ج- النباتات المزروعة

١٦- يعد الجبل من الظواهر :

أ- البشرية ب- الطبيعية ج- الحضارية

١٧- عدد أشهر السنة هي :

أ- خمسة عشر ب- اثنا عشر ج- تسعة أشهر

١٨- من خلال الخارطة الآتية ، الحرف الذي يدل على السعودية هو :



١٩- يمتلك العراق أكبر نسبة من احتياطي الـ :

أ- الكبريت ب- النفط ج- الحديد

٢٠- تكثر الزراعة في العراق في جهاته :

أ- الوسطى ب- الجنوبية ج- الغربية

٢١- النجم القطبي في السماء يكون :

أ- متحرك ب- ثابت ج- موسمي الظهور

٢٢- من أنواع النبات :

أ- الزهرة ب- السيارة ج- الفوسقات

٢٣- من المظاهر البشرية هي :

أ- المدينة ب- النهر ج- الرياح

٢٤- تغرب الشمس من جهة :

أ- الغرب ب- الشرق ج- الشمال

٢٥- المصدر الرئيسي للمياه :

أ- البحيرات ب- الآبار ج- الأمطار

٢٦- يسمى المكان الذي توضع فيه رموز الخارطة بـ :

أ- المفتاح ب- المقياس ج- العنوان

٢٧- تقسم الاتجاهات الرئيسية للخريطة إلى اتجاهات :

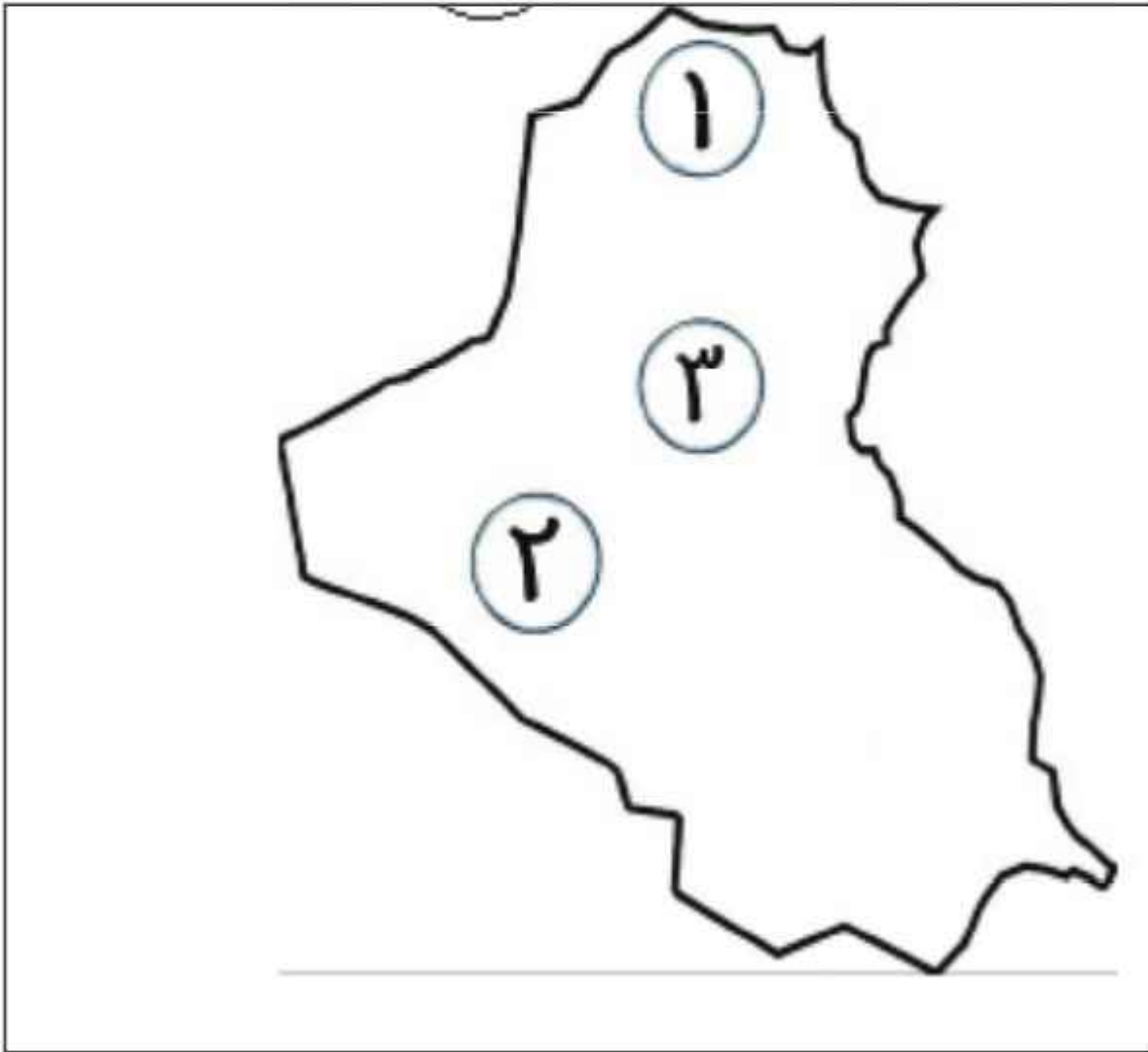




فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

- أ- ثلاثة ب- أربعة ج- خمسة
٢٨- من أنهار العراق نهر :
أ- دجلة ب- اللطاني ج- النيل
٢٩- إذا كان الجنوب خلفي يكون الشمال عن :
أ- أمامي ب- يميني ج- يساري
٣٠- أي رقم في الدائرة المماثلة امامك في الخريطة يمثل محافظة بغداد :





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

أثر استراتيجية داخل وخارج الدائرة في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي





النذر غي القرءان الكريم - دراسة موضوعية

أ.م. د مسلم حسين عطية

كلية الامام الكاظم (عليه السلام) محافظة بغداد

م. د وسام هواك ظاهر

كلية الامام الكاظم (عليه السلام) محافظة ذي قار





الملخص:

ان النذر من المفاهيم المهمة التي تكون مباشرة مع المكلف وأهميته لذا انه مصطلح موجود عند جميع الديانات لكن بأساليب مختلفة فله وقع في نفوس الناس عامة والمسلمين خاصة، لما له وقع في أذهاننا بسبب ماورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة وما تطرق اليه من الفقهاء والمفسرين ولما له وقع خاص على الانبياء والصالحين لذا تطرقنا اليه في طيات بحثنا عبر تتبعنا للقراءات والاختلافات التي طرحت بين العلماء والباحثين.

الكلمات المفتاحية: (النذر - نفقة - ارش - فقهاء)

Abstract:

The concept of vow is one of the important concepts that is directly with the taxpayer and must be clarified in the language and among scholars of terminology in order to be able to shed light on the entanglement occurring in the concept between linguists, scholars of interpretation and jurists in legal issues

vows , rent , alimony , jurists: key words

المقدمة:

إن مفهوم النذر من المفاهيم المهمة التي تكون مباشرة مع المكلف ولا بد من بيانها في اللغة وعند علماء الاصطلاح لتتمكن من تسليط الضوء على التشابك الحاصل بالمفهوم بين علماء اللغة وعلماء التفسير والفقهاء في المسائل الشرعية لذا اتسم بحثي بعنوان (النذر في القرآن الكريم- دراسة موضوعية-) واقتضى البحث على التقسيم الآتي:

المبحث الاول: مفهوم النذر في القرآن الكريم والتعريف به لغة واصطلاحاً.

المطلب الاول: النذر في اللغة والاصطلاح وبيان مفهومهما القرآني

المطلب الثاني: وآدابه وشروطه وازاء العلماء فيه

المبحث الثاني: الايات التي ذكرت لفظ النذر وازاء المفسرين فيها وآثاره على الفرد والمجتمع.

المطلب الاول: الايات الكريمة التي ذكرت النذر وازاء المفسرين فيها.

المطلب الثاني: آثاره على الفرد والمجتمع واختتمته بأهم النقاط.

المبحث الاول: مفهوم النذر في القرآن الكريم والتعريف به لغة واصطلاحاً.

المطلب الاول: النذر في اللغة والاصطلاح وبيان مفهومهما القرآني.

أولاً: النذر في اللغة والاصطلاح.

إن بحثي الموسوم بـ (النذر في القرآن الكريم- دراسة موضوعية-) له أهمية في نفوس الناس عامة والمسلمين خاصة، لما له وقع في أذهاننا بسبب ماورد في كتبنا ولا ننسى انه موجود عند جميع الديانات الاخرى ولكن بصيغ أو بتعامل آخر ، لذا لا بد من ان نعرف بمفردات البحث في اللغة والاصطلاح.

النذر لغة: « يبدأ جذره الثلاثي من حروف ثلاث النون والذال والراء وجمعه نذور، أو مايسمى بـ (النحب) ، أو بـ (الارش) ، فهو كل ماينذره الانسان على نفسه ، ويقال له نذر لأنه نذر فيه وأوجب، فيقال نذرت على نفسي، أي أوجبت، كما يسمى بالنديرة حينما يجعل الأب ابنه ذكراً كان أم أنثى قيماً أو خادماً للمكان الذي يتعبد فيه»(١).

وذكر بعض العلماء ان النذر يستعمل في التخويف ، فتندر على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر(٢)، وهو « اخبار فيه تخويف كما يقابله التبشير الذي يعد اخبار فيه سرور» (٣).

ثانياً: النذر في الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريفه كالآتي:





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

١- فمنهم من ذكره بأنه « عقد القلب على شيء والتزامه على وجه مخصوص » (٤) ، قيل والأصل له الخوف، أي خوف التقصير، أو الوقوع في خطورة ما ؛ لأن الشخص هو من يعقد ذلك على نفسه (٥).
٢- ومنهم قال: « ما أوجبه المكلف على نفسه من عبادات، ومما لم يوجبه فلم يلزمه » (٦)، وما أوجبه الإنسان على نفسه، هنا تتقدم طاعة الله تعالى أولاً ؛ ليكن مبرراً، وأما الصدقات وأعمال الخير يكون الاطلاق فيها معلقاً ، فهو من قرية مشروعة فصيغته في الالفاظ هو الالتزام (٧)، أما كونه قرية وما يلزمه من القرب (صوم، أو صلاة، أو حج، أو عتق، أو صدقة... وغيرها) .

المطلب الثاني :آداب النذر وشروطه واءاء الفقهاء فيه وكفارته:
ان النذر هي من احوال الشريعة وأحد طرقها ولا بد من توفر شرائط لها وتبدأ بآدابها ليكن صحيحاً ومقبولاً عند المسلمين ومنها:

١- الشرط الاساس هو خاص لوجه الله تعالى تعالى، ولا يمكن ان يشرك به أحدًا (٨).
٢- لا يجوز النذور للقبور ؛ لأنه باطلاً ، والناذر جائز ان يكون لكلا الجنسين (٩).
٣- يشترط في الناذر عاقلاً بالغاً، وله حق التصرف بنذره، فلا يصح النذر بالمعاصي أو ارتكاب خطيئة، ولا يجوز الوفاء بهذه النذورات نحو: (نذراً عليّ الله تعالى أن أشرب الخمر، أو أقتل فلان، أو أفعل فعلاً ينافي الاخلاق والمروءة) (١٠)، واصحاب هذا الدليل استندوا الى قول النبي صلى الله عليه واله وسلم: « لا نذر في معصية الله » (١١).
٤- «المنذور يجب ان يكون متصوراً للوجود نفسه، فلا يصح غير ذلك نحو: (اذا نذرت المرأة صيام في ايام حيضها، فهنا يكون منافياً للنذر)» (١٢).

فيحتمل ان الناذر يأتي بالقرب مستثقلاً ذلك ؛ لكونها أصبحت من الوجوب ، والاحتمال الاخر هو الجانب التعويضي بسبب ما نذره ، وهنا يرى بعض العلماء انها تكون غير خالصة كما ذكره الصنعاني : « وانا اتعجب ممن اطلق لسانه بأنه ليس بمكروه مع ثبوت النهي الصريح فأقل درجاته يكون مكروهاً » (١٣) ، ومنهم من يرى ان النذر لا يرد القدر، فهو شبه بالدعاء فيكون الندب للدعاء والنهي للنذر ؛ لان الدعاء عبادة عاجلة ويظهر به التوجه والتضرع والخضوع له سبحانه، وأما النذر فيه تأخير للعبادة حين الحصول وترك العمل الى الضرورة ؛ لذا الابتعاد أفضل اذا أحدًا أقدم على نذر غير مستحب فيه (١٤) أستدل أصحاب هذا القول بما روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : « إن النذر لا يقدم شيء ولا يؤخره ، وانما يستخرج بالنذر من البخل » (١٥) ، وذكر الشوكاني ان النهي بالكراهة ليس غني التحريم ، فلو كان حراماً لما مدح الله تعالى الموفين له ، ولم يكن مستحباً فلو كان كذلك لجاء في السنة في الالتزام بالعبادات ، وربما ظن وأن الله تعالى اجاب طلبه ليقوم بعبادته لهذه المحاذير وغيرها فنهى النبي صلى الله عليه واله وسلم عنه إيثاراً للسلامة وطمعاً في جود الله تعالى بلا دالة ولا مشاطرة (١٦)؛ لذا ان النبي صلى الله عليه واله وسلم أخذ يوماً ينهانا قائلًا: « لا يرد شيئاً وانما يستخرج به من الشحيح » (١٧).

واما التشديد في النذر ليس ماثماً بدليل أمر الله تعالى بإيفائه وكذلك لا يحمد فاعله، ولكن شأنه عند بعض العلماء وتعليظه؛ كي لا يستهان الوفاء أو لا يقرط به ولا يترك العمل به لان الحث بآدائه مفروض في القرآن والسنة، وأما وجه النهي كي لا يستثقل الناذر لنذره بعد ان صار لزاماً عليه ، أو يعتبرها كالمعاوضة، أي (يكون فيها مثلية في نية المتقرب) كأن يعتبرها شرطاً لفعل ما يريد (١٨).

فثبوت النهي عند بعض المذاهب الاسلامية لقولهم ان النذر ليس طاعة تجرد عدم القصد بالقرب قطعاً، إنما المنفعة لدفع الضرر

ومنهم من ذهب بالوجوب واستدلوا بالتأكيد لأمره، والتحذير من التهاون فيه بعد وجوبه وبدليل الروايات المنصوصة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم النهي المتكرر في النذر علماً ان الفحوى لا يعود بالمنفعة الفورية لهم ولا يصرفهم عن أذى ولا يبعد عن قضاء مقدر فذكروا ان الطاعة لا تدخل بالنهي لقوله تعالى: « يوفون النذر » واستدلوا برواية قتادة





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

قال «كانوا يندرون بالطاعة في الصلاة والصوم وسائر ما أوجبه الله عليهم» (١٩) ، وفي هذا الباب يعد الغريب في العلم ، أي النهي عن الفعل حتى وإن كان واجباً (٢٠). ففي حكم جواز النذر للمسلم أو المسلمة حين تحققه ومسألة وجوب الأيفاء به وفي حالة وفاة وكيفية العمل بالوجوب وما مسألة وقوعه بموت الحضيض فذكر العلماء ، ومنهم الحنابلة يكون فيه الاستحباب على الوارث أو الولي المستحب فينتفي الوجوب كما في العبادات أو الإفراج أو الاعتكاف ، ومنهم من ذكر أن النذر إذا كان مال نحو إذا كان له ميراث ، ثم خرج من تركته ، أما إذا لم يك له ميراث فلا يلزم الولي نذره (٢١).

وأما الإمامية فقالوا أن شروط النذر :

• إذا تعمد الناذر مخالفة نذره وجب عليه الكفارة

• لا يصح نذر الزوجة مع منع الزوج ، وإن كان متعلقاً بما لها ولم يكن العمل به مانعاً عن حقه

• لا يشترط في نذر الولد المستوفي للشروط إذن والده ، وليس له حله ولا منعه عن الوفاء به

• لو نذر المرء صوماً ولم يعين العدد كفى صوم يوم واحد

• لو نذر صيام سنة معينة استثنى منها العيذان ، فيفطر فيهما ولا قضاء عليه ، وكذلك يفطر في الأيام التي عرض فيها ما لا يجوز معه الصيام ، كالمرض والحيض ، والنفاس ، والسفر ، لكن يجب عليه القضاء (٢٢) ، وكفارته التي اختلف فيها الفقهاء فقال بعضهم إنها كفارة اليمين ، وهي عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن لم يقدر على ذلك فيصوم ثلاثة أيام متوالية وقال بعضهم الآخر إنها كفارة الإفطار في شهر رمضان ، وهي عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً (٢٣).

المبحث الثاني: الآيات المباركة واءاء المفسرين في لفظ النذر وآثاره على الفرد والجموع.

المطلب الأول: الآيات المباركة التي ذكرت لفظ النذر واءاء المفسرين:

لأهمية الموضوع الذي تناولناه في بحثنا لابد من ذكر الآيات الكريمة التي تناولت لفظة النذر وما هي آراء المفسرين وبيان آثارها على الفرد والجموع.

الآيات التي ذكر فيها النذر :

١٠ قال تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢٤) ذكر السعدي «هذا فيه المجازاة على النفقات ، واجبتها ومستحبها ، قليلها وكثيرها ، التي أمر الله بها ، والنذور التي ألزمها المكلف نفسه ، وإن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء ، ويعلم ما صدرت عنه ، هل هو الإخلاص أو غيره ، فإن صدرت عن إخلاص وطلب لمرضاة الله جازى عليها بالفضل العظيم والثواب الجسيم ، وإن لم ينق العبد ما وجب عليه من النفقات ولم يوف ما أوجبه على نفسه من المنذورات ، أو قصد بذلك رضى المخلوقات ، فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه ، واستحق العقوبة البليغة ، ولم ينفعه أحد من الخلق ولم ينصره» (٢٥).

فلهذا قال: «وما للظالمين من أنصار وقد أوضح في تفسير الوسيط أن الفرق بين النفقة: هي العطاء العاجل في باب من أبواب الخير ، أما النذر: فهو التزام قربة من القربات أو صدقة من الصدقات بأن يقول: لله على نذر أن أفعل كذا من أنواع البر ، أو إن شفى الله مريضى فسأفعل كذا ، والمعنى: وما أنفقتم - أيها المؤمنون - من نفقة عاجلة قليلة أو كثيرة ، أو التزمت بنفقة مستقبلية وعاهدتم الله - تعالى - على القيام بها ، فإنه - سبحانه - يعلم كل شيء ، ويعلم ما صاحب نيאתكم من إخلاص أو رياء ، ويعلم ما أنفقتموه أهو من جيد أموالكم أم من رديئها ، وسيجازي الحسن بإحسانه والمسيء بإساءته» (٢٦).

فإن لأية الكريمة هي: «بيان لحكم كلى شامل لجميع أفراد النفقات إثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله - تعالى - وما في قوله: وما أنفقتم شرطية أو موصولة والفاء في قوله: فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا رابطة لجواب الشرط إذا اعتبرنا ما شرطية ، ومزيدة في الخير إذا اعتبرناها موصولة ومن في قوله: (مِنْ نَفَقَةٍ) ببيان أو زائدة ، قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا) كناية عن الجزاء عليه؛





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

لأن علم الله - تعالى - بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه وهو الجزاء، وإنما كان لازماً له؛ لأن القادر لا يصدده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله الخسن أو المسيء (٢٧)، وهذه الجملة الكريمة مع إيجازها « قد أفادت الوعد العظيم للمطيعين والوعيد الشديد للمتمردين، لأن الإنسان إذا أيقن أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية من شئون خلقه، فإن هذا اليقين سيحمله على الطاعة والإخلاص، وسيحضه على المسارعة في الخيرات، خصوصاً وإن الجملة قد صدرت بأن المؤكدة، وتليت بلفظ الجلالة الدال على الاستحقاق الكامل للألوهية» (٢٨).

قال بعضهم: وإنما قال - سبحانه -: (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) ولم يقل يعلمها لوجهين:

«الأول: أن الضمير عائد إلى الأخير - وهو النذر -، كما في قوله - تعالى -: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا) والثاني: أن الكناية عادت إلى ما في قوله: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) لأنها اسم كقوله: (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ)، وقوله: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) وعيد شديد للخارجين على طاعة الله أي: ليس للظالمين أي نصير أو مغيث يمنع عقوبة الله عنهم، والمراد بالظالمين: الواضعون للأشياء في غير موضعها التي يجب أن توضع فيها، والتاركون لما أمرهم الله به، فيندرج فيهم الذين يطلون صدقاتهم بالمن والأذى والرياء والذين يتصدقون بالردىء من أموالهم، والذين ينفقون أموالهم في الوجوه التي غي الله عنها، والذين لم يوفوا بنذورهم التي عاهدوا الله على الوفاء بما كما يندرج فيهم كل من ارتكب ما غي الله عنه أو أهمل فيما كلفه الله به (٢٩)، وذكر البغوي أن تفسير قوله تعالى:

«وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ» فيما فرض الله عليكم (أو نذرت من نذر) أي: ما أوجبتموه [أنتم] على أنفسكم في طاعة الله فوفيتهم به (فإن الله يعلمه) يحفظه حتى يجازيكم به وإنما قال: يعلمه ولم يقل: يعلمها لأنه رده إلى الآخر منها ما كقوله تعالى:

«وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا» (٣٠)، وإن شئت حملته على «ما» كقوله: «وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ» (٣١) ولم يقل بمهما (وما للظالمين) الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام (من أنصار) أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل: شريف وأشراف» (٣٢).

٢٠ قال تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» (٣٣). ذكر الطباطبائي «أنها مدنية نزلت في علي وفاطمة السورة كلها وفي تفسير القمي عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعر فجعلوه عصيدة فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين...

فقال: مسكين رحمكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثاً فلم يلبث أن جاء يتيماً...

فقال: اليتيم رحمكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث ثم جاء أسير...

فقال: الأسير رحمكم الله فأعطاه علي عليه السلام الثلث وما ذاقوها...

فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل» (٣٤). وذكر الطباطبائي أن: «القصة كما ترى ملخصة في الرواية وروى ذلك البحراي في غاية المرام عن المفيد في الاختصاص مسنداً وعن ابن بابويه في الأمالي باسناده عن مجاهد عن ابن عباس، وباسناده عن سلمة بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام، وعن محمد بن العباس ابن ماهيار في تفسيره باسناده عن أبي كثير الزبيري عن عبد الله بن عباس، وفي المناقب أنه مروي عن الأصمغ بن نباتة، وفي الاحتجاج عن علي عليه السلام في حديث يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب: نشدكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه وفي ولده «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» إلى آخر السورة غيري؟ قالوا: لا» (٣٥).

وفي كتاب الخصال في احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر قال: «أنشدك بالله أنا صاحب الآية «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» أم أنت؟ قال: بل أنت» (٣٦).

٣٠ قال تعالى: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (٣٧).





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

ذكر ابن كثير في تفسيره أن امرأة عمران هذه هي أم مريم (عليها السلام) وهي حنة بنت فاقوذ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ : وَكَانَتْ امْرَأَةً لَا تُحْمِلُ فَتَرَأَتْ يَوْمًا طَائِرًا يَرْقُ فَرَّخَهُ فَاسْتَهْتَمَتُ الْوَلَدَ فَدَعَتْ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْبِهَا وَلَدًا فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهَا فَوَاقَعَهَا زَوْجُهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ الْحَمْلَ نَذَرَتْ أَنْ يَكُونَ مُعَزَّرًا أَيْ خَالِصًا مُفْرَغًا لِلْعِبَادَةِ لَخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَتْ : يَا رَبِّ « إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُعَزَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » أَيْ السَّمِيعُ لِدُعَائِي الْعَلِيمُ بِنَبِيِّي وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا فِي بَطْنِهَا أَذْكَرًا أَمْ أُنْثَى (٣٨).

٤ • قال تعالى: ﴿فَكَلِمَتَا أَوْشُرِي وَقُرِي عَيْنَا فِيمَا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٣٩). «فكلي واشربي وماء السري وقرى عينا وطبي نفسك وارفضي عنها ما أحزنك فيما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما صمتا وقال لها عيسى عليه السلام كلي واشربي وقرى عينا فيما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما وصمتا كذا نزلت، وعن الصادق عليه السلام إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ثم قال قالت مريم إني نذرت للرحمن صوما، أي صمتا فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم الحديث فلن أكلم اليوم إنسيا ولعله لكرهه المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه قاطع في قطع الطاعن» (٤٠).

٥ • قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٤١). ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى : ثم ليقضوا تفثهم أي « ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من أمر الحج كالحلق ، ورمي الجمار ، وإزالة شعث ، ونحوه .

قال ابن عرفة : أي ليزيلوا عنهم أدرانهم . وقال الأزهري : التفث الأخذ من الشارب ، وقص الأظفار ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ؛ وهذا عند الخروج من الإحرام . وقال النضر بن شميل : التفث في كلام العرب إذهب الشعث وسمعت الأزهري يقول : التفث في كلام العرب لا يعرف إلا من قول ابن عباس ، وأهل التفسير . وقال الحسن : هو إزالة قشف الإحرام . وقيل : التفث مناسك الحج كلها ، رواه ابن عمر ، وابن عباس .

قال ابن العربي : لو صح عنهما لكان حجة لشرف الصلابة والإحاطة باللغة ، قال : وهذه اللفظة غريبة لم يجد أهل العربية فيها شعرا ولا أحاطوا بها خيرا ؛ لكنني تتبع التفث لغة فرايت أبا عبيدة معمر بن المثنى قال : إنه قص الأظفار وأخذ الشارب ، وكل ما يحرم على المحرم إلا النكاح . قال : ولم يجيء فيه شعر يحتاج به .

وقال صاحب العين : التفث هو الرمي ، والحلق ، والتقصير ، والذبح ، وقص الأظفار ، والشارب ، والإبط ، وذكر الزجاج ، والفراء نحوه ، ولا أراه أخذه إلا من قول العلماء . وقال قطرب : تفث الرجل إذا كثرت وسخه .

قال أمية بن أبي الصلت : حَفُوا رءوسهم لم يخلقوا تفثا ولم يسلبوا لهم قملا وصنابا وما أشار إليه قطرب هو الذي قال ابن وهب ، عن مالك ، وهو الصحيح في التفث ، وهذه صورة إلقاء التفث لغة ، وأما حقيقته الشرعية فإذا نحر الحاج ، أو المعتصر هديه ، وحلق رأسه ، وأزال وسخه ، وتطهر ، وتنقى ، ولبس فقد أزال تفثه ، ووفى نذره ؛ والنذر ما لزم الإنسان والتزمه (٤٢) . قلت : «ما حكاه عن قطرب وذكر من الشعر قد ذكره في تفسيره الماوردي وذكر بيتا آخر فقال : قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا إلى نجد وما انتظروا عليا وقال الثعلبي : وأصل التفث في اللغة الوسخ ؛ تقول العرب للرجل تستقذره : ما أتفتك ؛ أي ما أوسخت وأقذرك» (٤٣) .

قال أمية بن أبي الصلت : «ساحين آباطهم لم يقدفوا تفثا وينزعوا عنهم قملا وصنابا الماوردي : قيل لبعض الصالحاء ما المعنى في شعث المحرم ؟ قال : ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته ، وليوفوا نذرهم أمروا بوفاء النذر مطلقا إلا ما كان معصية ؛ لقوله (عليه السلام) : لا وفاء لنذر في معصية الله ، وقوله : من نذر أن يطيع الله





النذر غي القرءان الكريم - دراسة موضوعية

فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه وليطوفوا بالبيت العتيق الطواف المذكور في هذه الآية هو طواف الإفاضة الذي هو من واجبات الحج» (٤٤).

قال الطبري : لا خلاف بين المتأولين في ذلك .

للحج ثلاثة أطواف : طواف القدوم ، وطواف الإفاضة ، وطواف الوداع .

قال إسماعيل بن إسحاق : طواف القدوم سنة ، وهو ساقط عن المراهق ، وعن المكّي ، وعن كل من يحرم بالحج من مكة . قال : والطواف الواجب الذي لا يسقط بوجه من الوجوه ، وهو طواف الإفاضة الذي يكون بعد عرفة ؛ قال الله تعالى : ثم ليقتضوا تفهيمهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

قال : فهذا هو الطواف المفترض في كتاب الله - عز وجل - ، وهو الذي يحل به الحاج من إحرامه كله .

قال الحافظ أبو عمر : ما ذكره إسماعيل في طواف الإفاضة هو قول مالك عند أهل المدينة ، وهي رواية ابن وهب ، وابن نافع ، وأشهب عنه . وهو قول جمهور أهل العلم من فقهاء أهل الحجاز ، والعراق .

وقد روى ابن القاسم ، وابن عبد الحكم عن مالك أن طواف القدوم واجب .

وقال ابن القاسم في غير موضع من المدونة ورواه أيضا عن مالك : «الطواف الواجب طواف القادم مكة» (٤٥).

وقال : «من نسي الطواف في حين دخوله مكة أو نسي شوطا منه ، أو نسي السعي أو شوطا منه حتى رجع إلى بلده ، ثم ذكره ، فإن لم يكن أصاب النساء رجع إلى مكة حتى يطوف بالبيت ، ويركع ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يهدي ، وإن أصاب النساء رجع ، فطاف وسعى ، ثم اعتمر وأهدى ، وهذا كقوله فيمن نسي طواف الإفاضة سواء ، فعلى هذه الرواية الطوافان جميعا واجبان ، والسعي أيضا ، وأما طواف الصدر وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن القاسم ، وغيره عن مالك فيمن طاف طواف الإفاضة على غير وضوء : أنه يرجع من بلده فيفيض إلا أن يكون تطوع بعد ذلك ، وهذا مما أجمع عليه مالك وأصحابه ، وأنه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه وكذلك أجمعوا أن من فعل في حجه شيئا تطوع به من عمل الحج ، وذلك الشيء واجب في الحج قد جاز وقته ، فإن تطوعه ذلك يصير للواجب لا للتطوع ؛ بخلاف الصلاة» (٤٦) ، «فإذا كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف لدخول مكة أخرى أن ينوب عن طواف الإفاضة ، إلا ما كان من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر أو بعده للوداع ، ورواية ابن عبد الحكم عن مالك بخلاف ذلك ؛ لأن فيها أن طواف الدخول مع السعي ينوب عن طواف الإفاضة لمن رجع إلى بلده مع الهدى ، كما ينوب طواف الإفاضة مع السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة مع الهدى أيضا عن طواف القدوم ، ومن قال هذا قال : إنما قيل لطواف الدخول واجب ولطواف الإفاضة واجب لأن بعضهما ينوب عن بعض ، ولأنه قد روي عن مالك أنه يرجع من نسي أحدهما من بلده على ما ذكرنا ، ولأن الله - عز وجل - لم يفترض على الحاج إلا طوافا واحدا بقوله : وأذن في الناس بالحج ، وقال في سياق الآية : (وليطوفوا بالبيت العتيق) والواو عندهم في هذه الآية وغيرها لا توجب رتبة إلا بتوقيف» (٤٧).

وأسد الطبري ، عن عمرو بن أبي سلمة قال : «سألت زهيراً عن قوله تعالى : وليطوفوا بالبيت العتيق فقال : هو طواف الوداع ، وهذا يدل على أنه واجب ، وهو أحد قولي الشافعي ؛ لأنه - عليه السلام - رخص للحائض أن تنفر دون أن تطوفه ، ولا يرخص إلا في الواجب» (٤٨).

اختلف المتأولون في وجه صفة البيت العتيق «فقال مجاهد ، والحسن : العتيق القديم ، يقال : سيف عتيق ، وقد عتق أي قدم ؛ وهذا قول يعضده النظر ، وفي الصحيح أنه أول مسجد وضع في الأرض ، وقيل عتيقا لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار باهوان إلى انقضاء الزمان ؛ قال معناه ابن الزبير ، ومجاهد» (٤٩).





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

وفي الترمذي: «عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مرسلاً، فإن ذكر ذاكر الحجاج بن يوسف ونصبه المنجنيق على الكعبة حتى كسرهما قيل له: إنما اعتقها عن كفار الجبابرة؛ لأنهم إذا أتوا بأنفسهم متمردين وحرمة البيت غير معتقدين، وقصدوا الكعبة بالسوء فعصمت منهم ولم تنلها أيديهم، كان ذلك دلالة على أن الله (عز وجل) صرفهم عنها قسراً، فأما المسلمون الذين اعتقدوا حرمتها فأنهم إن كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها عند الله مثل ما يكون منها في كف الأعداء؛ فقصر الله تعالى هذه الطائفة عن الكف بالنهي والوعيد، ولم يتجاوزها إلى الصرف بالإلجاء والاضطرار، وجعل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر» (٥٠).

وقالت طائفة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك موضعه قط.

وقالت فرقة: سمي عتيقاً لأن الله (عز وجل) يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب.

وقيل: سمي عتيقاً؛ لأنه أعتق من غرق الطوفان؛ قال ابن جبير.

وقيل: العتيق الكريم، والعتق الكرم، قال طرفة يصف أذن الفرس: مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربربو عتق الرقيق: الخروج من ذل الرق إلى كرم الحرية، ويحتمل أن يكون العتيق صفة مدح تقتضي جودة الشيء؛ كما قال عمر: حملت على فرس عتيق؛ الحديث، والقول الأول أصح للنظر والحديث الصحيح، قال مجاهد: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي عام، وسمي عتيقاً لهذا» (٥١).

المطلب الثاني: آثاره على الفرد والمجتمع

إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بعمل الخير، وعليهم أن ينفقوا مما يحبون بكل ما متيسر لهم وعليهم أن يخرجوا منه حقوق الله تعالى وعباده من النعم وهذه بحاجة إلى إيضاحها مع ذكر وبيان نعمة الله تعالى على الخلق ويربطها القرآن الكريم بين الخير والحكمة التي تكون معنى مطلق للكثير من معاني الخير، ومنها طلب العبد من خالقه حاجة ما، فيربط المكلف نفسه بمفهوم النذر وهذا لا يخفى على الله تعالى وهل هذا الإيذاء من باب توجه وإخلاص الحقيقي لرب العزة والتقرب منه، أم خوفاً من عقوبة مقدرة، أم فيها مغالطات بين الناس لذا ذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى: (ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) يا أيها الناس تبينوا وعوا أن الله تعالى يحصي كل شيء فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة، والجزاء والعقاب والثواب منه وحده، فصدقاتكم ونذوراتكم قليلة كانت أم كثيرة واجبة أو مستحبة فإن كانت لمرضاة الله فهي له، وإن كانت العكس فتعد رياء وهنا فيها لمسات الشيطان (٥٢)، وأكد العلماء أن النذر لا يكون لغير وجه الله تعالى؛ لأن أهل الجاهلية كانوا ينذرون نذوراتهم لأنفسهم (٥٣)، ولا بد من أن نفرق بين النذر عن النفقة فقد ذكر الله تعالى: (انفقوا من طيبات ما كسبتم...) (٥٤) أي أن الله تعالى أمر بالانفاق وهو عالم بكل شيء من أي نفقة أو صفة ويرى بعض العلماء أن دمج الانفاق بالنذر يعد تضييلاً، (٥٥) وبيان ظاهر الآية عند ابن الجوزي هي عموميات وإشارات لجمل أي إذا كانت الصدقات لله فهو يعلمها وإن كانت للشيطان فحسابه عند الله عسيراً وأما النذر بعمومه في طاعة الله أو معصية وأتى بالمميز (من نفقة أو من نذر) هنا اندراج تأكيد بين كميتها القلة والكثرة (٥٦)، ومنهم من ذكر أن النفقة تختص بالزكاة والسبب عطف الواجب عليه وهو النذر (٥٧).

وأشار بعض المفسرين إلى أن «النذر إن كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالعبادات وهذه يعلمها الله تعالى (فإن الله يعلمه) الفاء على الأول داخلية على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة، (وما أنفقتم) وعلى هذا الذي تقرر





النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

من حذف الموصول فجاء الضمير مما يتأول» (٥٨).

وذكر بعض العلماء ومنهم ابي السعود بأن شعور المؤمن يوضح عليه وعلى طباعه بسجيت تعامله مع واقعه باحاسيسه ومشاعره بين تقواه وتخرجه وهواجسه وتظاهر افعاله فتتضح الصفات الانسانية بتعاملاته فينصر الله تعالى من يكن قريبا بتعامله مع الانسان لان الله تعالى اقرب اليه بسبب افعاله الحسنة واما الذي يتعامل بخبث فيعد من الذي ظلموا انفسهم أولا ومن ثم ظلم الناس ، أي يكون من الظالمين لانهم يضعون الاشياء بغير مواضعهم لذا وصف المرآني بالظالم لانهم لم يتركوا الاشياء بمواضعها بصورة نقية (٥٩).

الخاتمة:

بعد اتمام البحث كدراسة موضوعية وتناولت فيها اراء المفسرين في بيان الايات المباركة التي تدور حول موضوع النذر والنفقة وكذلك اراء الفقهاء والاشكالات الفقهية التي تبينت في حلها وحرامها ونفيها وجوازها توصلت الى الاتي:

- ١- ان الخالف على نفسه يعد أمرا نفيا أو اثباتا ايمانيا وجوب الايفاء بتحديد الوقت.
- ٢- الشريعة الاسلامية تراعي المكلف وتجد اليسر لا العسر له.
- ٣- الاختلافات المذهبية لم تؤثر على بيان الاستنباط للاحكام الشرعية بل كانت سائدة .
- ٤- رفع الحرج عن المكلف وفق اراء المذاهب دليل على ان الشريعة سمحاء.
- ٥- تحديد الوقت المعلوم للنذر من الشروط الصحيحة له والابتعاد عن ارتكاب الحرام في النذر أي لايجوز النذر على فعل محرم.

الهوامش:

- ١- مختار الصحاح، محمد ابو بكر الرازي ، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م، ٢٧٢.
- ٢- المقدرات في غريب القرآن، ابو القاسم الاصفهاني، ت: محمد سيد، الناشر: دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ، ٢٨٩/١.
- ٣- روح القرآن في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل شهاب الالوسي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٣٥-١.
- ٤- روح القرآن في تفسير القرآن العظيم، ابو الفضل شهاب الدين الالوسي البغدادي ٤٣٥/١.
- ٥- ينظر المصدر نفسه: ٤٣٥/١.
- ٦- تيسير العلام شرح عمدة الاحكام ، عبد الله البسام، الناشر: دار الارشاد ، صنعاء ، ط١- ٢٠٠٤م، ٨٠٠.
- ٧- ينظر: الاختيار لتعليل المختار ، عبد الله بن محمود الموصللي، الناشر: دار الخير ، دمشق- سوريا، ط١- ١٩٩٨، ٤٤.
- ٨- ينظر: الفقه على المذاهب الاربعة، عبد الرحمن الجزيري، الناشر: دار المأمون للطباعة، القاهرة- مصر، ط١- ١٩٨٣م، ١٠٦.
- ٩- ينظر: المصدر نفسه، ١٠٦.
- ١٠- ينظر: الفقه على المذاهب الاربعة، عبد الرحمن الجزيري، ١٠٦.
- ١١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ١٢٦٢/٣.
- ١٢- المغني، ابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٣هـ)، تحقيق: مجموعة علماء، الناشر: دار السيد الحديث، القاهرة- مصر، ط١- ١٩٩٦م، ٩/٣.
- ١٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن اسماعيل الصنعائي (ت ١١٨٢هـ) تحقيق: عصام الدين الصباطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م، ١١٢/٤.
- ١٤- ينظر: المصدر نفسه: ١١٢/٤.
- ١٥- صحيح مسلم.
- ١٦- ينظر: نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار شرح منتقى الاخيار، محمد الشوكاني، محمد منير الدمشقي، الناشر: الطباعة المنيرية، ١١٦.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

- ١٧- صحيح مسلم : ١٢٦١/٣.
- ١٨- ينظر: نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار شرح منتقى الاخيار، محمد الشوكاني ١١٧.
- ١٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن اسماعيل الصنعاني، ١١٣.
- ٢٠- ينظر: نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار شرح منتقى الاخيار، محمد الشوكاني ١١٦.
- ٢١- ينظر: المعنى، ابن قدامة المقدسي، ٣٢٥/٩.
- ٢٢- منهاج الصالحين، السيد علي السيستاني، الناشر: مكتب السيد السيستاني، قم - ايران، ط ٥- ١٤١٧هـ، ٢٢٩/٣.
- ٢٣- فقه الامام الصادق ع محمد جواد مغنية، الناشر: مؤسسة أنصاريان، قم - ايران، ط ٢- ١٤٢١هـ، ٢٦/٥.
- ٢٤- البقرة ٢٧٠.
- ٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ، ط ١- ٢٠٠٠م.
- ٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- ٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- ٢٨- المصدر نفسه.
- ٢٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار النهضة، مصر - القاهرة، ط ١- ١٩٩٧م.
- ٣٠- النساء ١١٢.
- ٣١- البقرة ٢٣١.
- ٣٢- معالم لتزليل، ابو محمد الحسين بن مسعود اللبغوي ت ٥١٠هـ، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١- ١٤٢٠هـ.
- ٣٣- الانسان ٧.
- ٣٤- تفسير الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين اللطباطبائي، الناشر: دار الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ، ١٣٣/٢٠- ١٣٤.
- ٣٥- تفسير الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين اللطباطبائي، ١٣٣/٢٠- ١٣٤.
- ٣٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٣٣/٢٠- ١٣٤.
- ٣٧- ال عمران ٣٥.
- ٣٨- تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير ت ٧٧٤هـ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢- ١٩٩٩م.
- ٣٩- مريم ٢٦.
- ٤٠- تفسير الصافي الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، ط ٢- ١٤١٦هـ، ايران، ٢٧٩/٢.
- ٤١- الحج ٢٩.
- ٤٢- تفسير الصافي الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، ٢٧٢/٢.
- ٤٣- المصدر نفسه، ٢٧٢/٢.
- ٤٤- المصدر نفسه، ٢٧٢/٢.
- ٤٥- تفسير الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية، ط ٢- ١٩٦٤م.
- ٤٦- تفسير الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ).
- ٤٧- تفسير الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ).
- ٤٨- المصدر نفسه.
- ٤٩- المصدر نفسه.
- ٥٠- تفسير الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ).
- ٥١- المصدر نفسه.
- ٥٢- ينظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار هجر، ٢٠٠٠م، ٣- ٩١.





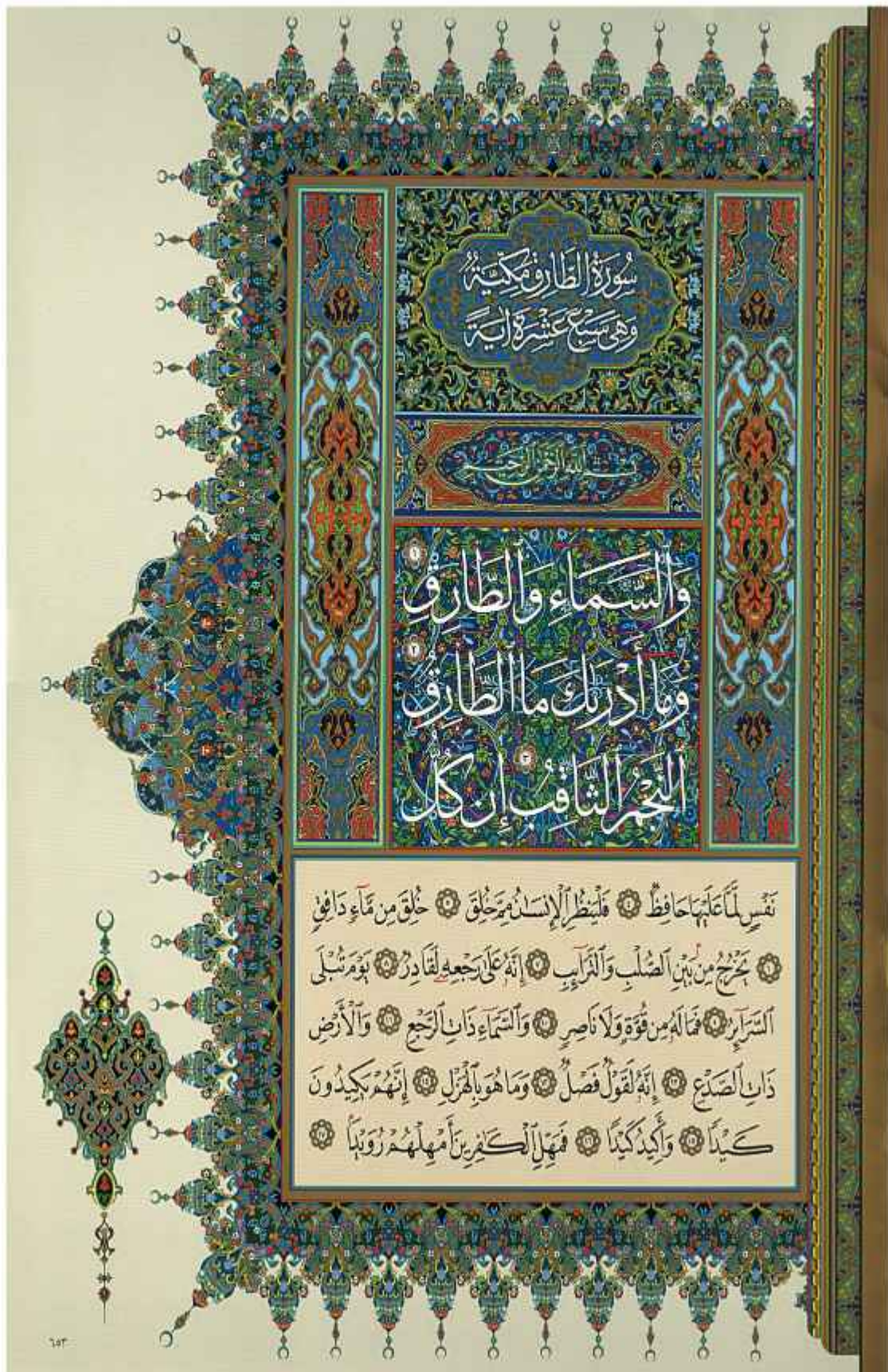
النذر غي القرآن الكريم - دراسة موضوعية

- ٥٣- ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب الشاذلي، ١/٣١١.
٥٤- البقرة ٢٦٧.
٥٥- ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية، ٢٠٠٨ م، ٣/٦٥.
٥٦- ينظر: البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي، ٢٠١٠ م، ٢/٣٣٥.
٥٧- ينظر: زاد المسير، جمال الدين ابن الجوزي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢ هـ، ١/٢٣٤.
٥٨- ارشاد السليم الى مزايا القرآن الكريم، ابي السعود العمادي، الناشر: دار المصحف، ط١-١٥٠٢ م، ١/٢٦٣.
٥٩- ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب الشاذلي، ١/٣١٣.

قائمة المصادر:

- ١- الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود الموصللي، الناشر: دار الخير، دمشق- سوريا، ط١-١٩٩٨.
- ٢- ارشاد السليم الى مزايا القرآن الكريم، ابي السعود العمادي، الناشر: دار المصحف، ط١-١٥٠٢ م.
- ٣- البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي، ٢٠١٠ م.
- ٤- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية، ٢٠٠٨ م.
- ٥- تفسير الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية، ط٢- ١٩٦٤ م.
- ٦- تفسير الصافي الفيض الكاشاني ت ١٠٩١ هـ، ط٢- ١٤١٦ هـ، ايران.
- ٧- تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير ت ٧٧٤ هـ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢- ١٩٩٩ م.
- ٨- تفسير الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين اللطباطبائي، الناشر: دار الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٧ هـ.
- ٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار النهضة، مصر- القاهرة، ط١- ١٩٩٧ م.
- ١٠- تيسير العلام شرح عمدة الاحكام، عبد الله البسام، الناشر: دار الارشاد، صنعاء، ط١- ٢٠٠٤ م.
- ١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦ هـ، ط١- ٢٠٠٠ م.
- ١٢- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار هجر، ٢٠٠٠ م.
- ١٣- روح القرآن في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل شهاب الالوسي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- ١٤- روح القرآن في تفسير القرآن العظيم، ابو الفضل شهاب الدين الالوسي البغدادي.
- ١٥- زاد المسير، جمال الدين ابن الجوزي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢ هـ.
- ١٦- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن اسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) تحقيق: عصام الدين الصياطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤ م.
- ١٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- ١٨- فقه الامام الصادق ع محمد جواد مغنية، الناشر: مؤسسة انصاريان، قم- ايران، ط٢- ١٤٢١ هـ.
- ١٩- الفقه على المذاهب الاربعة، عبد الرحمن الجزيري، الناشر: دار المأمون للطباعة، القاهرة- مصر، ط١- ١٩٨٣ م.
- ٢٠- في ظلال القرآن، سيد قطب الشاذلي.
- ٢١- مختار الصحاح، محمد ابو بكر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ١٩٨٧ م.
- ٢٢- معالم لتزيل، ابو محمد الحسين بن مسعود اللبغوي ت ٥١٠ هـ، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١- ١٤٢٠ هـ.
- ٢٣- المغني، ابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٣ هـ)، تحقيق: مجموعة علماء، الناشر: دار السيد الحديث، القاهرة- مصر، ط١- ١٩٩٦ م.
- ٢٤- المفردات في غريب القرآن، ابو القاسم الاصفهاني، ت: محمد سيد، الناشر: دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٣٠ هـ.
- ٢٥- منهج الصالحين، السيد علي السيستاني، الناشر: مكتب السيد السيستاني، قم- ايران، ط٥- ١٤١٧ هـ.
- ٢٦- نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار شرح منتقى الاخيار، محمد الشوكاني، محمد منير الدمشقي، الناشر: الطباعة المنيرية.







دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

م.د. أحمد حميد عجم البدري

م.د. هند علي حنون عاشور

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة أقسام واسط





الملخص:

أصبحت التنمية المستدامة مدرسة فكرية عالمية تنتشر في معظم دول العالم النامي والمتقدم على حد سواء، كما تحتل مكانة هامة لدى الباحثين والعلماء المهتمين بالقانون الدولي، ويبدو أن التنمية المستدامة هي التي تصنع اليوم الجزء الأكبر من السياسة القانونية المعاصرة، حيث يمكن اعتبارها نمط تنموي يمتاز بالعقلانية، تتعامل مع الأنشطة الاقتصادية التي تهدف للنمو من جهة، مع إجراءات المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية من جهة أخرى، حتى أصبح الحق في التنمية واحداً من حقوق الإنسان المعترف بها دولياً.

Abstract:

Sustainable development has become a global school of thought that spreads in most countries of the developing and developed world alike. It also occupies an important place among researchers and scholars interested in international law. It deals with economic activities that aim for growth on the one hand, with measures to preserve the environment and natural resources on the other hand, until the right to development has become one of the internationally recognized human rights.

المقدمة:

تفرض التنمية نفسها كمنهج عملي لحل المشاكل المتعددة التي تواجه البشرية، كونها تسمح بتقويم المخاطر ونشر الوعي وتوجيه العمل السياسي على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، فهي عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية تهدف إلى تحقيق التحسن المتواصل لرفاهية كل السكان والأفراد، والتي يمكن عن طريقها إعمال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، كما أن التنمية حق من حقوق الإنسان، وجعل الهدف من التنمية هو تمكين الإنسان من الحصول على حقوقه، فحقوق الإنسان والتنمية سيدعم كل منهما الآخر. وذلك كون أن التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي إحتياجات الحاضر من دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة على تلبية إحتياجاتها، وأن عبارة تنمية مستدامة تعني نمطاً من التنمية لا تفرط في استثمار مصادر الثروات الطبيعية التي تركز عليها هذه التنمية، بل تعمل على تجديد الموارد والثروات، ومن هنا أنبثت الأمم المتحدة لتضع أهداف التنمية المستدامة. حيث بدأ رسمياً في ١/ كانون الثاني/ ٢٠١٦ نفاذ أهداف التنمية المستدامة والبالغ عددها (١٧) هدفاً، والتي إعتمدها قادة العالم في شهر أيلول/ ٢٠١٥ في قمة تاريخية للأمم المتحدة، إذ ستعمل الأمم المتحدة بمعية الدول الأعضاء على تنفيذ هذه الأهداف جميعاً، وذلك من خلال غايات محددة لكل هدف من أهداف التنمية المستدامة، وهذه الأهداف ستعزز بدورها من ثقة المواطن بالدولة، فالقضاء على الفقر والجوع وحماية البيئة وتطوير التعليم كلها أهداف إذا ما نفذت حسب ما مرسوم لها فستكون حتماً ذو تأثير إيجابي لتعزيز ثقة المواطن بدولته وتعزيز قيم المواطنة.

لذا سنحاول من خلال هذا البحث تحليل تلك الأهداف ودراسة تأثيرها في تعزيز قيم المواطنة.

المطلب الأول:

مفهوم التنمية المستدامة في القانون الدولي

تعد التنمية المستدامة واحدة من الأولويات الرئيسية التي يسعى القانون الدولي لتحقيقها في الوقت الحاضر، وذلك من خلال قيام منظمة الأمم المتحدة برسم آلياتها، لتحقيق أهداف مختلفة، فهي إلزام متعدد الجوانب والأبعاد لتحقيق حياة أرقى لجميع البشر، فهي تستند في فلسفتها على إستمرار كينونة الحياة للإنسان والنبات والحيوان على حد سواء، وذلك من خلال ديناميكية تعتمد التوازن في هذا الكون.

أن الشمولية التي تكتسبها التنمية المستدامة تفرض تبنيها من خلال أهداف تحدد مسارها بما يتفق مع القانون الدولي،





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

مركزة في ذلك على الالتزامات القانونية الدولية التي تضمنتها الإتفاقيات الدولية ذات الصلة، ومقررات المؤتمرات الدولية التي طرحت التنمية المستدامة مفتاحاً لحل المشاكل الدولية، فضلاً عن الجهود الدولية الأخرى التي تساعد على ذلك.

سنحاول من خلال المطلب الأول أن نبحث في مفهوم التنمية المستدامة في القانون الدولي، وأن ذلك لا يعني بطبيعة الحال أن لهذا المصطلح معنى مغاير من علم لآخر، بالقدر الذي نريد من خلاله أن حدد فيه النطاق الذي نقصده من هذا المصطلح في هذه الدراسة، وبالقدر الذي يتناسب ويخدم الموضوع. لذلك سيخصص الفرع الأول للتعريف بالحق في التنمية المستدامة في القانون الدولي. أما الفرع الثاني فيخصص لدراسة أشخاص الحق بالتنمية المستدامة، أما الفرع الثالث والأخير في هذا المطلب فسنبحث فيه التنمية المستدامة في الفقه والقضاء الدولي.

الفرع الأول

التعريف بالحق في التنمية المستدامة في القانون الدولي

يعد الحق في التنمية من حقوق الإنسان الجماعية والتي تتمتع بها الجماعات والشعوب والدول، فعلى الرغم من التطورات التي شهدتها المجتمع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، ومنها إنشاء منظمة الأمم المتحدة، وتزايد أعداد الدول الحديثة، واستقلال الدول من الإستعمار وغيرها من أحداث كثيرة، إلا أن الإستجابة للتغيير نحو حياة أفضل كان يسير ببطء شديد وحذر، ويظهر ذلك بوضوح من خلال عرقلة الجهود التي تبذلها الدول من أجل تنمية شعوبها وإشباع حاجتهم الأساسية، والتي لا يمكن إدراكها دون تغييرات جوهرية في هيكلية ومؤسسات النظام الإقتصادي الدولي والقوانين التي تحكمه.

ومن هنا يبرز الحق في التنمية كصيغة جديدة من أجل تحقيق تلك الأهداف، فهو حق أكد وجوده القانون الدولي، وذلك من خلال تنامي ظهور قواعد قانونية دولية للتنمية قابلة للإندماج بالقواعد القانونية الدولية القائمة ومعتمدة عليها. يعد مصطلح التنمية من المصطلحات التي كثر إستعمالها ابتداءً من منتصف القرن العشرين، وفي البداية كان يقصد به التعبير عن عملية إقتصادية مادية في أساسها تتم على مستوى البنى الإقتصادية، والتكنولوجية وتطوير الوسائل المعيشية، لتوفير ما يسد حاجات الإنسان المادية الأساسية. لذلك فقد تطور مفهوم التنمية ليشمل جميع أبعاد حياة الإنسان والمجتمع، ويغطي مختلف المجالات والتخصصات، ويتقاطع مع جميع العلوم الإجتماعية، ولذلك ظهر مصطلح « التنمية الشاملة أو العامة»، والتي يقصد بها عملية تطوير المجتمع بجميع أبعاده الإقتصادية، والإجتماعية والثقافية، والسياسية (١).

كما تعد التنمية بشكل عام عن مجموعة من العمليات المتكاملة التي يقوم بها مجتمع من المجتمعات، بهدف الإنتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، تستهدف غالباً تحسين الأوضاع الإقتصادية، والإجتماعية لذلك المجتمع، وتقوم التنمية غالباً على عنصرين، أحدهما بشري، والآخر مادي. فالبشر هم الرصيد الأساس لأي بلد، ورفاهيتهم هي التي تحدد تعريف التنمية، ومن طاقاتهم ومبادراتهم تستمد التنمية قوة إندفاعها، كما أن خصائصهم هي التي تحدد اتجاه التنمية (٢). فالتنمية على أساس ذلك هي عملية تغير، وهذا التغير لا يتأتى إلا عن طريقين أحدهما (كمي) وهنا تعني التنمية بالنمو، والتغير هنا قد يكون ذاتياً بواسطة عوامل خارجية، والآخر (نوعي) أي عملية التحسن في شيء ما، وغالباً ما يكون هذا التغير النوعي عن طريق عمليات إرادية من طرف آخر، ولا يمنع أن تندمج الطريقتان معاً في آن واحد أي تغير وتغير نوعي وكمي، وهو المعنى الأشمل للتنمية في المفهوم الاصطلاحي العام.

إن شدة إرتباط أهداف التنمية بحقوق الإنسان دعت (جان ماري دوميناك j.m.Domenach) أن يقرر بأن التنمية (ضرورة مرتبطة بجوهر الإنسان وحيثيته) (٣). وبذلك، يكمن مفهوم الحق في التنمية في تجنيد الموارد المادية والإنسانية الوطنية منها والإقليمية والدولية، بهدف رفع مستوى حياة السكان في وسط إجتماعي وثقافي ملائم، وبعبارة أخرى فإنه حق لوسائل إستكمال الذات (٤).





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

وفهم الحق في التنمية بصورة أوسع (كمطلب إنساني، وإن مبدأ تكافؤ الفرص في إنجاز التنمية هو حق لكل الشعوب والأفراد، وأنه كذلك مطلب كل الدول والشعوب في العيش في سلام وحرية وتطور مستقل، ويفهم كذلك على أنه عمل يهدف إلى التقدم من الناحية المادية والروحية لمستوى المعيشة لكل أفراد المجتمع، وهو يعني أيضاً تنمية الفرد تنمية متكاملة، وبعده عاملاً نشطاً في إنجاز هذه التنمية، وهي ليست بيئية فقط، ولكنها اجتماعية وثقافية أيضاً، وتتجه عناصرها نحو الصحة والتعليم وغيرها من مجالات الحياة) (٥).

كما أستعمل إقتصاديو التنمية تعبير الإستدامة محاولة منهم لإيضاح التوازن المطلوب بين النمو الإقتصادي من ناحية والحفاظ على الطبيعة من ناحية أخرى. وعلى الرغم من وجود تعريفات كثيرة للتنمية المستدامة إلى أن أدقها يشير إلى إنها «التنمية التي تلبي إحتياجات الجيل الحالي، دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجاتهم». وعلى ضوء هذا التعريف سنؤطر هذه الدراسة (٦).

أما خصائص التنمية المستدامة فهي:

١. الإنسان محور التنمية المستدامة: تستمد هذه الخاصية من المبدأ الأول من إعلان ريو الذي ينص بأن «الكائنات البشرية هي في مركز الإنشغالات الخاصة بالتنمية المستدامة، وله أن يحيا حياة صحية ومنتجة بما ينسجم مع الطبيعة» (٧).
 ٢. تحقيق العدالة ما بين الأجيال: تستمد هذه الخاصية من المبدأ الثالث من إعلان ريو الذي يقضي بأن «إعمال الحق في التنمية على نحو يكفل بشكل منصف بالإحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة» (٨).
- وتطرح نظرية العدالة ما بين الأجيال فكرة أن الأجيال اللاحقة لها حق على هذا الكوكب، وأن هذه الحقوق لن تكون إلا إذا إحترمت حقوقهم، وعلى هذا الإحترام أن يسمو على الإختلافات الموجودة بين الدول وبين الأديان وبين الثقافات (٩).
- هذا وللتنمية المستدامة أبعاد كثيرة، وبالقدر الذي يخدم الدراسة فإن هناك ثلاثة أبعاد يجب الوقوف عندها، وهذه الأبعاد هي:
١. البعد الإقتصادي: تهدف التنمية المستدامة بالنسبة إلى الدول الغنية إلى إجراء تخفيضات متواصلة في مستويات إستهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، والتي تصل إلى أضعاف أضعافها في الدول الغنية مقارنة بالدول الفقيرة، وتمثل الأبعاد الإقتصادية للتنمية المستدامة حصة الإستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية، فنلاحظ أن سكان الدول الصناعية يستغلون مستوى نصيب الفرد من الموارد الطبيعية في العالم أضعاف ما يستخدمه سكان الدول النامية، ومن أمثلة ذلك أن إستهلاك الطاقة الناجمة عن النفط والغاز والفحم في الولايات المتحدة الأمريكية أعلى مما هو في الهند في (٣٣) مرة (١٠).

٢. البعد الإجتماعي: تسعى عملية التنمية المستدامة لتحقيق تنمية بشرية، تهدف إلى تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم، فضلاً عن عنصر المشاركة، وفق ما تؤكد أدبيات التعريفات بأن مركزها الأساسي ينطلق من خلال مشاركة الناس في صنع القرارات التنموية التي تؤثر في حياتهم، وبشكل الإنسان محور هذه التعريفات المقدمة بخصوص التنمية المستدامة، والعنصر المهم الذي تشير إليه تعريفات التنمية المستدامة المتمثل بالعدالة والإنصاف والمساواة (١١).
٣. البعد التكنولوجي: تستهدف التنمية المستدامة تحقيق تحول سريع في القاعدة التكنولوجية للمجتمعات الصناعية، إلى تكنولوجيا جديدة أنظف، وأكثر وأقدر على الحد من الأزمات، كذلك في إجراء هذا التحول في الدول النامية الأخذ في التصنيع لتفادي تكرير أخطاء التنمية، وتفادي الأزمات الذي تسببت به الدول الصناعية، كما يشكل التحسن التكنولوجي الذي تستهدفه التنمية المستدامة، وسيلة مهمة للتوفيق بين أهداف التنمية المستدامة والقيود التي تفرضها الدول النامية (١٢).

الفرع الثاني:

أشخاص الحق بالتنمية المستدامة

هل يعد الحق في التنمية حق فردي أم حق جماعي، وإذا كان حقاً جماعياً، فأى من الجماعات والدول يكون حقاً لها؟ إن الحق في التنمية هو حق من حقوق الإنسان إلى جانب أنه حق من حقوق الشعوب، إلا أن الإتجاهات اختلفت في تحديد صاحب هذا الحق. فالإتجاه الأول يذهب إلى أن هذا الحق هو حق فردي، ومن ثم فإن الأفراد هم أصحاب





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

هذا الحق، وذلك بإعتبار أن مضمونه هو توفير أفضل الظروف الممكنة للإنسان، لتحسين أحواله المعيشية ومكافحة مشاكل الفقر والجهل والمرض والبطالة، ولذلك ينبغي أن توجه التنمية صوب كل إنسان في العالم، فهو حق فردي حتى يكون الإنسان قادراً من خلاله على تحقيق طاقاته الكاملة على نحو كامل، والحق في التنمية يبدو متطلباً لتعزيز المشاركة الشعبية، وتحسين ظروف المعيشة لمكافحة مشكلة الفقر (١٣).

كما الهدف النهائي للتنمية في أية دولة هو الإنسان ذاته، لذا نسب الحق في التنمية للإنسان، ولما كان الإنسان يحصل على حقوقه عادة عن طريق دولته، فإنه إذا حالت ظروف الدولة عن إعمال هذا الحق لشعبها فإن هذه الدولة تصبح صاحبة حق في التنمية على المستوى الدولي، لمصلحة شعبها، وذلك نظراً لإقتصر العلاقات الدولية (عادة) بين أشخاص القانون الدولي فقط، ولهذا لا بد أن يكون محتوى حق الدولة في التنمية مختلفاً عن حق الفرد، وذلك لأن ما يحول دون إمكانية الدولة النامية من إعمال هذا الحق لشعبها، إنما يرجع لأسباب لها علاقة مباشرة في كثير من الأحيان إلى طبيعة آلية النظام الاقتصادي الدولي القائم وسلوك الدول الغنية اللامسؤول في علاقاتها مع الدول الفقيرة سواء في الماضي أو الحاضر (١٤).

هذا وقد طالبت بعض الدول أثناء إعداد إعلان الحق في التنمية بأن يقتصر الحق في التنمية على البعد الفردي، أي باعتباره حقاً للأفراد فقط، في حين طالبت الدول النامية بأن يتم النص عليه بإعتباره حقاً للشعوب والجماعات، وقد خرج الإعلان ليعكس طابعاً متوازناً بين هذين الرأيين، فنص على أنه حق للإنسان وحق للجماعات والشعوب، كما أشارت المادة (٣/٢) من هذا الإعلان إلى حق الدول في تنسيق سياسات التنمية الوطنية المناسبة، والتي تهدف إلى التحسين المستمر لرفاهية السكان والأفراد، والتي تستند على مشاركة ومساهمة فاعلة وحرّة وهادفة في التنمية، وتوزيع الفوائد الناتجة عنها بعدالة (١٥).

بينما يذهب الاتجاه الآخر إلى إعتباره حق جماعي، وذلك بإعتبار أن التنمية يجب تحقيقها لجميع الشعوب دون تمييز أو تفرقة، ولذلك يجب توجيهها صوب كل الشعوب وكل الدول، خصوصاً تلك التي لم تحصل عليها بعد، وعلى ذلك فإن الحق في التنمية حق فردي وحق جماعي في نفس الوقت، حق فردي يثبت للإنسان الفرد، وحق جماعي يثبت للدول والجماعات والشعوب، وبصفة خاصة تلك التي لم تحصل على التنمية بعد (١٦).

كما أن الحق في التنمية حق جماعي (١٧)، بإعتبار أن التنمية يجب تحقيقها لجميع الشعوب دون تمييز أو تفرقة، ولكل الدول أن تنشئ إمكانات تحقيق التنمية بالتعاون مع غيرها من الدول، وفي وضع سياسات تنموية وطنية ودولية ملائمة تهدف إلى الوصول برفاهية جميع الشعوب إلى أعلى مستوى ممكن من أجل تلبية إحتياجات الأجيال الحالية واللاحقة.

ووفقاً لرأي أحد فقهاء القانون الدولي، فإن الحق الجماعي يتميز بصفتين أساسيتين، الأولى أنه من حيث «التمتع به» ذو صفة إنفرادية» بمعنى أن كل فرد من أفراد «المجموع» هو الذي يتمتع به في النهاية، والثانية هو أنه من حيث الإهتمام به وبكيفية حمايته وصيانتته، ذو طبيعة جماعية، لأن المجموع هو الذي سيضار في النهاية من جراء إنتهاكه والإعتداء عليه (١٨).

وأخيراً وفي رأي البعض، ونجانبهم الرأي، فإن الحق في التنمية هو حق مختلط من مجموعة حقوق موجودة بالفعل، فإذا إنعدمت هذه الحقوق إنعدم معها الحق في التنمية (١٩)، ولذلك فإن الحق في التنمية ما هو إلا تجميع وتركيب لجميع حقوق الإنسان، إن أصحاب الحق في التنمية هم الأفراد والجماعات والشعوب والدول التي لم تحصل على التنمية حتى الآن، وإذا كان أصحاب الحق في التنمية هم الأفراد والشعوب والجماعات والدول، فإنه وفقاً للمفهوم الحديث للتنمية، أي التنمية المستدامة، فإنه أصبح حقاً للأجيال الحالية والقادمة على السواء، ومن هنا تظهر الصلة وثيقة بين الحق في التنمية والحق في بيئة سليمة خالية من التلوث.

الفرع الثالث:

التنمية المستدامة في الفقه والقضاء الدولي

لقد إستحوذت التنمية المستدامة على إهتمام فقهاء القانون الدولي، كما أن القضاء الدولي من جانبه تطرق لها أيضاً في





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

قرارات شتى، سنحاول في هذا الفرع البحث في ذلك، من خلال إستعراض وجهات النظر المختلفة في ذلك.

أولاً: موقف الفقه الدولي

اختلف الفقهاء الدوليين في قيمة «التنمية المستدامة»، فمنهم من عد هذا المصطلح قاعدة توجيهية، بينما ذهب الفريق الآخر إلى عده قاعدة قانونية.

فقد رأى الفريق الأول بأن التنمية المستدامة هي قاعدة توجيهية، وحسب هذا الجانب من الفقه فإن تكريس مفهوم التنمية المستدامة في مختلف الوثائق القانونية غير كاف لعهده مبدأ قانونياً، والسؤال المطروح هل للتنمية المستدامة مضمون قانوني ذو طابع إلزامي ومنشأً لالتزامات وحقوق؟ وهل أن تطبيق المفهوم يؤدي في كل الحالات إلى حل قانوني موحد؟ أم يكفي اعتبار مفهوم التنمية المستدامة قاعدة توجيهية.

يرى جانب من الفقه أن مفهوم التنمية المستدامة لم يصل بعد إلى درجة عده قاعدة قانونية منتجة لآثار قانونية، ويسندون في ذلك إلى أنه لم يوضع لحد الآن تعريف محدد لمفهوم التنمية المستدامة بسبب توسع وتعدد أوجه التنمية المستدامة، وظهور مفهوم التنمية المستدامة بصفة متميزة ومختلفة في النصوص الملزمة والنصوص غير الملزمة (٢٠).

فتحت هذه الاعتبارات المجال واسعاً لتفسيرات متعددة فيما يتعلق بمعية المفهوم وفي هذا الصدد يوصف الأستاذ P.M. DUPPY أن إستحقاقات الدبلوماسية لمفهوم التنمية المستدامة والضعف التقني للمفهوم يعود أساساً إلى عموميته وعدم تحديد حدوده، مما يؤدي إلى إعتبره ليس كمبدأ ذو معنى محدد للبعد العام الذي أنشأت فيه المبادئ المتعلقة بالتسيير العقلاني للبيئة، وأن الأمر يتعلق بمفهوم عملي لا رجعه فيه منصوص عليه دائماً في الدعايات والأحكام القانونية التي تتم بالجمال المناخي فهو مبدأ يتضمن بصفة عامة توجيهات تتعلق بمجموع الأهداف الكبيرة لسياسة التنمية ومضمون خاص، وحسب P.M. DUPPY فإن عمومية المفهوم لا يمنع من أن يكون له طابعاً إلزامياً في القانون الدولي (٢١).

ويرى J.M FEVERIER أن عدم وجود قرارات قضائية تعاقب على عدم إحترام القواعد التي تركز مفهوم التنمية المستدامة يعني عدم وجود قاعدة قانونية، وهذا دليل كافي للتصريح أن المفهوم لم يصل بعد إلى درجة من النضج يسمح للقول أنه أصبح قاعدة قانونية (٢٢).

وحسب الأستاذ J.M FEVERIER فإذا كان مفهوم التنمية المستدامة يتمتع بالقيمة القانونية، فيصبح في هذه الحالة قاعدة جديدة في قانون يحتاج إلى إثراء، فهو يمثل إتجاه معتدل بإعتبار أن مفهوم التنمية المستدامة كهدف سياسي عام ذو قيمة قانونية يكتسبها بطريقة غير مباشرة (٢٣).

وقد تتضمن القواعد القانونية عبارات لا يمكن بالضرورة تعريفها وفي بعض الحالات تتصف بعدم التحديد والوضوح قبل تنفيذها، يترتب عن مثل هذه القواعد تحويل ونقل مهمة تعريف وتحديد المفهوم الشامل من الحياة التي أصدرت القواعد إلى الحياة التي تقوم بتنفيذها، لأن للحياة التنفيذية دور في إظهار وإبراز المدلول الخاص للقاعدة الاجتماعية، عند وضعها حيز التنفيذ بتكوين الرأي العام حولها. هكذا يبدو للوهلة الأولى أن النقاش حول القيمة القانونية لمفهوم التنمية المستدامة غامضاً ودون مضمون.

أما الإتجاه الثاني فيرى أن التنمية المستدامة هي مبدأ قانوني، معللين أن الميزة الأساسية لمفهوم التنمية المستدامة أنه ذو مضمون واسع ومن ثم من الصعب تحديده بدقة وهو السبب الذي أدى بجانب من الفقه إلى التصريح أن التنمية المستدامة أكثر من هدف تصبو إليه المجتمعات المعاصرة فهو عبارة عن إجراء ينبغي إحترامه من طرف مختلف المجتمعات، بل أكثر من ذلك فإن تكريس مفهوم التنمية المستدامة في مختلف النصوص القانونية الدولية أدى إلى إعتبره مبدأ من مبادئ القانون الدولي للبيئة، ظهر قبل مؤتمر ريو ١٩٩٢ هذا الأخير سمح بالاعتراف رسمياً بهذا المبدأ على المستوى الدولي (٢٤).

ويفسر J. M. PRIEUR مفهوم التنمية المستدامة على أنها أسلوب للإدارة والتسيير، كالدور الذي يلعبه رب الأسرة في إدارة شؤون العائلة أو من له حق إستعمال ملك غير الملزم بالحفاظ عليه، طبقاً لقواعد وأحكام القانون المدني،





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

ويمكن نقل هذه الالتزامات إلى القانون الدولي للبيئة إذا أخذنا في نظر الاعتبار أنها تراث طبيعي تلتزم البشرية بضمان نقله سليماً إلى الأجيال المقبلة. ويبدو من الصعب التشكك في كون التنمية المستدامة نتاج تقارب تيارين، أحدهما ينطلق من وجهة نظر علمية، والثاني ينطلق من القيم الإنسانية، وإن القواعد والمبادئ المتعلقة بحماية البيئة والحفاظ عليها هي عبارة عن الجمع والتوفيق بين الاعتبارات العلمية والقيم الإنسانية، وعليه يبدو أن تيار القيم الإنسانية ينظر إلى التنمية المستدامة كهدف أو قاعدة توجيهية لأنها تقوم على القيم الإنسانية من حيث الكيف، أما التيار العلمي يقوم على الكم يعتبر التنمية المستدامة مفهوماً قانونياً.

ومهما يكن، فإن مفهوم التنمية المستدامة يشكل وبدون تردد تحد كبير للقانون، خاصة للفقه الذي يعمل على التأطير القانوني للمشاكل المناخية وتحدد قيمة المفهوم حسب الطريقة والزاوية التي ينظر إليها وللمشكل المناخي (٢٥). ونحن من جانبنا نؤيد أن التنمية المستدامة تشكل مبدأ من مبادئ القانون الدولي.

ثانياً: موقف القضاء الدولي

على خلاف النصوص القانونية الدولية التي كرست مفهوم «التنمية المستدامة» نجد أن القضاء الدولي غير مستقر وغير صريح بشأن الاعتراف بهذا المفهوم كمبدأ من مبادئ القانون الدولي في بداية ظهوره.

ففي البداية لم تشر محكمة العدل الدولية إلى مفهوم التنمية المستدامة صراحة ومع ذلك فهي لم تتجاهل هذا المفهوم، حيث أكدت في قرارها الصادر في ١٩٩٧/٩/٢٦ في قضية غابتشيكوفو - ناغيماروس، على أنها سبق وأن أشارت إلى مفهوم التنمية المستدامة في رأيها الاستشاري حول مشروعية التهديد باستعمال الأسلحة النووية وذلك في ١٩٩٦ (٢٦). ومع ذلك فإن محكمة العدل الدولية قد أشارت إلى عبارة البيئة من جهة والتنمية المستدامة من جهة أخرى، حيث تعبر محكمة العدل الدولية أن البيئة ليست نظرية مجردة، لكنها مجال تعيش فيه الكائنات الحية البشرية، وأن نوعية معيشتهم وصحتهم مرتبط بالبيئة وما فيه صحة ومعيشة الأجيال القادمة.

كما تعد أن مفهوم التنمية المستدامة يفسر ضرورة التوفيق بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة (٢٧)، وذلك ما أيده وأكدته الأستاذ J. SOHNLE بقوله « إن قرار المحكمة الدولية كرس بوضوح مفهوماً نظرياً للتنمية المستدامة ما دام أن المحكمة قد استعملته للتوفيق بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة (٢٨)، وأن التمسك بالبعد الزمني والمستقبلي لضرورات حماية البيئة بشكل عام وحماية المناخ على وجه الخصوص هو عنصر جوهري أساسي لمفهوم التنمية المستدامة، حيث أشارت المحكمة بأن تدخل الإنسان في البيئة يشكل خطراً على البشرية سواء على الأجيال الحاضرة والقادمة (٢٩). لذا فإن مبدأ حقوق الأجيال القادمة الذي اعترفت به المحكمة، مرتبط بمفهوم التنمية المستدامة مضموناً بيئياً (٣٠). ويعد مفهوم التنمية المستدامة حسب ما يراه ويرامنتزي القاضي بمحكمة العدل الدولية مفهوماً بسيطاً ومبدأ أساسياً على الرغم من حداثة، لأنه يظهر في فقه القانون الدولي الحديث، وسيلعب دوراً في حل النزاعات البيئية، حيث أنه بدون الاعتماد على الأبعاد التي يقوم عليها مفهوم التنمية المستدامة سيكون من الصعب حل المشاكل التي يثيرها النزاع، ويقول القاضي ويرامنتزي أن مفهوم التنمية المستدامة يعتبر جزءاً مكوناً للقانون الدولي الحديث، فهو مبدأ ذو طبيعة قانونية (٣١). ولعل كثرة النص على التنمية المستدامة في القرارات الدولية المتعلقة بالبيئة وذلك على المستويين الإقليمي والدولي، هو الذي دفع بمحكمة العدل الدولية أن تقرر في معرض حكمها الصادر في الخامس والعشرين من أيلول عام ١٩٩٧ والمتعلق بمشروع غابتشيكوفو - ناغيماروس بين المجر وسلوفاكيا بأن هذا المبدأ يحدث توازناً هاماً وضرورياً بين اعتبارات التنمية الاقتصادية واعتبارات حماية البيئة، ويعد في طليعة القواعد الجديدة للقانون الدولي للبيئة التي ينبغي على الدول أن تأخذها في نظر الاعتبار ليس فقط بمناسبة الترخيص بإقامة أنشطة جديدة، وإنما أيضاً عند متابعة الأنشطة التي أنشئت في الماضي (٣٢). حيث قالت المحكمة في هذا الصدد إنه « كم الواضح أن أثر المشروع على البيئة، وما يترتب عليه من نتائج تتعلق بالبيئة، مسألة أساسية بحكم الضرورة. وقد تم تطوير قواعد ومعايير جديدة مبنية في عدد من الصكوك خلال العقدين الماضيين يجب أن تؤخذ هذه الصكوك في نظر الاعتبار، ويجب أن تعطى هذه المعايير الجديدة وزنها الصحيح،





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

ليس فقط حين تفكر الدول في القيام بأنشطة جديدة، ولكن عندما تواصل أنشطة بدأتها في السابق أيضاً، وهذا يعني لأغراض هذه القضية، إن الطرفين معا يجب أن ينظرا من جديد إلى الآثار التي يتركها تشغيل محطة غابنثيسكو للطاقة الكهربائية على البيئة».

هذا وقد تطرق تقرير لجنة القانون الدولي / الدورة الحادية والسبعون/ ٢٠١٦، إلى دور القضاء والتحكيم الدولي في إبراز مصطلح «التنمية المستدامة»، وذلك في مناسبة التعليق على المبادئ التوجيهية لحماية الغلاف الجوي، فعند الوصول إلى المبدأ التوجيهي الخامس والخاص بالاستخدام المستدام للغلاف الجوي، أسردت اللجنة مجموعة من القرارات القضائية الدولية والتي حاولت من خلالها التأسيس القانوني لهذا المصطلح، ومن القرارات التي ذكرها التقرير (٣٣).

المطلب الثاني:

دور أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة في تعزيز قيم المواطنة

أهداف التنمية المستدامة، والمعروفة كذلك باسم الأهداف العالمية، هي دعوة عالمية للعمل من أجل القضاء على الفقر وحماية كوكب الأرض وضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار. وتستند هذه الأهداف السبعة عشر إلى ما تم إقراره من نجاحات في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية (٢٠٠٠-٢٠١٥)، كما تشمل كذلك مجالات جديدة مثل تغير المناخ، وعدم المساواة الاقتصادية، وتعزيز الابتكار، والإستهلاك المستدام، والسلام، والعدالة، وأولويات أخرى.

وتقتضي أهداف التنمية المستدامة العمل بروح الشراكة وبشكل عملي حتى يمكننا اليوم اتخاذ الخيارات الصحيحة لتحسين الحياة، بطريقة مستدامة، للأجيال القادمة. وهي توفر مبادئ توجيهية وغايات واضحة لجميع الدول لكي تعتمد عليها وفقاً لأولوياتها مع اعتبار التحديات البيئية التي يواجهها العالم بأسره.

تمثل أهداف التنمية المستدامة جدول أعمال شامل. وهي تعالج الأسباب الجذرية للفقر وتوحد الدول لإحداث تغيير إيجابي لكل من البشر والكوكب.

دخلت أهداف التنمية المستدامة حيز النفاذ في كانون الثاني ٢٠١٦، وستستمر في توجيه سياسات وتمويل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للسنوات الخمسة عشر المقبلة. وبوصفه الوكالة الرائدة في مجال التنمية في منظومة الأمم المتحدة، فإن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في وضع فريد يمكنه من المساعدة في تنفيذ الأهداف من خلال العمل في نحو ١٧٠ دولة. وتركز الخطة الاستراتيجية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي على عدة مجالات رئيسية، تشمل الحد من الفقر، وتعزيز الحكم الديمقراطي وبناء السلام، ومواجهة آثار تغير المناخ، ومخاطر الكوارث، وعدم المساواة الاقتصادية.

ويقدم البرنامج الإنمائي الدعم للحكومات لإدماج أهداف التنمية المستدامة في خططها وسياساتها الإنمائية الوطنية. وهذا العمل جار بالفعل، ويدعم العديد من الدول في تسريع وتيرة التقدم الذي تم إقراره بالفعل في إطار الأهداف الإنمائية للألفية (٢٠٠٠-٢٠١٥) والبناء على أساسه. سنحاول في هذا المطلب بيان أهداف التنمية المستدامة والتي لها علاقة بتعزيز قيم المواطنة، أو بعبارة أخرى سنطرق في الفرع الأول إلى أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة والتي إذا تحققت ستساهم في تعزيز قيم المواطنة وهذه الأهداف الأربع هي: الهدف الأول: القضاء على الفقر بجميع أشكاله، الهدف الثاني: القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسنة وتعزيز الزراعة المستدامة، الهدف الثالث: ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار، الهدف الرابع:

ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع. أما الفرع الثاني فسنبحث فيه في مسؤولية أعمال الحق في التنمية المستدامة. بينما سيخصص الفرع الثالث والأخير للبحث في الإمتثال لأهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.

الفرع الأول:

أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة التي من شأنها أن تعزز قيم المواطنة

تمثل هذه الأهداف برنامج عمل لأجل الناس وكوكب الأرض ولأجل الازدهار. وهي تهدف أيضاً إلى تعزيز السلام





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

العالمي، كما أن القضاء على الفقر بجميع صورته وأبعاده، بما في ذلك الفقر المدقع، هو أكبر تحد يواجهه العالم، وهو شرط لا غنى عنه لتحقيق التنمية المستدامة.

وستعمل جميع الدول والجهات صاحبة المصلحة على تنفيذ هذه الخطة في إطار من الشراكة التعاونية، وتبرهن أهداف التنمية المستدامة، البالغ عددها ١٧ هدفاً، وغايتها، البالغ عددها ١٦٩ غاية، على إتساع نطاق هذه الخطة العالمية ومدى طموحها. فالمنشود من هذه الأهداف والغايات هو مواصلة مسيرة الأهداف الإنمائية للألفية وإنجاز ما لم يتحقق في إطارها، كذلك يقصد بها إعمال حقوق الإنسان الواجبة للجميع وتحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات كافة، وهي أهداف وغايات متكاملة غير قابلة للتجزئة تحقق التوازن بين الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة: البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي. وستقتصر دراستنا في هذا الفرع على أربع أهداف، وأن إقتصار الدراسة على هذه الأهداف دون غيرها سببه أن هذه الأهداف من شأنها أن تعزز قيم المواطنة، وهذه الأهداف هي:

الهدف الأول: القضاء على الفقر بجميع أشكاله

تهدف الأمم المتحدة إلى القضاء على الفقر المدقع لجميع البشر أينما كانوا بحلول عام ٢٠٣٠، وهو يُقاس حالياً بعدد الأشخاص الذين يعيشون بأقل من ١,٢٥ دولار في اليوم، ولكي يتحقق هذا الهدف فيجب أن تقوم الدول بإستحداث نظم وتدابير حماية اجتماعية ملائمة على الصعيد الوطني للجميع، ووضع حدود دنيا لها، وتحقيق تغطية صحية واسعة للفقراء والضعفاء، وضمان تمتع جميع الرجال والنساء، ولا سيما الفقراء والضعفاء منهم، بنفس الحقوق في الحصول على الموارد الاقتصادية، وكذلك حصولهم على الخدمات الأساسية، وعلى حق إمتلاك الأراضي والتصرف فيها وغيره من الحقوق المتعلقة بأشكال الملكية الأخرى، وبالحصول على الموارد الطبيعية، والتكنولوجيا الجديدة الملائمة، والخدمات المالية، وبناء قدرة الفقراء والفئات الضعيفة على الصمود واحد من تعرضها وتأثرها بالظواهر المتطرفة المتصلة بالمناخ وغيرها من الهزات والكوارث الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وكفالة حشد موارد كبيرة من مصادر متنوعة، بما في ذلك عن طريق التعاون الإنمائي المعزز، من أجل تزويد الدول النامية، ولا سيما أقل الدول ثمناً، بما يكفيها من الوسائل التي يمكن التنبؤ بها من أجل تنفيذ البرامج والسياسات الرامية إلى القضاء على الفقر بجميع أبعاده، ووضع أطر قانونية سليمة على كل من الصعيد الوطني والإقليمي والدولي، استناداً إلى استراتيجيات إنمائية مراعية لمصالح الفقراء، من أجل تسريع وتيرة الاستثمار في الإجراءات الرامية إلى القضاء على الفقر.

الهدف الثاني: القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسنة وتعزيز الزراعة المستدامة

يهدف الهدف الثاني من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة عن القضاء على الجوع وضمان حصول الجميع ولا سيما الفقراء والفئات الضعيفة، بمن فيهم الرضع، على ما يكفيهم من الغذاء المأمون والمغذي طوال العام، ووضع نهاية لجميع أشكال سوء ، ومعالجة الاحتياجات التغذوية للنساء الحوامل والمرضع وكبار السن، ومضاعفة الإنتاجية الزراعية ودخل صغار منتجي الأغذية، ولا سيما النساء وأفراد الشعوب الأصلية والمزارعون الأسريون والرعاة والصيادون من خلال ضمان الأمن والمساواة في حصولهم على الأراضي وعلى موارد الإنتاج الأخرى والمدخلات والمعارف والخدمات المالية وإمكانية وصولهم إلى الأسواق وحصولهم على الفرص لتحقيق قيمة مضافة وحصولهم على فرص عمل غير زراعية، وضمان وجود نظم إنتاج غذائي مستدامة، وتنفيذ ممارسات زراعية متينة تؤدي إلى زيادة الإنتاجية والمحاصيل، وتساعد على الحفاظ على النظم الإيكولوجية، وتعزيز القدرة على التكيف مع تغير المناخ وعلى مواجهة أحوال الطقس الشديدة وحالات الجفاف والفيضانات وغيرها من الكوارث، وتحسين تدريجياً نوعية الأراضي والتربة، والحفاظ على التنوع الجيني للبذور والنباتات المزروعة والحيوانات الداجنة والأليفة وما يتصل بها من الأنواع البرية، بما في ذلك من خلال بنوك البذور والنباتات المتنوعة التي تُدار إدارة سليمة على كل من الصعيد الوطني والإقليمي والدولي، وضمان الوصول إليها وتقاسم المنافع الناشئة عن استخدام الموارد الجينية وما يتصل بها من معارف تقليدية بعدل وإنصاف على النحو المتفق عليه دولياً، وزيادة الاستثمار، عن طريق التعاون الدولي المعزز، في البنى التحتية الريفية، وفي البحوث الزراعية وخدمات





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

الإرشاد الزراعي، وفي تطوير التكنولوجيا وبنوك الجينات الحيوانية والنباتية من أجل تعزيز القدرة الإنتاجية الزراعية في الدول النامية. ولا سيما في أقل البلدان نمواً، ومنع القيود المفروضة على التجارة وتصحيح التشوهات في الأسواق الزراعية العالمية، عن طريق الإلغاء الموازي لجميع أشكال إعانات الصادرات الزراعية، وجميع تدابير التصدير ذات الأثر المماثل، واعتماد تدابير لضمان سلامة أداء أسواق السلع الأساسية ومشتقاتها وتيسير الحصول على المعلومات عن الأسواق في الوقت المناسب، وذلك للمساعدة على الحد من شدة تقلب أسعارها.

المهدف الثالث: ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار
يتضمن هذا المهدف وضع نهاية لأوبئة الإيدز والسل والملاريا والأمراض المدارية المهملة ومكافحة التهاب الكبد والأمراض المنقولة بالمياه والأمراض المعدية الأخرى، وتخفيض الوفيات المبكرة الناجمة عن الأمراض غير المعدية بمقدار الثلث من خلال الوقاية والعلاج وتعزيز الصحة والسلامة العقلية. وتعزيز الوقاية من إساءة استعمال المواد، بما يشمل تعاطي مواد الإدمان وتناول الكحول على نحو يضر بالصحة، وعلاج ذلك، خفض عدد الوفيات والإصابات الناجمة عن حوادث المرور على الصعيد العالمي إلى النصف، وضمان حصول الجميع على خدمات رعاية الصحة، بما في ذلك خدمات ومعلومات تنظيم الأسرة والتوعية الخاصة به، وإدماج الصحة الإنجابية في الاستراتيجيات والبرامج الوطنية، وتحقيق التغطية الصحية الشاملة، بما في ذلك الحماية من المخاطر المالية، وإمكانية الحصول على خدمات الرعاية الصحية الأساسية الجيدة وإمكانية حصول الجميع على الأدوية واللقاحات الأساسية المأمونة الجيدة الفعالة الميسورة التكلفة، والحد بدرجة كبيرة من عدد الوفيات والأمراض الناجمة عن التعرض للمواد الكيميائية الخطرة وتلوث وتلوث الهواء والماء والتربة، وتعزيز تنفيذ إتفاقية منظمة الصحة العالمية الإطارية بشأن مكافحة التبغ في جميع الدول، حسب الاقتضاء، ودعم البحث والتطوير في مجال اللقاحات والأدوية للأمراض المعدية وغير المعدية التي تتعرض لها الدول النامية في المقام الأول، وتوفير إمكانية الحصول على الأدوية واللقاحات الأساسية بأسعار معقولة، وزيادة التمويل في قطاع الصحة وتوظيف القوى العاملة في هذا القطاع وتطويرها وتدريبها، وتعزيز قدرات جميع الدول، ولا سيما الدول النامية، في مجال الإنذار المبكر والحد من المخاطر وإدارة المخاطر الصحية الوطنية والعالمية.

المهدف الرابع: ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع
يهدف هذا المهدف إلى ضمان أن يتمتع جميع الفتيات والفتيان بتعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وجيد، مما يؤدي إلى تحقيق نتائج تعليمية ملائمة وفعالة. وضمان أن تتاح لجميع الفتيات والفتيان فرص الحصول على نوعية جيدة من النماء والرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم قبل الابتدائي حتى يكونوا جاهزين للتعليم الابتدائي، وضمان تكافؤ فرص جميع النساء والرجال في الحصول على التعليم التقني والمهني والتعليم العالي الجيد والميسور التكلفة، بما في ذلك التعليم الجامعي، والزيادة بنسبة كبيرة في عدد الشباب والكبار الذين تتوافر لديهم المهارات المناسبة، بما في ذلك المهارات التقنية والمهنية، للعمل وشغل وظائف لائقة ومباشرة الأعمال الحرة، والقضاء على التفاوت بين الجنسين في التعليم وضمان تكافؤ فرص الوصول إلى جميع مستويات التعليم والتدريب المهني للفئات الضعيفة، بما في ذلك للأشخاص ذوي الإعاقة والشعوب الأصلية والأطفال الذين يعيشون في ظل أوضاع هشّة، وضمان أن يلم جميع الشباب ونسبة كبيرة من الكبار، رجالاً ونساءً على حد سواء، بالقراءة والكتابة والحساب، وضمان أن يكتسب جميع المتعلمين المعارف والمهارات اللازمة لدعم التنمية المستدامة، بما في ذلك بحملة من السبل من بينها التعليم لتحقيق التنمية المستدامة وأتباع أساليب العيش المستدامة، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والترويج لثقافة السلام ونبذ العنف والمواطنة العالمية وتقدير التنوع الثقافي وتقدير مساهمة الثقافة في التنمية المستدامة، بناء المرافق التعليمية التي تراعي الفروق بين الجنسين، والإعاقة، والأطفال، ورفع مستوى المرافق التعليمية القائمة وتهيئة بيئة تعليمية فعالة ومأمونة وخالية من العنف وشاملة للجميع، والزيادة بنسبة كبيرة في عدد المنح المدرسية المتاحة للدول النامية على الصعيد العالمي، الزيادة بنسبة كبيرة في عدد المعلمين المؤهلين، من خلال التعاون الدولي لتدريب المعلمين في الدول





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

النامية، وبخاصة في أقل الدول نمواً والدول الجزرية الصغيرة النامية.

الفرع الثاني:

مسؤولية أعمال الحق في التنمية المستدامة

من المتفق عليه أن لكل حق من الحقوق أشخاصه، وأشخاص أي حق هم الدائن والمدين، والدائن هو المستفيد أو المتمتع بالحق أما المدين فهو المسؤول عن أداء هذا الحق فمن هو الدائن ومن هو المدين بالنسبة للحق في التنمية المستدامة؟ (٣٤).

أول المسؤولين عن أعمال الحق في التنمية المستدامة هي الدولة، إذ إنها صاحبة المسؤولية الأولى عن إيجاد الشروط المناسبة لتنمية شعوبها وأفرادها (٣٥)، كما إن الدول هي صاحبة الواجب والمسؤولية الرئيسية عن توفير الأجواء وتهيئة الأوضاع المحلية والدولية، والتي من شأنها أن تؤدي إلى أعمال الحق في التنمية (٣٦).

وفي قرار إنخذه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٧/كانون الأول/٢٠١٥ بينت في الفقرة (١٨) منه على تأكيدها على مسؤولية الدول في المقام الأول عن تهيئة الظروف المواتية لأعمال الحق في التنمية على الصعيدين الوطني والدولي، والتزامها بتعاون كل منها مع الأخرى بغية تحقيق تلك الغاية (٣٧).

ويرد في العديد من مواد إعلان الحق في التنمية تحديداً للدولة كصاحبة واجب، أي مدينة بالحق لأفرادها وشعوبها، وبترتب عليها الوفاء بهذا الدين من أجل أعمال الحق في التنمية للأفراد والشعوب، وعلى ذلك فإن الدول غير النامية صاحبة حق في التنمية ومدينة بتحقيق هذا الحق لشعوبها في نفس الوقت.

كما إن باقي الدول مدينة أيضاً باتخاذ الخطوات والإجراءات الفردية والجماعية، والتي من شأنها إزالة العقبات التي تعترض التنمية، وهي صاحبة واجب في وضع السياسات والإستراتيجيات التنموية على الصعيد الدولي لتسهيل أعمال الحق في التنمية، فعلى هذه الدول إلزام بالتعاون فيما بينها ومع الدول غير النامية من أجل تعزيز وحماية حقوق الإنسان ومن بينها، بطبيعة الحال، الحق في التنمية.

إذن يجب على الدولة أن تهيئ الظروف الاجتماعية والاقتصادية اللازمة، باتخاذ الإجراءات السياسية والقانونية المناسبة، من أجل توفير احتياجات الأفراد وتحسين مستوى معيشتهم، فالحق في التنمية إلزام منوط بالدول تجاه مواطنيها.

كذلك يقتضي أعمال هذا الحق على الصعيدين الوطني والدولي، اتخاذ إجراءات فعالة تضمن له الممارسة الكاملة، فمواجهة تحدي التنمية العالمي يتطلب إيجاد وعي مشترك بالأبعاد الكثيرة للتنمية عن طريق خلق «ثقافة التنمية»، التي تطوي على إتاحة الفرصة، على المستوى العالمي، للوصول إلى شبكات المعلومات المشتركة، فوجود قاعدة سليمة للمعلومات يعتبر عنصراً حيوياً في صياغة جميع جوانب السياسة الاقتصادية، بحيث لا يمكن اتخاذ قرار على المستوى الوطني والدولي بشكل صحيح ما لم تكن المعلومات المعتمد عليها دقيقة وكاملة.

وعلى أساس ذلك فالتنمية لم تعد تقتصر على أنها حق بل أصبحت حقاً وواجباً في نفس الوقت، حقاً للأفراد والشعوب والجماعات والدول وواجباً على الدول والمؤسسات والمنظمات الدولية. حيث نصت المادة (١/٣) من إعلان الحق في التنمية على أن «تتحمل الدول المسؤولية الرئيسية عن تهيئة الأوضاع الوطنية والدولية لأعمال الحق في التنمية»، ولذلك فإن مسؤولية تحقيق هذه التنمية تقع على عاتق الجميع، وعلى ذلك فإن تحقيق التنمية يجب أن يتم على مستويين، الأول داخلي والآخر خارجي، فعلى المستوى الداخلي تقع المسؤولية الأولى عن ضمان تحقيق التنمية على عاتق الدولة بالدرجة الأولى تجاه الأفراد الذين يتمتعون بجنسيتها، وذلك في إطار احترام التزاماتها الدولية، ولذلك فإن على هذه الدول أن تسعى لتوفير الظروف المناسبة لتنمية شعوبها، وذلك من أجل بلوغ هدفهم في التمتع بهذا الحق.

وعلى هذه الدول العمل على إشراك الجميع في عملية التنمية، أداء وإستفادة وهذا لن يتأتى إلا من خلال نظم حكم رشيدة أو جيدة، تقوم على أساس احترام الإنسان وكرامته، وعلى أساس المسؤولية، والمحاسبة، والمشاركة، والشفافية، وسيادة القانون، وبإختصار شديد توفير ديمقراطية حقيقية على أرض الواقع (٣٨).





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

كما نص إعلان الحق في التنمية على أن هذه الدول تقع عليها مسؤولية رئيسية في القيام بمهام تهيئة الأوضاع المحلية والدولية من أجل إعمال الحق في التنمية المادة (١/٣) من الإعلان، ولم يكتف الإعلان بذلك، بل طالب الدول بالعمل على خلق أجواء من التعاون فيما بينها من أجل إزالة العقبات التي تعترض عملية التنمية.

ولذلك فقد نص إعلان الحق في التنمية على أن تتخذ هذه الدول جملة من التدابير على الصعيد الوطني من أجل إعمال الحق في التنمية، ومن بين هذه التدابير مبدأ تكافؤ الفرض للجميع من أجل ضمان وصولهم إلى الموارد الأساسية وخدمات الصحة والتعليم والمأكل والملبس والسكن والعمل والتوزيع العادل للدخل، وفضلاً عن ذلك، ينص الإعلان على ضرورة قيام الدول باتخاذ تدابير فعالة تضمن قيام المرأة بدور نشيط وحيوي في عملية التنمية، كما تلتزم هذه الدول بالقيام بإجراء إصلاحات إقتصادية يكون هدفها إستئصال كافة المظالم الإجتماعية (٣٩).

وعلى ذلك فإن موافقة الدول النامية على هذا الإعلان تعني أنها أصبحت مسؤولة أمام شعوبها عن تحقيق عملية التنمية بأبعادها المختلفة، كما أن موافقة الدول المتقدمة على هذا الإعلان تعني أنها أصبحت مسؤولة هي الأخرى عن مساعدة الدول النامية التي تفتقر إلى الموارد المالية والفنية الكافية لتحقيق عملية التنمية، وبناءً على ذلك فإن تحقيق التنمية يعتبر حقاً للأفراد وحقاً للشعوب، ولذلك صنف ضمن الحقوق الجماعية للإنسان، بل إنها لا تعتبر حقاً فقط، وإنما هي حق وواجب في نفس الوقت، فإذا كانت التنمية حقاً للأفراد والشعوب لم تحصل عليها بعد، فإنها واجب على هذه الأفراد وتلك الشعوب، وفضلاً عن ذلك فهي واجب والتزام يقع على عاتق الدول والحكومات بنوعها، أي تلك التي حققت هذه التنمية وتلك التي لم تحققها بعد، والأكثر من هذا فإنها واجب والتزام يقع على عاتق المجتمع الدولي بجميع مؤسساته الوفاء به وتحقيقه (٤٠).

وبناءً على ما تقدم فإن داني الحق في التنمية هم الدول النامية وشعوبها وأفرادها، أما مدينو هذا الحق فهم الدول المتقدمة أو التي تملك المواد التكنولوجية، وكذلك المجتمع الدولي ممثلاً في الهيئات والمنظمات الدولية، ولذلك فإن هناك نوعاً من المرونة في صفة الدائن والمدين بالنسبة للدول النامية ومواطنيها، حيث أنها مدينة في مواجهة مواطنيها بتمكينهم من ممارسة الحق في التنمية كما أنها دائنة في مواجهة الدول المتقدمة والمجتمع الدولي بتمكينها من تحقيق التنمية المطلوبة لشعوبها (٤١). وعلى ذلك فإن التنمية حق للدول والأفراد والجماعات والشعوب غير النامية، كما إنها واجب على هؤلاء جميعاً فضلاً عن الدول المتقدمة والمؤسسات والهيئات الدولية.

الفرع الثالث:

الإمتثال لأهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

تعد المصلحة المعتبرة من وجود أي نظام قانوني هي توفير الحماية للشيء المحمي بموجب هذا النظام، وحيث يتوجب على الدول تطبيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، على الرغم من أن المادة (٣٨) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية قد نصت على مصادر القانون الدولي بشكل محدد، إلا أن التطور الذي رافق هذا القانون وظهور فروع جديدة له، دعا البعض إلى القول بأن هناك مصادر جديدة له تتمثل في القرارات الصادرة عن المنظمات الدولية، والتي كان لها دوراً مهماً في بلورة قواعد دولية عديدة، حيث إزدادت أهمية تبني المنظمات الدولية للقرارات في مثل موضوعات التنمية المستدامة، والتي ساهمت إلى حد كبير في إنشاء قواعد القانون الدولي بدرجات متفاوتة مما يجعل من الصعوبة بمكان إستبعاد تلك القرارات من عداد مصادر القانون الدولي.

ونتيجة للتطور الحاصل في القانون الدولي للتنمية، ظهرت صيغ قانونية جديدة نرى لها أن دور في قرارات المنظمات الدولية، وهذه الصيغ تسمى بالصيغ الملزمة قانوناً، «القانون الجامد»، والتي يترتب على مخالفتها تحمل عواقب عدم الإمتثال، إما الصيغ الأخرى، وهي الصيغ غير الملزمة، فتتمثل «بالقانون المرن»، والتي ترد بصيغة تعهدات تحمل معنى الإلتزام الأدبي، أو إلتزام سياسي أكثر من كونه إلتزام قانوني، وتعرف قواعد القانون المرن بأنها «القواعد التي لم تبسّر إلى قانون بعد، أو أنها القواعد التي لا تمثل قانوناً بالمعنى الصرف»، ويمثل القانون المرن أحد نتائج تطور القانون الدولي،





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

المتتمثلة بجهود الدول والمنظمات الحكومية، وغير الحكومية في تطوير صيغ قانونية جديدة، لتتطور إلى قواعد قانونية ملزمة لجميع الدول في المستقبل، لكن القانون المرن لا يعد بديلاً عن القواعد الملزمة (القانون الجامد) إنما هي صيغة إضافية أو ملحقة به، تعمل على سد الفجوات التي يخلقها القانون الجامد، ولكن بالمعايير الحديثة التي تواكب التطور الحاصل والسريع في القانون الدولي (٤٢).

وفي نطاق منظمة الأمم المتحدة، تتميز القرارات التي تصدر من الجمعية العامة بأهمية كبيرة، كونها صادرة عن جهاز يضم في عضويته كل دول العالم تقريباً. وعلى الرغم من الطبيعة القانونية غير الملزمة لهذه القرارات، إذا ما علمنا إن الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدر توصيات حسب المادة (١٠) من ميثاقها، وكذلك فإن بعض قراراتها تصدر بأغلبية بسيطة أو توافق الآراء، إلا أنها تتمتع باحترام كبير باعتبارها صادرة عن توافق إرادة الدول الأعضاء في الجماعة الدولية، إذا يرى البعض - ونؤيدهم في ذلك - « إن هذه القرارات أصبحت تشكل مصدراً جديداً للقانون الدولي لم يتوقعه النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، أو أنها في الأقل تشكل وجهة نظر جديدة لخلق قواعد قانونية دولية » (٤٣).

وفي هذا الإطار ذهبت محكمة العدل الدولية في رأيها الإفتائي الصادر بشأن مدى مشروعية التهديد بالأسلحة النووية أو استخدامها عام ١٩٩٦ إلى القول بأن القرارات الصادرة عن الجمعية العامة وأن لم تكن ملزمة، يمكن أن يكون لها في بعض الأحيان قيمة معيارية، فيمكنها توفير دليل له أهمية في إثبات وجود قاعدة عرفية، أو نشوء اعتقاد بالزامية ممارسة، ومن الممكن أن تدل مجموعة قرارات على النشوء التدريجي لذلك الاعتقاد اللازم لإقامة القاعدة الجديدة. (٤٤).

لذلك ينصرف التعريف بالإمتثال إلى تطابق السلوك المعياري والحدود لفعل معين، مع السلوك الفعلي له، ويتحقق عدم الإمتثال أو إنتهاك الإمتثال عندما يختلف هذا السلوك الفعلي بشكل كبير ومؤثر عن السلوك المعياري له، ويُقصد « بالسلوك المعياري » القواعد الملزمة التي ينبغي على الدول إحترامها والوفاء بها، والتي تتناول منها الإلتزامات الواردة بموجب الإتفاقيات الدولية (٤٥).

ويُعد إحترام الإمتثال للإلتزامات الدولية من الأمور الجوهرية في مجال القانون الدولي بوجه عام، حيث يساعد في الحفاظ على استقرار الأوضاع الدولية، وإحترام كافة مصادر هذا القانون، وكما ذهب الفقيه «Henkin» إلى أنه «على الدول أن تطيع حتى القوانين التي لا تُنم بمضمونها، ليتسنى لها المحافظة على القواعد التي تُمثل قيمة بالنسبة لها، من خلال الإبقاء على هيكل النظام القانوني الدولي قوياً، فالإمتثال للإلتزامات إتفاقية دولية يُساعد على بناء الثقة ومشاعر التعاون بين الدول، مما قد يساعد في تطوير قواعد القانون الدولي، وخاصة في المجال البيئي» (٤٦).

ويجسد الإمتثال للقرارات الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة تحقيق إرادة المجتمع الدولي وفق النهج التعاوني، ويُشئ الإمتثال سوابق دولية ذات قيمة كبيرة، تتمثل في خلق سلوك دولي «يُتوقع دائماً» أن يكون مطابقاً لقواعد القانون الدولي الإتفاقي، ويفرز لنا مجموعة من العادات المقبولة دولياً تساعد على بناء وتطوير هذا النظام القانوني بشكل تدريجي (٤٧). ولقد أثارت مسألة الإمتثال في القانون الدولي عدداً من الاسئلة، وفي مقدمتها لماذا تتمثل الدول للقانون الدولي عموماً؟ وما الأسباب التي تدفع الدول إلى عدم الامتثال؟

هناك أربعة مدارس فكرية كانت موجودة أواخر القرن التاسع عشر تناولت مسألة إمتثال الدول للقانون الدولي هي: المدرسة الأولى: ترى أن خضوع الدول للقانون الدولي مرهون بالمصالح، فمتى ما كانت هناك مصلحة للدولة بالخضوع خضعت، ولن تخضع أبداً ما دام هذا الخضوع يضر بمصالحها، وكان من أنصار هذه المدرسة الفيلسوف توماس هوبز، أما المدرسة الثانية فتري أن الخضوع للقانون الدولي يقوم على أساس أخلاقي يمكن إشتقاقه من مبادئ العدالة والقانون الطبيعي، التي نادى بها الفيلسوف كانت، بينما ترى المدرسة الثالثة أن الخضوع للقانون، يرجع بالأساس إلى أن تركيبة العلاقات بين الدول، هي التي تشجع على هذا الخضوع، والتي نادى بها الفقيه بنتام، والذي يقول «إن الدول في الواقع، لا تعيش بمعزل بعضها عن بعض، وإنما في ترابط وثيق، لذلك لا يمكن لأية دولة الإعتماد على سيادتها الإقليمية دون أي اعتبار للدول الأخرى»، أما المدرسة الرابعة فقد كانت هذه المدرسة بعيدة جداً عن الواقع فقد أنكرت صفة





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

القانون الدولي، وبررت ذلك على أساس أن القانون الدولي لا توجد سلطة تفرضه، وكان من أبرز المنادين بهذه المدرسة جون أوستن (٤٨).

ووجد في الفقه الحديث من يؤيد هذه المدرسة أو تلك، إذ إن الدول لا تخضع للقانون الدولي خوفاً من العقاب، وإنما تخضع للقانون الدولي في سبيل المحافظة على مكانتها في المجتمع الدولي، ووفقاً لمصالحها العامة، في حين أكد «رونالد ميشيل» على أن الخضوع والإمتثال للقانون الدولي مبني أساساً على المصالح، وأشار «هارولد كو» إلى تفسير مختصر للخضوع للقانون الدولي مفاده «إن القانون الدولي نادراً ما يفرض إلا أنه في العادة يطاع» (٤٩).

وعلى أية حال فإن الواقع العملي يشير إلى أن الخضوع للقانون الدولي عموماً، مبني على المصالح، فقد عقد في إطار الحق بالتنمية عدداً من الإتفاقيات التي يفترض أنها وعلى أقل تقدير قطعت شوطاً كبيراً في ذلك، إلا أنها في حقيقة الأمر ما زالت بعيدة بعض الشيء، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن طبيعة القانون الدولي تقوم أساساً على مبدأ السيادة، وبعبارة أخرى لا يمكن لأي جهة دولية كانت أم إقليمية أن تفرض على أي دولة الالتزام بأي إتفاقية كانت، والمثال البارز في هذا النطاق يتمثل في عدم مصادقة الولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا على بروتوكول كيوتو الذي لا ينسجم مع مصالحهما، ولهذا فإن الدول تبحث دائماً عن مصالحها عند التوقيع على أية إتفاقية إستناداً لمبدأ السيادة، كما أن الدول في خضوعها للقانون الدولي عموماً، تكون مدفوعة بإتجاه مصالحها الخاصة، فإيران على سبيل المثال قد رفضت التصديق على بروتوكول كيوتو، على أساس أنه يضر بمصالحها الوطنية، إلا أننا في المقابل نرى أن الامارات العربية المتحدة وعلى الرغم من الخسائر المتوقعة التي يمكن أن تكبدها من جراء تطبيق البروتوكول، قد صادقت عليه، لكي تتمكن من الإستفادة من الآليات المرنة المقررة في البروتوكول (٥٠).

إن العامل الأساسي لإمتثال الدول يكمن في أهليتها ومقدرتها على الوفاء بالتزاماتها، إلا أن عدم الإمتثال قد يحصل نتيجة للغموض الذي يكتنف الإتفاقية نفسها، كالغموض في لغة الإتفاقية، أو في تحديد قدرة الدولة لتنفيذ التزاماتها، أو في الأبعاد الزمنية للتغيرات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية التي تتضمنها الإتفاقية ذاتها، وعلى أية حال فإن أسباب عدم الإمتثال متنوعة ولا تقوم دائماً على سوء نية الدولة، ومن هذه الأسباب: (٥١).

١- إن بعض الدول قد تختار عدم الإمتثال بسبب أن الفوائد التي تحصل عليها لا توازي التكاليف التي تتحملها من خلال إمتثالها.

٢- إن الدولة يمكن أن توقع على الإتفاقية نتيجة لضغط محلي أو دولي، إلا أن التحليلات الداخلية للتكاليف والفوائد تبين أنها ستكون بوضع أفضل من خلال عدم الإمتثال.

٣- إن معظم حالات عدم الإمتثال في القانون الدولي يرجع إلى عدم قدرة مؤسسات الدولة على الإمتثال أكثر من أن يوصف بأنه سوء نية من تلك الدولة.

٤- إن حالات عدم الإمتثال قد تحصل على الرغم من بذل الجهود من قبل الدولة ذاتها، أو إن الدول من الممكن أن تتمثل لبعض نصوص الإتفاقية، في حين تفشل في الإمتثال للنصوص الأخرى.

ولذلك فإن الدول إذا توفرت لها الإمكانيات المطلوبة لتحقيق الإمتثال، وحققته فعلاً فإنها تكون بذلك قد أبعدت نفسها عن الدخول في قضايا المسؤولية الدولية، لأن الإمتثال نظام طوعي غير عقابي، كما أن إمتثال الدول للإتفاقيات التي تنظم إليها، يجعل منها دول مرحب بها في إطار العلاقات الدولية، وقد ينطبق عليها وصف الدول المحبة للسلام إلى حد ما (٥٢).

الخاتمة:

النتائج:

١. تعد التنمية المستدامة واحدة من الأولويات الرئيسية التي يسعى القانون الدولي لتحقيقها في الوقت الحاضر، وذلك من خلال قيام منظمة الأمم المتحدة برسم آلياتها، لتحقيق أهداف مختلفة، فهي إلزام متعدد الجوانب والأبعاد





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

لتحقيق حياة أرقى لجميع البشر، فهي تستند في فلسفتها على استمرار كينونة الحياة للإنسان والنبات والحيوان على حد سواء، وذلك من خلال ديناميكية تعتمد التوازن في هذا الكون، كما تعبر التنمية المستدامة بشكل عام عن مجموعة من العمليات المتكاملة التي يقوم بها مجتمع من المجتمعات، بهدف الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، تستهدف غالباً تحسين الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية لذلك المجتمع.

٢. إن تعزيز قيم المواطنة تستدعي الإخذ بالتنمية المستدامة، والتي تعني تلبية حاجات الحاضر دون المساومة على حاجات الأجيال المقبلة.

٣. شكل عام ٢٠١٥ نقطة تحول في إستراتيجية الأمم المتحدة إتجاه التنمية المستدامة، ففي ضوء خطة واسعة وشاملة أصدرتها الجمعية العامة. حاولت من خلالها رسم خارطة إجتماعية وسياسية وإقتصادية جديدة للمجتمع الدولي.

التوصيات:

١. العمل على زيادة التسهيلات التي تشجع جميع الدول بشقيها المتقدمة والنامية بالإنضمام للاتفاقيات التي من شأنها تنمية المجتمعات، وخاصة الدول الفقيرة، وذلك من خلال تعديل نصوص الاتفاقيات الموجودة حالياً، مع التشديد من شروط الإنسحاب من تلك الاتفاقيات، لكي لا يكون باب الإنسحاب من تلك الاتفاقيات مفتوحاً.

٢. إلزام الدول الأطراف في الاتفاقيات التنموية على الإلتزام بالمواعيد المحددة لتنفيذ الإلتزامات التي رتبها تلك الاتفاقيات، مع إلزامها بالوضوح بشأن بلاغاتها الوطنية الخاصة بما توصلت إليه في إطار عملية التنمية.

٣. على السلطة التشريعية في العراق الإلتزام بما جاء في أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة من خلال تعديل التشريعات الوطنية لتكون منسجمة مع تلك الأهداف، أو تشريع قوانين جديدة لذلك، فضلاً عن قيام السلطة التنفيذية في تضمين تلك الأهداف في برنامجها الحكومي، وتخصيص الأموال الكافية لذلك.

الهوامش:

(١) رياض صالح أبو العطا. حقوق الجماعة. دار النهضة العربية. مصر. ٢٠١٧، ص ١٣٠.

(٢) رضوان أحمد الحاف. حق الإنسان في بيئة سليمة في القانون الدولي العام. مكتبة عين شمس. مصر. ١٩٩٨، ص ١١٠.

(٣) Domenach, Jean-Marie, Aide au développement, obligation morale / étude / par Jean-Marie Domenach ; rédigée pour le Centre d'information économique et sociale des Nations Unies, New York, Organisation des Nations Unies, ١٩٧١. Op- cit p٢٢

(٤) محمد يوسف علوان. حقوق الإنسان في ضوء القوانين الوطنية والمواثيق الدولية. مطبعة جامعة الكويت، الكويت. ١٩٨٩، ص ٢٩٣.

(٥) محي شوقي أحمد. الحق في التنمية، مضمونه ووسائل تحقيقه، ورقة مقدمة لمؤتمر حقوق الشعوب المنعقد في الفترة من ٢٥-٢٨ تشرين الثاني / ١٩٨٥، القاهرة، ص ٣.

(٦) تعددت التعريفات لمصطلح التنمية المستدامة، فقد عرفها قاموس (ويستر) على «أنها التنمية التي تستخدم الموارد الطبيعية دون أن تسمح باستنزافها أو تدميرها كلياً أو جزئياً». ومن ثم يمكن القول أن التنمية المستدامة تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، ولكن ليس على حساب المناخ، وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية تعامل مع الطبيعة بطريقة عقلانية، بحيث لا يتجاوز استخدام الموارد المعدلات التي تستطيع الطبيعة تجديدها، إذ يجب الترشيد في استخدامها إلى جانب محاولة البحث عن بدائل لهذه الموارد، كما يجب أن تستخدم هذه الموارد بطرق لا تقضي إلى إنتاج غازات يعجز الغلاف الجوي على الإنسجام معها، ومن هذه النقطة تظهر المعادلة الصعبة، بين تلبية إحتياجات الجيل الحاضر. وعدم المساس بحقوق الجيل القادم.

- عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنت. التنمية المستدامة «فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها»، دار صفاء للنشر والتوزيع. الأردن. ٢٠١٠، ص ٢٥.

(٧) يومدين طاشمة. التنمية المستدامة وإدارة البيئة « بين الواقع ومقتضيات التطور»، مكتبة الوفاء القانونية، مصر. ٢٠١٥، ص ٤٩٥.

(٨) سيلفي برونييل. ترجمة رشيد برهون، التنمية المستدامة «رهان الحاضر»، كلمة للترجمة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

- (٩) سيلفي برونيل. مصدر سابق، ص ٧٥.
- (١٠) مصطفى يوسف كافي. السياحة البيئية المستدامة، دار رسلان، سوريا، ٢٠١٤، ص ٧٧.
- (١١) أحمد عبد الفتاح ناجي. التنمية المستدامة في المجتمع النامي في ضوء المتغيرات العالمية والمحلية الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠١٣، ص ٧٨-٧٩.
- (١٢) خالد مصطفى قاسم. إدارة البيئة والتنمية المستدامة، الدار الجامعية، مصر، ٢٠٠٩، ص ٣١٩.
- (١٣) ينص المبدأ الخامس من إعلان ريو للبيئة والتنمية الصادر عام ١٩٩٢، على أن «تعاون جميع الدول وجميع الشعوب في المهمة الأساسية المتمثلة في إستئصال الفقر، كشرط لا غنى عنه للتنمية المستدامة، من أجل الحد من أوجه التفاوت في مستويات المعيشة، وتلبية احتياجات غالبية شعوب العالم على وجه أفضل».
- (١٤) صفاء الدين محمد عبد الحكيم. حق الإنسان بالتنمية الاقتصادية وحمايته دولياً، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢٠٥.
- (١٥) رياض صالح أبو العطا. مصدر سابق، ص ١٤٢.
- (١٦) صفاء الدين محمد عبد الحكيم، مصدر سابق، ص ١٨٥.
- (١٧) أحمد عبد الكريم سلامة. المبادئ والتوجيهات البيئية في أعمال المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، القاهرة، ١٩٩٤، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد (٥٠)، ١٩٩٤، ص ١٣١.
- (١٨) أحمد أبو الوفا. التعليق على قضاء محكمة العدل الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد (٥١)، ١٩٩٥، ص ٣١١.
- (١٩) ولذلك يقرر البعض أنه: «إذا كانت حقوق الإنسان المعلن عنها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمدمومة بالضمان والحماية من قبل المعاهدات لم تُحترم، وإذا كان الحق في تقرير المصير ليس حقيقياً، وإذا كان الحق في السلام وهم خادع، وإذا لم يأخذ الحق في الحياة في بيئة سليمة مكانه، فإن التنمية تكون مستحيلة، ولا يمكن اعتبار الحق فيها موجوداً بصورة حقيقية. إذ أن الحقوق يعتمد بعضها على البعض الآخر، وكل واحد منها شرط للآخر».
- صفاء الدين محمد عبد الحكيم، مصدر سابق، ص ١٦٦.
- (٢٠) مشار إليهم في أحمد عبد الكريم سلامة. مصدر سابق، ص ١٤٠.
- (٢١) Pierre-Marie Dupuy, Où en est le droit international de benvironnement à la fin du siècle ? Revue générale de droit international public, (1997) vol.101, p.886-887.
- (٢٢) FEVRIER Jean-Marc, Contrôle de la délimitation du zonage d'un plan de prévention des risques naturels, 2007, p.11.
- (٢٣) Ibid., p11.
- (٢٤) Marios HAIDAI, « Durabilite, developpement durable et Droit Hellenique » R.J.E.N 3, 2002, P415.
- (٢٥) سهر إبراهيم حاجم الهيتي. الآليات القانونية الدولية لحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠١٤، ص ١٠٢.
- (٢٦) ملخص القرار الصادر بالقضية المتعلقة بمشروع غابتشيكوفو - ناغيماروس (هنغاريا - سلوفاكيا) والتي أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً فيها في ٢٥/أيلول/١٩٩٧، منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org)، ص ٣.
- (٢٧) مصطفى يوسف كافي. مصدر سابق، ص ٧٨.
- (٢٨) مشار إليه في قادري محمد الطاهر. مصدر سابق، ص ٨٥.
- (٢٩) Pierre-Marie Dupuy, Où en est le droit international de benvironnement à la fin du siècle, Op.Cit. p.887.
- (٣٠) Jochen Sohnle, Irruption du droit de benvironnement dans la jurisprudence de la C.I.J, bAffaire Gabcikovo-Nagymaros, paris, Pedone, 1998, p.108-109.
- (٣١) ملخص القرار الصادر بالقضية المتعلقة بمشروع غابتشيكوفو - ناغيماروس (هنغاريا - سلوفاكيا) والتي أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً فيها في ٢٥/أيلول/١٩٩٧، منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org)، ص ٩.



فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

- (٣٢) إسلام محمد عبد الصمد. الحماية الدولية للبيئة من التلوث في ضوء الاتفاقيات الدولية وأحكام القانون الدولي. دار الجامعة الجديدة. مصر. ٢٠١٦، ص ٤٦.
- (٣٣) تقرير لجنة القانون الدولي/ الدورة الحادية والسبعون/ ٢٠١٦. منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org). رمز الوثيقة A/٧١/١٠. تاريخ السحب ٢٠١٧/٥/١٦، ص ٣٧٨.
- (٣٤) إذا أدخل المشرع مفهوم (التنمية المستدامة) في القضايا المناخية لابد أن يأخذ بنظر الاعتبار بأن تفكير الإنسان ينصب على الاستهلاك واستنزاف الموارد المتاحة من دون النظر إلى الأبعاد المستقبلية لهذا الاستنزاف، فماذا ستفعل له هذه الدولة؟ أما إذا كان الإنسان ذاته يفكر بالاستدامة، والدولة لا تعبر إهتماماً لهذا المفهوم عندئذ يجب أن تكون المسؤولية تضامنية، ولا يمكن لأي طرف من الأطراف أن يتخلى عن مسؤوليته، فالدولة عليها أن تولي إهتماماً حقيقياً لمفهوم التنمية المستدامة، وعلى المواطن أن يستوعب هذا المفهوم، ويفكر بشكل جدي في كيفية جعل الحياة مستدامة، لذا فإن الدولة معنية بالبدائيات أولاً، أما المكملات فينبهض بها المجتمع.
- (٣٥) الفقرة الرابعة عشرة من ديباجة إعلان الحق في التنمية.
- (٣٦) الفقرة الأولى من المادة الثالثة من إعلان الحق في التنمية.
- (٣٧) القرار منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org). رمز الوثيقة A/RES/٥٥/٧٠. تاريخ السحب ٢٠١٧/٢/١٤. كما يؤكد القرار في الفقرة (١٣/ج) منه على السعي إلى زيادة الإقرار بالحق في التنمية وتطبيقه وإعماله على الصعيد الدولي، وحث جميع الدول في الوقت نفسه على وضع ما يلزم من سياسات على الصعيد الوطني. وإتخاذ التدابير اللازمة لإعمال الحق في التنمية بعده جزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وحث جميع الدول أيضاً في الوقت نفسه على توسيع نطاق التعاون الذي يؤدي إلى النفع المشترك وتعميقه من أجل ضمان تحقيق التنمية وإزالة العقبات التي تعترض سبيل التنمية في سياق تشجيع التعاون الدولي الفعال لإعمال الحق في التنمية، مع مراعاة أن إحراز تقدم دائم نحو إعمال الحق في التنمية يستلزم إتباع سياسات إغاثية فعالة على الصعيد الوطني وتحت إقضية بيئة إقتصادية مؤاتية على الصعيد الدولي.
- (٣٨) عزام المحجوب. حقوق الإنسان والتنمية، أعمال الندوة الإقليمية حول حقوق الإنسان والتنمية، القاهرة ٧-٩ تموز ١٩٩٩، ص ١٨٩.
- (٣٩) الفقرة (١-٥) من إعلان الحق في التنمية.
- (٤٠) ويقع على عاتق هذه الدول إلزام بإتخاذ الإجراءات الدستورية والتشريعية والإقتصادية والإجتماعية اللازمة للقضاء على عناصر التخلف. وهذا ما أكدته إعلان الحق في التنمية في الفقرة الرابعة عشر من ديباجته. كما وضعت المادة (٣٧) من الميثاق العربي لحقوق الإنسان إلزاماً على عاتق الدول الأطراف فيه - وهي كلها دول غير نامية - مفاده وضع السياسات الإغاثية والتدابير اللازمة لضمان الحق في التنمية، كما أن عليها السعي لتفعيل قيم التضامن والتعاون فيما بينها وعلى المستوى الدولي للقضاء على الفقر وتحقيق تنمية إقتصادية وإجتماعية وثقافية وسياسية.
- (٤١) باسيل يوسف. في سبيل حقوق الإنسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢١١.
- (٤٢) صلاح عبد الرحمن الحديثي. النظام القانوني الدولي لحماية البيئة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠١٠، ص ١٥٢-١٥٥.
- (٤٣) Alexandre Charles Kiss, Dinah Shelton, International Environmental Law, Transnational Publishers, 1991, p.109.
- (٤٤) النص الكامل لفتوى محكمة العدل الدولية بشأن مشروعية إستخدام الأسلحة النووية أو التهديد بها والصادرة عام ١٩٩٦، منشورة في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org)، ص ٣٣، ف ٧٠.
- (٤٥) كما ويجب التفرقة بين الإمتثال وثلاثة مصطلحات أخرى مشابهة هي: الفعالية، والتنفيذ والإنفاذ. فالفعالية: هي مدى تلبية الاتفاقية البيئة متعددة الأطراف لأهدافها، وخصوصاً ما إذا كان يساعد في حل المشكلة البيئية التي كانت وراء اعتمادها. وهكذا، تشمل الفعالية أداء الاتفاق ككل وليس أداء الأطراف منفردة. ويمكن أن تتأثر الفعالية بعوامل كثيرة، مثل مدى طموح الأحكام التي تنص عليها الاتفاقية ومدى التعبير عنها بوضوح، وكم عدد الأطراف المنضمة إلى الاتفاقية، وما إذا كان من بينهم أطراف من المنسبين الرئيسيين للمشكلة التي يتناولها الاتفاق. ومدى تقديم المساعدات المالية والتقنية لمساعدة الأطراف على تلبية إلتزاماتها. والمستوى العام للإمتثال من جانب جميع الأطراف، وغير ذلك من العوامل. ومن المهم أن نلاحظ أن أي إتفاق بيني متعدد الأطراف يقوم على أهداف طموحة قد يحقق مستوى مرتفعاً من الإمتثال من جانب الأطراف، ولكنه قد لا يكون فعالاً في حل المشكلة التي كانت وراء اعتماد الاتفاقية، وبعض الاتفاقيات المناخية المتعددة الأطراف، مصممة بالشكل الذي يسمح للأطراف بالتكيف معها بسهولة، وهذا بدوره يسمح للأطراف بزيادة فعاليتها عن طريق تقوية تدابير الرقابة المطبقة لديها بمزيد من السرعة استجابة للظروف المتغيرة. كما أن الاتفاقية المناخية لكي توصف بأنها فعالة





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

يجب ان تؤدي إلى تحسين حقيقي في المناخ. من خلال منع الإحتباس الحراري. أو على أقل تقدير التخفيف من شدته أو عدم تسارعه. ان فيمصطلح الفعالية ليس مرادفاً للإمتثال، فالإمتثال وكما سبق بيانه يعتمد بشكل أساسي على أهلية الدولة في حين أن فعالية الإتفاقية تعتمد فضلاً عن التنفيذ والإمتثال على عدة عوامل أخرى تجعل من الإتفاقية تعد بعد الأخذ بها فعالة، وتساهم مساهمة حقيقية في تحسين نوعية البيئة وحمايتها ومن هذه العوامل:

١- الملائمة: فالإتفاقية يجب أن تتسم بالمرونة، وأن تكون قابلة للتطور بمرور الوقت لكي تستجيب لأي تطور يحصل في المشكلة.
٢- العضوية: أن الإتفاقية يجب أن تضم في عضويتها الدول الضرورية في المشكلة سواء كانت من الدول التي ساهمت بأنشطتها في حصول المشكلة أو تلك التي تساهم أو تساعد في حل المشكلة.

٣- المضمون: أن مضمون الإتفاقية يجب أن يتسم بالدقة في تحديد المشكلة وفي معالجتها، التي إذا ما نفذت فإنها ستؤدي إلى تحقيق الأهداف التي من أجلها عقدت الإتفاقية. ونتيجة لذلك فإن هناك من يرى أن الإمتثال قد لا يكون شرطاً ضرورياً لكي تكون الإتفاقية فعالة، لا بل غير كافية للفعالية فقد ينتج عن بعض حالات عدم الإمتثال تغير إيجابي في تصرفات الدولة التي تؤدي إلى التخفيف من المشكلة التي لم تحل بعد. بينما يشير مصطلح «التنفيذ» إلى الإجراءات التي يتخذها طرف في إتفاقية بينة متعددة الأطراف لتحقيق الإمتثال مع إلتزاماته بموجب الإتفاقية. ولا يعد تنفيذ أي طرف لإتفاقية بينة متعددة الأطراف ضماناً بأنه سوف يمثل بإلتزاماته بموجب الإتفاقية، لأن إجراءات التنفيذ التي يتخذها قد لا تكون كافية لتلبية تلك الإلتزامات. وعلى النقيض من ذلك، قد يكون بوسع أي طرف الإمتثال لإلتزاماته بموجب الإتفاقية دون إتخاذ إجراءات مهمة لتنفيذ الإتفاقية إذا كانت الإتفاقية غير طموحة، أو إذا لم يشارك الطرف في أنشطة مما يخضع للرقابة بموجب الإتفاقية، أو إذا كان الطرف قد إتخذ إجراءات كافية قبل أن يصبح طرفاً في الإتفاقية.

٤- المفاهيم والإجراءات والآليات الأساسية في الإتفاقيات المتعددة الأطراف الملزمة قانوناً التي قد تكون مناسبة لتعزيز الإمتثال بموجب الصك الخاص بالزئبق في المستقبل. لجنة التفاوض الحكومية الدولية لإعداد صك عالمي ملزم قانوناً بشأن الزئبق، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، وثيقة منشورة في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الإنترنت (www.un.org)، رمز الوثيقة UNEP(DTIE)/Hg/INC.11/1)، تاريخ السحب ٢٤/٧/٢٠١٨، ص ٦.

(٤٦) عيسى لعلاوي. النظام القانوني الدولي لمكافحة التغيرات المناخية، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، ٢٠١٧، ص ١٥١.

(٤٧) محمد عادل عسكر. القانون الدولي البيئي، دار الجامعة الجديدة، مصر، ٢٠١٣، ص ٢٧٥.

(٤٨) نقلاً عن: محمد عادل عسكر. مصدر سابق، ص ١٨٢.

(٤٩) نقلاً عن: عيسى لعلاوي. مصدر سابق، ص ١٥٢.

(٥٠) سهر إبراهيم حاجم الهيقي. مصدر سابق، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٥١) سهر إبراهيم حاجم الهيقي. مصادر سابق، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٥٢) ويقع على عاتق كل دولة طرف في إتفاقية دولية واجب عام يتمثل في جعل قوانينها الداخلية تتطابق مع الإلتزامات بموجب القانون الدولي. ويستند الإطار القانوني للإتفاقيات التنموية الدولية، إلى الموافقة الطوعية للدول الأعضاء على تنفيذ الإلتزامات، رغم أنها في حد ذاتها، تفتقر إلى أي آليات لمراقبة الإلتزام، ولكن أغلب هذه الإتفاقيات تعتمد إلى خلق نوع من المراقبة الذاتية.

وينقسم الإمتثال إلى نوعين: النوع الأول: الإمتثال للإلتزامات الإجرائية ويتعلق بإتخاذ الإلتزامات المتمثلة بحضور الاجتماعات، وتقديم التقارير الدورية، والإبلاغ. أما النوع الثاني فيسمى الإمتثال للإلتزامات الجوهرية، ويتمثل بتنفيذ الإلتزامات المتعلقة بالهدف الأساسي من الإتفاقية.

المصادر:

١. أحمد أبو الوفا. التعليق على قضاء محكمة العدل الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد (٥١)، ١٩٩٥.

٢. أحمد عبد الفتاح ناجي. التنمية المستدامة في المجتمع النامي في ضوء المتغيرات العالمية والمحلية الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، مصر.

٣. أحمد عبد الكريم سلامة. المبادئ والتوجيهات البيئية في أعمال المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، القاهرة، ١٩٩٤، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد (٥٠)، ١٩٩٤.

٤. إسلام محمد عبد الصمد. الحماية الدولية للبيئة من التلوث في ضوء الإتفاقيات الدولية وأحكام القانون الدولي، دار الجامعة الجديدة، مصر، ٢٠١٦.

٥. هاسيل يوسف. في سبيل حقوق الإنسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢١١.

٦. بومدين طاشمة. التنمية المستدامة وإدارة البيئة « بين الواقع ومقتضيات التطور»، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، ٢٠١٥.

٧. تقرير لجنة القانون الدولي/ الدورة الحادية والسبعون/ ٢٠١٦. منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الإنترنت (www.un.org).





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

- (un.org), رمز الوثيقة A/٧١/١٠), تاريخ السحب ٢٠١٧/٥/١٦.
٨. خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة، الدار الجامعية، مصر، ٢٠٠٩.
٩. رضوان أحمد الحاف، حق الإنسان في بيئة سليمة في القانون الدولي العام، مكتبة عين شمس، مصر، ١٩٩٨.
١٠. رياض صالح أبو العطا، الحقوق الجماعية، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠١٧.
١١. سهير إبراهيم حاتم، الآليات القانونية الدولية لحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠١٤.
١٢. سيلفي برونيل، ترجمة رشيد برون، التنمية المستدامة «رهان الحاضر»، كلمة للترجمة والنشر، الإمارات العربية المتحدة.
١٣. صفاء الدين محمد عبد الحكيم، حق الإنسان بالتنمية الاقتصادية وحمايته دولياً، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢٠٥.
١٤. صلاح عبد الرحمن الحديشي، النظام القانوني الدولي لحماية البيئة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠١٠.
١٥. عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنت، التنمية المستدامة «فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها»، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠.
١٦. عزام اخجوب، حقوق الإنسان والتنمية، أعمال الندوة الإقليمية حول حقوق الإنسان والتنمية، القاهرة ٧-٩ تموز ١٩٩٩.
١٧. عيسى لعلاوي، النظام القانوني الدولي لمكافحة التغيرات المناخية، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، ٢٠١٧.
١٨. محمد عادل عسكر، القانون الدولي البيئي، دار الجامعة الجديدة، مصر، ٢٠١٣.
١٩. محمد يوسف علوان، حقوق الإنسان في ضوء القوانين الوطنية والمواثيق الدولية، مطبعة جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٩.
٢٠. محي شوقي أحمد، الحق في التنمية، مضمونه ووسائل تحقيقه، ورقة مقدمة لمؤتمر حقوق الشعوب المنعقد في الفترة من ٢٥-٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٥، القاهرة.
٢١. مصطفى يوسف كافي، السياحة البيئية المستدامة، دار رسلان، سوريا، ٢٠١٤.
٢٢. المفاهيم والإجراءات والآليات الأساسية في الاتفاقات المتعددة الأطراف الملزمة قانوناً التي قد تكون مناسبة لتعزيز الإمتثال بموجب الصك الخاص بالزئبق في المستقبل. لجنة التفاوض الحكومية الدولية لإعداد صك عالمي ملزم قانوناً بشأن الزئبق، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، وثيقة منشورة في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org)، رمز الوثيقة UNEP(DTIE)/Hg/INC.1/11)، تاريخ السحب ٢٠١٨/٧/٢٤.
٢٣. ملخص القرار الصادر بالقضية المتعلقة بمشروع غابتشيكوفو - ناغيماروس (هنغاريا - سلوفاكيا) والتي أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً فيها في ٢٥/أيلول/١٩٩٧، منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org).
٢٤. ملخص القرار الصادر بالقضية المتعلقة بمشروع غابتشيكوفو - ناغيماروس (هنغاريا - سلوفاكيا) والتي أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً فيها في ٢٥/أيلول/١٩٩٧، منشور في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org).
٢٥. النص الكامل لفتوى محكمة العدل الدولية بشأن مشروعية استخدام الأسلحة النووية أو التهديد بها والصادرة عام ١٩٩٦، منشورة في الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت (www.un.org).
٢٦. Jochen Sohnle, Irruption du droit de benvironnement dans la jurisprudence de la C.I.J. bAffaire Gabcikovo-Nagymaros, paris, Pedone, 1998, 109.
٢٧. Alexandre Charles Kiss, Dinah Shelton, International Environmental Law, Transnational Publishers, ١٩٩١, p. ١٠٩.
٢٨. Domenach, Jean-Marie, Aide au développement, obligation morale / étude / par Jean-Marie Domenach ; rédigée pour le Centre d'information économique et sociale des Nations Unies, New York, Organisation des Nations Unies, 1971.
٢٩. FEVRIER Jean-Marc, Contrôle de la délimitation du zonage d'un plan de prévention des risques naturels, ٢٠٠٧.
٣٠. Marios HAIDALS, « Durabilite, developpement durable et Droit Hellenique », R.J.E.N 3, 2002.
٣١. Pierre-Marie Dupuy, Où en est le droit international de benvironnement à la fin du siècle ? Revue générale de droit international public, (١٩٩٧).
- Pierre-Marie Dupuy, Où en est le droit international de benvironnement à la fin du siècle. Op.Cit





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا
الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا
فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

سورة المنافقون رتبة
وهي إحدى عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا
شَهِدْ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَجْعَلُكَ رَسُولًا

وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾





القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية

م.د. شيماء صباح عبدال
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية





الملخص :

يتناول هذا البحث موضوع القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية (للزهاء) وعليها السلام) ويعتم هذا البحث برصد القيم الروحية والتي تتضمن (الإيمان بالله ، الإدارة والثقة القويتان - الموت) والقيم الإنسانية المتمثلة بـ (العدل - المحبة - التواصل) من خلال التراكيب اللغوية ودلالاتها ، وقد اعتمدت الدراسة على فقرات عدة شكلت إطاراً هيكلياً للبحث إذ يتكون من مقدمة تمثل المخطلة التي عرّفت بمفهوم القيمة ومعنى فدك ، ومن ثمّ حاولنا رصد الألفاظ الدالة على هذه القيم في الخطبة ، ودراسة دلالة الألفاظ في الخطبة ، وكذلك دراسة الأسباب اللغوية كـ (الاستفهام - النداء - النهي) وشملت أيضاً دراسة الصورة والتي تتضمن (الاستعارة ، والتشبيه والكناية) وبيان كيفية أداء وظيفتها في الخطبة .

الكلمات المفتاحية :- فدك ، القيم ، الخطبة ، الإنسانية

Abstract:

This research deals with the subject of spiritual and human values in the Fadka sermon by Al-Zahra, peace be upon her. The study relied on several paragraphs that formed a structural framework for the research, as it consists of an introduction representing the station that defined the concept of value and the meaning of Fadak. The call - the prohibition) and it also included studying the image, which includes (metaphor, simile and metonymy) and an explanation of how to perform its function in the sermon

Keywords: Fadak, values, sermon, humanity

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين :-
تعّد الخطبة (الفدكية) للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) واحدة من أهم الخطب لأهل البيت (عليهم السلام) لما ضمت من قيم إنسانية وروحية وجمالية وأخلاقية ، فهي تعدّ إرثاً تاريخياً وعقائدياً ، فكانت رمزاً للفصاحة والبيان ، وسبك الكلام وبلاغته ، ودقته ، وتعددت الدراسات والبحوث عنها ، لكنها لازالت أرضاً خصبة للباحثين والدارسين ينهلون منها موضوعاتٍ بحوثهم ودراساتهم .

* مفهوم فدك :

ويقصد بها اسم أرض زراعية واسعة الأطراف ، وهي واحة خصبة يسكنها اليهود ، تقع بالقرب من خيبر ، في الجزء الجنوبي الغربي من منطقة حائل في الحجاز في شبه الجزيرة العربية (١) .
وهي قرية في الحجاز ، أتاها الله تعالى على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) عام (٧هـ) صلحاً ، فبعد ان نزل النبي خيبر وفتح حصونها لم يبق إلا ثلث فأشدت بهم الحصار فأرسلوا إلى النبي يسألونه أن ينزل على الجلاء ، وتم ذلك حتى بلغ ذلك أهل فدك ، فأرسلوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) يطلبون أن يصالحهم على نصف ثمارهم وأموالهم ، فوافق على طلبهم ، فما لم يوصف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة للرسول (صلى الله عليه وآله) وتميزت هذه الأرض بوجود عين خوارة وكثرة النخيل ، ووهبها الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أبنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)(٢) .

* مفهوم القيمة :

لا بد لنا في بداية بحثنا أن نعرف معنى كلمة (القيمة)، إذ تعرف القيمة في اللغة :
هي واحدة قيمة نقول : (تقاوموا فيما بينهم)، وهي قدر الشيء وثمنه ، ومنها : (كتاب قيم أي: ذو قيمة ، وقد تأتي



القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية

أيضاً بمعنى الاستقامة ، وهي اعتدال الشيء واستواؤه (٣) .
ومنه قوله تعالى (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (٤)، وهذا كان سبب قولهم : استقام الأمر أي اعتدل ، واستقام الشعر أي : اتزن (٥) .
أما عن تعريف مفهوم القيمة اصطلاحاً هي : ((أساس ما يسمى بالحكم التقويمي ، أي ذلك الحكم الذي يمنح المدح أو الذم لصفات يراها المصدر للحكم في المفاضلة بين شيئين أو أكثر)) (٦) .
ويمكن أن تطلق لفظة (القيمة) على كل ما يتميز به الشيء من صفات تجعل منه مستحقاً للتقدير والاهتمام سواء كان كثيراً أو قليلاً (٧) ، والقيم أنواع منها المادي ، والاخلاقي ، والفكري ، والجمالي ، والذي يهمنا هو القيم الجمالية .
١. القيم الروحية :

يتصف الأدب بشقيه الشعر والنثر بأنه أدب إنساني ، وروحي ، بطبعه لا يخلو من العديد من القيم الإنسانية والروحية والجمالية لكونه ، يهتم بالإنسان وما يدور داخل نفسه ، متأملاً أغواره وباحثاً عن السبب ، وواحدة من أهم هذه القيم (٨) هي :

• القيم الروحية:

يمكن تعريف القيم الروحية من المنظور الديني بأنها « وهي التي تهتم بالشؤون الدينية ، أو هي التي تتصل بأشياء غير مادية تتعلق بالآلئائي ، فالْمُؤْمِنُ بعالم الغيب والشهادة ومصدر هذه القيم ، أن المسلم يؤمن بالله تعالى ، وأنه هو عز وجل فاطر السماوات عالم الغيب والشهادة لا إله إلا هو ولا رب غيره وأنه جل وعاد موصوف بكل كمال منزّه عن كل نقصان وذلك لهداية الله تعالى له قبل كل شيء» (٩).

أما فيما يخص أصول القيم الروحية فإنه يرجع إلى أصول عقيدية وعلى رأسها « الإيمان بالله والأخرة ، فمن المعلوم أنّ الالتزام بقيمة الإيمان بالذات يحتاج إلى قوة روحية دافعة يشعر بها الإنسان في طويّاه ، وتُحْرَضُهُ على ففعل الخير وتحذر من فعل الشر (النفس اللوامة) وهي ما يتعارف عليها الناس في العصور الحديثة بأسم (الضمير) فيما أطلق علماءنا قديماً ألفاظاً مثل مراقبة الله ومحاسبة النفس» (١٠) .

ومن هذه القيم :

أولاً : القيم الروحية

١. الإيمان بالله :

واحدة من أهم القيم التي بني عليها الدين الاسلامي ، ولتحقيق هذه القيم ، يجب المزج بين تكوين الاعتقاد السليم من جهة وتكون الثقافة الروحية الواسعة من جهة أخرى ، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ من قالت الخطبة هي بنت رسول الله ونبيه (صلى الله عليه وآله) وخير خلقه ، ونشأت في بيت توفرت فيه كل القيم الروحية والانسانية والأخلاقية، فجاءت خطبتها غنية بدروس ومواعظ وحكم وخاضت في أدق وأهم المباحث فيما يرتبط بمعرفة الله والإيمان به ، إذ ابتدأت خطبتها (عليها السلام) بالحمد والثناء والشكر لله ، وهذا لا يأتي إلا من مؤمن بالله ورسوله وكتبه أتم الإيمان فتقول (عليها السلام) (الحمد لله ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم من غموم نعم ابتدأها - ليس أتت من ذهب وراءها بل هو عز وجل ابتداءك بما - وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام مني والاه ، جَمَّ جَمَّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها) (١١) .

فكثرت النعم التي مهما حاولت أن تعدّها وتحصّيها ، تقف عاجزاً أمامها ، وأنت لم تسعى للحصول عليها وإنما منّ بها الله عليك دون جهدٍ أو تعب ، لم يطلب منك مقابل أمام كرم عطائه ، وهذا الاعتراف الصريح بالنعم والحمد عليها لا يأتي إلا من آمن بالله وذاته وقدرته .

ومنه قولها : (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمثلها ، كَوْفُها بقدرته ، وذراها بمشيئته من غير حاجة منه إلى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته ، وتبييناً على طاعته ، وأظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته واعتزازاً لدعوته) (١٢) . فمن الواضح أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ضمنت خطبتها أفكار





فلسفية عقلية تُشير فيها إلى خلق الأشياء من لا شيء فالله سبحانه لا يحتاج من الإنسان شيء ، فهو ليس بحاجة لأحد ليشعره بقوته ومقدرته وابداعه في خلقه .

٢. الإرادة والثقة القويتان :

نلاحظ الثقة والإرادة والعزة بالنفس واضحة في خطبتها كقولها (عليها السلام) :

(اعلّموا بني فاطمة ، وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، أقول عوداً وبدواً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً) (١٥) .

أهم ما يميز السيدة فاطمة الزهراء في خطبتها هذه هي الإرادة القوية بالرغم أنها كانت في موقفٍ لا تحسد عليه ، لكنها استطاعت بقوتها وحكمتها أن تجعل الموقف لصالحها لا ضدها . فاستطاعت (عليها السلام) أن تنتج الكلام البليغ لفظاً ، والقوي تركيباً ، والغني مضموناً ، فكانت بصمة إرادتها القوية واضحة في كل حرف نطقت به (١٦) .

ولجأ ثقتها وأرادتها القوية ساعدها على الوقوف في محضر الرجال ، إذ كان المسجد مليئا بالرجال المسلمين المهاجرين والأنصار إلا إنها أجادت وأبدعت بالرغم من الحالة النفسية التي كانت تمر بها الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ كانت فاقدة لأبيها ومظلومة في حق زوجها (١٧) ، فضلاً عما تملكه من قوة التحريض ، وتذكيرهم بما أصاب الرسول وآثارهم بأسلوب دقيق راقى بعيد عن العنف :

(أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۖ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١٨).

٣. الموت :

سَرِّ مِنْ أَسْرَارِ الْخَلْقِ ، عَجَزَ الْعُلَمَاءُ وَالْبَاحِثِينَ الْوُصُولَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَإِنْ « كُلُّ كَائِنٍ يَمُوتُ وَيَفْنَى » (١٩) ، حَقِيقَةُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ يُؤْمِنُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ عَلَى كُلِّ حَيٍّ مَهْمَا كَانَتْ مَنَزِلَتُهُ وَقَرْبُهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّى الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (٢٠) ، وَكَانَ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ يَذْكُرُونَ النَّاسَ بِالْمَوْتِ وَانَّهُ خَاتِمَةُ كُلِّ حَيٍّ .

كذلك تجد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها أيضاً تذكر الناس بنهايتهم وبالموت وأنه لا يفوق بين أحد مهما كان فتقول (عليها السلام) :

(قد قبضه الله إليه قبض رافة ، ورغبة وإيثار) (٢١) ، فوجد خطابها يمزج بين العقل والعاطفة والحزن ومنه أيضاً قولها في الإشارة الى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) (فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه وأوى أصفياه) (٢٢) ، نجد قيمة الرقي في التعبير ، إذ عبرت عن الموت بكلمة إختار ، وهو كلام جميل ورائع ولا يخلو من الفصاحة والبلاغة .

ثانياً : القيم الالسانية :

يمكن تعريف القيم الانسانية بأنها: « مجموعة من المعايير والاحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صوّرها الإسلام وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف وخبرات الحياة المختلفة ، بحيث تمكنه من إختيار أهداف وتوجهات حياته تتفق مع إمكانياته وتتجسد من خلال الأهتمامات أو السلوك العلمي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة» (٢٣).



القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية

وتعرف بأنها : « مجموعة الفضائل ، وهي خلاصة الخير والعدل والرحمة والخبرة ، ومثل ذلك من حميد الصفات » (٢٤) ، وزخرت خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالقيم الإنسانية ، كيف لا وهي جمعت بين العاطفة والعقل كما أشرنا سابقاً ومن هذه القيم :

١. العدل :

المقصود بالعدل لغةً أنه : « العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والغدْل والعدل يتقاربان » (٢٥) .

أما ابن منظور عرّف العدل بأنه : « العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور ، والعدالة والعدولة والمعدلة كله : العدل ، وتعديل الشهود أن تقول إنهم عدول ، وعدل الحكم أقامه ، وعدل الرجل : زكاه » (٢٦) . والعدل اسمٌ من أسماء الله الحسنى ، وهو مصدر أقيم مقام الاسم ، والمقصود منه المبالغة في وصف الله سبحانه وتعالى بصفة العدل أي أنه عادل ، أي كثير العدل (٢٧) .

وفي الاصطلاح العقائدي يعرف العدل بأنه : « تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب ، ومعنى الوجوب هنا لا يعني أنه تعالى محكوم بأوامر غيره ، بل يعني أننا نكتشف عن طريق التدبر في صفاته تعالى ، أنه حكيم وتقتضي حكمته أن يفعل كذا ، لأن عدم فعله له يؤدي إلى الإخلال بحكمته » (٢٨) .

منه قولها عليها السلام : (ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذيادة لعباده عن نعمته ، وحياسة منه إلى جنته) (٢٩) .

إذ إشارة إلى العدل الإلهي بحذو المفردات العقيمة والمعبرة عن المعنى بصورة دقيقة ، فبالعدل وأخذ كل ذي حق حقه سواء في الثواب أو العقاب ، يعيش الناس بأمن وأمان ، وبذلك تكون السيدة فاطمة الزهراء تكون قد فندت كل الأقوال التي ترى أن الله سبحانه وتعالى يكلف النفس فوق طاقتها .

الحبة :

الحبة نتاج القلب ، فهي خليط من الإشتياق ، والإحترام ، واللهفة والدهشة والغفران (٣٠) ، ويمكن تعريف الحبة بأنها : ((اسمٌ للحب)) (٣١) .

تعرف بأنها : « المائل إلى الشيء السار » (٣٢) ، والحبة واحدة في كل وقت ومكان لكنها بأشكال مختلفة فتارة تحمل معنى الحكمة ، والعدل مرة أخرى ، والأمل ، والخوف على المقابل ، جميعها مسميات تحت ظل كلمة الحبة (٣٣) .

وتضمنت خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من عاطفة الحبة وأشكالها المختلفة منها حب الآله كقولها (عليها السلام) : « الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما أهدى ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وقام من أولها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدّها ، وتفاوت عن الإدراك أبدائها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها » (٣٤) .

وكل تأكيد هذه الحبة تظهر على شكل حمد وشكر وثناء ، وذكر نعمه . وشكل آخر من أشكال الحبة في الخطبة وهو ذكرها والهدا وتذكير الناس بما فعلته لهم من خير وتغيير لحياتهم ونقلهم من الظلام إلى النور منه قولها (عليها السلام) : (ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزّيته على إمضاء حكمه وإنفاذاً لمقادير حكمته ، فرأى الأمم فرقا في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فانار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمتها ، وكشف عن القلوب بجمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام الناس بالهدية ، فانقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ، وهو إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم) (٣٥) .

٢. التواضع :

صفة من الصفات الإنسانية الجميلة التي القلة من يتصف بها فالتواضع يتقرب القلب من القلب والفكر من الفكر (٣٦) ، وهذا هو الذي يقوي الصلة والألفة بين الناس ، ولجّد هذه الصفة في خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فتراها (عليها





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

السلام) تتعامل وتخطب الناس جميعهم لافرق بينهم وهذا ما جاء به الدين الاسلامي ودعا إليه رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) فتقول (عليها السلام): «اعلموا أيها الناس أني فاطمة، وأبي محمد» (٣٧)، فنجدها تخطبهم بأسلوب راقى بعيد كل البعد عن صيغة الأمر والزجر، والخضوع لها، رغم ما لحق بها من أذية.

ثالثاً: اللغة

تعد اللغة من أهم أركان بناء الخطبة، فاللغة العربية النثرية قادرة على التعبير عن أمور لا تستطيع اللغة العادية الإفصاح عنها، فالخطبة توجد بقدر ما ينجح في القول ما لا تستطيع اللغة العادية الإفصاح عنه لو كان يعني ما تعنيه اللغة العادية لم يكن هناك مبرر لوجوده (٣٨).

وتعد اللغة ضرورة في الخطبة لما تحمله من سمة البلاغة والجمال والإبداع على العكس من اللغة العادية. ومن خلال دراسة اللغة في الخطبة الفدكية نجدتها معبرة وفصيحة وغاية في البلاغة، وكانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بارعة في استخدام الألفاظ ذات صفة عميقة وبلغية المعنى وأبتعادها عن الغموض والتعقيد. وجاءت هذه المفردات ذات طابع اسلامي ومقتبسة من الاسلام عامة والقرآن الكريم والسنة النبوية بصورة خاصة. فالسيدة فاطمة (عليها السلام) كانت رائعة ومبدعة في توظيف الألفاظ لأداء المعنى المراد ايصاله فتراها تستخدم ألفاظ جسدت المعنى بصورة مباشرة منه قولها (عليها السلام) مخاطبة الأنصار: (إيها بني قيلة، أأهضم ثراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع مني؟) (٣٩).

وتقول (عليها السلام): (وزعم أن لاحظوا لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا) (٤٠). فالزهراء هنا استعملت الألفاظ بصيغة صريحة وواضحة، للمطالبة بحقوقها من الإرث. وألفاظ الحمد والشكر: استخدمت ألفاظ اسلامية منها لفظة (الحمد) في الاستهلال في خطبتها فتقول: (الحمد لله على ما أنعم) (٤١) وما اضافته الى لفظ الجلالة (الله) إلا للأشعار باختصاصه به تعالى. وكذلك في الشكر والثناء على نعمه والأنعام ويكون مقابل الصيغ تقول (عليها السلام): (وله الشكر على ما أنعم) (٤٢). فترى فاطمة الزهراء أن الإلهام من نعم الله على عباده، تستوجب الشكر والثناء، والشكر والثناء يكون قولاً وفعلاً والنية، فيستثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مؤليها (٤٣).

رابعاً: الأسلوب

يعد الأسلوب واحد من أهم الوسائل التي لها دور كبير في إظهار جمال الكلام والأسلوب هو الورقة الناقلة لإحساس القائل وما يدور في خلدته، وهو في عز الإثارة والاندماج مع الموقف فالأسلوب يعد «طريقة التفكير والتصوير والتعبير» (٤٤)، ومن خلاله تجعل من المتكلم له القدرة على التجديد والابداع المتمثلة في اختيار المفردات الموافقة لما الحدث. وأول هذه الأساليب التي زخرت بها الخطبة الفدكية هي:

(١) الاستفهام

يعد الاستفهام واحد من أهم الأساليب التي تزخر بها الخطبة الفدكية منه قولها (عليها السلام): (وهل رأيك الإقند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد؟) (٤٥) فالاستفهام خرج الى معنى مجازي وهو التعجب والدهشة فكان أهم ما يميز أسلوب الاستفهام في الخطبة أنه كان أسلوباً استفهامياً تعجبياً.

(٢) النداء

من الأساليب المهمة التي توضح جمال الأسلوب، وتعدد تعريفات النداء منها: (طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه) (٤٦). فقد جسدت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها منه قولها: «انتم عباد... الله... أيها الناس» (٤٧) وما كان حذف حرف العلة في هذه الموقف، يحمل في معنى المواجهة والخطاب المباشر لهم وذلك ليشعروا بقرعها منهم، وأما قولها «يا ابن قحافة... معشر النقيبة، وأعضاء الملة وحضنة الإسلام...» (٤٨).

أما هنا فقد أظهرت السيدة فاطمة (عليها السلام) حرف النداء لتشعرهم ببعد منزلتهم عنها، لضعف موقفهم.





القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية

(٣) النهي:

وهو من الأساليب التي يكثر استعمالها لتزيد النص الشعري أو النثري جمالاً وبلاغاً وفصاحة ويقصد به ((طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء)) (٤٩) ، وورد النهي في خطبة الزهراء (عليها السلام) إذ تقول: (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٥٠) مقتبساً من القرآن الكريم والغاية من النصيحة .

١. الصورة :

الكلام بشقيه الشعر والنثر قائم على الصورة ، منذ أن وجد ، لكنها تختلف من شخص لآخر ، وتعد الصورة من أهم وسائل إيصال الفكرة إلى المتلقي بصورة جميلة وبلغة ومن أركان الصورة هي :

١- التشبيه :

وهو أحد عناصر الصورة البيانية التي ، وصفت خطبة الزهراء (عليها السلام) بالعديد من التشبيهات تجسد وتصور مدى براعتها ودقتها في إختيار الألفاظ والمعاني لتصل إلى ذهن المتلقي كقولها : (كنتم على شفا حفرة من النار ، مُدَقَّة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون المطرق ، وتقتاتون الورق أذلة خاشعين تخافون أن يخطقكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صل الله عليه وآله ، بعد اللَّتْيَا والتي) (٥١) .
ففي هذا المقطع من الخطبة نلاحظ ثلاثة تشبيهات رائعة البلاغة ففي التشبيه الأول : (كنتم ... مدقة الشارب ، وقبسة العجلان وموطئ الأقدام) .

إذ شبهت العرب بمدقة الشارب (أي شربة اللبن) من ناحية الضعف والوهن ، إذ يستطيع أي شخص أن يصل لها .
أما التشبيه الثاني (قبسة العجلان) فهو دلالة على الضعف أيضاً وسهولة الحصول على الشيء وأما التشبيه الأخير فهو دليل على الوضاعة والخطاط والدلة والمهانة ، فهم لم يكونوا أصحاب قوة وتفوذ وسيطرة وإنما كانوا قبائل تغزو واحدة الأخرى ويقتل بعضهم البعض ، وفقد برعت فاطمة الزهراء في رسم الصورة التشبيهية فكان طرفي التشبيه مفرد بمفرد ، وحسي بحسي ، ووجه الشبه العقلي ، وتشبيه آخر في غاية الروعة والجمال لما تعرضت له من أذى وسلب لحقوقها فشبهت ألمها بآلم خز المدى فهو تشبيه عقلي لا يدرك بالحواس وإنما بالعقل .

٢- الاستعارة :

وهي وسيلة من وسائل رسم الصورة التي يثبت بها المتكلم جهده ابداعه وبلاغته لأن الصورة تعتمد الاستعارة أسلوباً تدل على قدرة المتكلم وتمكنه ، والاستعارة ((هي مجاز بلاغي فيه انتقال معنى مجرد إلى تعبير مجسد من غير التجاء إلى أدوات التشبيه أو المقارنة)) (٥٢) .

وقد بلغت الزهراء (عليها السلام) في خطبتها غاية البلاغة والإفهام والتمكن إذ كانت لكلماتها قمة الجمال منه قولها : (أسفر الحق عن محضه) (٥٣) فقد استعار لفظة أسفر للدلالة على ظهور الحق وإنبلاجه ووضحه ووضح الصباح الخالي من علامات الليل ، وهي استعارة مكنية ، إذ حذف المشبه به ودلت عليه بقرينة وهو الفعل (أسفر) .
ومنه أيضاً قولها : (وبعد أن مني بهم الرجال وذوبان القرب ومردة أهل الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن للشيطان ، أو فخرت فأغرث من المشركين) (٥٤) .

استعارة الزهراء (عليها السلام) صورة الوحش الكافر وشبهت به الجماعات المشركة حذف منها المشبه به وهو لقضة (الوحش) ودلت عليه بلفظي (فغرت فاغرة) و(لهوتها) وجاء طرفا التشبيه حسيان وهما لفظي (الشرذ والخطر) الذي يصدر عن اعداء الإسلام .

٣- الكناية :

تعد من الأساليب البيانية الرائعة والممتعة ، إذ تجسدت معان كثيرة بألفاظ قليلة ، وهو كلام أطلق وأريد به غير المعنى الحقيقي الذي وضع له (٥٥) ، ونلمح الكناية في خطبتها الفدكية في قولها : (تعرفوه تجدوه أي دون نسانكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة ، مانلاً عن مدرجة المشركين) ضارباً بينهم ، أخذ باكظامهم ...) .





دور التنمية المستدامة في تطوير وإصلاح القانون الدولي للتنمية

فقد أرادت الزهراء (عليها السلام) تأكيد صلة القرابة بينها وبين الرسول () وحصرها بما دون غيرها من الناس ، إذ عمدت إلى ذكر الموصوف ولم تصرح بالصفة (القرابة) إذ تركتها لجمهور المسلمين يعرفونها .

الخلاصة :

في نهاية البحث يمكن القول :

١. ضمنت خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) بخصائص ومميزات جعلت منها نصّاً ثرياً يجد القارئ المتعة والموانسة والفائدة من قراءته وسماعه له .

٢. تنوعت الخطبة بين القرآن الكريم ، والنحو ، والبلاغة ، والموسيقى ، فكانت نثراً فنياً بالفنون والمعارف .

٣. سخرت الخطبة ثقافتها ومعرفتها المستمدة من الرسالة النبوية وما امتسبته من شخص الرسول () والإمام علي (عليه السلام) في خدمة خطبتها ، فضلاً عن ثقافتها العامة في الجوانب اللغوية ، والبلاغية ، والنحوية ، وما تمتلكه من قدرة من قدرة على الإقناع وقوة الإرادة ، إذ استطاعت استمالت أسماع المخاطبين .

٤. لم تخلو الخطبة من المشاعر والأحاسيس ، إذ استطاعت الخطيبة الجمع بين (العقل والقلب) فكان له الدور في استمالة المستمعين .

المواش:

(١) ينظر : معجم البلدان : ٤ / ٤٥٠ .

(٢) ينظر : الامثال الفاطمية في الخطبة الفدكية (دراسة تحليلية تاريخية : ٤) .

(٣) ينظر : لسان العرب : (مادة قوم) .

(٤) الروم / ٣٠ .

(٥) ينظر : لسان العرب : مادة (جمل) .

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٦٧ .

(٧) ينظر : الاحكام التقويمية في الجمال والاخلاق : ٣٦-٣٧ .

(٨) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة : ١٦٤ .

(٩) القيم التربوية لإدارة الوقت في حياة الإنسان المسلم : ٦ .

(١٠) القيم الروحية في الاسلام : ٣١ .

(١١) بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢٠ .

(١٢) بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢١ .

(١٣) فاطر / ٢٨ .

(١٤) ينظر : الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء (عليها السلام) الخطبة الفدكية إنموذجاً : ٨ .

(١٥) بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢٣ .

(١٦) ينظر : الخطبة الفدكية مبرراتها ومواضيعها : موقع على نت .

(١٧) ينظر : الخطبة الفدكية مبرراتها ومواضيعها : موقع على النت .

(١٨) سورة التوبة / ١٣ .

(١٩) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة : ٣٤٨ .

(٢٠) آل عمران / ١٤٤ .

(٢١) بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢٢ .

(٢٢) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٣) القيم الإنسانية في شعر المخضرمين (حسان بن ثابت إنموذجاً) : ٥٧ .

(٢٤) القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه : ٣٠٢ .

(٢٥) المفردات : ٤٨ .

(٢٦) لسان العرب : ٦٣-٦٤ .

(٢٧) ينظر : مجمع البحرين : ١٣٣/٣ .

(٢٨) ينظر : تلخيص المحصل : ٦٤ .

(٢٩) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه : ٣٢٨ .

(٣٠) بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢١ .

(٣١) لسان العرب : ١ / ٧٤٣ .

(٣٢) المعجم الوسيط : ١٥١ .

(٣٣) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه : ٣٢٨ .





القيم الروحية والإنسانية في الخطبة الفدكية

- (٣٤) بحار الأنوار : ٢٢٠/٢٩ .
(٣٥) المصدر نفسه : ٢٢٠/٢٩ .
(٣٦) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه « ٣٧٥ .
(٣٧) بحار الأنوار : ٣٢٣/٢٩ .
(٣٨) ينظر : النظرية البنائية في النقد الأدبي : ١٢٦ .
(٣٩) بحر الأنوار : ٢٢٨ .
(٤٠) المصدر نفسه : ٢٢٧ .
(٤١) المصدر نفسه : ٢٢٠ .
(٤٢) المصدر نفسه : ٢٢٠ .
(٤٣) ينظر : لسان العرب : ١٨٠/٧ .
(٤٤) الصورة الفنية معياراً نقدياً : ٣٦٥ .
(٤٥) بحار الأنوار : ٢٢٧/٢٩ .
(٤٦) جواهر البلاغة : ٨٩/١ .
(٤٧) بحر الأنوار : ٢٢٦/٢٩ .
(٤٨) عروس الأفراح : ٣٢٤/٢ .
(٤٩) جواره البلاغة : ٧٦/١ .
(٥٠) آل عمران / ١٠٢ .
(٥١) بحار الأنوار : ٢٢٤/٢٩ .
(٥٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٣١٥ .
(٥٣) بحار الأنوار : ٢٢٥/٢٩ .
(٥٤) المصدر نفسه : ٢٢٤/٢٩ .
(٥٥) ينظر : اسرار البلاغة : ١٢٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق : رمضان الصباغ ، ط ١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٨ م .
٢. أسرار البلاغة في علم البيان : صاحبها وعلق على حواشها : السيد محمد رشيد رضا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ .
٣. بحار الأنوار : الشيخ محمد باقر المجلسي ، طبعه وحققه : علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
٤. تلخيص الخصال : نصر الدين الطوسي ، ط ٢ ، دار الأضواء ، ١٩٨٥ م ، بيروت .
٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع : أحمد الهاشمي ، ط ١٢ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، (د:ت) .
٦. شرح الحاشية الفدكية : الشيخ محمد باقر المجلسي ، ط ١ ، داركلشان كوثر ، ٢٠٠٣ م ، طهران .
٧. الصورة الفنية معياراً نقدياً : عبد الله الصالح ، ط ١ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ٢٠١٠ م .
٨. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣ .
٩. الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء (ع) الخطبة الفدكية نموذجاً ؟
١٠. القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه : ثريا عبد الفتاح ملحس ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني .
١١. مجمع البحرين : فخر الدين الطبري ، تحقيق : أحمد الحسيني ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف .
١٢. معجم لسان العرب : ابن منظور ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
١٣. مصطلحات في اللغة والأدب : مجدي وهب كامل ، ط ٢ ، مكتبة بيروت ، ١٩٨٤ .
١٤. المعجم الوسيط : أحمد حسن الزيات - إبراهيم مصطفى - حامد عبد القادر - محمد علي النجار ، ط ٢ ، المكتبة الإسلامية ، (د:ت) .
١٥. المفردات : الراغب الأصفهاني ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، ٢٠٠٩ م ، بيروت .
١٦. النظرية البنائية في النقد الأدبي : د. صلاح فضل ، ط ١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

البحوث المنشورة

١. الأمثال الفاطمية في الخطبة الفدكية ، دراسة تحليلية تاريخية : مكارم إحسان صبيح الموسو : مركز الدراسات الفاطمية في البصرة ، ٢٠١٨ .
٢. القيم الإنسانية في شعر المخضرمين (حسان بن ثابت إنموذجاً) : الطيب عبد الوهاب الطيب السيد ، مجلد ١ ، العدد (٢) ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، ٢٠٢٠ م .
٣. القيم التربوية لإدارة الوقت في حياة الإنسان المسلم : عادل حسن عبد الرحمن ، العدد (٣) ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، ٢٠١١ .

المواقع الإلكترونية

١. تطبيق لسماحة الشيخ فوزي آل سيف (al-saif.net) .





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصارى

م.د. أروى مؤيد محمود العاني
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية





المستخلص:

الحمد لله الذي خلق الكون بإحكام وإتقان، وسيرةً بتقدير وحساب، وجعله مسخراً لهذا الإنسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العدنان، المبعوث بالعلم والحق والنبينا، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد... يهدف هذا البحث إلى معرفة منهج الشيخ أحمد ديات في محاوره النصارى، وكذلك معرفة عوامل تكوين الداعية الكبير أحمد ديات ونشأته بالإضافة إلى معرفة عوامل قيامه في الدعوة والمناظرة.

ومن حفظ الله عز وجل لهذا الدين القويم أن هيا له في كل عصر من يذود عنه ذوب الليث، ومن هؤلاء الرجال الشيخ المناضل والداعية المجاهد أحمد ديدات، ذلك الجبل الأشم والإيمان الراسخ والعلامة البار في تاريخ الدعوة إلى الله عز وجل؛ فقارع أهل الكتاب وأفحمهم من خلال كتبهم وأظهر اختلافاتها، وأنها لا تصلح أن تكون كلمة الرب التي أنزلها على رسله، وأن دين الحق هو دين الإسلام الخاتم، كل ذلك من خلال الكلمة الطيبة والمحاضرة الراقية والمناظرة بالحكمة والموعظة الحسنة، مما كان له الأثر الكبير في عودة الآلاف منهم إلى دين الحق دين الإسلام.

لقد عاش ديدات حياته يناضل في الدفاع عن الإسلام ضد شبهات المنصرين، ويقوم بالحجة ويظهر الحق حتى غدا ذكره يهز العالم أجمع وهو لا يزال يؤدي رسالته من على فراش الموت... ثم ودعنا بعد حياة حافلة تحتاج أن يدرسها كل مسلم.

Abstract:

Praise be to God who created the universe with precision and perfection, and directed it with discretion and reckoning, and made it subject to this human being, and prayers and peace be upon our master Muhammad the Adnan Prophet, who was sent with knowledge, truth and clarification, and his family and companions and those who followed them with goodness, after that... This research aims to know the approach of Sheikh Ahmad Diyat in dialogue with the Christians, as well as to know the factors of formation of the great preacher Ahmad Diyat and his upbringing, in addition to knowing the factors of his rise in the call and debate. And from God Almighty's preservation of this righteous religion is to prepare for it in every era someone who will defend it from the thaw of the lion. Among these men is the fighter sheikh and the mujahid preacher Ahmed Deedat, that noble mountain, firm faith, and a brilliant scholar in the history of calling to God Almighty; So he challenged the People of the Book and denounced them through their books and showed their differences, and that it is not fit to be the word of the Lord that He sent down to His messengers, and that the religion of truth is the final religion of Islam, all of this through the good word, the classy lecture, the debate with wisdom and good exhortation, which had a great impact on the return of Thousands of them to the religion of truth, the religion of Islam. Deedat lived his life striving to defend Islam against the suspicions of the missionaries, establishing the argument and showing the truth until tomorrow his remembrance shakes the whole world while he is still carrying out his message from his deathbed... Then we bid farewell after a busy life that every Muslim needs to study.





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصارى

المبحث الأول

الشيخ احمد ديدات

المطلب الأول: حياته ولادته ونشأته.

أولاً: ولادته.

ولد الشيخ أحمد حسن ديدات عام ١٩١٨ م، في مدينة بومباي بولاية كجرات غرب الهند (١)، وقيل في مقاطعة سورات بالهند (٢)، من أبوين مسلمين هما حسين جاسم ديات وزوجته فاطمة (٣).
ولد أحمد ديدات وقد غدت الهند مستعمرة انجليزية، يسيطر فيها الانجليز على كل شيء، وقد أدت سياستهم في اضطهاد المسلمين إلى افتقارهم وتجهيلهم، فقد أصبح المسلمون فيها فقراء وقد كانوا من قبل الأغنياء، وغدا المسلمون فيها أجراء وقد كانوا فيها من قبل هم الأمراء (٤).

ثانياً: نشأته.

وبعد تسع سنوات قضاها في العمل الزراعي مع أهله، هاجر أحمد ديدات إلى جنوب أفريقيا؛ ليكون مع والدته عام ١٩٢٧ م، وعاش الأب والابن في مدينة ديربان، حيث كان يعمل والده خياطاً، ولم يكن حينها أحمد ديدات قد تعلم تعليماً رسمياً وكان يعاني من فقر شديد، وكان وداعه لأمه في الهند عام ١٩٢٧ م هو الوداع الأخير؛ حيث فارقت الحياة بعد أشهر قليلة من ذلك الوداع (٥).

والتحق أحمد ديدات بالمدرسة الابتدائية في بلدة ديربان جنوب إفريقيا (٦)، حيث تعلم القراءة والكتابة وأتقن عدة لغات منها الإنجليزية وساعده شغفه بالقراءة على أن يكمل مرحلة السادسة من تعليمه (٧)، فعمل عام ١٩٣٤ م بائعاً في دكان لبيع المواد الغذائية، ثم عمل سائقاً في مصنع أثاث بالقرب من مقر إحدى بعثات التبشير بالمسيحية في فريتان، ومن ثم شغل وظيفة كاتب في المصنع نفسه، ثم تدرج في المناصب حتى أصبح مديراً للمصنع بعد ذلك (٨).
ثم سافر إلى باكستان في عام ١٩٤٩ م، ومكث هناك مدة ثلاث سنوات، تزوج أحمد ديدات وأنجب كذلك ولدين وبنات خلال تلك الفترة التي عمل فيها في مصنع للنسيج وبعدها عاد إلى جنوب أفريقيا؛ حتى لا يخسر جنسيته في موطنه الثاني جنوب إفريقيا (٩).

المطلب الثاني: مؤلفاته ووفاته.

أولاً: مؤلفاته.

ألف الشيخ أحمد ديدات ما يزيد عن عشرين كتاباً، وطبع الملايين منها لتوزع بالجمان بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، وقام بإلقاء آلاف المحاضرات في جميع أنحاء العالم، ولهذه الجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦ م (بالمشاركة) (١٠)، ومن مؤلفاته:

١. الاختيار بين الإسلام والنصرانية (١١).

٢. هل المسيح هو الله (١٢).

٣. من دحرج الحجر (١٣).

٤. القرآن معجزة المعجزات (١٤).

٥. عتاد الجهاد، خلاصة خمسين عاماً، من البحث عن الحقيقة (١٥).

٦. مناظرات العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروس، بقاعة ألبرت بلندن (١٦).

٧. هل القرآن كلام الله أم المسيح (١٧).

٨. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء (١٨).

ثانياً: وفاته.

عرف ديدات بشجاعته وجراته في الدفاع عن الإسلام، وفي عام ١٩٩٦ م بعد عودة الشيخ من أستراليا بعد رحلة دعوية





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصرى

مذهلة أصيب فارس الإسلام بمرضه الذي أقعده طريح الفراش طيلة تسع سنوات. وفي صباح يوم الاثنين الثامن من أغسطس ٢٠٠٥م فقدت الأمة الإسلامية الداعية الإسلامي الكبير الشيخ المجاهد (أحمد ديدات) (١٩)، عن عمر ناهز (٧٨) عام، بعد عناء طويل مع المرض (٢٠).

المبحث الثاني

النصرى

المطلب الأول: تعريف النصرى

أولاً: تعريف النصرى في اللغة:

نصر لغةً: النون والصاد والياء أصل صحيح يدل على إثبات خبر وإتيانه ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصراً، وانتصر: انتقم (٢١). قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (٢٢). النصرى: «جمع نصران ونصرانية، مثل الندامى جمع ندمان وندمان... ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب؛ لأنهم قالوا: رجل نصراني وامرأة نصرانية. ونصرة: جعله نصرانياً، وتناصروا نصراً بعضهم على بعضاً، ونصر الغيث الأرض، أي غائتها ونصرت الأرض فهي منصورة أي مطرت» (٢٣).

والنصرانية: قيل: نسبة إلى النصرانة، وهي قرية السيد المسيح وهي أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية قرية بالشام والنصراني منسوبين إليها، والنسبة إلى الديانة نصراني وجمعه نصراني (٢٤).

ثانياً: تعريف النصرى في الاصطلاح:

هي ديانة سماوية أنزلت على سيدنا عيسى مكملة لرسالة سيدنا موسى ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، لكن التحريف دخل هذه الديانة كما حرفت اليهودية من قبلها، وهذه الرسالة جبهة مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية (٢٥).

وهي دين النصرى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح وكتانهم الإنجيل، والنصرانية مصطلح حادث أطلق على الديانة الخرفة عما جاء بها عيسى (٢٦).

والنصرانية تعد امتداداً لليهودية؛ وذلك لأن عيسى ارسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى مصححاً لما حرفة اليهود منها وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم (٢٧)، وقد اطلق القرآن على اتباع الديانة النصرانية نصراني، قال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۚ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَغْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (٢٨).

المطلب الثاني: نبذة عن نشأت النصرانية.

النصرانية نشأت مع بداية دعوة المسيح (٢٩)، ولقد كانت دعوة المسيح تقوم على أساس إنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، فالأخبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما، وليس شخص - مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه - وسيطاً بين العبد والرب في عبادته، وتعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على موسى من كتاب، وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ، والأخذ بأسباب الحياة بأقل قسط، والتزود لآخرة، واعتبار الحياة الآخرة هي الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا (٣٠).

وأن دعوته في المرحلة الأولى لم تتوجه إلى الأميين (أي الأقوام غير اليهودية) في البداية، إنما كانت دعوة إصلاحية إلى اليهودية، وقد وجه المسيح كل اهتمامه إلى هذا الهدف بقوله: «إنما بُعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة» (٣١).

وأن تاريخ الكنيسة يذكر أن الحواري بطرس كان أول من توجه إلى الأميين لدعوتهم إلى الانضمام إلى الدين في الأرض، وكان الأكثر أهمية في نشر الديانة النصرانية هو بولس الرسول، الذي عمل على الجديده الذي أصبح عالمياً بعد أن انتشر





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصارى

الحواريون والمعلمون والتلاميذ في كل بقاع نشر الديانة النصرانية بصورة متميزة (٣٢). ولقد نزل على السيد المسيح كتاب هو الإنجيل، وهو مصدق للتوراة، ومحى لشريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو مشتمل على هدى ونور وهو عظة للمتقين، وإنه كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل فيه (٣٣).

وقد دامت مدة دعوة السيد المسيح ثلاثة سنوات، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام (٣٤). ولقد مرت الديانة المسيحية بالكثير من الاضطهادات حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن خاصة في عصر نيرون فقد كان الاضطهاد رهيباً بشعاً (٣٥).

المطلب الثالث: عقائد النصرانية:

فالنصرانية إذا تقيم التثليث والثالث مقام التوحيد والوحدانية، تستعيز عن المساواة والاخوة والعدالة الصارمة الكافلة لتأمين السعادة الحقيقية بين الناس على الأرض بالعفو والمغفرة الحاصلة من مصلوب متخيل (٣٦).

فقانون الأيمان لم توضع مقدمة إلا في مجمع أفسس الأول عام ٤٣١ م (٣٧). فالإله عندهم ثلاث أقانيم، أب وابن وروح القدس، ثلاثة وجوه وثلاث خواص فالأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن القداء، وإلى الروح القدس التطهير، وقالوا كيان واحد في ثلاثة أقانيم (٣٨).

صلب المسيح للتكفير عن خطايا البشر يعد هذا الأساس الثاني في العقيدة المسيحية وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين أن من صفات الله سبحانه وتعالى العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحده وقبوله أن يظهر بشكل أنسان وأن يعيش الإنسان ثم يصلب ظمناً ليكفر عن خطيئة البشر (٣٩).

أما الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية هو أن المسيح يحاسب الناس، ويرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن، وذلك لأنه الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته ابن الإنسان أيضاً، فهو أولى بمحاسبة الإنسان (٤٠). وللمسيحية شعائر يجب القيام بها، ولا يصح التخلي عنها، ويقولون فيها إنفا فرائض مقدسة وضعها المسيح، وهي أعمال جليلة تشير إلى بركات روحية غير منظورة عندهم، ومن الشعائر الواجب اعتقادها والعمل بها التعميد والعشاء الرباني وتقديس الصليب وحمله (٤١).

وقد جاء في إنجيل متى عن التعميد: ((تقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، وعلموهم جميع ما أوصيكم به)) (٤٢).

والعشاء الرباني Sacrament يطلق عليه أيضاً تناول وهو أيضاً عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية (٤٣). ويرمز بالعشاء الرباني إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه، إذ اقتسم معهم الخبز والنبذ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفلق لهذا الغرض، ويستعمل في العشاء الرباني قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما فعل بالمسيح ليلة موته وكذلك ليكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين، فمن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحصل امتزاج بين الأكل وبين المسيح وتعاليمه (٤٤).

وجاء في الإنجيل: «وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ، وقال خذواكلوا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكرى. وكذلك الكأس أيضاً، قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفلك عنكم» (٤٥).

تقديس الصليب وحمله إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه، فقد ورد عن المسيح قوله: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليتكفر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (٤٦) ومعنى حمل الصليب عندهم هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أشنع صورته، أي صلباً على خشبة كما يفعل بالمجرمين والآثمين. وقوية فكرة تقديس الصليب بعد صلب عيسى فأصبح أداة تذكر المسيحيين بالتضحية الضخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر، ومن العجيب





منهج الشيخ أحمد ديدات في محاوره النصارى

أن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام هي بذاتها تقدس صليبا مصنوعا من معدن أو خشب وتوصي بتقليده (٤٧).

المبحث الثالث:

منهج أحمد ديدات في محاوره النصارى

يعتبر أحمد ديدات أحد أكثر المتعمقين في نصوص الأناجيل المختلفة فهو عالم مسلم في الإنجيل المسيحي قهر المنصرين بحمته العالية في مقارعة أساليبهم فكان بحق فارس الدعوة الإسلامية. كما يعتبر أحد أبرز علماء المسلمين، الذين قاموا بإجراء حوارات كثيرة مع المسيحيين في عدة أماكن في العالم، وعلى عدة أشكال ومستويات.

وقد سنل أحمد ديدات عن أثر المحاوره - كاسلوب في الدعوة - على المجتمعات الغربية؟ فأجاب: المناظرة لها أثر كبير جدا، لا سيما وأن معظم المناظرات التي شاركت فيها أقيمت في دول أمريكية وغربية، وكان أغلبية الحضور فيها من المسلمين والمسيحيين الموجودين في هذه البلدان (٤٨).

أولاً: آثار المحاوره (٤٩):

١. بالنسبة للمسلم، فإن المحاوره تعطيه دفعة قوية للتمسك بمبادئ دينه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المناظرة تعتبر شحنة قوية وإيجابية لهذا المسلم.

٢. أثرها على غير المسلمين؛ حيث إن في هذه الدول نجد مسيحيين يتصفون بضعف الجانب العقائدي، فهم لا يؤمنون بالمسيحية إيمانا كاملا، أي بالأصح - غير مقتنعين بما في دينهم - إنهم مسيحيون بالاسم. والمرء من هؤلاء حين يستمع إلى محاوره، أو مناظرة من مناظراتنا يصل إلى قناعة بأن الإسلام هو غايته المنشودة، وأن ما عداه من الأديان زيف وضلال.

٣. أما بالنسبة للمبشرين ورجال الدين المسيحي، فإنهم يكابرون وتأخذهم العزة بالإثم ويرفضون الاقتناع ظاهريا بما سمعوه من براهين، رغم أنهم يدركون إدراكا كاملا في أنفسهم على خطأ.

ثانياً: منهج الشيخ ديدات في كتاباته (٥٠):

١. أهم ما يميز كتاباته هو اعتماده على النصوص لإثبات وجهة نظره وتلك أهم مميزات الأسلوب العلمي الحديث.

٢. لدى المؤلف القدرة الفذة على اكتشاف ما يسمى بالتناقض الداخلي، مبدئياً رأيه كمسلم دون إلزام أحد به، معبرا عنه بصراحة ووضوح.

٣. في مناظراته نجد أن أسلوبه هادئ رصين، يلتزم فيه أدب الحوار، فكان يبدأ بالاستعاذة والبسملة، والترحيب الشديد والشكر لمناظره، وكان يناقش مناظره فيما عندهم من عقائد، وكان يكسب جمهورا كبيرا من المستمعين.

٤. وكان يحاول مخاطبة مناظره باللغة التي يفهمها هو وقومه.

ثالثاً: منهجه في محاوراته (٥١):

١. اعتمد على المنهج العقلي والنقلي، وكان يغلب النقلي على العقلي في الموضوعات المختلفة، وقد تأثر بأسلوب الشيخ رحمته الله في استعماله النقل في محاجة الخصم.

٢. المنهج النقلي: طريقة دراسة النصوص المنقولة... ويقوم على العناصر العامة التالية:

أ- **توثيق إسناد النص إلى قائله**: بمعنى التأكيد من صحة صدور النص من قائله ويأتي هذا بالرجوع إلى المنهج الخاص في المجال المعرفي الخاص به، كعلم الرجال في دراسة أسانيد أحاديث الأحكام الفقهية، وتاريخ الرواة العاربة والحاضرة في دراسة اللغة والأدب.

ب- **التحقق من سلامة النص**: بمعنى التأكد من أن النص لم يدخله التحريف أو التصحيف أو الزيد أو النقص أو ما إلى هذه، أي أنه سليم من هذه وكما قال قائله.

ت- فهم مدلول النص: ويأتي هذا بالرجوع إلى الوسائل والأدوات المقرر استخدامها لذلك، وتعرف في ضوء المنهج الخاص... كعلم أصول الفقه بالنسبة إلى معرفة مدلولات النصوص الفقهية من آيات وروايات ومجال استخدام هذا المنهج: كل معرفة مصدرها النقل.





منهج الشيخ أحمد ديدات في محاوره النصارى

رابعاً: **منهج الشيخ في محاوره للنصارى.**

أختص الداعية أحمد ديدات في محاوره النصارى، واشتهر بها عند العالم أجمع أكثر من غيرها من أنشطته الدعوية الأخرى، ويرى أنه لا بد لمن يتصدى لمناظراتهم من (٥٢):

١. معرفة واسعة بكتبهم وبينهم.
٢. وقد جاء في حديث أحمد ديدات في مناظرته ومحاورته للنصارى، قوله الاني: «أني عندما أحاور مسيحياً أو يهودياً لا ابدأ قولي بأن ديننا فيه... وفيه... وفيه... بل أقول له: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) (٥٣)» (٥٤)؛ وذلك لأن أساس المحاوره والمناظرة هو طلب الدليل فلو ادعى أحدهم أن ما يعتقدوه هو الصحيح تأتيه بطلب الدليل.
٣. أن المناظرة والمحاوره والمجادلة لا تكون إلا بالتي هي أحسن وتكون بالحكمة والموعظة الحسنة وهذا هو أسلوب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله في كل أحوالها، وديننا الإسلامي يدعونا ويحثنا على أن نكون دعاة، وأن نجادل أهل الكتاب بالتي أحسن: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٥٥)، وهو الأسلوب الأمثل والآنجح (٥٦).
٤. ويقول ديدات أيضاً: «إننا نؤمن بأن لا إكراه في الدين ولكن يجب الإظهار والدعوة باللسان والعقل، بالدكاء والحنكة» (٥٧).

٥. أولى الشيخ أحمد ديدات في مساره الدعوي ومحاوراته للنصارى العقل والاستدلال العقلي اهتماماً كبيراً، إذ كان يعتمد على النصوص في أكثر كلامه ثم يقوم بعد عرضها بالتحليل والنقد وبيان أوجه الاختلاف والغلط، مستخدماً في ذلك المنهج العقلي بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي في قراءة نصوص الكتاب المقدس، مبيناً ما فيه من عقائد فاسدة وما فيها من تناقضات وأخطاء واغلاط (٥٨).

٦. وقد عمل ديدات على تطبيق القياس العقلي القرآني على الأناجيل وغيرها؛ وذلك بمهدف الدراسة والنقد، وقد توصل من خلال هذه الأدلة العقلية القائمة على التدبر في محتويات الكتاب المقدس والتي تضمنت وفق قول ديدات: كلام الرب، وكلام الانبياء عليهم السلام، وكلام المؤرخين والرواة، إلى جانب أشياء أخرى كثيرة (٥٩).

وإذا أردنا أن نحدد أسس منهجه في محاوراته للنصارى، فيأتي تصنيفها على عدة محاور (٦٠):

١. **النص:** ويتمثل عند ديدات بثلاثة أنواع هي:
أ- نصوص الكتاب المقدس، فهي أساس لا يستغني عنه في محاوراته ومناظراته استشهاده ونقده، إذ لا يمكن أن ينتصر على النصرانيين دون معرفة بكتبهم، ومما يبرهن الحضور أنه كان يحفظها عن ظهر قلب.
ب- نصوص اسلامية، فقد انطلق ديدات من القرآن الكريم في منهجه الحوار في مناظرة النصارى، فهو الذي حقق له القدر الهائل من الانتصار على الخصم ونقض أباطيله ومقارنتها بنصوص من الكتب المقدسة، أما الأحاديث النبوية فقد اقل من استخدامها جداً في الحوار والمناظرة واستخدمها في موضوعاته الإسلامية التي كتبها لأغراض الدعوة والارشاد.
ت- نصوص من مراجع عامة، فبالإضافة إلى اعتماده على نصوص الكتاب المقدس والقرآن الكريم فقد استعان بنصوص عامة افاد منها في حواراته ومناظراته منها كتابات الدارسين والنقاد الغربيين للكتاب المقدس.
٢. **العقل الناقد:** حيث يوظف العقل تحليلاً ونقداً، ويتعمق في التحليلات العقلية من واقع النصوص التي يوردها للنقد والمناقشات الفكرية دون شطط أو مغالاة، منطلقاً، ومن أبرز مناظرات أحمد ديدات وأشهرها والتي ترجمه ونشره في مؤلفات هي:

أ- مناظرته مع المبشر الأمريكي (فلويد كلارك) في قاعة (ألبرت) الملكية في العاصمة البريطانية لندن، في عام ١٩٨٥ م، وكان موضوع المناظرة هو: هل مات المسيح على الصليب (٦١).

ب- مناظرته مع القس (أنيس شروش) بقاعة (ألبرت) في لندن، سنة ١٩٨٥ م، وموضوع المناظرة هو: هل عيسى إله؟ (٦٢).

ت- مناظرته مع القس المبشر (جيمي سواجارت) والتي تمت أحداثها في مدينة (لويزيانا) بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٨٦ م، وموضوع المناظرة: هل الإنجيل كلمة الله؟ (٦٣).





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصراني

ث- وقامت مناظرة في السويد بين داعية العصر الشيخ احمد ديدات وكبير القساوسة في السويد استانلي شوبيرج حول: هل الإنجيل كلام الله؟ في ١٧ أكتوبر ١٩٩١ م ودارت المناظرة حول عدة أسئلة واجابات طرحها الجانبان وفي أول سؤال من ديدات حول قضية اتصال السند تحرب القس من الإجابة إلا أن ديدات رد عليه بمدهوء وبين له منطق عدم الرد (٦٤).

الخاتمة:

بحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ الغايات، وتنال المكرمات تم إنجاز هذا البحث وإتمامه بحول منه سبحانه وعونه.

أما بعد:

أن المسيرة الدعوة الإسلامية لم تخلوا في مرحلة من مراحلها من رجال الدين الأفاذا الذين يحملون لوائها ويمشون في ركابها، ومن أشهر من يفتخر بهم الإسلام في مجال الدعوة إلى دين الحق دين الإسلام هو الداعية المناضل احمد ديدات الذي عاش حياته وليس أمام ناظره سوى هدف الدعوة إلى الله ونشر دين الإسلام ورد كيد المنصرين. ولقد استخدم الشيخ ديدات أفضل الوسائل وأكثرها جماهيرية لنشر الدعوة فأقام المحاضرات والمحاورات والمناظرات والندوات ونشر الكتب ووزعها في كافة أنحاء العالم وغزا المنصرين في عقر دارهم ونشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة والدليل والبرهان حتى رد الآلف منهم إلى دين الحق دين الإسلام.

وأخيرا إن ما في هذه البحث من صواب؛ فهو من الله عز وجل، وإن كل ما فيها من خلل وقصور؛ فهو من نفسي ومن الشيطان، ولا يسعني في ختام هذه البحث المتواضع إلا أن أحمد الله تعالى؛ فالحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

الهوامش:

- (١) يُنظر: أحمد ديدات: حياته - نشاطاته - مناظراته، أحمد الجذع، دار الضياء، عمان - الأردن، ط/١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ص ٥.
- (٢) يُنظر: الاختيار بين الإسلام والنصرانية، أحمد ديدات، نقله للعربية: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط/١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م: ص ٧.
- (٣) يُنظر: هل المسيح هو الله، أحمد ديدات: ص ٩٩.
- (٤) يُنظر: أحمد ديدات: حياته - نشاطاته - مناظراته، أحمد الجذع: ص ٥.
- (٥) يُنظر: الاختيار بين الإسلام والنصرانية، أحمد ديدات: ص ٧؛ المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سوبجارت وأحمد ديدات، محمود علي حمادة، كلية أصول الدين، قسم مقارنة الأديان، جامعة الأزهر، مكتبة الناقد، أسبوط - الجيزة، ط/١، ٢/٢٠٠٥م: ص ١٧.
- (٦) يُنظر: أخطر المناظرات، أحمد ديدات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين داعية العصر أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، ترجمة: علي الجوهري، القاهرة، دار البشري، د. ط، د. ت: ص ٥.
- (٧) يُنظر: الاختيار بين الإسلام والنصرانية، أحمد ديدات: ص ٧.
- (٨) يُنظر: حوار ساخن مع داعية العصر أحمد ديدات، محمد عبد القادر الفقي: ص ١١.
- (٩) يُنظر: مجلة مؤتة، منهج الشيخ احمد ديدات في دراسة الأديان وبيان مدى تطبيقه لمناهج العلماء المسلمين السابقين، قيس سالم المعاطة، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، المجلد التاسع والعشرون، العدد السادس، ٢٠١٤م: ص ٤.
- (١٠) يُنظر: أحمد ديدات هذه حياتي سيري ومسيرتي، أشرف محمد الوحش، د. ط، د. ت: ص ٤.
- (١١) الاختيار بين الإسلام والنصرانية. أحمد ديدات، نقله للعربية: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط/١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- (١٢) هل المسيح هو الله، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، دار المختار الإسلامي، القاهرة، د. ط، د. ت.
- (١٣) من دحرج الحجر، أحمد ديدات، ترجمة وتحقيق: إبراهيم خليل أحمد، تقديم ومراجعة: فايزة محمد بكري، دار المنار، سلطنة عمان، د. ط، د. ت: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (ت: ١٣٦٨هـ)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قذح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٣٩٦/١.
- (١٤) القرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات، ترجمة: علي عثمان، مراجعة: محمود غنيم، مكتبة ديدات، د. ط، د. ت.
- (١٥) عناد الجهاد، أحمد ديدات، نقله إلى العربية، علي جوهر، د. ط، د. ت.
- (١٦) مناظرات العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروس، أحمد ديدات، نقله إلى العربية، علي جوهر، دار الفضيلة





منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصارى

- للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢ م.
- (١٧) هل القرآن كلام الله أم المسيح، أحمد ديدات، ترجمة: جمال نادر، دار الأسراء، الأردن، ط/١، ٢٠٠٠ م.
- (١٨) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، د. ط، د. ت: تحليل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري: ٩٨٠/٢.
- (١٩) يُنظر: ديدات الداعية الذي قاد آلاف النصارى على الإسلام، موقع على النت: <https://al-sharq.com/article/2017/06/18/>.
- (٢٠) يُنظر: موقع الشيخ أحمد ديدات على النت: <http://www.Ahmed-deedat.net>.
- (٢١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م: ٤٣٥/٥. مادة (نصر).
- (٢٢) سورة الشورى، الآية: ٣٩.
- (٢٣) يُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٨٢٩/٢. مادة (نصر).
- (٢٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويني الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط/١، ٢٠٠٦ م: ٢١١/٥. مادة (نصر).
- (٢٥) يُنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، د. مانع حماد الجهني، الناشر دار الندوة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط/١، ١٤٢٠ هـ: ٥٦٤/٢؛ أطلس الأديان، سامي عبد الله أحمد الملغوث، طبعة مطبعة العبيكان، الرياض، ط/١، ٢٠٠٧ م: ص ١٧٣.
- (٢٦) يُنظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة اضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ١٦٣/١.
- (٢٧) يُنظر: معجم الالفاظ العقيدة، أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/١، ١٩٩٧ م: ص ٤٠٨ - ٤٠٩؛ أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دائرة المعارف الأمريكية، طبعة شيكاغو، ط/١، ١٩٦٠ م: ص ٩٣.
- (٢٨) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.
- (٢٩) المسيح: كلمه مشتقة من الكلمة العربية «مسياء» ومصدر الكلمة في اللغة العربية هو «مسح» بمعنى دلك وذلك؛ إذ الكهنة والملوك يمسحون أو يدهنون بالزيت المقدس عند تعيينهم بوظائفهم الدينية. يُنظر: المسيح في الإسلام، أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: محمد مختار، مكتبة ديدات، د. ط، د. ت: ص ٣٣ - ٣٥؛ موسوعة الكتاب المقدس، صدر عن دار منهل الحياة المنصورة المثل لبنان، وعن دار الكتاب المقدس، نيو، روضة لبنان، ١٤٢٤ هـ، ١٩٩٣ م: ص ٣٧٥.
- (٣٠) يُنظر: محاضرات في النصرانية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٣، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م: ص ١٣.
- (٣١) أنجيل متى: ٢٤/١٥.
- (٣٢) يُنظر: المسيحية، مقارنة الأديان، د. أحمد شلي، مكتبة النهضة المصرية، ط/١٠، ١٩٩٨ م: ص ٧٥؛ تاريخ الديانتين، اليهودية والمسيحية، رشدي محمد عليان وسعدون محمود الساموك، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، د. ط، ١٩٨٨ م: ص ٩١.
- (٣٣) يُنظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ١٣.
- (٣٤) يُنظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ٢٠٠٥ م: ٤٩/٢.
- (٣٥) يُنظر: تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة، فاروق الدملاجي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د. ط، ٢٠٠٤ م: ص ٤٦.
- (٣٦) يُنظر: الإنجيل والصلب، عبد الاحد داود الأشوري، تقديم: محمد عي سلامة، مكتبة النافذة، ط/١، د. ت: ص ٦.
- (٣٧) يُنظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د. عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م: ص ٢٥٤.
- (٣٨) يُنظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة: ص ١٠٠ - ١٣٤.
- (٣٩) (الأنجيل والصلب، عبد الاحد داود: ص ٦ - ٧؛ موسوعة تاريخ الاقباط، مكرم زكي شونده، ط/١، ١٩٦٢ م: ص ٢٣٨).
- (٤٠) يُنظر: المسيحية، أحمد شلي: ص ١٦٨.
- (٤١) يُنظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة: ص ١١٤.
- (٤٢) أنجيل متى: ١٨/٢٨.
- (٤٣) يُنظر: العقائد، عمر عنایت، دار العصور للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٢٨ م: ص ١٠٥.
- (٤٤) يُنظر: وحدة الدين والفلسفة والعلم، بحث نقدي تحليلي وعرض تاريخي يتناول سائر كفايات المعرفة الإنسانية، تأليف سيد محمود أبو





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

منهج الشيخ احمد ديدات في محاوره النصارى

الفيض المنوفي، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، د. ط. ١٩٥٨م: ص ١٣٢؛ المسيحية، أحمد شلبي: ص ١٧٣.

(٤٥) أنجيل لوقا: ٢٢ / ١٩ - ٢٠.

(٤٦) أنجيل لوقا: ٢٣/٩.

(٤٧) يُنظر الإنجيل والصلب، عبد الأحد داود: ص ٨؛ المسيحية، أحمد شلبي: ص ١٧٤.

(٤٨) يُنظر: منهج دراسة الأديان بين الشيخ رحمت الله الهندي (ت: ١٨٩١م) والقس فندر، إعداد الباحث: شريف مسعد فياض عبد الفتاح، رسالة: ماجستير، قسم الفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم، جامعة القاهرة - مصر، إشراف: أ. د. مصطفى حلمي، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ص ٢٩.

(٤٩) يُنظر: حوار ساخن مع داعية العصر، محمد عبد القادر الفقي: ص ٢٥.

(٥٠) يُنظر: أحمد ديدات وجهوده في الرد على النصارى، رائدة ابراهيم اللحام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٨م: ص ٣٣.

(٥١) يُنظر: منهج دراسة الأديان بين الشيخ رحمت الله الهندي (ت: ١٨٩١م) والقس فندر، إعداد الباحث: شريف مسعد فياض عبد الفتاح، ص ٤٠ - ٤١؛ أحمد ديدات وجهوده في الرد على النصارى، رائدة ابراهيم اللحام: ص ١٠٣ - ١٢٢.

(٥٢) يُنظر: أحمد ديدات حياته - نشاطه - مناظراته، أحمد الجذع: ص ٢٤ - ٢٥.

(٥٣) سورة البقرة، من الآية: ١١١.

(٥٤) حوار ساخن مع داعية العصر أحمد ديدات، محمد عبد القادر الفقي: ص ٧٦.

(٥٥) سورة النحل، من الآية: ١٢٥.

(٥٦) يُنظر: حوار ساخن مع داعية العصر أحمد ديدات، محمد عبد القادر الفقي: ص ٢٣.

(٥٧) أحمد ديدات هذه حياتي سيري ومسيرتي، أشرف محمد الوحش: ص ٨.

(٥٨) يُنظر: منهج أحمد ديدات في دراسة الأديان وبيان مدى تطبيقه لمنهج العلماء المسلمين السابقين، قيس سالم المعاينة، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، د. ط. د. ت: ص ١٢.

(٥٩) يُنظر: الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية، حمزة مصطفى ميغا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، د. ط. ١٢٧٢هـ - ٢٠٥٠م: ٢٤٥/١.

(٦٠) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٣٩ - ٢٤٥.

(٦١) يُنظر: أخطر المناظرات، أحمد ديدات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين داعية العصر أحمد ديدات والبروفسور فلويد كلارك، ترجمة: علي الجوهري، القاهرة، دار البشري، د. ط. د. ت.

(٦٢) يُنظر: مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، القاهرة، دار الفضيلة، د. ط. ١٩٩٢م.

(٦٣) يُنظر: المناظرة بين سواجارت وديدات، أحمد ديدات، ترجمة: رمضان الصفناوي، القاهرة، دار المختار الإسلامي، د. ط. د. ت.

(٦٤) يُنظر: مناظرتان في استكھولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد استانلي شويج، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار النصر للطباعة، القاهرة، د. ط. ١٩٩٢م: ص ٦٣.

المصادر:

القرآن الكريم

١. أحمد ديدات هذه حياتي سيري ومسيرتي، أشرف محمد الوحش، د. ط. د. ت.

٢. أحمد ديدات وجهوده في الرد على النصارى، رائدة ابراهيم اللحام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٨م.

٣. أحمد ديدات: حياته - نشاطاته - مناظراته، أحمد الجذع، دار الضياء، عمان - الأردن، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤. الاختيار بين الإسلام والنصرانية. أحمد ديدات، نقله للعربية: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٥. أخطر المناظرات، أحمد ديدات، هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين داعية العصر أحمد ديدات والبروفسور فلويد كلارك، ترجمة: علي الجوهري، القاهرة، دار البشري، د. ط. د. ت.

٦. أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دائرة المعارف الأمريكية، طبعة شيكاغو، ط ١، ١٩٦٠م.

٧. أطلس الأديان، سامي عبد الله أحمد الملقوث، طبعة مطبعة العبيكان، الرياض، ط ١، ٢٠٠٧م.

٨. الإنجيل والصلب، عبد الأحد داود الآشوري، تقديم: محمد عي سلامة، مكتبة النافذة، ط ١، د. ت.

٩. تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة، فاروق الدملوجي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د. ط. ٢٠٠٤م.

١٠. تاريخ الديانتين، اليهودية والمسيحية، رشدي محمد عليان وسعدون محمود الساموك، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، د. ط. ١٩٨٨م.

١١. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (ت: ٦٦٨هـ)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



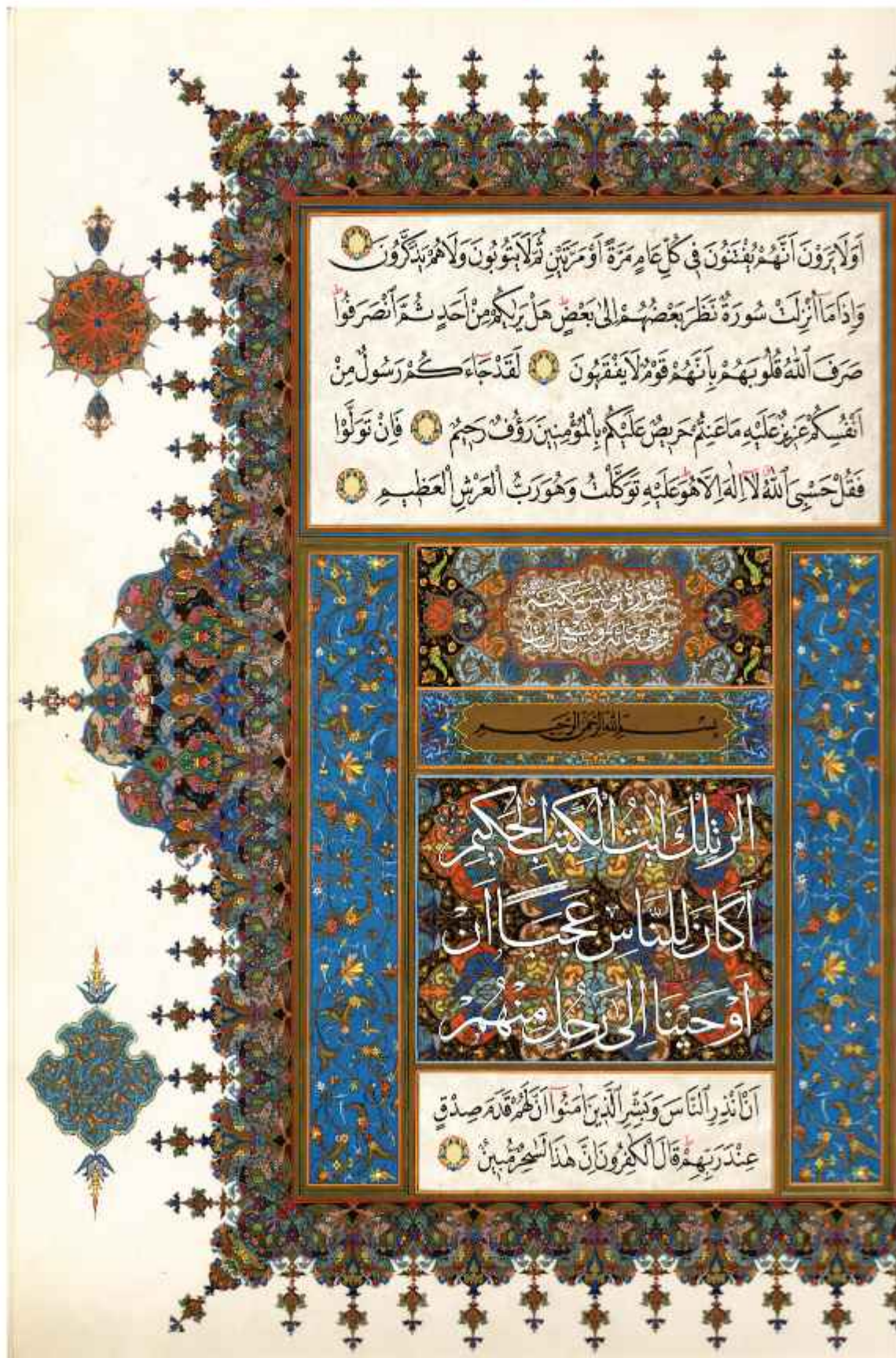


فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

منهج الشيخ أحمد ديدات في محاوره النصارى

١٢. حوار ساخن مع داعية العصر، محمد عبد القادر الفقي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، ١٩٩١ م.
١٣. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٤. ديدات الداعية الذي قاد آلاف النصارى على الإسلام، موقع على النت: <https://al-sharq.com/article/2017/06/18/>
١٥. الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية، حمزة مصطفى ميغا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، د. ط، ١٢٧٢ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري القاري (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٧. عتاد الجهاد، أحمد ديدات، نقله إلى العربية، علي جوهر، د. ط، د. ت.
١٨. العقائد، عمر عنایت، دار العصور للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٢٨ م.
١٩. القرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات، ترجمة: علي عثمان، مراجعة: محمود غنيم، مكتبة ديدات، د. ط، د. ت.
٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط/١، ٢٠٠٦ م.
٢١. مجلة مؤتة، منهج الشيخ أحمد ديدات في دراسة الأديان وبيان مدى تطبيقه لمناهج العلماء المسلمين السابقين، قيس سالم المعايطه، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، المجلد التاسع والعشرون، العدد السادس، ٢٠١٤ م.
٢٢. محاضرات في النصرانية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة (ت: ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٣، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.
٢٣. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، د. ط، د. ت.
٢٤. المسيح في الإسلام، أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: محمد مختار، مكتبة ديدات، د. ط، د. ت.
٢٥. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د. عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
٢٦. المسيحية، مقارنة الأديان، د. أحمد شلي، مكتبة النهضة المصرية، ط/١٠، ١٩٩٨ م.
٢٧. معجم اللفاظ العقيدة، أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/١، ١٩٩٧ م.
٢٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٩. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ٢٠٠٥ م.
٣٠. من دحرج الحجر، أحمد ديدات، ترجمة وتحقيق: إبراهيم خليل أحمد، تقديم ومراجعة: فايزة محمد بكري، دار المنار، سلطنة عمان، د. ط، د. ت.
٣١. مناظرات العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروس، أحمد ديدات، نقله إلى العربية، علي جوهر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢ م.
٣٢. المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سوبجارت وأحمد ديدات، محمود علي حماية، كلية أصول الدين، قسم مقارنة الأديان، جامعة الأزهر، مكتبة النافذة، أسبوط - الجيزة، ط/١، ٢٠٠٥ م.
٣٣. المناظرة بين سواجارت وديدات، أحمد ديدات، ترجمة: رمضان الصفناوي، القاهرة، دار المختار الإسلامي، د. ط، د. ت.
٣٤. مناظرات في استكھولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد استانلي شوبرج، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار النصر للطباعة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢ م.
٣٥. منهج أحمد ديدات في دراسة الأديان وبيان مدى تطبيقه لمنهج العلماء المسلمين السابقين، قيس سالم المعايطه، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، د. ط، د. ت.
٣٦. منهج دراسة الأديان بين الشيخ رحمت الله الهندي (ت: ١٨٩١ م) والقس فندر، إعداد الباحث: شريف مسعد فياض عبد الفتاح، رسالة: ماجستير، قسم الفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم، جامعة القاهرة - مصر، إشراف: أ. د. مصطفى حلمي، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
٣٧. موسوعة الكتاب المقدس، صدر عن دار منهل الحياة المنصورية المثل لبنان، وعن دار الكتاب المقدس، نبو، روضة لبنان، ١٤٢٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع حماد الجهني، الناشر دار الندوة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط/١، ١٤٢٠ هـ.
٣٩. موسوعة تاريخ الاقباط، مكرم زكي شونده، ط/١، ١٩٦٢ م.
٤٠. موقع الشيخ أحمد ديدات على النت: <http://www.Ahmed-deedat.net>
٤١. هل القرآن كلام الله أم المسيح، أحمد ديدات، ترجمة: جمال تادر، دار الأسراء، الأردن، ط/١، ٢٠٠٠ م.
٤٢. هل المسيح هو الله، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، دار المختار الإسلامي، القاهرة، د. ط، د. ت.
٤٣. وحدة الدين والفلسفة والعلم، بحث نقدي تحليلي وعرض تاريخي يتناول سائر كفايات المعرفة الإنسانية، تأليف سيد محمود أبو الفيض المنوفي، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، د. ط، ١٩٥٨ م.







الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

أ.م. عامر ضاحي سلمان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية





الملخص:

في بحثنا الموسوم: (الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي)، جاء البحث على مباحث ثلاث، تناولت في المبحث الأول: تناولت الديمقراطية في اللغة، والاصطلاح، فضلاً عن مراحل نشأتها، أما المبحث الثاني: ذكرنا خصائص الديمقراطية والمشاكل الموجهة إليها، أما المبحث الثالث: بينا فيه الحقوق والحريات العامة، إذ من الصعب التفرقة بين (الحقوق) و(الحريات العامة)، لأن المصطلحين متلازمين جداً.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية، الحقوق، الحرية، الحريات، الخصائص.

Abstract:

In our research tagged: (Democracy and public freedoms in Islamic thought), the research came on three topics, which were dealt with in the first topic: I dealt with democracy in language, terminology, as well as the stages of its emergence, while the second topic: we mentioned the characteristics of democracy and the problems directed to it, while the third topic: It contains public rights and freedoms, as it is difficult to differentiate between (rights) and (public freedoms); Because the two terms are very closely related.

Keywords: democracy, rights, freedom, liberties, characteristics.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد النبيين، وآله الهداة المهديين، وصحبه المنتجبين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد:

تغطي الديمقراطية اليوم باهتمام كبير سواء كان اختيار أيديولوجي أو كنظام للحكم، حتى عدها البعض ضرورة من ضرورات العصر، بل ومقوماً ضرورياً للإنسان في هذا العصر، وأن الشرعية الديمقراطية هي الشرعية الوحيدة التي لا بديل عنها، هذا يعني أن الديمقراطية ركن أساسي ومهم في النظم السياسية والمجتمعات والدول.

وبفضل الله تعالى وعنايته وقع اختياري لهذا الموضوع الموسوم « الديمقراطية والحقوق والحريات العامة » لأننا بحاجة إلى معرفة الديمقراطية وما يدور حولها من غموض وشبهات، فضلاً عن بيان الحقوق والحريات العامة، وقد اشتمل بحثي على مقدمة، ومباحث ثلاث، وخاتمة.

في المبحث الأول: تناولت الديمقراطية في اللغة، والاصطلاح، فضلاً عن مراحل نشأتها، واتضح لنا أن الديمقراطية ليست نظاماً غريباً فحسب، وإنما منهج إنساني ساهمت الإنسانية كلها في تطويره باتجاه إيجاد توازن بين السلطة كضرورة، والحرية كمطلب أساسي للناس، فالديمقراطية اليونانية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد نجد أنها تختلف اختلافاً كبيراً في معناها عما هي في العصر الحديث، وأن الديمقراطية تبقى مشروع نسبي تتغير أنماطها وأشكالها بتغير المجتمعات وباختلاف الخصوصيات.

أما المبحث الثاني: ذكرنا خصائص الديمقراطية والمشاكل الموجهة إليها، إذ يوجد اشكالات عدة على نظرية الديمقراطية الحديثة، كإلغاء أصوات الأقلية ومشاركتهم، ومصادرة أصحاب الثروة والقدرة آراء العامة بتغليبهم، فضلاً عن عدم القدرة على كيفية الموازنة بين عامل وعنصر الكفاءة والخبرة، وبين مشاركة الناس.

أما المبحث الثالث: فقد بينا فيه الحقوق والحريات العامة، إذ من الصعب التفرقة بين (الحقوق) و(الحريات العامة)؛





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

لأن المصطلحين متلازمين جداً، وأثار هذا الأمر خلافاً بين فقهاء القانون، فيمكن القول بأنها: الحقوق والحريات التي يتمتع بها أفراد المجتمع داخل الدولة، تبقى في حدود عدم مساسها بحقوق الآخرين وحريات، وعدم الأضرار بالمصالح العامة للمجتمع. ثم ختمتُ بحثي بخاتمة بأهم ما تضمنه البحث من نتائج.

وبهذا الجهد المتواضع حاولتُ الكشف عن أهم ما تضمنته (الديمقراطية والحقوق والحريات العامة) آملاً أن يوفقني الله تعالى لبلوغ الصواب، ويجنبني الزلل، ولا أدعي الكمال، فالكمال لله وحده، ومنه تعالى استمد العون والسداد.

المبحث الأول: مفهوم الديمقراطية، وصورها.

الطلب الأول: مفهوم الديمقراطية ونشأتها.

تغطي الديمقراطية اليوم باهتمام كبير سواء كان اختيار أيديولوجي أو كنظام للحكم، حتى عدها البعض ضرورة من ضرورات العصر، بل ومقوماً ضرورياً للإنسان في هذا العصر، وأن الشرعية الديمقراطية هي الشرعية الوحيدة التي لا بديل عنها (١).

هذا يعني أن الديمقراطية ركن أساسي ومهم في النظم السياسية والمجتمعات والدول، وهناك من يرى أن الديمقراطية ليست مفهوماً علمياً يمكن بالتالي تعريفه تعريفاً وحيداً ودقيقاً، بل أن مصطلح الديمقراطية هو مجرد تعبير لغوي مانع يتغير مضمونه بتغير المتحدث والظروف (٢)، ويعد مصطلح الديمقراطية الذي دار ومازال يدور حوله جدال كبير، مصطلح غير محدد ومركب يستخدم بمعان شتى باختلاف الزمان والمكان، وزاوية النظر إليها، كما أنه لا يوجد تعريف جامع مانع للديمقراطية ولا شكل تطبيقي واحد تأخذ به جميع نظم الحكم الديمقراطي في العالم، ولو كان للديمقراطية شكل جامد ومضمون عقائدي ثابت، لما استطاع نظام الحكم الديمقراطي أن ينتشر عبر القارات ويتكيف مع مختلف الثقافات (٣). إضافة إلى ذلك، فإن مصطلح الديمقراطية يعد من المصطلحات الأكثر شيوعاً في المعاجم السياسية، ومن أكثر اللفاظ غموضاً وإبهاماً في التعريف في الوقت نفسه، إذ إن هناك صيغ متعددة ومعان كثيرة وتفسيرات شتى للديمقراطية إلا أن ذلك لا يمنع من ذكر بعض هذه التعريفات تعود إلى (Democracy) وتؤكد عدد من الدراسات، أن كلمة الديمقراطية ومعناها (Demos) الأصل اليوناني القديم، فهي تتكون من كلمتين هما: ديموس ومعناها السلطة، وكراتيا (Kratia) وتعني حكم الشعب وسلطته (٤).

ومن هنا جاء التعريف القائل: أن الديمقراطية هي «حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب»، أي أن الشعب يمارس أرائته، فهو الذي يضع قوانينه ونظم حياته، وهو الذي يختار حكامه، وهو الذي يلزم الحاكم بتنفيذ هذه النظم والقوانين (٥).

ثم جاءت الثورة الفرنسية (٦). عام ١٧٨٩م، وتبنى رجال الثورة مبادئ الديمقراطية، إذ كانت الفلسفة السياسية التي بشر بها فلاسفة القرنين (السابع عشر والثامن عشر)، وبالذات فلسفة (روسو (٧))، لها تأثير كبير في تكوين عقلية رجال الثورة، التي رفعوا فيها شعار: (الحرية - العدل - المساواة)، وأكدوا على أن السيادة تعود للشعب، وأن الشعب مصدر السلطات جميعاً، وأن الإنسان يولد حراً ولا بد تحريره من القيود المفروضة عليه، وجاء بإعلان حقوق المواطن الفرنسي الصادر في ٢٦ آب / أغسطس ١٧٨٩م (٨)، وقد أكد في مادته الثالثة «أن الأمة مصدر السلطة ومستودعها، وكل هيئة وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها» (٩).

إن الديمقراطية ليست نظاماً غريباً فحسب، وإنما منهج إنساني ساهمت الإنسانية كلها في تطويره باتجاه إيجاد توازن بين السلطة كضرورة، والحرية كمطلب أساسي للناس (١٠).

ويرى الباحث ضرورة ذكر تعاريف معاصرة للديمقراطية، منها ما يأتي:

- عرفت بأنها: «الكيفية التي تمارس بها السلطة أساساً إلى نوع خاص من العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، مبنية على احترام حقوق الإنسان والمواطن، كحق التعبير الحر، وحق انتخاب الحاكمين ومراقبتهم» (١١).
- وعرفت أيضاً بأنها «نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، أما أساس هذه النظرة فيعود إلى المبدأ القائل بأن الشعب





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

هو صاحب السيادة ومصدر شرعيتها وبالتالي فإن الحكومة مسؤولة أمام ممثلي المواطنين وهي رهن ارادتهم» (١٢) • وعرفها بعض المفكرين أنها تعني «حالة سياسية تكون السيادة للمواطنين كافة، بلا تمييز على أساس المولد أو الثورة أو القدرة» (١٣).

يتضح مما سبق أن أغلب التعريفات تتفق على أن الديمقراطية هي اختيار نظام الحكم وما يحقق تطلعات واحتياجات المواطنين، وفي أبسط مضامينها.

يتضح مما تقدم، إن لمصطلح الديمقراطية تاريخ هو غاية في القدم، وقد ارتبط هذا المصطلح ارتباطاً شديداً بالدولة والنظريات السياسية، وإن مفهوم الديمقراطية هذا له معايير متعددة اختلفت على مدى تاريخها التطوري، وذلك بحسب المجتمعات التي سادت بها، أي أنها تختلف من مجتمع إلى آخر، فالديمقراطية اليونانية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد نجد أنها تختلف اختلافاً كبيراً في معناها عما هي في العصر الحديث (١٤)، وأن الديمقراطية تبقى مشروعاً نسبي تتغير أنماطها وأشكالها بتغير المجتمعات واختلاف الخصوصيات.

وهكذا فإن موضوع الديمقراطية سيبقى من أكثر المسائل التي تشغل الفكر الإنساني بشكل عام، والفكر السياسي والصيغ الدستورية بشكل خاص، الآن وفي المستقبل (١٥).

هذه هي خلاصة تطور الديمقراطية، فهي من المفاهيم التي لا تأخذ شكل محدد يمكن التغير فيه، بل هي مصطلح قابل للتطور من حيث الشكل والمضمون معاً، وتأخذ صوراً وأشكالاً متغيرة عبر الزمن، لذلك فهي ذات مفاهيم وصور تطبيقية متعددة.

المطلب الثاني: صور الديمقراطية وأشكالها.

للمدقراطية صور متعددة وأشكال مختلفة، ممكن تحديدها وحصرها في صور ثلاث على النحو الآتي:

١- الديمقراطية المباشرة:

ومعناها: أن يحكم الشعب نفسه بنفسه مباشرة في عملية صنع القرار دون نياية أو وساطة أحد، أي أن الشعب لا ينتخب ممثليه في السلطتين (التشريعية والتنفيذية)، بل يمارس السلطة بنفسه، إذ يضع التشريعات ويطبقها، فيكون للشعب السلطة الفعلية على شؤونه العامة جميعاً، وهذا النظام القائم هو وفق أصول الاغريق (نظام دولة المدينة) (١٦)، ففي مدينة أثينا - الصغيرة مساحة وسكاناً - تمت ممارسة الديمقراطية المباشرة، التي تعني حكم الشعب بواسطة الشعب، وتقتضي بأن يجتمع كل من يحق لهم ممارسة العمال السياسية، في ساحة واسعة ويتناقشون عموم شؤون الدولة دون وساطة ممثلين أو نواب، وتصدر قراراتهم أما بالأغلبية أو بالجماع، وكانت مهماتهم تتعدى التشريع لتشمل تعيين القضاة والموظفين (١٧).

وهناك من يرى أن هذه الصورة، من الديمقراطية أكثر نظم الحكم ديمقراطية، وتعد نظام الحكم المثالي الذي يجب الأخذ به لأنها التطبيق المنطقي لمبدأ سيادة الأمة إذ إن الديمقراطية المباشرة تفسح المجال أمام الفرد الاعتيادي للمشاركة في الحياة العامة للبلد بصورة مباشرة، الأمر الذي يزيد من مداركه السياسية وبنقفه ويزيد من اهتمامه بالقضايا العامة (١٨). ولكي تكون الديمقراطية المباشرة قابلة للتطبيق تحتاج إلى مجموعة صغيرة نسبياً من المواطنين الذين يمكن إيواؤهم في مكان اجتماع واحد، ويتوفر لهم الوقت الكافي للتحرر من المسؤوليات الأخرى، لكي تكون قادرة على الفهم والمناقشات الضرورية لصنع القرار السياسي (١٩).

تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع يعتبر من أقدم صور الديمقراطية وأقلها انتشاراً في العصر الحديث، ولا وجود له إل على نطاق محدود، والشائع أنه موجود في بعض المقاطعات السويسرية الصغيرة (٢٠).

٢- الديمقراطية شبه المباشرة:

وهي مزيج من الديمقراطية النيابية والديمقراطية المباشرة (٢١)، وتقوم على أساس مجلس منتخب مع الرجوع إلى الشعب نفسه على أساس أنه صاحب السيادة ومصدر السلطة للفصل في بعض الأمور المهمة، وتختلف عن الديمقراطية المباشرة من ناحية عدم ممارسة الشعب لشؤون السلطة كافة. وبسبب ذلك يرجع إلى أنه يقوم ببعض المهام فقط، ويترك القسم





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

الأكبر من أمور الدولة إلى النواب الذين أختارهم ممثلين لهم هذا من جهة، وأنها تختلف عن الديمقراطية التمثيلية بحيث يقرر هذه الصورة من الديمقراطية للشعب حق ممارسة أمور السلطة، في حين تقتصر السلطة كل السلطة في الديمقراطية التمثيلية على النواب وحدهم مع كامل الاستقلالية عن منتخبهم (٢٢).

٣- الديمقراطية غير المباشرة (الديمقراطية النيابية):

بما أن الديمقراطية المباشرة تواجه صعوبات كبيرة تجعلها غير قابلة للتطبيق عملياً في الحياة السياسية، فلن يستطيع الشعب بكامله أن يكون حاكماً ومحكوماً في آن واحد (٢٣)، وحتى (جان جاك روسو) نفسه رأى في الديمقراطية المباشرة مثلاً لا يمكن تطبيقه على الناس؛ لأنهم غير كاملين، فقال: «لو كان هناك شعب من الألهة لحكم نفسه ديمقراطياً، لكن شكلاً تاماً من الحكم كهذا ليس لبني البشر» (٢٤).

وتقوم الديمقراطية غير المباشرة على أربعة أركان أساسية، تتمثل في وجود هيئة نيابية منتخبة ذات سلطة فعلية (البرلمان) والتي تعبر عن إرادة الأمة وممارسة السلطة باسمها، وأن تكون نيابة هذه الهيئة من الأمة لمدة محدودة حسب الدستور، وأن الناخب المنتخب يمثل الأمة بأكملها، وأخيراً استقلال الهيئة النيابية عن الناخبين، أي تباشر تلك الهيئة سلطاتها على أساس الاستقلال التام عن الناخبين (٢٥).

وتجدر الإشارة إلى أن الديمقراطية النيابية تختلف باختلاف مدى اتساع أو ضيق اختصاصات هذا المجلس النيابي، فهي أما أن تكون ديمقراطية الجمعية التي تتمثل في الاتحاد السويسري، أو ديمقراطية رئاسية كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، أو ديمقراطية برلمانية التي تتمثل في بريطانيا، ففي الأولى يكون اختصاص المجلس النيابي واسعاً جداً، بحيث يهيمن على خصائص السياسة التشريعية جميعاً، فضلاً عن التنفيذية والقضائية، بينما تقتصر مهمته في الثانية على ممارسة السلطة التشريعية فقط، أي وضع القوانين وفرض الضرائب وإقرار الميزانية العامة، أما في الثالثة فيكون اختصاصه ممارسة السلطة التشريعية ومحاسبة الهيئة التنفيذية ومراقبة أعمالها، بحيث تكون مسؤولة أمامه مسؤولية سياسية (٢٦).

المبحث الثاني: خصائص الديمقراطية والمشاكل الموجهة إليها.

المطلب الأول: خصائص الديمقراطية.

يمكن تلخيص خصائص النظام الديمقراطي على النحو الآتي (٢٧):

١. ينتخب الشعب ممثليه عن طريق انتخابات عامة.
٢. تمارس الأغلبية المنتخبة الحكم، هذه الأغلبية الصادرة عن فئات الشعب المختلفة هي سياسية بالتعريف وليست عرقية أو دينية.
٣. تصان حقوق المعارضة.
٤. تصان الحريات العامة للمجتمع، منها حرية التعبير وحرية العقيدة وحرية الصحافة.
٥. وجود دولة القانون التي تحترم وتضمن حقوق المواطنين والمساواة بينهم.
٦. الحد من اعتبارية سلطة الحاكم عن طريق مؤسسات دائمة وآليات، للدفاع عن المواطنين.
٧. ضمان عدم الجمع بين السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.
٨. ترسيخ مبدأ الدستورية، أي أن السلطات والمواطنين يحترمون الدستور ويرجعون إلى القضاء لحل الخلافات، فالديمقراطية ليست في إشراك المواطنين في الانتخابات فقط، ولكن أيضاً في سهرهم على مراقبة النظام السياسي.

المطلب الثاني: إشكالات موجهة لنظرية الديمقراطية الحديثة.

هناك إشكالات عدة على نظرية الديمقراطية الحديثة، نبينها على النحو الآتي (٢٨):

١. أن هناك جدل كبير في النظرية الديمقراطية، وهي أن الأقلية كيف تُلغى أصواتهم ومشاركتهم؟ وهذا الجدل إلى يومنا هذا لم يُحل في النظرية الديمقراطية، ربما تكون الأقلية الثلث، قد تكون ما يقل على النصف بيسير، كما شاهدنا الآن في الانتخابات الأمريكية في هذه الحقبة، إذ إن الأقلية هي ما دون النصف بقليل، بل قد تكون الأكثرية ليست أكثرية





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

حقيقية، بل أكثرية نسبية، يعني ربما الثلث يزيد على الربع، والثلث والربع هم الذين شاركوا في الانتخابات، وما عدا ذلك من أجزاء المجتمع كان لديه موقفاً سلبياً حيادياً، حينئذٍ الثلث ليس أكثرية حقيقية، ومع ذلك لأنه يزيد على الربع مثلاً فهو يتحكم في مصير الثلثين.

٢. أن أصحاب الثروة والقدرة قد يصادرون آراء العامة بتغليلهم، وبوضعهم في سبات فكري، أو في جوّ مخادع، سواء في جانب انتخاب الفرد، أو في جانب انتخاب القانون الصالح، أو في مجالات المشاركة، بوصف أن الطبقة الغنية عندها وسائل إعلام، وعندها أيضاً وسائل التحكم في الفكر أو ما شابه ذلك.

فحينئذٍ كيف يمكن أن تؤمن المشاركة الحقيقية بشكل صادق، مع أن أسباب القوة في التحكم في عقول الأكثرية وافتعال الجوّ العام، يكون بيد الأقلية ذوات الثروة والقوة من وسائل الإعلام، فعناصر التلاعب بالرأي العام بأساليب شيطانية دجلية خالصة خادعة هي كثيرة، وتستطيع حينئذٍ القوى المالية ذات الثراء أن تتلاعب بالرأي العام، فكيف تؤمن حينئذٍ سلامة بالرأي العام وانطلاقه من وعي وصحوة؟

٣. كيف نوازن بين عامل وعنصر الكفاءة والنخبة، وبين مشاركة الناس؟ إن مشاركة الناس من الأمور الفطرية، ودور النخبة أيضاً فطري، فهل يطغى هذا الجانب ويكون الوصاية للخبرة على مشاركة الأمة، أو يطغى دور مشاركة الأمة على النخبة، فقد تختار الأمة ما لا ترضيه النخبة، وتختار النخبة ما لا ترضيه الأمة، فأي يحكم من الاثنين؟

المبحث الثالث: الحقوق والحريات العامة:

من الصعب التفرقة بين (الحقوق) و(الحريات العامة)؛ لأن المصطلحين متلازمين جداً، وأثار هذا الأمر خلافاً بين فقهاء القانون، فنجد أن الحق هو الوجه الآخر للواجب، أي الالتزام، فإذا كانت الحريات العامة التزامات (واجبات) على عاتق الحكومات من أجل ضمان نوع من الحرية، في المقابل، تعد في نفس الوقت حقوق في صالح الأفراد سواء كانوا مواطنين أم أجانب - شخصيات طبيعية أم شخصيات معنوية - جميعهم خاضعين للقانون (الخاص أو العام)، فالحرية تمهيد للحق، فلن تصبح الحرية حقاً إلا بتطبيقها وفق القوانين النافذة، أي أن هذه الحقوق والحريات مقيدة وليست مطلقة (٢٩).

لم يرد أي نص قانوني صريح، دستوري أو تشريعي، يعرف الحرية والحريات العامة وإنما ترك مسألة ذلك إلى الفقه القانوني بالرغم من اختلاف نظمه ومصادره الفكرية. فهناك اختلافات حول المفهوم وحول التسمية المستعملة لتحديد الحريات العامة، هناك من يسميها الحريات الأساسية وهناك من يسميها الحريات والحقوق وهناك من يسميها الحريات وحقوق الإنسان وغير ذلك، وبما أن العنوان يتكون من مصطلحين، مصطلح (الحقوق)، ومصطلح (الحريات) سنقتصر بالتعريف إلى معنى الكلمتين بشيء من الإيجاز وفق المطالب الآتية على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الحقوق:

أولاً: الحقوق لغة:

الحقوق جمع مفرد لها حق، والحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوقٌ وحَقائق، وفي التنزيل: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} (٣٠)، أي ثبت، وحق الشيء: ثبت ووجب، فأصل معناه هو الثبوت والوجوب، الحق أيضاً على المال والملك الموجود الثابت، ومعنى حق الشيء وقع ووجب بلا شك (٣١).

ثانياً: الحقوق اصطلاحاً:

• هناك من عرف كلمة (الحقوق) جمع (حق) بأنها: «مجموعة الامتيازات التي يتمتع بها الأفراد والتي تضمنها بصورة أو بأخرى السلطات العامة أو تلك التي تستحق الضمان» (٣٢).

• وعرف بأنه: «مصلحة تثبت لإنسان أو لشخص طبيعي أو اعتباري، أو لجهة أخرى، والمصلحة هي المنفعة، ولا يعد الحق حقاً إلا إذا قرره الشرع والدين أو القانون والنظام والتشريع والعرف» (٣٣).

• وعرفه فقهاء القانون بأنه: «ما يجوز فعله ولا يعاقب على تركه، فصاحب الحق له أن يستعمل حقه أو لا يستعمله، فإذا استعمله فلا حرج عليه وإن تركه فلا إثم عليه» (٣٤).





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

المطلب الثاني: مفهوم الحريات العامة.

أولاً: الحرية لغة:

من مادة (حر)، والحرُّ، بالضم: نقيض العبد، والجمع أحرارٌ وحرارٌ، والحرّة: نقيض الأمة، والجمع حرائرٌ، والحرّ من الناس: خيارهم وأفاضلهم، وحرُّ كلِّ شيءٍ: أغتقه، وحرُّ الدارِ: وسطها (٣٥).

ثانياً: الحرية اصطلاحاً:

- عرفت الحرية بأنها « قدرة الإنسان في إتيان كل عمل لا يضر بالآخرين، وأن تكفل له هذه الحرية كل شيء بما فيها حرية التعبير عن الرأي وتقييد بعدم إضرار الشخص بغيره » (٣٦).
- وعرفت أيضاً: « عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره » (٣٧).
- وعرفت أيضاً بأنها: « ما يميز الإنسان عن غيره، ويتمكن بما عن ممارسة أفعاله وأقواله وتصرفاته بإرادة واختيار، من غير قسر ولا إكراه، ولكن ضمن حدود معينة » (٣٨).

المطلب الثالث: مفهوم (الحقوق والحريات العامة)، وكيفية صيانتها.

أما تعريف الحقوق والحريات العامة فيمكن القول بأنها: الحقوق والحريات التي يتمتع بها أفراد المجتمع داخل الدولة، لكفالة احترامها وتحقيق ضمانات ممارستها، ووضع القيود التي تحد من تقييد السلطات العامة لها، بشرط أن تبقى في حدود عدم مساسها بحقوق الآخرين وحريات، وعدم الأضرار بالمصالح العامة للمجتمع (٣٩).

وأما صيانة الحقوق والحريات العامة وحمايتها فهو: يقع على عاتق الدولة، من خلال خيارين، هما:

الخيار الأول: يفسح المجال لممارسة الحرية بدون أي شرط أو إجراء مسبق، لكن هذا لا يعني أن الحرية مطلقة وأن ممارستها غير خاضعة لأي حد، فالحدود معينة بالقانون ومعلومة مسبقاً، وتجاوزها يؤدي إلى إيقاع الجزاء، إلا أنه وفي حال تسجيل تجاوز لحدود الحرية، كالاعتداء على حرية الغير، أو عدم احترام القانون، تلجأ الدولة إلى فرض عقوبات جزائية، وتسمى هذه الطريقة بـ (النظام الجزائي)، والرقابة في هذا النظام هي رقابة لاحقة ذات طبيعة قضائية.

الخيار الثاني: فهو يضع شروطاً وإجراءات سابقة لممارسة الحرية، إذ لا تمارس الحرية إلا برقابة سابقة ذات مرمى وقائي، وتسمى هذه الطريقة النظام الوقائي والرقابة رقابة سابقة ذات طبيعة إدارية (٤٠).

الخاتمة:

بعد أن استكملت البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، الذي منّ عليّ بنعمته، وهياً لي أسباب اتمامه، أخلص إلى أبرز أهم ما تضمنه البحث وهو ما يأتي:

١. إن لمصطلح الديمقراطية تاريخ هو غاية في القدم، وقد ارتبط هذا المصطلح ارتباطاً شديداً بالدولة والنظريات السياسية، وإن مفهوم الديمقراطية هذا له معايير متعددة اختلفت على مدى تاريخها التطوري، وذلك بحسب المجتمعات التي سادت بها.
٢. الديمقراطية اليونانية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد نجد أنها تختلف اختلافاً كبيراً في معناها عما هي في العصر الحديث، وأن الديمقراطية تبقى مشروع نسبي تتغير أنماطها وأشكالها بتغير المجتمعات و باختلاف الخصوصيات.
٣. إن الديمقراطية ليست نظاماً غربياً فحسب، وإنما منهج إنساني ساهمت الإنسانية كلها في تطويره باتجاه إيجاد توازن بين السلطة كضرورة، والحرية كمطلب أساسي للناس.
٤. للديمقراطية صور متعددة وأشكال مختلفة، يمكن تحديدها وحصرها في صور ثلاث: الديمقراطية المباشرة، والديمقراطية شبه المباشرة، والديمقراطية غير المباشرة (الديمقراطية النيابية).

٥. هناك إشكالات عدة على نظرية الديمقراطية الحديثة، كإلغاء أصوات الأقلية ومشاركة أصحاب الثروة والقدرة آراء العامة بتغليبهم، فضلاً عن عدم القدرة على كيفية الموازنة بين عامل وعنصر الكفاءة والنخبة، وبين مشاركة الناس.

٦. من الصعب التفرقة بين (الحقوق) و (الحريات العامة)؛ لأن المصطلحين متلازمين جداً، وأثار هذا الأمر خلافاً بين فقهاء القانون، فنجد أن الحق هو الوجه الآخر للواجب، أي الالتزام، فإذا كانت الحريات العامة التزامات (واجبات)





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

على عاتق الحكومات من أجل ضمان نوع من الحرية، في المقابل، تعد في نفس الوقت حقوق في صالح الأفراد سواء كانوا مواطنين أم أجانب.

٧. هناك تعريفات فقهية عديدة لكلمة (حرية)، إذ يختلف كل تعريف باختلاف الزمان والمكان والنظام السائد والمستوى الحضاري لكل مجتمع.

٨. صيانة الحقوق والحريات العامة وحماتها فهو: يقع على عاتق الدولة، من خلال خيارين، هما: الأول: يفسح المجال لممارسة الحرية بدون أي شرط أو إجراء مسبق، لكن هذا لا يعني أن الحرية مطلقة وأن ممارستها غير خاضعة لأي حد، فالحدود معينة بالقانون ومعلومة مسبقاً، والثاني: فهو يضع شروطاً وإجراءات سابقة لممارسة الحرية، إذ لا تمارس الحرية إلا برقابة سابقة ذات مرمى وقائي، وتسمى هذه الطريقة النظام الوقائي والرقابة رقابة سابقة ذات طبيعة إدارية.

الهوامش:

(١) يُنظر: الديمقراطية الليبرالية (دراسة نظرية في مفهومها وأسسها الفكرية)، أمل هندي كاطع الخزعلي، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (٢٤) السنة ٢٠٠١م، ص ١٢١.

(٢) يُنظر: تأثير العمليات الانتخابية في عملية التحول الديمقراطي، د. صالح ياسر وآخرون، مؤسسة فريدريش، عمان، ٢٠١٢م، ص ٤٣-٤٤.

(٣) يُنظر: خليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية، علي خليفة الكواري وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٦.

(٤) يُنظر: مفهوم الديمقراطية المعاصرة، علي خليفة الكواري وغيره، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٩.

(٥) يُنظر: الديمقراطية بين الفكر والممارسة، عدنان عويد، التلون للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٣.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن الثورة الفرنسية وأسبابها ونتائجها، يُنظر: الجذور الاجتماعية للديمقراطية والدكتاتورية، ترجمة: جورج حنا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٣م، ص ٥٢ وما بعدها.

(٧) جان جاك روسو، ولد في جنيف، (١٧١٢م)، هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ساعد روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، وتوفي في عام ١٧٧٨م، عن عمر ناهز ٦٦ عاماً.

(٨) أصدرته الجمعية التأسيسية الفرنسية في جلساتها أيام: ٢٠-٢١-٢٣-٢٤ وهو الإعلان الذي أصبح فيما بعد تراثاً تاريخياً مجيداً، نستند إليه كافة الإعلانات ومواثيق حقوق الإنسان.

(٩) مفهوم الديمقراطية المعاصرة، علي خليفة الكواري وغيره، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٩-٢٠.

(١٠) يُنظر: مستقبل الديمقراطية في الوطن العرب، يحيى الجمل، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (١٣٨)، بيروت، آب ١٩٩٠هـ، ص ١٠١.

(١١) قضايا في الفكر المعاصر، ص ٧٥.

(١٢) موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٧٥١/٢-٧٥٢.

(١٣) موسوعة لالاند الفلسفة، أندريه لالاند، تحقيق أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١م، ٢٥٩/١.

(١٤) يُنظر: علم الاجتماع السياسي، شعبان الطاهر الأسود، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٦٣.

(١٥) يُنظر: معوقات الديمقراطية في العالم الثالث، عبد الجبار أحمد عبد الله، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤م، ص ٤.

(١٦) يُنظر: النظام السياسي السلمي الحديث وإشكالية القياس من الأنظمة السياسية الوضعية، علي المؤمن، دار روافد للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٢م، ص ٩٩.

(١٧) يُنظر: المبادئ الدستورية العامة، محمود حلمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٤م، ص ٢٢٨-٢٣٠.

(١٨) يُنظر: الديمقراطي الليبرالية بين المفهومين الأوروبي والأمريكي، رجاء مجيد كاظم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص ١٦.

(١٩) يُنظر: مدخل إلى الديمقراطية ٨٠ سؤالاً وجواباً، دراسات فكرية، ديفيد بيتهم وكيفن بويلي، ترجمة: أحمد رمو، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٠.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

- (٢٠) يُنظر: السلم وقضايا العصر، وليد السعد وآخرون، دار المناهج، عمان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٧٣.
- (٢١) يُنظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط٣، ١٩٩٠م، ص١١٢.
- (٢٢) يُنظر: التيارات الإسلامية الحديثة والمعاصرة في المشرق العربي ومسألة الديمقراطية، ثائر نجوس هزاع التكريتي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٩م، ص٣٢.
- (٢٣) يُنظر: مدخل إلى علم السياسة، عصام سليمان، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص٢٤١.
- (٢٤) العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص١٢٠.
- (٢٥) يُنظر: النظم السياسية، عبد الغي البسيوني عبد الله، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٢٠٨-٢١٠.
- (٢٦) يُنظر: الديمقراطية والحريات العامة، حسن سعدون، مطبعة جروس برس، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م، ص٦٧.
- (٢٧) يُنظر: المصدر السابق، ص٦٩-٧١.
- (٢٨) يُنظر: الديمقراطية على ضوء نظرية الإمامة والشورى، الشيخ محمد سند، مركز الأبحاث العقائدية، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٣٣-٣٥.
- (٢٩) يُنظر: رؤية تحليلية لقوانين الحريات العامة في الجزائر، فاطمة مقني، دار بالقيس، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٢١-٢٣.
- (٣٠) القصص: ٦٣.
- (٣١) يُنظر: لسان العرب، أبو الفصّل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفرقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر للنشر بيروت ١٩٨٩م، مادة(حقق)، ٤٩/١٠؛ المحيط في اللغة، إسماعيل ابن عباد بن العباس الطالقاني(ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٢٢٢/٣.
- (٣٢) المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، سالم الحاج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م، ص١٦.
- (٣٣) الإسلام وحقوق الإنسان، محمد القطب طبلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٣.
- (٣٤) التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤٧١/١.
- (٣٥) يُنظر: تمذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، مادة(حر)، ٢٧٧/٣؛ المحيط في اللغة، مادة(حر)، ٣١٢/٢؛ لسان العرب، مادة(حر)، ١٨١/٤.
- (٣٦) الحريات العامة، عماد ملوخية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٢م، ص١٣.
- (٣٧) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٦٠.
- (٣٨) حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م، ص٣٩.
- (٣٩) يُنظر: الحريات العامة وحقوق الإنسان، أحمد سليم سعيقان، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط٢، ٢٠١٣م، ص٢٣.
- (٤٠) يُنظر: الحريات العامة في النظم الديمقراطية، رافع بن عاشور، مجلة التسامح، العدد (٢٥)، تونس، ١٩٩٩م، ص١.

المصادر والمراجع:

- بعد القرآن الكريم:
١. الديمقراطية الليبرالية (دراسة نظرية في مفهومها وأسسها الفكرية)، أمل هندي كاطع الحزعلي، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد(٢٤) السنة ٢٠٠١م.
 ٢. تأثير العمليات الانتخابية في عملية التحول الديمقراطي، د. صالح ياسر وآخرون، مؤسسة فريدريش، عمان، ٢٠١٢م.
 ٣. خليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية، علي خليفة الكواري وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
 ٤. مفهوم الديمقراطية المعاصرة، علي خليفة الكواري وغيره، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
 ٥. الديمقراطية بين الفكر والممارسة، عدنان عويد، التلويح للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
 ٦. الجذور الاجتماعية للديمقراطية والدكتاتورية، ترجمة: جورج حنا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
 ٧. مفهوم الديمقراطية المعاصرة، علي خليفة الكواري وغيره، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

٨. مستقبل الديمقراطية في الوطن العرب، يحيى الجمل، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (١٣٨)، بيروت، آب ١٩٩٠ هـ.
٩. موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
١٠. موسوعة لالاند الفلسفة، أندريه لالاند، تحقيق أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١ م.
١١. علم الاجتماع السياسي، شعبان الطاهر الأسود، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١ م.
١٢. معوقات الديمقراطية في العالم الثالث، عبد الجبار أحمد عبد الله، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤ م.
١٣. النظام السياسي السلمي الحديث وإشكالية القتل من الأنظمة السياسية الوضعية، علي المؤمن، دار روافد للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٢ م.
١٤. المبادئ الدستورية العامة، محمود حلمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٤ م.
١٥. الديمقراطي الليبرالية بين المفهومين الأوربي والأمريكي، رجاء مجيد كاظم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م.
١٦. مدخل إلى الديمقراطية ٨٠ سؤالا وجوابا، دراسات فكرية، ديفيد بينهام وكيفن بويلي، ترجمة: أحمد رمو، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٩٧ م.
١٧. السلم وقضايا العصر، وليد السعد وآخرون، دار المناهج، عمان، ط ١، ١٩٩٧ م.
١٨. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ٣، ١٩٩٠ م.
١٩. التيارات الإسلامية الحديثة والمعاصرة في المشرق العربي ومسألة الديمقراطية، ثائر نجوس هزاع التكريتي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٩ م.
٢٠. مدخل إلى علم السياسة، عصام سليمان، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩ م.
٢١. العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٧٣ م.
٢٢. النظم السياسية، عبد الغني السيوني عبد الله، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.
٢٣. الديمقراطية والحريات العامة، حسن سعدون، مطبعة جروس برس، لبنان، ط ٢، ١٩٩٢ م.
٢٤. الديمقراطية على ضوء نظرية الإمامة والشورى، الشيخ محمد سند، مركز الأبحاث العقائدية، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
٢٥. رؤية تحليلية لقوانين الحريات العامة في الجزائر، فاطمة مفتي، دار بالقيس، الجزائر، ٢٠١٤ م.
٢٦. لسان العرب، أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفرقي، (ت ٧١١ هـ)، دار صادر للنشر بيروت ١٩٨٩ م.
٢٧. المحيط في اللغة، إسماعيل ابن عباد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٢٨. المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، سالم الحاج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٤ م.
٢٩. الإسلام وحقوق الإنسان، محمد القطب طبلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤ م.
٣٠. التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣١. تحليل اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
٣٢. الحريات العامة، عماد ملوخية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ط ١، ٢٠١٢ م.
٣٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، ط ٢، ١٩٨٥ م.
٣٤. حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧ م.
٣٥. الحريات العامة وحقوق الإنسان، أحمد سليم سعيقان، منشورات الخليل الحقوقية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٣ م.
٣٦. الحريات العامة في النظم الديمقراطية، رافع بن عاشور، مجلة التسامح، العدد (٢٥)، تونس، ١٩٩٩ م.



الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

أ.م. زامل صالح جاسم
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية





المستخلص:

شهدت تركيا على مر تاريخها الحديث والمعاصر الكثير من الاحداث المهمة، كان لبعضها أثر إيجابياً في تطورها وتقدمها، ومن ضمن الاحداث المهمة، هو اعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣، وإلغاء الخلافة العثمانية، وتسلم مصطفى كمال اتاتورك رئاسة الجمهورية، الذي اعلن عن عدد من التشريعات الدستورية ساهمت في نقل البلاد من التخلف الى التقدم الحضاري على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. تأتي أهمية البحث أنه سلط الضوء على فترة مهمة من تاريخ تركيا الحديث والمعاصر وهي مثلت مرحلة انتقالية بين عهدين مختلفين وقف امامها الكثير من الباحثين والدارسين لتاريخ البلاد التركية. تضمن البحث، والذي حمل عنوان التشريعات الدستورية في تركيا واثرها على المجتمع التركي ١٩٢٣-١٩٣٨، مبحثان ومقدمة وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع، المبحث الأول الذي حمل عنوان التشريعات الدستورية في المجال الديني وموقف المجتمع التركي منها، اما المبحث الثاني فقد المبحث الثاني التشريعات الاقتصادية ١٩٢٣-١٩٣٨ ومن الله التوفيق

Abstract:

Throughout its modern and contemporary history, Turkey has witnessed many important events, some of which have had a positive impact on its development and progress, and among the important events, is the proclamation of the Turkish Republic in 1923, the abolition of the Ottoman Caliphate, and the assumption of the presidency of Mustafa Kemal Atatürk, who announced a number of constitutional legislation that contributed to moving the country from underdevelopment to civilizational progress at all political, economic and social levels. The importance of the research comes because it shed light on an important period of Turkey's contemporary and contemporary history, which represented a transitional period between two different eras, before which many researchers and scholars of the history of the Turkish country stood before it. The research, which was entitled Constitutional Legislation in Turkey and its impact on Turkish society 1923-1938, included two sections, an introduction, a conclusion and a list of sources and references, the first section, which was entitled Constitutional legislation in the religious field and the position of Turkish society on it, while the second section lost the second section Economic legislation 1923-1938 and from God success

المبحث الأول:

التشريعات الدستورية في المجال الديني وموقف المجتمع التركي منها

عندما استلم مصطفى كمال اتاتورك السلطة في تركيا كانت خطواته الأولى له هي الغاء وزارتي الشريعة والاداريات، وقدمت لانتحتها مع لائحة الغاء الخلافة، فوافق عليها المجلس الوطني في نفس الجلسة التي تم فيها الغاء الخلافة في الثالث من آذار سنة ١٩٢٣، ويبدو انما اعتبرت ضرورة ملازمة لنفس الخطوة التي يتجرد فيها طابع الدولة الرسمي، الذي يعتبر فيه هيئة الوزارة مظهره الرئيسي من ملابسات الطابع الديني الشرعي الذي يتصل بمعنى الخلافة (١) فرض مصطفى اتاتورك على الشعب التركي علمانية الدولة، وعدم السماح لرجال الدين التدخل في السياسة، وهذا مانص عليه المبدأ الثالث من المبادئ الستة، أي أن اتاتورك أدخل تركيا في صراع الدولة مع رجال الدين، وأدخلها في إشكالية





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

محاربة الدين والمتدينين، وليس التفاهم معهم أو احترام معتقداتهم، وهو ما ترجمه عملياً بسرعة، من خلال الدين ومظاهره السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية وغيرها (٢)، وقد احتوى القانون النصوص الاتية:

اولاً: ان تشريع الاحكام المتعلقة بامور الناس وتنفيذها عائد الى مجلس الامة وحكومة الجمهورية، وفيما عدا ذلك، فإن ما يتعلق بالعقائد والعبادات الدينية الى رئاسة الامور الدينية التي أسست بموجب هذا القانون في مقر الجمهورية.

ثانياً: أن وزارتي الأوقاف والشرعية ملغيتان.

ثالثاً: رئيس الامور الدينية ينصب من قبل رئيس الجمهورية بناء على اقتراح من رئيس الوزراء.

رابعاً: رئاسة الامور الدينية تابعة لرئاسة الوزراء، وميزانيتها ملحقة بها، وتقرر تشكيلاته

خامساً: جميع الجوامع والمساجد الشريفة والزوايا الموجودة داخل الجمهورية عائدة لرئيس الامور الدينية، كما أن عزل وتعيين الائمة والخطباء والوعاظ والمشايخ والمؤذنين والقوام وسائر المستخدمين عائدان اليه.

سادساً: رئيس الامور الدينية هو مرجع المفتين.

سابعاً: امور الاوقاف تودع الى مديرية عامة ترتبط برئيس الوزراء، الى ان يقرر لها شكل يتفق مع مصالح الامة (٣).

لم تكن إجراءات مصطفى كمال فصل الدين عن السياسة فحسب، وإنما الهدف منها زيادة سلطة الدولة على الدين، فعلى خلاف الدولة العلمانية الأخرى التي لا تتدخل فيها الحكومات في شؤون الدين، فإن العلمانية الأتاتوركية تمتعت بآليات يمكن على أساسها ان تتدخل مباشرة في شؤون المؤسسات الدينية، إذ أن مؤسسة الشؤون الدينية التابعة للدولة هي التي تتكفل بتأمين الموارد المالية للمؤسسات الإسلامية والسيطرة على أئمة المساجد (٤)، وفي آب ١٩٢٥، القي أتاتورك خطاباً في مدينة قسطنطيني، والتي تشتهر فيها الطرق الصوفية إذ قال «يجب أن تتعلموا أيها السادة أئمة وأفراد اسركم، وعلى الامة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن ان تكون بعد اليوم أرضاً خصبة للمشايخ والدراويش واتباعهم من أصحاب الطريقة، وأن كانت هناك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية على العلم... وعلى المشايخ أن يفهموا هذا الكلام جيداً، وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكايهم عن طيب خاطر وإلى الابد قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم» (٥)، وخطر ما في الدستور هو التعديل الذي ادخل سنة ١٩٢٨، والذي أقر بأن الإسلام لم يعد دين الدولة الرسمي، وأن الدولة علمانية أو زمنية (٦)، ومع ان الدولة أعلنت علمانية الا ان هناك رئاسة الشؤون الدينية ملحقة برئيس الوزراء، وهذا يدل على قوة الإسلام في البلاد الإسلامية يصفة عامة، فلا تستطيع الحكومة ان تتجاهل سلطانه مهما أعلنت بأنها علمانية، وعلى الرغم من أن الشكل الديمقراطي الذي اتخذته الجمهورية التركية، فقد كما كمال أتاتورك دكتاتوراً يدوس الدستور والبرلمان حيثما يشاء. كما قضى على أتباع الطرق الصوفية، فأغلق تكاياها وحل منظماتها، وحدد عدد المساجد وخفض عدد الوعاظ، الذين أصبحوا يتلقون روايتهم من الدولة، وكذلك أغلق جامعي آيا صوفيا ومحمد الفاتح فحول الأول الى متحف والثاني إلى مستودع (٧). عام ١٩٢٤ إلغاء المعاهد الدينية والمحاكم الشرعية، وقد أثارت هذه الإجراءات سخط بعض رفاق مصطفى كمال الذين أنشقوا عليه، كما نشبت ثورة كردية عام ١٩٢٥، طالب الاكراد فيها بتنصيب سليم ابن السلطان عبد الحميد خليفة وسلطاناً، الا أن مصطفى كمال قمع التمرد وأعدم قاداته، واعتبر العامل الديني كان أحد أبرز العوامل في قيام هذه الثورة، فلقد اعتبر قادة الحركة ان الغاء الخلافة هو احد أسباب المروق على الدين، كما كان الغاء نظام الخلافة الوراثي في الطريقة النقشبندية، والتي كان ينتمي لها معظم علماء الدين في كردستان تركيا اثر كبير في تأجيج نار الحقد على الحكومة التركية واتهامها بالابتعاد عن الدين، وانتشرت بصورة واسع بين الاكراد، وان قائدها اعترف يقول انه قام بالثورة بمهدف أساسي هو إقرار الشريعة الإسلامية (٨). وتكرر القمع على نطاق واسع في مواجهة حركة التمرد الإسلامي الكردي في جنوب شرق الأناضول في الفترة (١١- شباط-٢ حزيران ١٩٢٥)، في قمع أعضاء الطرق الإسلامية، وأغلق الاضرحة في ٣٠/١١/١٩٢٥، كما قمع تمرد كردي في تونجلي في حزيران ١٩٣٧، ولغرض توفير الغطاء القانوني لهذا القمع، تم إصدار قانون الحفاظ على النظام العام في الرابع من اذار عام ١٩٢٥، لمنح الحكومة سلطات استثنائية واسعة (٩). على ضوء ذلك أصدرت الحكومة





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

التركية العديد من القوانين التي منعت الطرق الصوفية، ومن أهم هذه القوانين، هو أغلاق الزوايا والتكايا الموجودة سواء كانت وقفاً أو ملكاً لمشايخها، وإلغاء أنواع الطرق والقباب مشايخها ودراويشها والاعمال التي يقومون بها للجمهور، وحظر الملابس والازياء التي تدل على الطرق وصفاتها وتوابعاتها، مع أغلاق جميع المزارات وقبور الاولياء والسلطين ومشايخ الطرق، والحكم على من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسة ليرات، واخيراً تحويل جميع ممتلكات الزوايا والتكايا من الأساس الى الدولة، وهذا كان الأخطر، وحتى القرآن الكريم ترجم الى اللغة التركية (١٠). وقد رفض هذه التغييرات المثقفون الاحرار في تركيا ورجال الدين بالإضافة الى عامة الشعب الذي تجري في دمانه احكام الإسلام وتعاليمه وتقاليده المسلمين، ولم يسكت الشعب على هذه الثورة في حياته الا لشعوره ببعض الولاء نحو أتاتورك الذي أنقذ البلاد بانتصاره على اليونان، ومن غير شك نالت الأقاليم الإسلامية في المنطقة بصفة عامة بعض الاستقرار نتيجة هذا الانتصار (١١) لقد منح قانون حفظ النظام (قانون الطوارئ) مصطفى كمال السلطة القانونية للتعامل ليس فقط مع المتمردين في شرق البلاد، لكن أيضاً مع المعارضين السياسيين في مختلف أنحاء البلاد، وبعد التمرد الكردي تم الحظر على الحزب الجمهوري التقدمي، وفرضت رقابة صارمة على صحف المعارضة، واتاحت مؤامرة ازمير التي حدثت في تموز عام ١٩٢٦، بقيادة النائب السابق ضياء خورشيد، المعارض لالغاء الخلافة عام ١٩٢٤، الفرصة في التعامل مع زعمائها، وكذلك مع الشخصيات الأخرى (١٢). كما تعرضت الأقلية العربية لاضطهاد عنيف من قبل مصطفى كمال، ورئيس وزرائه اينونو، حتى منعوا من التحدث بالعربية محمد، وان رفع الاذان الاذان كان نكايه بالعرب أكثر منها عداوة للإسلام، مما اثر على حياتهم، لعجزهم التعبير باللغة التركية شهد عام ١٩٣٠ قامت حركة نقشبندية أخرى تركيا ووقد تم القبض على قائدها محمد اسد الذي مات في سجنه مسموماً (١٣). شهد عام ١٩٣٠ قامت حركة نقشبندية أخرى تركيا ووقد تم القبض على قائدها محمد اسد الذي مات في سجنه مسموماً (١٤).

اراد مصطفى كمال من التغييرات في مجال الأزياء والملابس ان يساير الدول الأوروبية صاحبة الحضارة، وظهر ذلك واضحاً خلال كلماته في احد اجتماعات المجلس الوطني، عندما قال «يجب علينا ان نلبس ملابس الشعوب المتحضرة الراقية، وعلينا ان نبرهن للعالم اننا امة كبيرة راقية، ولا نسمح لمن يجهلنا في الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة البالية. نريد ان نسير مع التيار والزمن» (١٥). كل شيء أصبح تركياً، حتى الأسماء، الزعيم يسمى الان كمال أتاتورك، ورئيس الوزراء يصبح عصمت اينونو، بالإضافة الى وزير خارجيته يسمى رشدي آراس، وأفراد قبيلته أصبحت (كولجاق) و (كورخان) وماشابه من الأسماء التركية القديمة، والمرأة التركية سميت (بايان فلانة) بدلاً من (فلانة هانم)، والرجل أصبح (باي فلان) بدل من (فلان أفندي)، واللقاب جميعها تلغى: فلا باشا ولا بك ولا غازي (١٦)، وفي عام ١٩٢٥ تم الغاء لبس الطربوش واستبداله بالقبعة الأوروبية، ومحاربة الطرق الصوفية، وبعد أيام من اصدار هذا القرار بدأت الشرطة في الشوارع يصادرون الطرابيش من المارة، وكل من يقاوم أو اشتكى كان مصيره السجن (١٧). لقد أقر أتاتورك القبعة الأوروبية، وأصبحت عنواناً لشباب الجمهورية الفتية كرمز للتحرر والتقدم، فدخلت (الشفقة) كعادة اجتماعية منذ ذلك اليوم (١٨) كما فرضت ربطة العنق والغى غطاء الراس للسراة وشجع بدوره السفور، وأمتلات السجنون بالدين رفضوا الأزياء الأوروبية وتمسكوا بالأزياء الإسلامية (١٩). وفي عام ١٩٢٦ فرض التقويم الكريكوري الذي اتبعته الدولة منذ عام ١٩١٧، وسن قوانين جديدة تحل محل القوانين القائمة حينذاك التي كانت مزيجاً من احكام الشريعة الإسلامية والقرارات السلطانية (٢٠). أصبح القانون التركي الجديد عبارة عن ترجمة للقانون المدني السويسري، وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألماني، وبذلك لا تعترف الدولة الا بالزواج والطلاق المدنيين، وحرم تعدد الزوجات بنص القانون، وفي عام ١٩٢٨، أعلنت علمانية الدولة أي لادينية، وأخذت الحروف اللاتينية في كتابة اللغة التركية، وحرم بنص القانون استخدام الحروف العربية بصفة علنية، وما كان مطبوعاً بالعربية فقد صدر الى مصر وبلاد فارس والهند مما أدى الى فصل تراث الشعب التركي (٢١). استبدلت كثير من الأسماء للمدن التركية من الأسماء الأجنبية الى التركية خالصة، فقد حلت كلمة استانبول التركية محل القسطنطينية البيزنطية، وبدل





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

اسم (ادريانو بيل) اسم (ادرنه)، واسم أزمير بدل سميرنا، وغير ذلك (٢٢). أما في مجال التعليم صدر قانون اقر كذلك في جلسة الغاء الخلافة ووزاري الشرعية والاوقاف، وقد احتوى على نصوص عديدة، منها: ربط جميع المؤسسات العلمية والتدريسية بوزارة المعارف، وكذلك ربط كل ما كان يدار من وزارة الاوقاف والشرعية كالاوقاف الخصوصية من مدارس ومكاتب، ونقل كذلك ميزانية ومخصصات المدارس الى وزارة المعارف، وللوزارة الحق ايضاً بإنشاء كلية لدراسة الأمور الدينية لتخريج الائمة والخطباء وغيرهم من أصحاب الوظائف الدينية، وإن جميعها هو موجود عند نشر هذا القانون من مؤسسات تدريسية عسكرية رشدية واعدادية يربط بوزارة الدفاع، ومما هو موجود من دور وملاحى الايتام التابع لوزارة الصحة بنقل الى وزارة المعارف، وتنقل مخصصاته لميزانية المعارف (٢٣)، وانسجماً مع السياسة العلمانية في تركيا تم تحديث نظام التربية والتعليم، فوضعت مادة دستورية تختص بالتعليم الالزامي والخاص في مستوى الدراسة الابتدائية، أما الثانوية، فقد توسعت ايضاً، وكذلك معاهد التعليم العالي، وشيدت مدارس للتجارة والزراعة والحرف، بالإضافة الى صدور قانون خاص يقضي بتوحيد مناهج التعليم في جميع المدارس الحكومية والأهلية والدينية، ولضمان مستويات تعليمية عالية تم استقدام مدرسين أجانب لهذه المدارس (٢٤). أعطيت المرأة في عام ١٩٣٤ حق التصويت والانتخاب، وفي العام التالي، تم اتباع الطرق الأوروبية في ذكر الألقاب أتاتورك (مصطفى كمال)، أينونو (عصمت)، وجعل العطلة الرسمية يوم الاحد بدلاً من يوم الجمعة، ولكن الشعب التركي المحافظ لم يرحب بمثل هذه التغييرات في حياته، وكان على الحكومة يساندها الجيش ان تفرض هذه التغييرات بالقوة على الشعب (٢٥). أصبح مصطفى كمال يمثل عند كل المجموعات الثقافية والشرائح الاجتماعية التي تلتزم عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها الإسلامية كمناهضين لسياسته التغريبية، والتي مسحت عنه زعامته الوطنية وبطولاته العسكرية، وأعتبره خارجاً على الدين والسلطنة والخلافة والأعراف والمبادئ والقيم الإسلامية المشرفة (٢٦).

المبحث الثاني:

التشريعات الاقتصادية ١٩٢٣-١٩٣٨

تختلف النظرة الى الإمكانيات الاقتصادية في أي دولة بناء على النظرة الأيديولوجية، أي وجهة النظر الفكرية أو السياسية، وهذا ما ينطبق على تركيا، فإن النظرة الى تحديد الإمكانيات، تأثرت بالنظرة السياسية والأيديولوجية التي تبنتها الأنظمة السياسية المتعاقبة، فقد كانت الدولة العثمانية تعتمد على نظام التيمار والاقطاع الزراعي والريع بالدرجة الاولى (٢٧). قدر الرئيس أتاتورك الحركة الاقتصادية قدرها منذ بدء الحكم الجمهوري في جملة ماثورة جاءت في خطاب له سنة ١٩٢٣، إذ قال «أن تركيا الحديثة، ليست دولة غزو وفتح، وإنما هي دولة اقتصادية، وقد احتوى منهج حزب الشعب الجمهوري في خططه الى تقوية بنية الدولة والبلاد قومياً وسياسياً واجتماعياً، وقد سارت الحكومة الجمهورية في سبيل تحقيق ذلك خطوات واسعة على مختلف الساحات من زراعية وصناعية وتجارية (٢٨).

مثلاً أخضع أتاتورك السياسة والمجتمع للدولة، أتجه الى الاقتصاد، في اطار مشروعه لتغريب وتحديث تركيا، وفي المرحلة الأولى التي امتدت طيلة عقد العشرينات، كان تدخل الدولة غير مباشر من خلال تشجيع الدولة للرأسمالية المحلية لبناء قاعدة اقتصادية تركية، لقد بدأ هذا التوجه في عقد مؤتمر أزمير في آذار عام ١٩٢٣، الذي اعتبر الأساس لسياسات المرحلة الأولى، أي تشجيع الرأسمالية المحلية، والتي طالب بها اللاك الزراعيون والصناعيون والتجار (٢٩). وفي الثامن والعشرون من أيار عام ١٩٢٧ صدر قانون تشجيع الصناعة بهدف منح امتيازات واعفاءات ضريبة للمشروعات الصناعية، وقد تضمن القانون في ان تمنح تلك المشروعات مساحات ارض مجانية (عشر هكتارات) للمشروع، واعانات مالية (١٠٪) من القيمة السنوية للإنتاج، واعفاء منشآتها من جميع الضرائب، واستثناء مواد تشيدها من الرسوم الكمركية (٣٠). لقد انكر أكثر كتاب الاتراك الاقتصاديين والاجتماعيين ان يكون هذا الأسلوب الذي سارت عليه الحكومة الجمهورية مستمداً من الاشتراكية او متسقاً معها، وقرروا ان هذا أسلوب خاص مطبوع بطابع تركي، ومستمد من حاجة الشعب والبلاد التركية وظروفها الاجتماعية (٣١). وعلى صعيد الزراعة، اتخذت الدولة التركية عدة إجراءات





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

لتشجيع رأس المال الخاص في الريف، مثل إلغاء العشور (ضريبة العشر) عام ١٩٢٥، وتوزيع الأراضي على الفلاحين الذين ليست لهم أراض من خلال القوانين التي صدرت عام ١٩٢٧ وعام ١٩٢٩، كما قامت الدولة بتزويد المزارعين في القرى، وتدريب الجنود على الزراعة الإلزامية خلال فترة خدمتهم العسكرية، وتشجيع المكننة في الزراعة، وأنشاء تعاونيات للاتمان الزراعي وتسويق المنتجات (٣٢). على الرغم من هذا التشجيع للدولة للصناعة التركية، فإن الرجوعية التركية تلكأت كثيراً، مما أدى إلى فشل عملية التصنيع خلال العشرينيات، ولم يكن الأمر مختلفاً في مجال الزراعة، إذ لم تنفع الإجراءات التي اتخذتها الدولة في زيادة الإنتاج، أو تطوير الزراعة، إلا لدى كبار ملاك الأراضي الذين استفادوا من الانتماء الزراعي والمكننة الزراعية بما لهم من سيطرة اجتماعية وسياسية في الريف التركي، وخلال فترة الكساد الاقتصادي العالمي بنهاية العشرينيات، لترك أثراً واسعاً في الاقتصاد التركي المرتبط مع الاقتصاد العالمي، إذ تدهورت الصادرات التركية من المواد الأولية والمنتجات الزراعية، والنقص في النقد الأجنبي اللازم لاستيراد المعدات ومستلزمات الصناعة، وأدخل عملية التطور الاقتصادي في عملية انكماش (٣٣). بدأت الدولة بالتدخل بعد فشل المرحلة الأولى من الإصلاح، ولغرض أكمل سياسة الدولة (ديفليت سيليك - بالتركية)، ففي هذه المرحلة قادت الدولة حملة شاملة لتأميم أغلب الشركات الأجنبية، بدأ بتولي مؤسسات وأجهزة المنافع والخدمات العامة كالسكك الحديدية والنقل والموانئ، وانتقلت بعد ذلك إلى المناجم والمصانع المملوكة للأجانب ثم لجأت الدولة إلى التخطيط الحكومي (٣٤). بدأت الخطة الخمسية الأولى عام ١٩٣٢ من خلال الدائرة الحكومية الصناعية، وبنك الاعتماد الصناعي، وهدفها هو إنتاج السلع الاستهلاكية وإنشاء البنى التحتية الضرورية لتصنيع المواد الرئيسية، والتوسع في مجال الصناعات النسيجية لسد الطلب المحلي وتوفير النقد الأجنبي من خلال التصدير، واستهدفت الخطة إنشاء مصنع للفولاذ ومصنع للورق ومعمل للاسمنت وستة معامل كيميائية وسبعة مصانع للنسيج ومصنع للسكر (٣٥). لقد تطور الدور المركزي الذي اضطلعت به الدولة التركية كثيراً في عملية التصنيع وتراكم رؤوس الأموال، وكان ذلك الدور أكثر مباشرة في ريادة الاقتصاد الوطني التركي وتسارع وتيرته لا بطل الكساد العالمي الذي كان مهيماً على العالم، وخصوصاً في مطلع الثلاثينيات بعد سيطرة الدولة على الكمارك لاتباعها سياسة كمركية لحماية الإنتاج الوطني وتشجيعه. وكانت الحكومة التركية تهدف على المدى البعيد إلى تأسيس وإدارة المشاريع التي تملكها الدولة، والتي تشكل قاعدة للاقتصاد الصناعي الوطني، وبعد إعادة البناء الأولى لذلك الاقتصاد بواسطة تنظيم التجارة الخارجية، والتي يتطلب فيها السيطرة على تدفق العملة (٣٦).

شكل الاتحاد السوفيتي المؤثر الأساسي في تشكيل سياسة الدولة التركية، والذي قد يشار بخطته الخمسية الأولى عام ١٩٢٧، وقد زارت بعثة سوفيتية تركيا في عام ١٩٣٢، ووضعت تقريراً عن تطور الصناعة التركية، وقد أوصت فيه بالتركيز على المنسوجات والحديد والفولاذ والورق والاسمنت والزجاج والصناعات الكيماوية، وقد عرض الاتحاد السوفيتي مبلغاً من الذهب بقيمة ثمانية ملايين دولار لمساعدة برنامج الصناعة التركي (٣٧). لذلك شهدت تركيا في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين إنجازات بارزة، كان في مقدمتها:

خطة التنمية الخمسيتان الأولى والثانية، وعملية تأميم الشركات الأجنبية وإنشاء مصارف حكومية ووكالات جديدة لتمويل وإنجاز مشاريع تنمية، فالخطة الصناعية الخمسية الأولى تعد خطوة استراتيجية مهمة للترك في توسيع وتطوير القوى المنتجة في الثلاثينيات وتتلخص أهدافها بالآتي:

أولاً: خصوصية التأكيد على إنتاج البضائع الاستهلاكية حتى قيام البنى الارتكازية الضرورية لتصنيع المواد الرئيسية

ثانياً: يتم التوسع أساساً من خلال استخدام المواد الخام المحلية .

ثالثاً: نشر المراكز الصناعية في كافة المناطق التركية، إذ يتم إيصالها إلى المناطق الريفية والثانية، مع مراعاة أنشائها بالقرب من المناطق المجاورة لمواد الخام .

رابعاً: التوسع بصناعة الانسجة لغرض سد الطلب المحلي، وتوفير العملات الأجنبية من خلال الصادرات (٣٨)، وفي مجال الثروة الحيوانية، اهتمت تركيا بتحسين الحيوانات وتربية الدواجن جنساً ونواً واستثماراً ووقاية، وقد أنشأت مراكز عديدة





الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

للسماد والتطعيم والمعالجة ، وفصولاً دراسية للتمرين والتعليم ، فالحيوانات ، وخاصة الدواجن في تركيا الزراعية ذات المراعيا الواسعة عماد ثروتها وتجارتها لحماً ولبناً وجلداً وصوفاً وشعراً، فكان لهذه العناية التركيز، وذكر أن مجموع الحيوانات وصلت في عام ١٩٢٨ إلى ستة وعشرين مليوناً (٣٩) وهكذا أصبحت تركيا بعد موت أتاتورك عام ١٩٣٨ بلداً مستقراً، لكنه بغالبية سكان يعيشون في الريف بنسبة ٨٠٪، ولم يكن يكن يتوفر الا على موارد محدودة جداً، ولا شك ان الاستثمارات الحكومية التي اتبعها مصطفى كمال كانت قد تأكدت على انها خلاقة في مجال البنى التحتية، في مجال الصناعات الثقيلة ، وقد ساعدت من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٣٩ في الحصول على نسبة من النمو الجمالي بلغت ١٠،٦٪ في الناتج المحلي الاجمالي (٤٠).

الخاتمة:

- من خلال بحثنا توصلنا الى النتائج الاتية
١. في عام ١٩٢٤ أصدر المجلس الدستور التركي الجديد والذي تضمن العديد من التشريعات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
 ٢. أكد الدستور عن علمانية الدولة ، أي فصل الدين عن الدولة ودعم القومية التركية.
 ٣. وقفت العديد من الشخصيات التركية ضد هذه التشريعات الدولة، واعتبروها ضد الإسلام، وقامت عدد من التمردات ضد الحكم الجمهوري
 ٤. أخضع أتاتورك السياسة والمجتمع للدولة ، أتجه الى الاقتصاد ، في اطار مشروعه لتغريب وتحديث تركيا .
 ٥. كانت الحكومة التركية تهدف على المدى البعيد الى تأسيس وإدارة المشاريع التي تملكها الدولة ، والتي تشكل قاعدة للاقتصاد الصناعي الوطني .
 ٦. خطة التنمية الخمسينات الأولى والثانية، وعملية تأميم الشركات الأجنبية وإنشاء مصارف حكومية ووكالات جديدة لتمويل وإنجاز مشاريع تنموية

المواش:

- (١) سيار الجميل، العرب والأتراك والانبعث والتحديث من العثماني الى العلمنة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٢٦ ..
- (٢) كريم مطر حمزة الزبيدي، دراسات في تاريخ الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، ٢٠١٤
- (٣) محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت، ١٩٤٦، ص ٧٠ .
- (٤) كريم مطر حمزة، المصدر السابق، ص ١٨٦ .
- (٥) نقلا من : كمال حبيب، الدين والدولة في تركيا المعاصرة صراع الاسلام والعلمانية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢٨ ..
- (٦) إبراهيم زرقانة، تركيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، (د.ت)، ص ١٩ .
- (٧) إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض ، ١٩٩٨، ص ٢٣٢ .
- (٨) محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٩ .
- (٩) إبراهيم زرقانة، المصدر السابق، ص ١٩ .
- (١٠) هدى درويش، الإسلاميون وتركيا الحديثة نموذج الامام سليمان حلمي، دار الافاق العربية ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١١٤ .
- (١١) إبراهيم زرقانة، المصدر السابق، ص ٢١ .
- (١٢) برناد لويس، ظهور تركيا الحديثة، ترجمة: قاسم عبد قاسم وسامية محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٦، ص ٣٣٢ .
- (١٣) فريد صلاح الهاشمي، تركيا في ضوء الحقائق، دار المعبر للطباعة، إسطنبول ، ٢٠١٤، ص ٧٣ .
- (١٤) محمد نور، المصدر السابق، ص ٣٩ .
- (١٥) عبدودود شلبي ، جنرالات تركيا لماذا الإسلام؟ وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟، دار النصر للطباعة الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٩ .
- (١٦) محمد محمد توفيق، كمال أتاتورك، دار الهلال ، مصر، ١٩٣٦، ص ١٦٦
- (١٧) ه.س. ارستونولج، الذنب الاخير مصطفى أتاتورك، دار الهلال، مصر، ١٩٥٢، ص ٢١٤ .
- (١٨) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ١٥٢ .
- (١٩) إبراهيم زرقانة، المصدر السابق، ص ٢٠ .
- (٢٠) جريبي نسيبة وآخرون، مصطفى كمال أتاتورك ودوره في الحركة الوطنية التركية (١٨٨١-١٩٣٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ - قالمة، ٢٠١٧، ص ٥٥ .
- (٢١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٦٨، ص ٧٠٠ .
- (٢٢) خضير البديري، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، شركة العارف للاعمال، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٦٧ .





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الديمقراطية والحريات العامة في الفكر الإسلامي

- (٢٣) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ٧٢.
- (٢٤) خضير البديري، المصدر السابق، ص ٢٦٧ ..
- (٢٥) إبراهيم زرقانة، المصدر السابق، ص ٢٠.
- (٢٦) وليد رضوان، العلاقات العربية التركية دور اليهود والتحالفات الدولية والإقليمية وpkk في العلاقات العربية-التركية العلاقات السورية- التركية نموذجاً، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧٦ ..
- (٢٧) محمد زاهد جول، التجربة النهضوية التركية، كيف قاد حزب العدالة والتنمية تركيا الى التقدم، مركز ثما للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٣، ص ١١٧.
- (٢٨) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ٢٨٩.
- (٢٩) رضا هلال، السيف والخلال الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٦.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٧٦.
- (٣١) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ٢٩٠.
- (٣٢) رضا هلال، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٧.
- (٣٤) محمد زاهد جول، المصدر السابق، ص ١١٧.
- (٣٥) رضا هلال، المصدر السابق، ص ٧٧-٧٨.
- (٣٦) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٢١٧.
- (٣٧) أريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دارالمدار الإسلامي، ٢٠١٣، ص ٢٨٧.
- (٣٨) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.
- (٣٩) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ٢٩٤.
- (٤٠) حميد بوزرسلان، تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة: حسين عمر، داركلمة للنشر، ابوظبي، ٢٠٠٩، ص ٦٧.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعلومة

١. إبراهيم زرقانة، تركيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة: (د. ت).
 ٢. أريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠١٣.
 ٣. إسماعيل أحمد باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨.
 ٤. برناد لويس، ظهور تركيا الحديثة، ترجمة: قاسم عبد قاسم وسامية محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.
 ٥. حميد بوزرسلان، تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة: حسين عمر، داركلمة للنشر، ابوظبي، ٢٠٠٩.
 ٦. خضير البديري، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، شركة العارف للأعمال، بيروت، ٢٠٠٩.
 ٧. رضا هلال، السيف والخلال الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
 ٨. سيار الجميل، العرب والأتراك والانبعث والتحديث من العثماني إلى العلمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧.
 ٩. عبد اللودود شلي، جنرالات تركيا لماذا الإسلام؟ وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.
 ١٠. فريد صلاح الهاشمي، تركيا في ضوء الحقائق، دار العبر للطباعة، إسطنبول، ٢٠١٤.
 ١١. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: أمين فارس ومينر البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.
 ١٢. كريم مطر حمزة الزبيدي، دراسات في تاريخ الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، ٢٠١٤.
 ١٣. كمال حبيب، الدين والدولة في تركيا المعاصرة صراع الاسلام والعلمانية، القاهرة، ٢٠١٠.
 ١٤. محمد زاهد جول، التجربة النهضوية التركية، كيف قاد حزب العدالة والتنمية تركيا الى التقدم، مركز ثما للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٣.
 ١٥. محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت، ١٩٤٦.
 ١٦. محمد محمد توفيق، كمال اتاتورك، دار الهلال، مصر، ١٩٣٦.
 ١٧. محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٥٢.
 ١٨. ه. س. ارمسترونج، الذلب الاغبر مصطفى أتاتورك، دار الهلال، مصر، ١٩٥٢.
 ١٩. هدى درويش، الإسلاميون وتركيا الحديثة نموذج الامام سليمان حلمي، دار الافاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
 ٢٠. وليد رضوان، العلاقات العربية التركية دور اليهود والتحالفات الدولية والإقليمية وpkk في العلاقات العربية-التركية العلاقات السورية- التركية نموذجاً، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
- ثانياً: الرسائل والاطاريح :
- ١- جريبي نسبية واخرون، مصطفى كمال اتاتورك ودوره في الحركة الوطنية التركية (١٨٨١-١٩٣٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥-قائمة، ٢٠١٧.





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي
والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

أ.م. د. محمد فرحان عبيد النائلي
جامعة الكوفة/كلية الفقه





المستخلص:

البصمة الوراثية هي الاكتشاف الذي حقق ثورة علمية في العلوم الجنائية، إذ تعتبر تقنيات الحامض النووي DNA حالياً من أدق تقنيات العصر في مكافحة الجريمة، وتقدم البيئة الجينية التي تدل على هوية كل إنسان بعينه، DNA يعتبر حامضاً فريداً في كل شخص وبصمة لا تتكرر من شخص إلى شخص آخر إلا في التوائم المتطابقة، محققاً التفرد والتميز لكل إنسان على حده. وتتمحور المشكلة في ما أثارتها البصمة الوراثية من جدل، ما بين مؤيد ومعارض، وكل ذلك بمنهج مقارن وصفي تحليلي لما جاء في الشريعة من طرق لأثبات النسب والقانون. وانتظم البحث بثلاث مطالب مشفوعة بمقدمة وخاتمة، حيث ذكر في المطلب الأول: مفهوم البصمة الوراثية وخصائصها. أما الثاني: مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي من حيث القائلون بالجواز مطلقاً والقائلون بالمنع مطلقاً والقائلون بالتفصيل لنفي النسب بالبصمة الوراثية. أما المطلب الثالث: حجية البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي، من حيث القائلون بالحجية المطلقة، والقائلون بالحجية الظنية، والقائلون باعتبار البصمة الوراثية من أدلة الاثبات. وأهم النتائج والتوصيات التي أفرزها البحث. الكلمات المفتاحية: احكام، البصمة، الفقه، القانون، النسب، الوراثية

Abstract:

The genetic fingerprint is the discovery that made a scientific revolution in the forensic sciences, as DNA techniques are currently considered one of the most accurate technologies of the era in combatting crime, and provide genetic evidence that indicates the identity of each specific person. DNA is considered a unique acid in each person and a fingerprint that is not repeated from a person To another person except in identical twins, achieving uniqueness and distinction for each individual. The problem revolves around the controversy raised by DNA fingerprinting, between supporters and opponents, all with a comparative, descriptive, and analytical approach to what came in the Sharia of ways to prove lineage and law. The research was organized with three demands accompanied by an introduction and a conclusion, as it was mentioned in the first requirement: the concept of genetic fingerprint and its characteristics. As for the second: the legitimacy of denying lineage by DNA fingerprint between Islamic jurisprudence and Iraqi law in terms of those who say that it is absolutely permissible, those who say it is absolutely forbidden, and those who say in detail to deny lineage by DNA. As for the third requirement: the authenticity of the genetic fingerprint in denying lineage between Islamic jurisprudence and Iraqi law, in terms of those who say it is absolute authenticity, those who say it is presumptive authenticity, and those who say that the genetic fingerprint is one of the evidences of proof. The most important findings and recommendations of the research.

Keywords: rulings, imprint, jurisprudence, law, lineage, genetics



احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

المقدمة :

يعد الأثر المادي البيولوجي الذي يشكل جسم الإنسان مصدراً له أساس الأدلة المادية التي تساعد القضاء على تحديد هوية الأشخاص في مختلف القضايا لاسيما في ظل البصمة الوراثية التي تستخدم كدليل علمي للإثبات أمام القضاء ومن ثم تحقيق العدالة التي هي مطلب الجميع والمسؤول عن تحليل الأثر المادي وتقديمه للقضاء كدليل علمي هم خبراء البصمة الوراثية .

والبصمة الوراثية هي الاكتشاف الذي حقق ثورة علمية في العلوم الجنائية، ويعتبر الاكتشاف الأبرز حالياً منذ اكتشاف بصمة الأصابع في القرن التاسع عشر إذ تعتبر تقنيات الحامض النووي DNA حالياً من أدق تقنيات العصر في مكافحة الجريمة، وأنها تقدم البيئة الجينية التي تدل على هوية كل إنسان بعينه، فالحامض النووي DNA يعتبر حامضاً فريداً في كل شخص وبصمة لا تتكرر من شخص إلى شخص آخر إلا في التوائم المتطابقة، محققاً التفرد والتميز لكل إنسان على حده .

أهمية البحث : الأثر الكبير للبصمة الوراثية في مجال إثبات النسب، وما ترتب من اتساع دائرة الإثبات أمام القضاء . مشكلة البحث: حول ما أثارته البصمة الوراثية من جدل ، ما بين مؤيد له أدلته ومعارض له أسانيده، وكل ذلك بمنهج مقارنة وصفي تحليلي لما جاء في الشريعة من طرق لإثبات النسب والقانون .

هيكلية البحث :

انتظم البحث بثلاث مطالب مشفوعة بمقدمة وخاتمة ، حيث ذكر في :

المطلب الاول: مفهوم البصمة الوراثية وخصائصها . وفيه مقصدان :

المقصد الاول : مفهوم البصمة الوراثية في اللغة والاصطلاح

المقصد الثاني : خصائص البصمة الوراثية وتميزها عن غيرها .

أما المطلب الثاني: مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي . وفيه ثلاث مقاصد:

المقصد الاول : القائلون بالجواز مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

المقصد الثاني : القائلون بالمنع مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

المقصد الثالث : القائلون بالتفصيل لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

أما المطلب الثالث : حجية البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي .

المقصد الاول : القائلون بالحجية المطلقة لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

المقصد الثاني : القائلون بالحجية الظنية لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

المقصد الثالث : القائلون باعتبار البصمة الوراثية من ادلة الاثبات .

وأهم النتائج هي التزام معظم الدول الإسلامية بالطرق الشرعية لإثبات النسب، وحصر استخدام البصمة الوراثية في حالات معينة .

وأهم التوصيات هي ضرورة الاستفادة القصوى من اكتشاف البصمة الوراثية واعتبارها ثورة علمية للطب الشرعي ونعمة من الله لخدمة الإنسانية .

المطلب الاول: مفهوم البصمة الوراثية وخصائصها .

المقصد الأول : مفهوم البصمة الوراثية في اللغة والاصطلاح

التعريف بالبصمة الوراثية: يتطلب الوقوف عند التعريف اللغوي لها ومن ثم بيان المعنى الاصطلاحي للبصمة الوراثية .

الأول: مفهوم البصمة الوراثية في اللغة .

١- مفهوم البصمة في اللغة: « مأخوذة من البصم بضم الباء » ما بين طرف الخنصر والبنصر، ويقال « ما فارقتك شيراً ولا بصماً » (١)، وقد أقر مجمع اللغة العربية لفظ البصمة بمعنى أثر الختم بالأصابع، فقول بصم بصماً أي ختم بطرف





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

إصبعه» (٢)، والبصم كلمة عربية أصيلة، تعني الفارق بين الإصبعين: الخنصر أو البنصر، أو تعني الغلظة أو الكثافة وقد تولد منها معنى جديد أقره مجمع اللغة العربية في مصر، وهو أثر الختم بطرف الاصبع بعد دهنه بمادة مخصوصة تشبه المداد الأسود، لتطبع الخطوط الدقيقة في بنان الاصابع على ورق أو قماش ونحو ذلك، فيسمى هذا الأثر المطبوع البصمة « ولكل انسان بصمة أصابع خاصة به تميزه من غيره ، ولا يمكن أن تطبق بصمتان في العالم اجمع لشخصين مختلفين، كما أنها لا تتأثر بعوامل الوراثة ولا تتطابق بصمات الآباء مع الأبناء أو الأشقاء إلا إذا كانوا توأم قد نشأ من بويضة واحدة أو أكثر» (٣).

٢- **الوراثة في اللغة:** «فهي نسبة إلى علم الوراثة، الذي يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل لآخر وتفسير الظواهر المتعلقة بذلك، أو هي العلاقة أو الأثر الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء أو من الأصول إلى الفروع» (٤). «فالبصمة الوراثية هي الأثر الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء، أو الصفات الثابتة المتنقلة من الكائن الحي إلى فرعه وفق قوانين محددة» (٥).

الثاني: مفهوم البصمة الوراثية في الاصطلاح.

بعد استعراض المدلول اللغوي للبصمة الوراثية، فإن الأمر يتطلب التعرف على المدلول العلمي للبصمة الوراثية. وتعرف بأنها: «النمط الوراثي المتكون من التتابعات المتكررة خلال الحامض النووي DNA مجهول الوظيفة، وهذه التتابعات تعدّ فريدة ومميزة لكل فرد، ولم تماثل في شخصين يعيدين وإنما في التوائم المتطابقة» (٦).

أو أنها وحدات كيميائية ذات شقين محمولة في الموروثات الجينات وموزعة بطريقة يتميز فيها كل فرد عن الآخر وسبب هذه الخصوصية راجع الى طبيعة تكوين البصمة الوراثية ذاتها، فهي متكونة من شقين من الصبغات شق يرثه الفرد من أبيه وآخر يرثه من أمه لتكوين صبغة جديدة هي خليط من الصبغتين، ثم ينقل الفرد بدوره أحد شقي هذه البصمة لأبنائه لتكوين بصمة جديدة وهكذا. ومن هنا توصف خريطة تواجد الموروثات على شريط الحامض النووي DNA بالبصمة، لكونها تحمل خصائص تعكس المقومات الشخصية والذاتية التي ينفرد بها الانسان عن غيره من أبناء جنسه» (٧).

أو إن البصمة الوراثية هي معلومات خالصة تتعلق بشخص ما والتي تميزه عن غيره او وسيلة لتحديد شخصية الفرد وهويته ، او هي هوية أصلية ثابتة لكل إنسان والتي تتعين عن طريق التحليل الوراثي وتسمح بالتعرف على الأفراد بيقين شبه تام. ونستنتج من التعريفات أنها تدور حول هدفين أساسيين:

أ- انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء.

ب- مدى إمكانية دراسة التركيب الوراثي لكل إنسان.

المقصد الثاني : خصائص البصمة الوراثية وتميزها عن غيرها .

تختلف اختلافاً كلياً الخلايا الوراثية البشرية من شخص إلى آخر، وإن وجد تطابق أو احتمال تطابق بين شخصين فسوف يكون بنسبة واحد الى ٣١١ مليون، وهو عدد يفوق عدد سكان العالم بكثير، وبالتالي سوف تكون نسبة التطابق معدومة باستثناء التوأمين اللذين انقسما من بويضة واحدة ملقحة بحيوان منوي واحد ، فالبصمة الوراثية لها خصائص تميزها عن البصمات، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال ما يلي:

الأول- خصائص البصمة الوراثية: للبصمة الوراثية مجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها ، منها:

١- تطابق البصمة الوراثية في شخصين غير وارد: «تسلسل القواعد النيتروجينية يختلف من شخص إلى آخر ولا يتشابه فيه شخصان على وجه الأرض إلا في حالة التوائم المتماثلة، رغم كثرة عدد القواعد النيتروجينية في الحامض النووي فان احتمال تطابق تسلسلها في شخصين غير وارد» (٨). «لذلك تُعد البصمة الوراثية قرينة نفي وثابت قوية» (٩). وتظهر النتيجة النهائية لعمل البصمة الوراثية على صورة خطوط عريضة تختلف في السمك والمسافة نتيجة الاختلاف من شخص إلى آخر، وهذه النتيجة النهائية سهل قراءتها وتخزينها على الحاسب الآلي حين الحاجة إليها لعمل المقارنة (١٠)، ومنها يمكن معرفة الجنس للعينات لرجل او لاثني؟ وهذه نقطة مهمة في حالة العثور على دماء في جرائم القتل والسرقة لحصر المشتبه فيهم (١١)، وكذلك معرفة العينات المختلفة خاصة بالاثار المنوية المختلطة بالإفرازات المهبلية في جرائم الاغتصاب (١٢).





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

٢- مقدرة البصمة الوراثية على تحمل عوامل الطبيعة: أظهرت الدراسات العلمية الحديثة مقدرة الحامض النووي «DNA» على تحمل الظروف الجوية السيئة المحيطة، مثل ارتفاع درجات الحرارة حيث يمكن عمل البصمة الوراثية من التلوثات الدموية الجافة والتي مضى وقت طويل عليها في الشمس (١٣)، وتتميز البصمة الوراثية بمقاومتها عوامل التحلل والتعفن والعوامل المناخية الأخرى من حرارة وبرودة ورطوبة وجفاف لفترات طويلة، حتى أنه يمكن الحصول على البصمة الوراثية من خلال الآثار القديمة فضلاً عن الآثار الحديثة (١٤).

ومن التجارب العملية في هذا المجال ما جرت في الفترة الواقعة بين أعوام ١٩٩٩ من دراسات على جذور الشعر أو بصمات الأصابع، وعلى الرفات المتخلفة أو المتبقية من -١٩٩١ ضحايا الحروب، التي وقعت منذ أمد بعيد، وتوصلوا من خلالها إلى تحديد شخصيات أصحابها ومعرفة هويات الذين ماتوا في ولايات تلك الحروب (١٥).

كما أعطت الدراسات العلمية نتائج إيجابية في استخلاص حامض DNA من الأسنان والعظام التي مضى على تخزينها من عشرة أشهر إلى عشرين سنة، وأجرى البصمة الوراثية للتعرف على أصحابها، وأثبتت أن هذه الأجزاء من الجسم، قليلة التعفن والتحلل وأكثر فائدة من الأنسجة والخشوات (١٦).

وقد عززت البحوث العلمية إمكانية استخلاص الحامض النووي DNA واكتثاره من العظام الأدمية التي مضى عليها ما يقارب من ثلاثمائة عام والتعرف على هوية أصحابها الحقيقيين، «وتؤكد بحوث العلماء أن البصمات الوراثية تظل محتفظة بخاصية الثبات وعدم التغير، عند اختلاط المواد البيولوجية لأكثر من شخص، الأمر الذي يعطي أهمية لضرورة اجراء اختبارات البصمة الوراثية، كما يحدث عند أخذ مسحات مهبلية في قضايا الاغتصاب حيث تختلط التلوثات المهبلية المنوية بالإفرازات المهبلية، وهو ما لا يمكن تحديده بالوسائل التقليدية» (١٧).

٣- إمكانية تطبيقها على جميع العينات البيولوجية في حالة عدم وجود بصمات أصابع الجاني حيث يمكن استخلاصها من أي خلية في جسم الإنسان ما عدا خلايا الدم الحمراء .

٤- تكون على هيئة خطوط عريضة يسهل قراءتها وحفظها في جهاز الحاسوب حين الحاجة إليها للمقارنة ، كما هو الحال في بصمات الأصابع فبالإمكان مقارنة فصائل DNA للعينات المرفوعة في الحوادث والجرائم بمجموعة من المتهمين خلال دقائق معدودة ، كما يمكن مقارنة كل عينة بقاعدة بيانات المختبرات في دول أخرى مرتبطة معها بنظام الإعلام الآلي بعد استخلاص العينة وإجراء التحليل اللازم باستخدام التقنيات المحددة في هذا المجال .

٥- تعتمد نتائج الفحوص البيولوجية العادية على حجم وعمر الأثر المادي والحالة الموجودة محل التحليل والدراسة بينما تكمن قوة تحليل بصمة DNA في أنه لا يلزم لإجراء الفحص إلا كميات قليلة فقط ، كما إن إمكانية تزييره تصبح مستحيلة ، وعلى هذا الأساس تم اعتماد هذه البصمة لقوتها في الإثبات أو النفي ، فضلاً عن إن الحامض النووي يقاوم عوامل التحلل والتعفن لفترات طويلة تصل سنوات عديدة ، حيث يقاوم عوامل الحرارة والرطوبة كونه موجود في منطقة صغيرة في الخلية يطلق عليه «النواة» التي تحتوي على جميع الخلايا .

٦- مقارنة بالاختبارات البيولوجية الأخرى التي تعتمد على تحديد العلامات البيولوجية ، فإن هذه الأخيرة لا يمكنها إلا كشف الاختلاف والتباين الموجود فقط ، لأن التشابه في علاماتها منتشر لدى جميع الناس ، فعلى سبيل المثال نلاحظ كثير من الناس يحملون فصيلة الدم «O» ولكن خياراتها مبنية على أساس النفي فقط ، بينما البصمة الوراثية DNA مبنية على النفي والإثبات بشكل قاطع ، وعلى هذا الأساس بدأت الدول المتقدمة تعطي اهتماماً كاملاً للبصمة الوراثية وذلك عن طريق تنظيم سجل قومي للبصمة الوراثية للأفراد وللآثار المجهولة وحفظها بغية الاستفادة منها في التعرف .

الثاني: تمييز البصمة الوراثية عن غيرها من البصمات .

تتميز البصمة الوراثية بخصائص تجعلها تفوق العديد من الأدلة العلمية الأخرى كبصمات الأصابع وفصائل الدم فمن الناحية العلمية تعد البصمة الوراثية دليل نفي وإثبات تكاد تكون قاطعة وهذا ما لا يتوافر في وسائل الإثبات الأخرى . ومن الجدير بالذكر إن التطبيقات العملية لهذه التقنية في مجالات كشف هوية الأشخاص قد أثبتت فاعليتها لدرجة إن





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

جميع دوائر الأمن المختلفة في العالم تنادي بحتمية تطبيقها للتعرف على الجاني . وبالإضافة إلى البصمة الوراثية هناك بعض البصمات الأخرى مثل بصمات الأصابع، وبصمة الشفاه، والأذن والصوت التي تشترك معها في عدد من المجالات لتحقيق هوية الأفراد أو لتعرف على الجناة، وسوف نتطرق بشي من الإيجاز لهذه البصمات وابرز الفروق بينها وبين البصمة الوراثية، وذلك من خلال النقطتين التاليتين:

١- **معنى البصمات الجسدية وأنواعها:** يقصد بها «الطبقات الخاصة بأجزاء الجسم البارزة إذا لامست سطح جسم آخر متى توافرت مادة ناقلة تؤدي إلى هذه الطبقات» (١٨)، وقد جرى العرف في بداية الأمر على قصر هذا اللفظ على بصمات الأصابع وراحة اليد أو باطن القدم، غير أن الأكتشافات الطبية الحديثة وتقدم العلم وتطور أدواته، أدى إلى اكتشاف بصمات أخرى كثيرة من جسم الانسان» (١٩)، ومن أهم أنواع البصمات الجسدية ما يلي:

أ- **بصمات الأصابع:** هي الانطباعات التي تتركها الاصابع عند ملامستها إحدى السطوح المصقولة، وهي طبق الأصل لأشكال الخطوط اللحمية التي تكسو جلد الاصابع وهي لا تتشابه إطلاقاً بين شخصين مختلفين، بل حتى في اصابع الشخص الواحد (٢٠)، وبهذا المعنى تعتبر أداة من أدوات تحقيق الهوية، ومدخلاً علمياً للتعرف على الأشخاص ومن أهم مميزات هذه البصمات عدم قابليتها للتغيير وعدم التطابق بين الأفراد، كما أنها لا تورث، ولا يمكن طمسها ولو بفعل الجراحة أو بعض الأمراض الجلدية الجسيمة» (٢١).

ب- **بصمة الأذن:** تعتبر الأذن من أكثر أعضاء الجسم تعبيراً عن شخصية الفرد، لما تتميز به من ثبات شكلها الخارجي، طول حياة الشخص وبعد مماته، وعدم تكرارها مع غيره، بل على مستوى الشخص نفسه فإن بصمة الأذن اليمنى تختلف عن بصمة الأذن اليسرى، ويعتمد أسلوب العمل على تصوير الأذن اليمنى للشخص ثم إظهار سليلات الصور بعد مرورها بعدة مراحل، ويستخدم فيها مقياس متري، الذي يسمح بتصنيف الصور الفوتوغرافية، ثم توضع هذه الصور في سجل المحفوظات، وهي وسيلة تأتي بعد بصمات الأصابع التي تأكدت حجييتها وقانونيتها (٢٢).

ت- **بصمة الاسنان:** يقصد بها تلك الآثار التي يتركها الجاني على شكل علامات عضّ سوى في المأكولات أم على جسم اخني عليه، كما قد تظهر على الجاني حال مقاومة الجني عليه له، وتعود أهميتها من حيث كونها تنصف بالاستمرارية وعدم القابلية للتغيير لفترات طويلة، وذلك لقوتها في مقاومة التعفن والتحلل ودرجات الحرارة العالية (٢٣).

ث- **بصمة الشفاه:** تطلق بصمة الشفاه على التشققات أو الحزوز الموجودة في شفاه الشخص والتي تتباين في الشكل والتركيب بين الأفراد، وتستند في إثباتها على أن طبقة الجلد التي تغطي شفاه الشخص لها مميزات منفردة في نوعيتها وينتج عنها انطباعات تقوم بدور هام وحيوي في مجال الكشف عن الجريمة، فقد أكدت نتائج البحوث العلمية أن التجاعيد ولأخاديد والتشققات في الشفتين، لها نفس خصائص بصمات الأصابع» (٢٤).

ج- **بصمة الصوت:** أثبتت الدراسات العلمية أن لكل شخص نبرات صوتية وطريقة خاصة في التحدث يتميز بها عن غيره، وبات التعرف على الأفراد من خلال بصمات أصواتهم يتم بنفس الدقة التي تتم ببصمات الأصابع، وأصبح من المؤكد عدم تطابق صوتين لشخصين مختلفين، وإن التعرف على الجاني من خلال صوته غداً من الأدلة العلمية التي أحدثت تطوراً هائلاً في مجال تحقيق الشخصية (٢٥)، وتتم عملية بمذه الوسيلة بين تسجيل صوت الجاني على شريط وتسجيل صوت المشتبه فيه على شريط آخر ثم يتم فحص كل تسجيل باستخدام جهاز التخطيط التحليلي للصوت» (٢٦).

ح- **بصمة العين:** هي أكثر دقة من بصمات أصابع اليد، لأن لكل عين خصائصها فلا تتشابه مع غيرها ولو كانت لنفس الشخص، وهي على عدة أنواع منها بصمة لقاء العين «**الشبكية**» وبصمة للقرح وبصمة للانحراف الجيني للعين، ومن المستحيل أن تتطابق بصمتان منهما حتى في نفس الشخص (٢٧)، وهناك أنواع أخرى من البصمات لها الأثر الواضح للتعرف على الأفراد وكشف الجناة، مثل بصمة الركبة أو بصمة فتحات مسام العرق وبصمة الرائحة.

٢- التمييز بين البصمة الوراثية وبين بصمات الجسم الظاهرة.

أ- التمييز في الطبيعة: البصمة الوراثية هي « من طبيعة بيولوجية مبنية على أساس وراثي يستمدده الشخص من أبويه





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

بينما بصمات الجسم الظاهرة ليست من تلك الطبيعة ولا تتأثر غالباً بالوراثة (٢٨). هذا ما أكدته البحوث والدراسات العلمية. ب- التمييز في الوظيفة: تتفق البصمة الوراثية مع البصمات الجسدية في مجال تحقيق شخصية الأفراد والتعرف على الجناة، وتميز عنهم بعدة وظائف هامة وتنفرد بأنشطة كثيرة تنعدم فيها البصمات الأخرى تماماً وذلك لاستخدامها في مسائل اثبات النسب ونفيه، والتعرف على المفقودين وضحايا الحرب والحوادث المتعمدة، وفي قضايا الجرائم الجنسية والاغتصاب، أما البصمات غير الوراثية، فإنه لا يلتفت إليها من معظمها وهو ما يدل على أن البصمة الوراثية أرفع شأنًا وأعظم درجة منها (٢٩).

ت- التمييز في طريقة الإثبات: تختلف البصمة الوراثية عن البصمات الجسدية من حيث المنهج والطرق المتبعة في الإثبات، فالبصمات الجسدية تعتمد في اثبات الشخصية على دراسة الاشكال الخارجية لها ومعرفة الفروق فيما بينها أما البصمة الوراثية فأغما تعتمد على القواعد النيتروجينية في تحليل جزء أو أكثر من الحمض النووي D.N.A (٣٠).
المطلب الثاني: مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي .

إن حداثة تقنية التحليل بالبصمة الوراثية كانت دافعا وراء الاختلاف في الرؤى الفقهية والتشريعية حول مشروعية العمل بها في الإثبات الجنائي، والنسب خاصة بل الخلاف بين مدى مشروعية اثباته بالبصمة الوراثية ام نفيها به. وازاد الامر تعقيدا بالنسبة للفقه مع اختلاف الرؤى الشرعية من مسألة نفي النسب بالبصمة الوراثية خصوصا مع حداثها وعدم الاشارة اليها في مؤلفات الفقهاء المسلمين الاوائل وان وردت بعض الاشارات القريبة من هذه التقنية في مؤلفاتهم كالقيافة ، ما دعا بعض الفقهاء المعاصرين الى القياس عليها سلبا او ايجابا واعطاء حكم نفي النسب بما تبعها لموقف مذاهب الفقه الاسلامي من مسألة نفي النسب بالقيافة. والامر كذلك بالنسبة للتشريعات المقارنة وان اختلاف الامر بالنسبة للتشريعات، وما تبعه اختلاف في الموقف القضائي تبعاً للموقف التشريعي. ويرى البعض ان النسب الثابت بإحدى الطرق الشرعية المعتمدة « الفرائض، الاقرار، الشهادة» لا يجوز نفيه او ابطاله مهما كانت هنالك امارات او قرائن تدل عليه وذلك لاحتمال الشارع للأنساب من جهة واكتفائه في الإثبات بأدق سبب ما يعني التشدد في نفي النسب وعدم الحكم به الا مع وجود الدليل القوي (٣١).

ومع ظهور البصمة الوراثية ودقة نتائجها في الإثبات تسارعت الانظار نحو الاستعانة بهذه التقنية في نفي النسب الثابت شرعاً والاستغناء بها عن سائر طرق النفي الأخرى، لا سيما، اللعان، خصوصا في مسائل الاتهام بالزنا ولاغتصاب. وهذا الامر وان لم يكن له محل نقاش بالنسبة للفقهاء المسلمين الاوائل، لعدم اكتشاف هذه التقنية وقتهم الا ان ذات الفكرة، اي نفي النسب بلا لعان، ولقد اختلف الفقهاء المسلمون في حكم نفي الزوج نسب الولد عنه دون ان يتهم زوجته بالزنا على ثلاث مذاهب: الأول لا ينتفى النسب من الزوج مطلقا لا بلعان او بغيره وقال به الحنفية (٣٢). الثاني يرى بأنه لا ينتفى النسب الا باللعان، وقال به المالكية والشافعية والحنابلة (٣٣). الثالث فيرجع في هذه الصورة الى القيافة فإذا نفت النسب عن الزوج انتفى وان احقته به التحق، وهذا ما قال به الحنابلة، وعلى هذا يمكن القول بجواز اللجوء الى البصمة الوراثية في هذه الصورة وذلك قياسا على القيافة بالطريقة الاولى (٣٤). ولم تغرب عن فكرهم لجامع العلة بينهما، وهو تيقن عدم انتساب المولود لأبيه بيولوجيا. ومع ذلك فان الفقهاء المعاصرين، سواء على صعيد الفقه الاسلامي ام القانون اختلفوا في مسألة جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية بين مجيز ومانع ومفصل.

المقصد الاول : القائلون بالجواز مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

يرى بعض من الفقهاء المعاصرين جواز الاستعانة بالبصمة الوراثية في نفي نسب المولود من ابيه والاستغناء عن اللعان في نفي النسب متى ما كانت النتائج عن اجراء التحليل يقينية ان الحمل ليس من الزوج، لأن نتائجها إذا أثبتت أن الولد ليس من الزوج، فينتفي من الزوج بالبصمة الوراثية دون اللعان. لأن اللعان هو الاستثناء وليس القاعدة (٣٥). كما أن نتائج البصمة الوراثية يقينية مبنية على الحس، فإذا أجرينا تحليل البصمة الوراثية وثبت أن الطفل من الزوج وأراد أن نفيه، فكيف نقطع النسب ونكذب الحس ونخالف العقل، ولا يمكن أن يتعارض الشرع مع العقل (٣٦).





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

ويرى البعض من اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية يجوز الاعتماد عليها في نفي النسب ما دامت تبيحها قطعية كما يرد دعوى الزوج في نفي النسب إذا أثبتت نتائج البصمة الوراثية القطعية لحق الطفل به، لأن قول الزوج حينئذ مخالف للحس والعقل وليس ذلك تقديمًا للعان، وينبغي للقضاة أن يحيلوا الزوجين قبل إجراء اللعان لفحوص البصمة الوراثية لأن إيقاع اللعان مشروط بعدم وجود الشهود، فإذا كان لأحد الزوجين بينة تشهد له فلا وجه لإجراء اللعان. والأخذ بهذه التقنية يحقق مقصود الشرع في حفظ الأنساب ويصد ضعفاء الضمائر من التجاسر على الخلف بالله كاذبين (٣٧). ومن فقهاء القانون من يرى إن البصمة الوراثية يمكنها أن تؤكد يقينا نفي الولد عن رجل معلوم وكذلك يمكن بها أن تؤكد يقينا أن هذا الولد من هذا الرجل المعلوم وبهذا ينتفي الخلاف تماما، ويتم ذلك عن طريق تحديد البصمة الوراثية للرجل والمولود والأم، ومقارنة البصمة الوراثية للطفل مع بصمة كل من الرجل والمرأة، فلو تمت مطابقة البصمة الوراثية لكل من الرجل والمرأة ووجد أن الصفات الوراثية الموجودة في الطفل تصفها من الأم والنصف الآخر من الرجل المدعى عليه، أو مدعي النسب، فهذا دليل لا يقبل الشك على أن هذا الطفل من ذلك الرجل، أما «إذا وجد أن الصفات الوراثية الموجودة في الطفل نصفها من الأم والنصف الآخر غير مطابق لما هو الرجل المدعى عليه أو مدعي النسب؛ فهذا دليل أكيد على أن هذا الطفل ليس من هذا الرجل» (٣٨).

واستدل القائلون باعتبار البصمة الوراثية بجملة ادلة عقلية وأخرى نقلية:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٩). ووجه الدلالة في هذه الآية أن اللعان لا يكون الا مع انعدام الشهود وليس ثمة شاهد إلا الزوج فقط حينئذ يكون اللعان فان كان مع الزوج بينة كالبصمة الوراثية تشهد لقوله أو تنفيه فليس هناك موجب للعان أصلا لانقضاء القيد الوارد في الآية، أي أن البصمة الوراثية تكون بمثابة الشهود التي تدل على صدق الزوج فيما يدعيه على زوجته عندما ثبت نفي النسب بين الزوج والمولود على فراشه من خلال نتائج البصمة الوراثية (٤٠).

كما ذكرت الآية عبارة «درء العذاب» ولم تذكر عبارة «نفي النسب»، وحقيقة لا تلازم بين اللعان ونفي النسب فيمكن أن يلاعن الرجل ويذكر نفسه العذاب ولا يمنع ذلك من أن ينسب المولود إليه إذا ثبت ذلك بالبصمة الوراثية (٤١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قِبَلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ ذُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ ذُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَذِبِكُنَّ إِنَّ كَذِبَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٤٢). ووجه دلالة الآية أن شق القميص من جهة معينة اعتبر نوعا من الشهادة والبصمة الوراثية تقوم مقام الشهادة ومن ثم القول بجواز نفي النسب بالبصمة الوراثية (٤٣).

٣- قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ اقْسَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٤٤)، ووجه الدلالة «أن الحاق النسب من المقاصد العظيمة للتشريع الاسلامي فاذا ما اراد الاباء لأمر من الامور التملص من الابناء فان مقتضى العدل ان يتم الحاق المولود بابيه دون تمكين الاب من اللعان حفاظا عليهم من الضياع» (٤٥).

٤- إن نتائج المسلم عنها للبصمة يقينية قطعية كونها مبنية على الحس، فلو أجري تحليل للبصمة الوراثية وثبت أن المولود من الزوج وأراد أن ينفيه، فكيف نقطع النسب وتكذب الحس والواقع ونخالف العقل، فلا يمكن أن يتعارض الشرع الحكيم مع العقل السليم في مثل هذه المسائل المعقولة المعنى وهي ليست تعبدية، وان إنكار الزوج وطلبه اللعان بعد ظهور النتيجة يعد من المكابرة والشرع ينتزه أن يثبت حكما بني على المكابرة (٤٦). كما أن الشرع يتشوف إلى إثبات النسب رعاية لحق الولد ومخالفة البصمة لقول الزوج في النفي يتنافى مع أصول الشريعة في حفظ الأنساب، ونفاذ اللعان مع مخالفة البصمة لقول الزوج يعد باعث كيد للزوجة يوجب عدم نفي نسب الطفل (٤٧).

ونوقشت الادلة اعلاه من قبل المانعين بالمناقشات الاتية:





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

١- الدليل الاول والثاني فيرد عليه في ان الاصل الذي عدل عنه الى اللعان في الآيات اعلاه ورد بلفظ «الشهداء» وهو ما يضعف الاستدلال لعدم امكانية القول بان البصمة الوراثية تكون من الشهداء خلافا فيما اذا كانت الآية اعلاه تورود عبارة «بنات» لتمكن القول بذلك فاستوجب الامر عدم الاعتداد بالبصمة الوراثية (٤٨).
اضف الى ذلك « انه لا تلازم بين اثبات النسب واقامة البينة على زنى الزوجة لانهما بينتان لأمرين مختلفين ما دعا غالبية الفقهاء الى القول بان النسب الثابت بالفراش لا ينتفي الا باللعان ما دام يولد لمثل الزوج» (٤٩).
٢- أما الدليل الثالث فالقول « بان اللعان كان وسيلة معاصرة لزمانه قول غير سليم لان تشريع اللعان هو لكل زمان ومكان والقول بنفي النسب بالبصمة معناه نسخ لآية اللعان وهو قول مرفوض جملة وتفصيلاً» (٥٠).

المقصد الثاني : القائلون بالمنع مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

يرى اصحاب هذا الاتجاه عدم جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية وانه لا يجوز تقديمها مطلقاً على اللعان. وذهب غالبية فقهاء الشريعة والقانون الى القول « بعدم انتفاء النسب الشرعي الثابت بالفراش إلا باللعان فقط ولا يجوز تقديم البصمة الوراثية على اللعان او نفي النسب به مطلقاً (٥١)، وهو اتجاه مجمع الفقه الاسلامي بمكة المكرمة (٥٢).
بل ذهب بعضهم « وإذا كان لا يجوز نفي النسب بعد ثبوته بغير اللعان؛ فإنه لا يجوز أيضاً استخدام أي وسيلة قد تدل على انتفاء النسب ونفيه عن صاحبه؛ لأن للوسائل حكم الغايات، فما كان وسيلة لغاية محرمة، فإن للوسيلة حكم الغاية» (٥٣). استدلل القائلون بأن النسب لا ينتفي إلا باللعان فقط بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ...﴾ (٥٤).

ووجه الدلالة أن الآية ذكرت أن الزوج إذا لم يملك الشهادة سوى نفسه فيلجأ حينئذ لللعان، وإحداث البصمة بعد الآية اعلاه تزيد على كتاب الله «، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (٥٥).

٢- إن اللعان هو الطريق الشرعي الوحيد لنفي النسب ولو أن الزوجة أقرت بصدق زوجها فيما رماها به من الفاحشة فإن النسب يلحق الزوج لقول الرسول «صلى الله عليه وآله» «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ولا ينتفي عنه إلا باللعان، ثم كيف يجوز إلغاء حكم شرعي بناء على نظريات طبية مظنونة (٥٦). فإن المشرع قد جعل اللعان سبيلاً للزوج إذا قذف زوجته بالزنا، أو نفي نسب ولدها عنه، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فإثبات نفي النسب عن الزوج بالحقائق العلمية، فيه إبطال لحكم اللعان وهذا باطل؛ فيبطل العمل بتلك الحقائق في نفي النسب (٥٧).

٣- لا نستطيع الركون على البصمة فقط ونقيم حد الزنا على الزوجة، بل لابد من البينة، فكيف تقدم البصمة على اللعان ولا نقدمها على الحد (٥٨)، ونوقشت الأدلة اعلاه من قبل المحيزين بالمناقشات الاتية:

١- الدليل الاول فيرد عليه بان المرأة لو رضيت بنتائج البصمة الوراثية في نفي النسب وقبلها القاضي فيمتنع اللعان (٥٩).
٢- الدليل الثاني والثالث فان هناك فرقا بين إثبات النسب أو نفيه و بين إقامة الحد القائم على المبالغة في الاحتياط فالحدود تدرأ بالشبهات بخلاف النسب فهو يثبت مع وجود الشبهة.

المقصد الثالث : القائلون بالتفصيل لنفي النسب بالبصمة الوراثية

ذهب بعض الفقهاء المعاصرين الى القول بالتفصيل بين البصمة الوراثية واللعان، فهم اجازوا اللجوء الى البصمة الوراثية في احوال معينة الا انما لا تقدم على اللعان ولكن تكون مكمله له وما عدا تلك الاحوال فانهم لا يجيزون النفي بالبصمة الوراثية. الا ان اصحاب هذا الاتجاه، قد انقسموا بهذا الخصوص على ثلاث فرق:

الاولى: يرى ان نسب المولود لا ينفي باللعان متى جاءت تحاليل البصمة الوراثية تؤكد صحة نسبه للزوج ولو لاعن لكن لو جاءت البصمة الوراثية مؤكدة لقول الزوج فهنا ينتفي النسب باللعان وتعد البصمة الوراثية دليلاً تكميلياً. «إذا جاءت البصمة الوراثية وأثبتت نسب الطفل إلى الزوج، فإنه لا ينفي نسب للزوج حتى لو لاعن الزوج، لأن الشارع يتشوق إلى إثبات النسب. وإن نتائج البصمة الوراثية دقيقة و يقينية فقد يكون باعث الزوج الكبير لزوجته» (٦٠).





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

الثانية: يرى انه مع التيقن بالبصمة الوراثية من الحمل او المولود ليس من عند الزوج فينتفي النسب دون حاجة لأجراء اللعان مع احقية الزوجة في طلب اللعان دراً للحد عنها لاحتمال ان يكون حملها المنفي عنه النسب كان عن وطء شبهه. فيرى «ان اللعان إنما يدفع الحد عن الزوجة لاحتمال أن يكون حملها بسبب وطء أو شبهة. وينحصر دور اللعان بالنسبة للزوج إذا كان معه، فإن كان معه الزوج فلا وجه للعان أي «ينفي الولد بالبصمة الوراثية» وإن كان ضد الزوج وجب عليه حد القذف ولا يكون اللعان إلا لتدراً للزوجة عن نفسها حد الزنى (٦١).

الثالثة: يميز بين النسب الثابت بطريق شرعي من عدمه، حيث يرى جواز نفي النسب في الحالة الثانية دون الاولى. فيرى « انه لن يكون مقبولاً شرعاً استخدام الهندسة الوراثية والبصمة الوراثية لأبطال الابوة التي تثبت بطريق شرعي صحيح من الطرق التي تقدم بياتها، ولكن مجال العمل بالبصمة الوراثية سيكون في اثبات او نفي ابوة لم تثبت بطريق شرعي صحيح (٦٢). بل ان البعض يذهب الى ضرورة الاخذ بالبصمة الوراثية في نفي النسب دون الاستغناء عن اللعان لأنه فيه احتياط للأعراض والاحكام الثابتة في النصوص الشرعية من جهة وإن العمل باللعان لنفي النسب فيه صفة تعبيديه من جهة أخرى خلافاً للبصمة الوراثية التي تقوم على كشف ومعرفة الحقيقة المجردة فحسب (٦٣).

وهناك من يرى بأن البصمة الوراثية لها مرتبة دون اللعان في نفي نسب الولد، ولا يجوز لها أن تحل محل اللعان وإنما يمكن أن تستخدم للتقليل من حالات اللعان إذا أطمأن الزوج لذلك، بحيث تعتبر البصمة الوراثية دليلاً مكملًا للعان لأن اللعان حكم شرعي ثابت في الكتاب والسنة والإجماع في حين أن البصمة الوراثية قرينة طبية ومن ثم فلا ترتقي لمرتبة الدليل القطعي (٦٤).

واستند اصحاب هذا الاتجاه بذات الحجج والادلة التي استدل بها اصحاب الاتجاه القائل بالجواز .

ويرى البعض من الفقه ان النسب لا يجب أن يكون حقيقة قانونية فقط وإنما حقيقة واقعية، وان المعيار الرئيسي أو الموجه للنسب هو المعيار البيولوجي لان الولد يجب أن يكون قانوناً من صلب الرجل ويرتبط به ارتباطاً حقيقياً لا ارتباطاً قانونياً أو اجتماعياً فقط، وهو ما يفسر وضع المشرع بعض الشروط لاعتبار الزوج أباً للمولود لان الغرض منها التأكيد من وجود صلة بيولوجية أو حقيقية بين الزوج والولد وهو ما يفسر أيضاً أحقية الزوج قانوناً إنكار النسب بالرغم من توفر الشروط التي حددها القانون، فهذه الشروط لا تؤكد بالضرورة أن الولد من صلب الزوج وكون الحمل قد حدث أثناء الزوجية لا يعني ضمناً أن الولد من نطفة الزوج ولذلك أجاز القانون له إنكار نسب الولد الذي جاءت به زوجته في حالة انعدام الرابطة الحقيقية بينهما (٦٥).

المطلب الثالث : حجية البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الاسلامي والقانون العراقي .

إذا ما كانت مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية محل خلاف فقهي وتشريعي فإن مثل هذا الخلاف يكمن ايضاً في حجية نفي النسب بالبصمة الوراثية، فهل ان النفي بما له حجية مطلقة في الاثبات، سواء توافق مع الادلة الشرعية الاخرى ام اختلاف، وسواء توافق مع اللعان ام تعارض؟

ذكر في البحث وجود اختلاف فقهي بخصوص جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية، الا انه ومع التسليم بالجواز على رأي من يقول ذلك، فإن ثمة خلاف بخصوص القيمة الشرعية والقانونية لنفي النسب عن طريق البصمة الوراثية فهل قرينة النفي قطعية؟ ام ظنية؟ ام مرحلة وسط بينهما؟ للإجابة نقول ان هنالك ثلاثة اتجاهات نتناولها في مقاصد ثلاثة:

المقصد الاول : القائلون بالحجية المطلقة لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

ذهب جمع من الفقهاء (٦٦). الى اسباغ الحجية المطلقة على الاثبات بالبصمة الوراثية وإنما قرينه قطعية على اساس ان نسبة النجاح فيها وصلت فيها إلى ٩٩.٩٩٪، ويرون تقدم البصمة الوراثية على بقية الادلة الشرعية الاخرى لأنها تحقق ما تحققه تلك الادلة وزيادته عنها، وإذا ما كان ثم تعارض بين البصمة الوراثية وتلك الادلة قدمت البصمة الوراثية عليها. وبضيفون إن قوة الدليل في هذه التحاليل تصل إلى نسب قطعية في النفي أو الإثبات للبنوة والنسب، وإن هذه من التطورات الفنية الحديثة في مجال الفحوص المخبرية تقطع الشك باليقين في كثير من الحالات، والخطأ فيها أصبح مستحيلاً، ونسبة النجاح





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

فيها ما يقارب ١٠٠٪ (٦٧). ويرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية أقوى بكثير من بقية القرائن بل حتى من الشهادة التي تمثل الصدق والكذب بل وحتى من الإقرار، كما أن البصمة الوراثية تصلح أن تكون مانعاً من قبول طرق الإثبات التقليدية دون العكس، ذلك لأنها دليل مادي يعتمد العلم والحس، ويقوم على التسجيل الذي لا يقبل العود والإنكار بخلاف غيرها من الأدلة الأخرى التي تعتمد على الدماء فهي لا تقبل العود والإنكار (٦٨).
وان رأى البعض منهم بأن البصمة الوراثية هي ذات دلالة علمية قطعية يقينية؛ لإثبات هوية الإنسان، وتعد سبباً شرعياً لحسم نزاع النسب (٦٩).

بينما ذهب آخر « فقد أثبتت التجارب العلمية المتكررة أن البصمة الوراثية إذا توفرت شروطها وأكثر عيناها مع ملاحظة الدقة والضبط والتكرار دليل قطعي وأكثر نتائجها ١٠٠٪ (٧٠).
ويخلص البعض الى قول « إن الأصل في البصمة الوراثية اليقين والقطعية، إلا أن عامل اليد البشرية والمراحل المعقدة التي يتطلبها التحليل قللت من مصداقيتها، وجعلت نتائجها قريبة من القطع، بمعنى أنها قرينة قطعية من الناحية العلمية، وقرينة ظنية من الناحية العملية (٧١).

واستدل اصحاب هذا الاتجاه الى الآيتين من سورة يوسف مارة الذكر وكذلك قوله تعالى: (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) (٧٢). لأنه من خلال البصمة الوراثية يمكن التعرف على الأب الحقيقي وتنفيذ ما أمر الله به فتمت كشفت البصمة الوراثية نسب الولد لأبيه الحقيقي وجب العمل بها (٧٣).

المقصد الثاني: القائلون بالحجية الظنية لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

يرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية لا ترقى إلى مستوى القرائن القطعية بل قرينة ظنية؛ لا ترقى إلى مستوى القرائن القطعية لأنها عرضة للخطأ، فهي ليست من البيانات المعتبرة شرعاً في إثبات النسب، بل هي قرينة تخضع لتقدير المحكمة. وهذا يعني استناداً لهذا الرأي « إذا اعتبرت البصمة الوراثية قرينة من القرائن فهذا يضعف من دلالتها وذلك لأنه لا يلجأ إلى القرائن إلا عند انتفاء الأدلة وإذا عارضها دليل يقدم عليها، كالقراش أو الإقرار أو الشهادة، وهذه الأدلة غالباً ما تكون مصاحبة لدعوى إثبات النسب (٧٤).

واستدل اصحاب هذا الاتجاه في رأيهم الى « إن الإثبات بالبصمة الوراثية قرينة واقعية بسيطة، لا ترتقي الى ذات القوة الثبوتية التي تتمتع بها سائر وسائل الإثبات ما يعني حرية القاضي في اعتمادها أو رفضها ذلك أن الأصل في البصمة الوراثية القطع غير أن الظروف أهدرت من قيمتها؛ ذلك بأنها تفتقر إلى التأثير في نفسية القاضي، كون أن إجراء التحليل يتم في غيابه، وعدم وقوف القاضي على نوعية القائمين على المختبر، بالإضافة إلى أن الظروف الخبيطة والإجراءات المعقدة عند التحليل أهدرت من قيمتها كما إن رفض تحاليل الحمض النووي في قضايا النسب ينطلق من كونه غير معترف به شرعاً حتى أن القائمين على التحاليل ذاتها لم يصلوا فيها إلى درجة اليقين، إضافة الى أن النظريات العلمية الحديثة من طبية أو غيرها مهما بلغت من الدقة والقطع بالصحة، في نظر المختصين، إلا أنها تظل محل شك ونظر (٧٥).

« وإذا كان اصحاب هذا الاتجاه مجمعين على تقديم الإقرار على البصمة الوراثية وذلك بتوافر الشروط المعتبرة شرعاً إلا أنه هناك من يميز الاحتكام إلى البصمة الوراثية إذا كذب المقر له المقر، باعتبار أن النسب حق للولد فينبغي على الأب أن يثبت به دليل والذي محل محله البصمة الوراثية في ظل غياب أي دليل آخر بشرط رضى المقر له بالنسب بإجراء البصمة الوراثية (٧٦). هنالك من يرى أن إثبات النسب أو نفيه بالبصمة الوراثية يجب ألا يُقدّم على القواعد الشرعية ولا وسائل الإثبات الأقوى منه، ولكن يجوز استخدامه في حالات التنازع على مجهولي النسب، أو حالات الاشتباه بين المواليد، أو ضياع الأطفال واختلاطهم، ولا يصح إثبات نسب معروف النسب ولا لمولود الزنا.

الذي يبدو للباحث ان هذا الاتجاه غير سليم ويتناسى القيمة القانونية والشرعية للبصمة الوراثية في نفي النسب خصوصاً وأنه يمكن تلافي بعض الاشكاليات في نفي النسب اذا ما روعيت الضوابط الشرعية والقانونية.

المقصد الثالث: القائلون باعتبار البصمة الوراثية من ادلة الاثبات.





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

يرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية تعد بينة مستقلة أو دليلاً مباشراً، يثبت بها الحكم نفياً أو إثباتاً، إذا توافرت الشروط اللازمة (٧٧). أي أن البصمة الوراثية تعد دليلاً شرعياً مستقلاً لإثبات النسب إذا توافرت الشروط والضوابط اللازمة، وأنها لا تلغي الأدلة الشرعية، بل تعتبر واحدة منها وبأيها ظهر الحق وجب الأخذ به، ولكن لا يلجأ إليها ابتداءً، بل يلجأ إليها عند حصول التنازع في النسب، ويجب أن يكون ذلك بأمر من القاضي، وفقاً للشروط والضوابط الشرعية والعملية اللازمة فعند ذلك إذا أثبتت نتائج الفحص القاطعة نسب شخص لآخر أو نفيه عنه فلا مجال لإنكار ذلك، بل يجب العمل بمقتضاها، حتى لو تعارضت مع غيرها من الأدلة، وذلك لما فيها من القطعية واليقين (٧٨).

ويرى البعض أنه يجدر بالحاكم الشرعي الاستفادة من هذه التقنية الحديثة المتطورة وإجراء الفحوصات المخبرية للبصمة الوراثية للاستعانة بها كقرينة من القرائن التي يستعان بها على التحقق من صحة دعوى الزوج أو عدمها، بغرض الحيلولة دون وقوع اللعان قدر المستطاع لحض الشارع على درء ذلك ومنعه، وتشوفه لاتصال الأنساب وبقاء الحياة الزوجية (٧٩). ويرى البعض أن يتم اللجوء للبصمة الوراثية عند حصول التنازع في النسب، ويجب أن يكون ذلك بأمر من القاضي وفقاً للشروط والضوابط الشرعية والعملية اللازمة فإذا ما أثبتت نتائج الفحص القاطعة نسب شخص لآخر أو نفيه عنه فلا مجال لإنكار ذلك، بل يجب العمل بمقتضاها، حتى لو تعارضت مع غيرها من الأدلة، وذلك لما فيها من القطعية واليقين (٨٠).

كما أنه لا يجوز، بنظر البعض، الاكتفاء بالبصمة الوراثية عن اللعان على اعتبار أن نتائجها عند ذوي الاختصاص بما قطعية أو قرينة من القطعية، وذلك لأن الحكم الشرعي لا يجوز إبطاله وترك العمل به إلا بدليل نصي وهو غير ممكن، غير أن الحاكم يجدر به أن يستفيد من هذه التقنية الحديثة المتطورة وإجراء الفحوصات المخبرية للبصمة الوراثية للاستعانة بها كقرينة من القرائن التي يستعان بها على التحقق من صحة دعوى الزوج أو عدمها، بغرض الحيلولة دون وقوع اللعان قدر المستطاع لحفظ الشارع على درء ذلك ومنعه، وتشوفه لاتصال الأنساب وبقاء الحياة الزوجية (٨١). كما نجد أن قانون الإثبات العراقي قد سمح للقاضي في المادة (١٠٤) «منه بالاستفادة من وسائل التقدم العلمي في استنباط القرائن القضائية، وهذا يعني أن للقاضي أن يستفيد من اختبارات البصمة الوراثية لاستنباط قرائن قضائية في نفي أو إثبات موضوع الدعوى.

وانتقد البعض هذا المسلك للمشروع العراقي في قانون الإثبات في عده للدليل البيولوجي المستمدة من البصمة الوراثية مجرد قرينة قضائية، وهذا لا ينسجم مع طبيعة الدليل البيولوجي ولا مع الحجية الموضوعية المطلقة التي يقدمها لأن ليس فيه نقل لعبء الإثبات من واقعة مجهولة إلى واقعة معلومة كما هو الحال في القرائن القضائية بل هو إثبات للواقعة محل النزاع ذاتها «الأبوة أو البنوة أو الأمومة» وليس مجرد استدلال على واقعة مجهولة بواقعة معلومة (٨٢).

واستناداً لقانون الإثبات العراقي فإن قيمة اختبارات البصمة الوراثية تخضع لتقدير قاضي الموضوع، إذ أجاز هذا القانون للمحكمة أن تتخذ من تقرير الخبير سبباً لحكمها أو أن تأخذ ببعض ما جاء في تقرير الخبير وتطرح ما بقي منه أو أن لا تأخذ به جملة وتفصيلاً لتحكم بخلاف الرأي الذي أثبتته الخبرة، ومن ثم تكون المحكمة ملزمة بأن تسبب حكمها عند عدم الأخذ برأي الخبير من عدمه (٨٣).

ويرى البعض أن الدليل البيولوجي المستمد من اختبار الخريطة الوراثية يضارع في حجيته الموضوعية في إثبات الوقائع المادية حجية الدليل الكتابي في إثبات التصرفات القانونية، ويدعو المشرع العراقي إلى إضفاء حجية مطلقة على الدليل المستمد من هذه الاختبارات والركون إليه حتى لو كان هو الدليل الوحيد في القضية أو تناقض مع أدلة أخرى في القضية (٨٤).

نتائج البحث :

أولاً: النتائج .

- ١- إن البصمة الوراثية هي معلومات خالصة تتعلق بشخص ما والتي تميزه عن غيره أو وسيلة لتحديد شخصية الفرد وهويته ، والتي تتعين عن طريق التحليل الوراثي وتسمح بالتعرف على الأفراد بيقين شبه تام .
- ٢- إن البصمة الوراثية تدور حول هدفين أساسيين هما انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء ، مدى إمكانية دراسة التركيب الوراثي لكل إنسان .





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

٣- البصمة الوراثية DNA مبنية على النفي والإثبات بشكل قاطع ، وعلى هذا الأساس بدأت الدول المتقدمة تعطي اهتماماً كاملاً للبصمة الوراثية وذلك عن طريق تنظيم سجل قومي للبصمة الوراثية للأفراد وللآثار المجهولة وحفظها بغية الاستفادة منها .

٤- تتميز البصمة الوراثية بخصائص تجعلها تفوق العديد من الأدلة العلمية الأخرى كبصمات الأصابع وفصائل الدم فمن الناحية العلمية تعد البصمة الوراثية دليل نفي وإثبات تكاد تكون قاطعة وهذا ما لا يتوافر في وسائل الإثبات الأخرى .

٥- ان الفقهاء المعاصرين، سواء على صعيد الفقه الاسلامي ام القانون اختلفوا في مسألة جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية بين محيز ومانع ومفصل لنفي النسب بالبصمة الوراثية .

٦- ذكر في البحث وجود اختلاف فقهي بخصوص جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية، ومع التسليم بالجواز على رأي من يقول ذلك، فان ثمة خلاف بخصوص القيمة الشرعية والقانونية لنفي النسب عن طريق البصمة الوراثية ، فمنهم من قال بالحجية المطلقة ومنهم من قال بالحجية المطلقة ، ومنهم من قال باعتبار البصمة الوراثية من ادلة الاثبات لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

ثانياً: التوصيات

١- إنشاء مراكز خاصة وبإشراف مباشر من قبل وزارة الصحة في بغداد والمحافظات وتدار من قبل المختصين وفقهاء الشريعة وأعداد قاعدة معلومات وراثية تتمتع بالسرية التامة ولا يجوز اطلاع الغير عليها الا من قبل الجهات المختصة.

٢- اعتماد القضاء العراقي على اختبارات البصمة الوراثية لما تتمتع به من مصداقية عالية في اثبات وقائع النسب «الابوة والامومة والبنوة» وكذلك اعتماد الجهات القضائية والقانونية للحقائق العلمية المعاصرة في نفي النسب.

٣- أن البصمة الوراثية لها اهمية في نفي النسب نوصي بعدم اللجوء اليها وعدم استخدامها إلا اذا انتفت وسائل النفي الشرعية، وعدم استخدامها في النسب ثابت.

٤- عقد الدورات والندوات والورش العلمية والفقهية المعاصرة للعاملين والمختصين وتشكيل لجان متخصصة من الخبراء والعلماء من الشريعة والقانون لوضع الضوابط العامة في هذا المجال لاعتمادها في الدول الإسلامية.

الموامش :

- (١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مادة البصم ، ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة : ١١٢١
- (٢) الزيات، أحمد حسن ، المعجم الوجيز ، مصر: مجمع اللغة العربية : ٥٣
- (٣) الرفاعي، عبد الرحمن ، البصمة الوراثية واحكامها في الفقه الاسلامي : ١١
- (٤) الشافعي، محمد فريد ، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات، دراسة فقهية مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: ١٢
- (٥) عبد الفتاح، محمد لطفي ، القانون الجنائي واستخدام التكنولوجيا الحيوية، دراسة مقارنة: ٢٣
- (٦) الرفاعي، عبد الرحمن ، البصمة الوراثية واحكامها في الفقه الاسلامي : ٢١
- (٧) عطيه، عمار تركي ، البصمة الوراثية وأثرها في الإثبات الجنائي: ٦٦
- (٨) عبد الفتاح، محمد لطفي ، القانون الجنائي واستخدام التكنولوجيا الحيوية، دراسة: ٩٥
- (٩) حساني، علي عبد الله ، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات الجنائي: ٢٣
- (١٠) غنام، غنام محمد دور البصمة الوراثية في الإثبات، م: ٤٦١
- (١١) المعاينة، منصور عمر، الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي: ٢١
- (١٢) القواسمي، بسام محمد : ١٤١
- (١٣) المعاينة، منصور عمر ، الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي: ٢٢
- (١٤) عبد الدائم ، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ١١٤
- (١٥) عبد الفتاح، محمد لطفي ، القانون الجنائي واستخدام التكنولوجيا الحيوية، دراسة مقارنة: ٩١
- (١٦) القواسمي، بسام محمد : ١٤٢
- (١٧) حجازي، أحمد ممدوح ، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي: ٢١
- (١٨) غنام، غنام محمد دور البصمة الوراثية في الإثبات: ٤٢١
- (١٩) عبد الله، محمود محمد ، الأسس العلمية والتطبيقات للبصمات: ٤





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

- (٢٠) حجازي، أحمد مدوح، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي: ٢١
- (٢١) المعاينة، منصور عمر، الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي: ٩٢
- (٢٢) عبد الفتاح، محمد لطفي، القانون الجنائي واستخدام التكنولوجيا الحيوية، دراسة مقارنة: ١١١
- (٢٣) حساني، علي عبد الله، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات الجنائي: ٢٦
- (٢٤) عبد الله، محمود محمد، الأسس العلمية والتطبيقات للبصمات: ٣٥٩
- (٢٥) حجازي، أحمد مدوح، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي: ٢٢
- (٢٦) حساني، علي عبد الله، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات الجنائي: ٢٦
- (٢٧) عبد الله، محمود محمد، الأسس العلمية والتطبيقات للبصمات: ٣١٢
- (٢٨) غنام، غنام محمد: ٤٢٣
- (٢٩) القواسمي، بسام محمد: ١٥١
- (٣٠) غنام، غنام محمد دور البصمة الوراثية في الإثبات: ٤٨٤
- (٣١) عمر بن محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والحماية: ٤٠-٤١.
- (٣٢) الكاساني، علاء الدين: بدائع الصنائع: ٢٣٩-٢٤٤.
- (٣٣) الشافعي، الام: ٢٨٦. ط: الشربيني الخطيب، محمد بن احمد: معني المحتاج إلى معرفة ألقاظ المنهاج: ٣٧٣.
- ط: ابن قدامه، عبد الله بن محمد: المغني: ٣٣-٣٨.
- (٣٤) ابن قدامه، عبد الله بن محمد: المغني: ٣٣
- (٣٥) من أصحاب هذا الاتجاه: د. محمد المختار السلامي، اثبات النسب بالبصمة الوراثية: ٤٠٥. ط: د. عبدالله محمد، د. ابراهيم احمد عثمان، دور البصمة الوراثية في قضايا اثبات النسب والجرائم الجنائية: ٢٣. وقد أيد هذا الموقف الجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، شريطة استيفاء شروطها الكاملة؛ حيث جاء في توصياته أن «البصمة الوراثية إذا استوفت الشروط الكاملة، واجتبت الأخطاء البشرية؛ فإن نتائجها تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين، أو نفيها عنهما، وتصل نتائجها إلى ٩٩,٩٪».
- وكذلك الدكتور أحمد الحجوي الكردي على موقعه فتوى في البصمة الوراثية، يقرر فيها أن البصمة الوراثية المستكملة لشروطها تصلح دليلاً على الأمومة مطلقاً، إذا لم يوجد مانع من ذلك، وتصلح لنفي الأبوة لا لإثباتها عند انعدام الأدلة المعارضة. ينظر الرابط الإلكتروني: <http://www.islamic-fatwa.com/index.j...lang=ar&type=1>
- وهو رأي بعض مراجع وعلماء الإمامية السيد علي الحسيني السيستاني بخصوص استفتاء قدم اليه مفاده (هل يعتبر فحص دي أن أي DNA) دليلاً شرعياً لثبوت الأبوة للطفل إذا كان ملائماً منة بالمنة؟ وهل تعتبر عدم الملاءمة دليلاً على نفي النسب والأبوة؟ فاجاب عنه بالقول (نعم يعتبر الفحص المذكور مع كونه طريقة علمية بينة لا تتخللها الاجتهادات الشخصية)، نقلا عن موقع سماحة السيد <http://www.sistani.org/arabic/archive/24549/>.
- (٣٦) واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، ٣٠: ٣٠.
- (٣٧) عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها: ٥٦
- (٣٨) ط: محمد كقبيل، تبين آراء القضاة المغاربة حول البصمة الوراثية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.badilpress.com
- (٣٩) النور: ٦-١٠.
- (٤٠) السلامي، د. محمد مختار، التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيتها في الإثبات، م: ١٠: ٤٠٥.
- (٤١) ط: الخالقي، د. سعد الدين مسعد - البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعي، الموقع الإلكتروني: www.sudaneseonline.com
- (٤٢) سورة يوسف، الآية: ٢٦-٢٨.
- (٤٣) عبد الدائم، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ٨٠٨.
- (٤٤) سورة الاحزاب، الآية: ٥.
- (٤٥) عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها: ٨.
- (٤٦) عبد الدائم، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ٨٠٩.
- (٤٧) واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها: ٣٠.
- (٤٨) الميمان، د. ناصر عبد: البصمة الوراثية وحكم استخدامها في مجال الطب الشرعي والنسب: ٦١٨.
- (٤٩) ط: عبد الدائم، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ٨٠٨.
- (٥٠) سعود صبري في مقال، فتاوى المجتمع، نقلا عن: د. عبد الدائم، حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ٨١٣.
- (٥١) منهم: القره هداغي، د. علي محي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، د. عمر بن محمد السبيل، د. ناصر الميمان، د. وهبه الزحيلي.
- د. سعيد العنزي، الشيخ عبد الله المنيع، ط: حمادو، د. لذير: أثر البصمة الوراثية في إثبات نسب الولد غير الشرعي، دراسة فقهية
- <http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2b/>
- (٥٢) في دورته السادسة عشرة المتعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافق ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، في فقرة ثالثاً ورابعاً منه التي جاء فيها «ثالثاً: لا يجوز شرعاً الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ولا يجوز تقديمها على اللعان. رابعاً: لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الانساب الثابتة شرعاً ويجب على الجهات المختصة منعه وفرض العقوبات



احكام البصمة الوراثية في نفى النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

- الزاجرة، لان في ذلك المنع حماية لأعراض الناس وصوناً لا نساخهم.
- (٥٣) السبيل د. عمر بن محمد، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والجناية: ٧٢.
- (٥٤) النور ٦-١٠.
- (٥٥) عبد الدائم، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات: ٧٩٩.
- (٥٦) السبيل د. عمر بن محمد، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والجناية: ٣٠.
- (٥٧) ط: ندوة مدى حجية استخدام البصمة، الموقع الإلكتروني: <http://islamset.com/arabic/abioethics>
- (٥٨) عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها: ٨.
- (٥٩) السلامي، د. محمد مختار، التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيتها في الإثبات: ٣٤٨.
- (٦٠) واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها: ٣٠.
- (٦١) الهلالي، د. سعد الدين مسعد - البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية: ٢٣.
- (٦٢) الأشقر د. محمد سليمان: اثبات النسب بالبصمة الوراثية: ٤٥٤.
- (٦٣) الكحلاوي، د. عبلة: البصمة الوراثية وحجيتها في الإثبات الجنائي: ٢٤٦.
- ط: العفراوي، مصطفى رمضان، أحكام الولد المشتبه في نسبه: ٦٣-٦٤.
- (٦٤) العفراوي، مصطفى رمضان عبد القادر، أحكام الولد المشتبه في نسبه: ٦٤.
- (٦٥) عبد المجيد، د. رضا عبد الحليم، الحماية القانونية للجنين البشري: ١٤٢.
- (٦٦) وهو قول عامة الفقهاء المعاصرين: منهم: علي محي الدين القره داغي، محمد الأشقر، محمد وأخت عثمان، عبد القادر خياط، وفؤاد عبد المنعم، كذلك: واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها: ١٢١. إبراهيم عثمان: دور البصمة الوراثية في قضايا إثبات النسب والجرائم: ١٩، خياط شمالي، تقنيات الهندسة الوراثية في قضايا النسب وعلاقتها بالشرعية الإسلامية: ١٥١٣، غنام، غنام محمد، دور البصمة الوراثية في الإثبات: ٤٧٥، السويلم: الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون: ١٧.
- الهلالي، د. سعد الدين مسعد - البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية: ٦٥، القره داغي، علي محي الدين: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي: ٥٥. عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها: ٦١، شوكت، رقية عامر: وسائل إثبات النسب بالطرق الحديثة، بحث منشور على الموقع الإلكتروني: <http://main.islammmessage.com>
- (٦٧) شمالي خياط: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشرعية الإسلامية: ١٤٩٣.
- (٦٨) عثمان، د. إبراهيم أحمد، دور البصمة الوراثية في قضايا اثبات النسب والجرائم الجنائية: ١٧.
- (٦٩) ط: واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها: ٦٥.
- (٧٠) ط: القره داغي، علي محي الدين: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي: ٥٥.
- (٧١) حمادو، د. نذير: أثر البصمة الوراثية في إثبات نسب الولد غير الشرعي، دراسة فقهية.
- (٧٢) سورة الاحزاب، الآية: ٥.
- (٧٣) شمالي خياط: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشرعية الإسلامية: ١٥١٦.
- (٧٤) المقادمة، عائشة إبراهيم أحمد، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة: ٥٦.
- (٧٥) خليفة على الكعبي: ٢٠٥. ط: السبيل د. عمر بن محمد، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها في النسب: ٢٩.
- ط: المقادمة، عائشة إبراهيم أحمد، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة: ٥٧.
- (٧٦) د. وهبة الزحيلي - البصمة الوراثية ودورها في الإثبات: ١٥.
- (٧٧) وهو قول بعض العلماء المعاصرين منهم: عثمان، د. إبراهيم أحمد، دور البصمة الوراثية في قضايا اثبات النسب: ١٥. ط: عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها: ١٢، ط: الباز، عباس، بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء: ٧٨٥، ط: المرزوقي: إثبات النسب بين الشريعة والقانون: ٢٨٧.
- (٧٨) المقادمة، عائشة إبراهيم أحمد، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة: ٧٤.
- (٧٩) الصلاحي، د. أسامة محمد، مجلة كلية الآداب - جامعة قاربونس بنغازي - ليبيا، العدد ٣٥-٢٠١١: ١٣.
- (٨٠) المقادمة، عائشة إبراهيم أحمد، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة: ٧٤.
- (٨١) نقلاً عن الموقع الإلكتروني: http://laaroussi.bl.ee/index_fichiers/Pagev94.htm
- (٨٢) الهلالي، طاهر حبيب جبارة. النظام القانوني للهندسة الوراثية - دراسة قانونية مقارنة: ١٢٣.
- (٨٣) ينظر: م (١٤٠) من قانون الإثبات.
- (٨٤) الهلالي، طاهر حبيب جبارة. النظام القانوني للهندسة الوراثية - دراسة قانونية مقارنة: ١٢٣-١٢٤.
- المصادر والمراجع:**
- ١- ابن قدامة، عبد الله بن محمد: المغني، ج ٨، ط ١، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٢- الأشقر د. محمد سليمان: اثبات النسب بالبصمة الوراثية: بحث مقدم الى ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجنوم البشري والعلاج الجيني، الكويت - ١٩٩٨.
- ٣- الباز، عباس، بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة الوراثية ٧ مايو ٢٠٠٢.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

- ٤- حجازي، أحمد ممدوح ، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي، بحث مقدم للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، برنامج الكشف عن الجريمة بالوسائل الحديثة، الدورة ٤٣ ، القاهرة .
- ٥- حساني، علي عبد الله ، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات الجنائي، رسالة في جامعة النهدين، العراق .
- ٦- حمادو ، د. نذير: أثر البصمة الوراثية في إثبات نسب الولد غير الشرعي ، دراسة فقهية، اجتماعية، أخلاقية، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة <http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb> .
- ٧- خليفة على الكعبي ، البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية
- ٨- الرفاعي، عبد الرحمن ، البصمة الوراثية وأحكامها في الفقه الإسلامي
- ٩- الرحيلي، د. وهبة - البصمة الوراثية ودورها في الإثبات.
- ١٠- الزيات، أحمد حسن ، المعجم الوجيز ، مصر: مجمع اللغة العربية .
- ١١- السيل د. عمر بن محمد ، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والجنائية : ٧٢.
- ١٢- د. عبد الدائم ، حسني محمود. البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات.
- ١٣- السلامي، د. محمد مختار ، التحليل البيولوجي للحميات البشرية وحجيتها في الإثبات.
- ١٤- السويلم: الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات.
- ١٥- الشافعي، الام ، دار الفكر - بيروت، لبنان، ط١، بدون سنة نشر.
- ١٦- الشافعي، محمد فريد ، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات، دراسة فقهية مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، ط١، بيروت: دار البيان.
- ١٧- الشربيني الخطيب، محمد بن احمد: مغني المحتاج إلى معرفة ألقاظ المنهاج، ج٣، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨.
- ١٨- شمالي خياط: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشريعة الإسلامية.
- ١٩- شوكت ، رقية عامر: وسائل إثبات النسب بالطرق الحديثة، بحث منشور على: <http://main.islammessage.com> .
- ٢٠- الصلاحي، د. أسامة محمد. مجلة كلية الآداب- جامعة قاريونس بنغازي- ليبيا، العدد ٣٥-٢٠١١.
- ٢١- عبد الدائم ، د. حسني محمود، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات، ط٢، دار الفكر الجامعي - الاسكندرية، ٢٠٠٦ .
- ٢٢- عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها، مجلة العدل، وزارة العدل السعودية عدد ٢٣، رجب ١٤٢٥هـ.
- ٢٣- عبد الستار فتح الله سعيد، البصمة الوراثية في ضوء الإسلام ومجالات الاستفادة منها في جوانب النسب والجرائم وتحديد الشخصية، من ضمن أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، المجلد ٣، لعام ١٤٢٤ هـ .
- ٢٤- عبد الفتاح، محمد لطفي ، القانون الجنائي واستخدام التكنولوجيا الحيوية، دراسة مقارنة. ط١، القاهرة: دار الفكر والقانون .
- ٢٥- عبد الله، محمود محمد ، الأسس العلمية والتطبيقات للبصمات، أطروحة دكتوراه في علوم الشرطة، كلية الشرطة، القاهرة، مصر.
- ٢٦- عبد المجيد ، د. رضا عبد الحليم، الحماية القانونية للجنين البشري، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، ٢٠٠١.
- ٢٧- عثمان ، د. ابراهيم احمد ، دور البصمة الوراثية في قضايا البات النسب والجرائم الجنائية، المقدم الى المؤتمر العربي الاول لعلوم الادلة الجنائية والطب الشرعي المنعقد في الرياض للفترة من ١٢-١٤/ ١١/ ٢٠٠٧.
- ٢٨- عطيه، عمار تركي ، البصمة الوراثية وأثرها في الإثبات الجنائي ، مجلة دراسات قانونية تصدرها دار الحكمة، بغداد، ع ٢١٤.
- ٢٩- المقرائي ، مصطفى رمضان، أحكام الولد المشبه في نسبه، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل - كلية الحقوق، ٢٠١٠.
- ٣٠- غنام، غنام محمد ، دور البصمة الوراثية في الإثبات، بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون.
- ٣١- الفريوز آبادي، القاموس المحيط ، مادة البصم ، ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة .
- ٣٢- القره داغي ، علي محيي الدين: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ع ١٦٤، ١٤٢٤ هـ.
- ٣٣- الكاساني، علاء الدين: بدائع الصنائع، ج٣، ط٢، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٢.
- ٣٤- الكحلأوي ، د. عبله: البصمة الوراثية وحجيتها في الإثبات الجنائي، القاهرة، ٢٠١٠.
- ٣٥- المرزوقي: إثبات النسب بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات.
- ٣٦- المعايطه، منصور عمر ، الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي، ط١، عمان: دار الفكر للنشر. والتوزيع .
- ٣٧- المقادمة ، عائشة ابراهيم أحمد ، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الإسلامية بغزة .
- ٣٨- الميمان ، د. ناصر عبد: البصمة الوراثية وحكم استخدامها في مجال الطب الشرعي والنسب - مجلة القانون والشريعة - مجلس النشر العلمي - جامعة الامارات العربية المتحدة - العدد ١٨ يناير ٢٠٠٢.
- ٣٩- الهلالي ، ظافر حبيب جبارة. النظام القانوني للهندسة الوراثية - دراسة قانونية مقارنة
- ٤٠- الهلالي، د. سعد الدين مسعد - البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية- مكتبة الكويت الوطنية الكويت، ط١، ٢٠٠١.
- ٤١- واصل، د. نصر فريد: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، أعمال وبحوث المجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة.





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره
(دراسة تاريخية أثرية)

م.م خالد محمد حيال
جامعة البصرة / كلية الآداب





احكام البصمة الوراثية في نفي النسب بين الفقه الإسلامي والقانون العراقي «دراسة فقهية معاصرة»

الملخص :

من المؤكد أن التدوين اليوناني والروماني يعتبر مصدراً رئيسياً لفهم المجتمع واللغة والتاريخ في المدن اليونانية والرومانية القديمة، حيث وجدت النقوش اليونانية والرومانية على ألواح حجرية و فخارية و زخارف ، وتراوح من الأسماء البسيطة إلى النصوص الكاملة ، حيث اعتمد الإغريق القدماء والرومان في بداية الأمر على الخطاب الشفهي للتعبير عن الأفكار والمشاعر، حيث كانت ثقافتهم شفوية ، ثم تطورت إلى مقطعية وبعد ذلك انتقلت الأبجدية الفينيقية إلى اليونان وبعدها روما

Abstract:

Certainly, Greek and Roman notation is considered a major source for understanding society, language and history in ancient Greek and Roman cities, where Greek and Roman inscriptions were found on stone and pottery tablets and decorations, and ranged from simple names to full texts, where the ancient Greeks and Romans initially relied on discourse Oral to express ideas and feelings, as their culture was oral, then it developed into syllabic and after that the Phoenician alphabet moved to Greece and then Rome

أولاً: نشأة و تطور الكتابة واللغة اليونانية

اعتمد الإغريق القدماء على الخطاب الشفهي للتعبير عن الأفكار والمشاعر، كانت ثقافتهم شفوية ، بما في ذلك ممارساتهم التعليمية ، إذا تم استخدام ثلاث صفات لوصف ما هو معروف عن الأشكال الأولى للتعليم اليوناني، فكانت شفوية وموسيقية ورياضية ، كانت أقدم الممارسات التعليمية المعروفة في اليونان مباشرة وشخصية ، وغالباً ما كانت مرتبطة بالعلاقات الأسرية، إذ شارك شيوخاً لأسرة من الذكور والإناث في تربية أبنائهم، على الرغم من أن الإغريق الأوائل لم يكن لديهم تعليم يمكن وصفه بأنه مجتمعي ومنهجي، إلا أن «المنهج» كان شائعاً إلى حد ما ، على الأقل بين الطبقات العليا من المواطنين (١).

اللغة اليونانية هي واحدة من اللغات الهند والأوروبية ، كانت تستخدم في شبه جزيرة البلقان (٢)، وهي لغة وسيطة بين اللغة الأوروبية الهندية الأصلية - المعروفة باسم البروتو الهندو أوروبية (Proto-Indo-European) وبين اليونانية (Homeric) (أقدم شكل أدبي مكتوب من اليونانية) واللغة اليونانية الكلاسيكية التي توجد لها وثائق مكتوبة واسعة النطاق ، ومع ذلك ، هناك خلاف كبير بين اللغويين حول كيف ومتى تطورت اليونانية المؤكينة القديمة من سلفها ما قبل الهندو أوروبية ، يعتمد الجدل في جزء تطور اليونانية لفظاً وكتابة وتفسير التغيير اللغوي مرت الكتابة اليونانية بمراحل عدة : فأفرزت خلال تطورها خطوطاً طابقت الخط اليوناني الحالي ، وخطوطاً أخرى أقرب إلى الهيروغليفية بخطوطها ، وأخرى أقرب إلى الكتابة المقطعية ، عبر أربع مراحل:

١. الحضارة الكريتية أو المنيوية (Minoan- Cretan) (٣٠٠٠ ق.م. - ١٦٠٠ ق.م.)

هي فترة ظهرت فيها الكتابة المقطعية (syllabary) (٣) ، أرخت هذه الكتابة في جزيرة كريت دون غيرها لاسيما الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية منها وقد تم إحصاء هذه الكتابة على ٣٦٠ شكل معظمها من الأختام ، بينما المتبقي مواد أرشيفية ، ويبدو أن الأختام كانت تعادل البطاقة الشخصية للمواطن الكريتي (٤) ، ومن أهم مظاهر هذه الحضارة تطور فن صناعة الأواني الفخارية والخزف ، وعرف أهل كريت ((Crete (٥) ، الكتابة على شكل صور ثم خطوط (٦)، وهي أقدم أشكال الكتابة المعروفة منذ القدم في اليونان وتم تطويرها في الألفية الثانية قبل الميلاد ، من الحضارة المنيوية في كريت ، حيث وجد نصاً تخطيطياً أطلق عليه العلماء المعاصرون (Call Linear A) ولم يتم فكها بعد (٧) ، وهي تمثل صور لهيئة إنسان أو حيوان أو أجزاء من أعضاؤها ونباتات ومواد متنوعة (٨).





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

٢. الحضارة الميسينية (Mycenaean) (١٧٠٠ ق.م. - ١١٠٠ ق.م.)

ازدهرت الحضارة الميسينية في أواخر العصر البرونزي (حوالي ١٧٠٠-١١٠٠ قبل الميلاد)، وبلغت ذروتها من القرن الخامس عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حيث بسط الميسينيون نفوذهم في جميع أنحاء البيلوبونيز في اليونان وعبر بحر إيجه من جزيرة كريت إلى جزر سيكلاديك، تم تسميتهم على اسم مدينتهم الرئيسية مينيس (Mycenae) (٩). في أركوليد (Argolid) في شمال شرق بيلوبونيز (Peloponnese) (١٠).

في هذا العصر ظهرت أقدم أشكال اللغة اليونانية التي تم اكتشافها، وتسمى بالكتابة الخطية الثانية، كانت لغة مستشاريه، تُستخدم بشكل أساسي لسجلات وجرد القصور الملكية والمؤسسات التجارية، دونت بما الألواح الفخارية المكتشفة في كريت و مينيس (Mycenae) (١١)، وخانيا (Chania) (١٢) وفي بيلوس (Pylos) (١٣)، وكذلك في النقوش على الأواني والجرار من طيبة (١٤)، ومينيس ومدن أخرى (١٥).

وقد استخدمت الكتابة المقطعية المعروفة بخطية ب (Linear B) وتم العثور عليه في الغالب على ألواح طينية تم اكتشافها في كنوسوس والتي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١٦)، ولعل أبرز مظاهر هذه الحضارة هو ظهور طابع جديد للمقابر الموكنية بعيدة عن الطراز الكريتي فضلاً عن زخرفة الأواني وبدأ تصوير الشخصيات عليها وظهرت إشكال جديدة للدروع والسيوف والحرايا (١٧).

وبعد غزو الدوريون لأثينا عام (١١٠٠ ق.م.) مرت البلاد بفترة مظلمة عانت من الاضطراب والتخلف لمدة ثلاثة قرون واختفى خلاله فن الكتابة في اليونان (الكتابة الخطية الثانية) (١٨).

٣. الكلاسيكية (classic) (٨٠٠ - ٤٠٠ ق.م.) تبنى الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد الحروف الكادمية (Cadmian Letters) أي الأبجدية الفينيقية (١٩)، وتطويعها لكتابة الصوتيات والصوامت اليونانية مما أدى مثلاً إلى تدوين أعمال هوميروس وهسيودوس وآخرين (٢٠)، وقد عثر في آسيا الصغرى في الفترة الكلاسيكية على مجموعة من أبجديات الكتابة اليونانية ومنها:

١. الكتابة الفريجية القديمة

٢. الكتابة الليكية

٣. الكتابة الليدية

٤. الكتابة الكارية

٥. الكتابة السيدية (٢١)

وكلها تصنف على أنها من الكتابات اليونانية الكلاسيكية

ويرجع أقدم نموذج للكتابة اليونانية في هذا العصر إلى أواخر القرن الثامن ق.م وهو عبارة عن إناء تم العثور عليه في أثينا يعرف بإناء ديبلون (Dipylon) (٢٢)، وعليه مجموعة من الحروف التي تشبه الشكل الذي كانت عليه الحروف الفينيقية في القرن التاسع ومنتصف القرن الثامن ق.م (٢٣).

٤. اليونانية العامة (Koine) (أولهيلينية) (Hellenistic) (٤٠٠ ق.م. - ٤٠٠ م.)

لغة إمبراطورية الإسكندر المقدوني في جميع المستعمرات اليونانية، وقد اتسمت اليونانية العامة ببساطة قواعدها، مما سهل انتشارها، على الرغم من معارضة أنصار النقاء اللغوي الذين حثوا على الكتابة بكلاسيكية أفلاطون، وديموسثينيس (Demosthenes) (٢٤)، الرفيعة والذين وجدوا أن اليونانية العامة مزيج غير صافٍ، أي غير لائق بالإمبراطورية (٢٥). أذن نلاحظ أن الكتابة اليونانية قد تطورت بتطور اللغة واللهجات اليونانية القديمة مستندة إلى التطور التاريخي للشعوب اليونانية القديمة ومدى انتشارها في العالم القديم

ثانياً : طرق وأدوات التدوين لدى اليونانيين

استخدم اليونانيون مواد كثيرة من الطبيعة منذ بدايات التدوين أهمها لحاء الشجر هو أول مادة استعملت للكتابة





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

ومن المعروف أن الكلمة اليونانية ببلوس (Byblos) والكلمة اللاتينية (Liber) وكلتاها تعنيان كتاب وهو الكتاب اللحائي أو الخشي (٢٦)، كانتا في الأصل تطلق على لحاء الشجر، وهذا يعني أن هذه المادة استخدمها اليونانيون القدماء كمادة للكتابة (٢٧)، كما استخدم اليونانيون وكذا الرومانيون وغيرهم من الشعوب التي خضعت لهم الأحجار، حيث تعد هذه الكتابات المنقوشة على الحجر من أقدم المكتشفات الأثرية حيث كانوا يستخدمونها كشواهد للقبور أو يضعونها على النصب التذكارية في الميادين العامة، ومن أهم الشواهد التاريخية هو (حجر رشيد) (٢٨) (٢٩). استخدم اليونانيون قطع الفخار المخطمة كمادة للكتابة، وكان يسمونها استراكون (Ostrakoa) وهي شظية من الحجر الجيري كبيرة سطحها مغطى من الوجهين أو وجه واحد بالكتابة (٣٠)، واشتقت هذه التسمية من قيام مجلس الشورى اليوناني أتيثا بالافتراع لمعرفة الأشخاص الذين يزداد نفوذهم وضمان سلامة الشعب منهم، فيتم كتابة الأسماء في جرة ومن يحصل على عدد كبير من الأصوات يتم نفيه خارج البلاد لمدة عشر سنين (٣١). كما استخدم اليونانيون القدماء ورق البردي كمادة للكتابة أطلقوا عليه اسم بايروس (Papyrus) (٣٢) كانت الكتابة على ورق البردي على شكل أعمدة، وعلى وجه واحد من الورقة، وهو الوجه الذي صفت فيه الشرائح أفقية (Recto)، أما الوجه الآخر والذي صفت فيه الشرائح رأسية، الذي كان يعرف بظاهر الورقة (Verso)، فإنه نادراً ما كان يستخدم للكتابة (٣٣).

أما المعادن فقد استخدم اليونانيون الحديد والبرونز النحاس والرصاص وبكميات قليلة الذهب والفضة، حيث تم اكتشاف لفافة من النحاس تتضمن نصوص منقوشة على هذا المعدن وبعض العلامات والحروف اليونانية في معبد يهودي في احد كهوف البحر الميت في قبران (٣٤) (٣٥).

أما الرصاص فكان غالب المكتشفات نجد استخدامه خاص لكتابة الملاحظات الدينية والسحرية، فقد تم العثور على نسخة من ملحمة هيسودس « الأعمال والأيام » مكتوبة بشرائح من الرصاص (٣٦). بالنسبة لأدوات الكتابة فقد استخدم اليونانيون القلم القصبي المصنوع من القصب المجوف (٣٧)، يذكر أن بطليموس عندما كتب مؤلفاته، استخدم قلمًا مصنوعًا من القصب (٣٨)، وهم أول من اخترع هذا النوع من أدوات الكتابة، والأقلام المصنوعة من الغاب والبوص (٣٩) (٤٠)، والفرشاة القصبية التي تستخدم من نبات السمار (جانكسا رايبكا) (٤١)، فضلاً عن اكتشاف الأقلام المزينة والمذهبة التي يعتقد أنها استخدمت لدى الطبقات العليا للمجتمع اليوناني (٤٢)، فضلاً عن أنهم يكتبون على ألواح الشمع بقلم مصنوع من المعدن يسمى ستيلوس (Stylus) (٤٣).

يذكر انه عندما كتب اليوناني في القرن الثالث قبل الميلاد في مصر، كانت عملية كتابة لغته كان مختلفاً تماماً عن الكتابة المصرية، القلم الذي استخدمه اليونان يتم صنعه من القصب المصري ولم يكن القلم المصري قلماً على الإطلاق، بل كان بالأحرى فرشاة (٤٤).

أما حفظ هذا الأقلام فكانت تتم عن طريق حافظة تسمى المقلمة (the cacalamria) او (calamuium) للحفاظ عليها من التلف (٤٥)، وهي علبة يبلغ طولها حوالي ٥١ بوصة (١٤ سم)، وهي مثل القلم، أعرض في أحد طرفيها عن الطرف الآخر (٤٦).

استخدم الأطفال الذين يتعلمون الكتابة في مدارس معلمي اللغة ألواحاً خشبية مغطاة بالشمع يكتبون عليها حروفهم بالقلم، وقد استخدم نفس النوع من الألواح من قبل الكبار لكتابة ملاحظات سريعة، ولكن الكتب كانت تكتب بحبر على لفافات (volumnina) من البردي وكذلك على الرق (parchment) في وقت لاحق (٤٧).

لم يكن هناك عنوان للكتاب، إلا في حالات خاصة، في هذه الحالات كانت العناوين تكتب في نهاية نص الكتاب وليس في بدايته، وذلك لكي يكون العنوان في قلب اللفافة حين طيها، وهذا مما يكفل صيانتها وحفظه، حتى لو تعرضت اللفافة للتلف بسبب الإهمال في الحفظ أو سوء الاستعمال، وكذلك لم تكن هناك صور توضيحية كثيرة في كتب اليونانيين القدماء، وأغلب هذه الصور في حالة وجودها كانت عبارة عن صور لمؤلفي الكتب (٤٨).





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

من انواع الكتب ايضا النوع المطوي ، وكان ورق البردي هو دعامة الأساسية ((Grammatistes) ، شأنه شأن الكتاب عند المصريين القدماء ، وهذه العملية كانت تقوم على ضغط البردي ليصبح مسطحا ومقطعا إلى شرائح (٤٩) ، وكان الكتاب الواحد يتكون من عدة لفائف: مطوية على شكل اسطوانة قطرها في حدود خمسة سنتيمترات ، أما طول الكتاب فكان يتراوح ما بين ٦ - ٧ أمتار ، وهناك حالات نادرة ، وجدت فيها كتب بلغ طول الواحد منها عشرة أمتار ، أما عرض اللقافة فكان يتراوح ما بين ٢٠ - ٣٠ سنتيمتراً (٥٠) ، يطلق على اللقائف اسم (scrinium) إما الأغشية الجلدية فكانت تسمى ((paenula) (٥١)

تحولت الكتابة إلى استخدام الرق (Parchment) بدلا عن البردي ، الرق في اللغة هو كل ما يرقق من الجلد ليكتب عليه (٥٢) ، ولقد تم اكتشاف الرق أو البرشمان في الحضارة الإغريقية كوسيط للكتابة منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد في مدينة براجاموم (٥٣) ، وقد أطلق الإغريق على الكتاب المصنوع من الجلد اسم (diptera) (٥٤) ،
ثالثاً : اهم المؤرخين اليونانيين (٥٠٠ ق.م - ٢٠٠ م)

طور الإغريق القدماء نظام التدوين الذي عرف لاحقاً بـ (التاريخ) حيث قاموا بتأليف أعمالهم من خلال إجراء مقابلات مع شهود العيان ودراسة الوثائق والاعتماد على الأبحاث التاريخية السابقة ، حتى أن بعض المؤرخين اليونانيين القدماء شاركوا بنشاط في الأحداث التي وصفوها بأنفسهم أو شهدوها ، مع مرور الوقت ، ضاعت كتابات العديد من المؤرخين ، إنه موجود فقط كأجزاء أو اقتباسات أو مراجع في أعمال لاحقة ، بغض النظر عما إذا كان عملهم قد نجا أم لا ، فقد شكل المؤرخون اليونانيون القدماء حلقة وصل للعصور التاريخية القديمة ودراسة التاريخ .

١. بهيرودوتس (Herodotus) (في حدود ٤٢٥ - ٤٨٠ ق.م)

مؤرخ إغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، ولد في مدينة هاليكارسوس (٥٥) ، ابن ليكسيس (Lyxes) و أمه ريوار هوبو (Rhoeo) ، اسمه باللغة الإغريقية مركب من مقطعين هما : هيرا الآلهة اليونانية الشهيرة ودوت بمعنى أعطى أو أهدى فالاسم يعني هدية هيرا أو عطاء هيرا (٥٦) ، دُون هيرودوت تاريخ العالم القديم بما فيها بلاد اليونان ولكن يستشهد بالروايات والأخبار وليس المشاهدة والمعاصرة للحدث ، كان مولع بسرد الأحداث التاريخية والحكايات والقصص والأساطير ، قضى حياته في التنقل والترحال يصغي للمعلومة ويحسن الاستماع لها ، يدون كلما يسمع ويرى بعيداً عن التعصب ، متسامحاً ، تجول في العديد من بلدان الشرق القديم ، مصر والعراق و إيران (٥٧) ، لديه عدة مؤلفات ، لكن لم يصلنا كتاباً سليماً سوى كتابه المعروف باسم «تاريخ هيرودوت» فقد صنف على أنه نوع جديد من أنواع الكتابات الأدبية ، وكان أول من استخدم مصطلح «هستوريا» (Historia) للتأريخ ، لقب بأبي التاريخ (٥٨) ، ويذكر سامي سعيد الأحمد كتاب « تاريخ هيرودوت» الكثير من المغالطات التاريخية التي وقف عندها في بحثه (العراق في كتابات الرومان واليونان) (٥٩) .

٢. ثوكيديدس (Thucydides) (٤٦٠ - ٣٩٥ ق.م)

مؤرخ إغريقي يعد في مقدمة المؤرخين الذين أعطوا للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أهمية ، وقد حضر دروس السفسطائيين لأنه كان غنياً (٦٠) ، كتب كتابه باللغة الأتيكية العتيقة التي كانت لا تزال قريبة من اللهجة الأيونية ، وكان أسلوبه ، وبخاصة في خطبه وقطعه المدونة ، ومختصراً ، وصعباً وحتى غامضاً ، ومليناً بالأراء المتعارضة ، وغير متجانس (٦١) ، ثم كرس نفسه لعمل دراسات بهدف وضع كتاب عن الحرب البيلوبونيسية ، وكان على معرفة شخصية بالفلاسفة والكتاب المسرحيين (بأنكساجوراس ، وأنتيفون ، وجورجياس ، وبيروديكوس) (٦٢) ، وقد أطلق البعض عليه لقب (مؤرخ سياسي) (٦٣) ، وقد دفعهم إلى ذلك أنه عنا عناية فائقة بمسلك الأمم والرجال في الأمور السياسية وتتميز كتاباته بالواقعية وكان معاصراً أو مشاهداً للأحداث وخاصة للحروب اليونانية - اليونانية ، الذي يروي الصراع بين أثينا وإسبارطة في القرن الخامس قبل الميلاد ، كتاباته مختصرة ومباشرة ، شرح بطريقة علمية وحيادية الأحداث التي لاحظها (٦٤) .

٣. ثيوفراستوس (Theophrastus) (٣٧٢ - ٢٨٨ ق.م)





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

ولد في مدينة اريسوس (Eresus) في جزيرة ليسبوس وكان تلميذا لأرسطو ، وخلفه في رئاسة مدرسته ، وأدارها لمدة تزيد عن ثلاثين عاما من ٣٢٢ حتى موته في ٢٨٨ ، وقد شمل عمله الهام و المتنوع كل مجالات المعرفة، مثل أعمال أستاذه، التي أكملها وصحح كثيرا من النقاط الهامة فيها ، وبخاصة مفهوم المحرك الأول في نشأة الكون الذي درس في كتاب «ما بعد الطبيعة» (Metaphysics)، ونظرية العقل ، وأكمل نظرية القياس المنطقي عن طريق دراسة القياسات الافتراضية الفاصلة، وكان كتابه آراء عن علماء الطبيعة «Opinions on Physicists» أساس التواريخ القديمة عن الفلسفة، وأعماله التي بقيت هي «الشخصيات» (Chicaretters) الذي ترجمه لا بريير (La Bryere) وقلده، وعملان مهمان عن علم النبات (٦٥).

٤. هيرونيموس (Hieronymos) (٣٥٤ ق.م - ٢٥٠ ق.م)

ولد هيرونيموس في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، من مواليد كارديا في تراقيا، عالم يوناني ومؤرخ دبلوماسي وضابط جيش مهم في الفترة الهلنستية المبكرة ، عاصر الإسكندر الأكبر، بعد وفاة الاسكندر تبع ثروات صديقه إيومينيس (Eumenes) أسر من قبل الملك أنتيغونوس الذي عفا عنه ، وقد عينه ديمتريوس ابن أنتيغونوس حاكم سوريا (٦٦)، كتب هيرونيموس تاريخاً مبكراً للفترة الهلنستية ، ربما تغطي على الأقل سنوات ٣٢٣ حتى ٢٧٢ قبل الميلاد وهو المصدر الذي استقى منه ديودورس الفصل الثامن عشر من فصول كتابه (٦٧)، كلها موجزة نوعاً ما، ولذلك فإن معرفتنا بالعمل تفتقر إلى قوة أساس ، لكن المؤكد أن هيرونيموس أحب الأوصاف والاستطراد حول الجغرافيا أو التاريخ المبكر للأماكن (٦٨).

٥. بوسيدونيوس (Poseidonios) (١٣٥ ق.م - ٥١ ق.م)

فيلسوف رواقى ومؤرخ وجغرافى وعالم فلكى موسوعى ، ولد في مدينة أفامية السورية اشتهر بوسيدونيوس بتاريخه الموسوعي المؤلف من (٥٢) كتاباً ، تناول فيه أحداث عصره وتاريخ الشعوب الشرقية والغربية التي كان لروما صلة بما بدأ من عام ١٤٥ ق.م لم يبق من مؤلفاته الكثيرة إلا النزر اليسير وشذرات متفرقة ، كان أكثر الفلاسفة الرواقيين تأثيراً في العصر الهلنستي ، وأكبر عقلية موسوعية بعد أرسطو في تاريخ الفكر الإغريقي (٦٩) .

٦. سترابو أو سترابون (Strabo . Strabon) (٦٤ ق.م - ١٩م)

كاتب كلاسيكي ومؤرخ جغرفي يوناني ، رواقى المذهب ، ولد في مدينة أماسية (٧٠)، المعلومات عن حياته وعائلته نادرة جداً سوى ما يذكره عرضياً في إعماله جاء من عائلة ثرية وحصل على تعليم جيد ، وقد د ورت ثروة كبيرة ، كانت كافية لتمكينه من تكريس حياته رحلاته العلمية والسفر ، له مؤلفات كثيرة أهمها جغرافية العالم (Geographica) في سبعة عشر جزءاً ، تضمنت وصفاً كبيراً للبلدان المعروفة جميعها ومن ضمنها بلاد آشور وبابل (٧١) ، كانت أول كتبه عن الموسوعة التاريخية (Historika Hypomnimata) هي: «مقتطفات تاريخية» تتكون من سبعة وأربعين (٧٢) .

٧. فيلو الإسكندري (٢٠ قبل الميلاد - ٤٠ م)

يهودي يوناني يُدعى أيضاً جودايوس فيلو ، هو شخصية تمتد عبر ثقافتين ، اليونانية والعبرية ، عندما التقى الفكر الأسطوري العبري بالفكر الفلسفي اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد لا يُعرف سوى القليل جداً عن حياة فيلو، عاش في الإسكندرية مسؤولاً ثرياً بارزاً في الحكومة الرومانية ، ووكيلاً جرمياً مسؤولاً عن تحصيل الرسوم على جميع السلع المستوردة إلى مصر من الشرق تكون الجزء الأكبر من كتابات فيلو من مقالات فلسفية تتناول الموضوعات الرئيسية للفكر الكتابي والتي تقدم عرضاً منهجياً ودقيقاً لأرائه (٧٣) . يعد فيلون أول فيلسوف جمع بين الفلسفة واللاهوت ، فكان لاهوتياً أكثر من كونه فيلسوفاً، وقد تزعم المدرسة الفكرية في الاسكندرية التي جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون (٧٤) .

الف فيلون مجموعة من الكتابات التي تعيد صياغة النصوص التوراتية لموسى: عن إبراهيم ، في الوصايا العشر ، عن يوسف ، حياة موسى ، في خلق العالم ، في المكافآت والعقوبات ، في القوانين الخاصة ، في الفضائل ، وهي كتابات في شرح التوراة (الأسفار الخمسة) ومسائل في سفر التكوين وسفر الخروج، الشرح المجازي للشرائع المقدسة، كما أن لديه طروحات





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

فلسفية في العناية الإلهية ، ودوام العالم (٧٥) .

رابعاً : التدوين والكتابة الرومانية وتطورها

تأثرت الحضارة الرومانية بشكل كبير بحضارة اليونان ومنجزاتها المهمة في مجالات عدة من الحياة الثقافية والعلمية والإنسانية، وقد أخذوا الكثير من المهارات التقنية منهم، وكانت أوج عظمتهم في عاصمتهم روما لقد كان الرومان الذين يعدون أصل عظمة إيطاليا اليوم على الرغم من أن الديانات والميثولوجيا الرومانية كانت متأثرة بشكل كبير باليونانيين . ويشير (بلوتارخ) إلى أن روما كانت تمتلك أثراً كبيراً وعدداً من الوثائق المكتوبة كسجلات قد تلفت وحرقت بعد حرق روما عام (٣٩٠ ق.م) (٧٦).

كان التدوين التاريخي مقتصرًا على طبقة النبلاء والإشراف ، اذ يذكر المؤرخ اليوناني بوليبيوس (٢٠٠ - ١٢٠ ق.م.) أهم حالات التدوين التاريخي، منها طقوس الموت وخطب الجنائز التي لم تقتصر على مدح الميت ولكن يمكن أن يشير أيضاً إلى أفراد الأسرة الذين ماتوا في وقت سابق، مع قناع الموت (٧٧). الذي ينقش عليه نقش قصير يتضمن الاسم والوظائف العامة والكهنة ، وربما الإنجازات البارزة للمتوفى ، ثم كتابة نقش مشابه أو متطابق على وعاء يحتوي على رماد المتوفى أو على تابوته ، كان النص نفسه أو نصاً مشابهاً في كثير من الأحيان معروضة أيضاً على الجدران الخارجية للمقبرة أو على لوحة نصبت أمامها (٧٨).

دخلت الأبجدية اليونانية إيطاليا خلال القرن الثامن قبل الميلاد من خلال المستوطنين الإغريق الذين حملوا أبجديتهم معهم إلى وتلقفها الأتروسكيون (٧٩)، وطوروها واستخدموها في كتابة لغتهم، فالأبجدية الأتروسكية الأولى تتألف من ستة وعشرين حرفاً وتكتب كاليونانية الباكرا من اليمين إلى اليسار، ومن النماذج التي تركها الأتروسكيون حوالي ١٣٠٠٠ نقش معظمها عبارة عن شواهد قبور قصيرة دونت بالأبجدية الأتروسكية (٨٠).

اما اللغة الاومبرية وهي لغة الأقوام التي سكنت الشمال واكتشفت كلها تقريباً من « ألواح أجوفيوم » (Tabulae Iguviae) ، واجوفيوم هي بلدة جوبيو (Gubbio) الحديثة في إقليم أومبريا، وبعض هذه الألواح البرونزية مكتوب بالأبجدية الأومبرية وهي مقتبسة (عن طريق الأتروسكية) من اليونانية ، وأما بقية الألواح فمكتوبة بالأبجدية اللاتينية، المدون على هذه الألواح محضرة أعمال هيئة أو جماعة أخوية كهنوتية مختصة بالطقوس والعبادات، وهي شبيهة (بجماعة الأخوة الأرفاليس الرومانية) (٨١)، وفي الحضر قواعد تنظيمية لتطهير أجوفيوم تطهير دينية، وبعض قرارات إدارية أخرى، وتفوق ألواح أجوفيوم في شمولها ومضمونها وقدمها كل الوثائق الأخرى المتصلة بدراسة الديانة الإيطالية القديمة ، فضلاً عن كونها المصدر الرئيسي لمعرفتنا باللغة الأومبرية (٨٢).

قد اشتق الخط اللاتيني من اليوناني عبر اتروريا في القرن السابع قبل الميلاد، لقد أخذ الرومان من الخط الأتروسكي (ست وعشرون حرفاً) فقط (٨٣)، أصبح الخط اللاتيني في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد الخط الوحيد في الإمبراطورية الرومانية مع مرور الوقت (٨٤) .

خامساً: أدوات وطرق الكتابة عند الرومان

لا تختلف طرق الكتابة والتدوين لدى الرومان عما كان سائداً عند اليونانيين حيث كانت أهم مادة كتابية في العصور القديمة حتى القرون الأولى من العصر المسيحي هي ورق البردي ، الذي حصل عليه الإغريق من المصريين في وقت غير معروف والذي تسلمه الرومان بدورهم من اليونانيين ، وهي مصنوعة من اللب المضلع عمودياً لساق البردي المثلث، تمتلك مصر احتكاراً فعلياً لإنتاجها، كان يستخدم عادة في شكل لفات ، استخدم الرومان ورق البردي الخام المستخدم في الكتابة فسموه (شارتا) (Charta) وعنها أخذت كلمة (كارت) (Carte) أي خريطة، أما اللفائف البردي فقد أطلق عليها الرومان اسم (فولمن) (Volumen) ، التي تستعمل في وقتنا الحاضر للدلالة على أي جزء من الأجزاء المنفصلة للكتاب الواحد ، كما استعمل الرومان كلمة (توموس) (Tomus) في الدلالة على اللفافة السردية المكونة من سلسلة من الأجزاء الملصقة بعضها ببعض (٨٥) ، كان الرومان يستوردون كميات كبيرة من البردي إلى روما





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

ويصنعونها محليا ويبيعونها داخل وخارج روما مما غدت معه تجارة رابحة وصناعة رائجة (٨٦). كما تم استخدام جلود الحيوانات ، كان هناك نوعان رئيسيان: الرق ، المصنوع من جلد العجل ، والرق المصنوع من جلد الغنم أو جلد الماعز ، بعد ان كشط الجلد ثم يجفف ، فضلا عن كتب مصنوعة من قماش الكتان، كذلك المواد الأخرى التي كانت شائعة الاستخدام الملاحظات القصيرة والوثائق البسيطة عبارة عن قطع خزفية وقطع من الحجر (٨٧) ، كما استخدم الذهب في كتابة التماثيل والأحجية أما البرونز فقد خصص لكتابة الوثائق الهامة والنصوص الدينية مثل « قوانين الألواح الأثني عشر » (٨٨) ، فضلا عن ذلك استخدموا ألواح مختلفة (المصنوعة من الخشب والشمع ، والرصاص ، أو الأوراق الرفيعة) ، وأدوات (ملاعق الشمع ، وصناديق الختم ، والأحبار السوداء والحمراء) ومخبرة مفردة ومزدوجة (مصنوعة من العظام ، سيراميك ، زجاج ، فضة ، رصاص ، بيوتر ، أو جلد) ، و أقلام متنوعة (مصنوعة من القصب ، سبائك النحاس ، الفضة ، العظام ، والعاج) ، و مساطر العظام (تستخدم لتنعيم أقراص الشمع) و حقائب جلدية محمولة لأدوات الكتابة (٨٩).

استخدم المؤلفون الرومان المجلدات أيضاً للحفاظ على عملهم معاً ويتنسيق آمن، عادةً ما يأخذون أوراقهم ويلصقونها معاً جنباً إلى جنب ، مما يجعل ورقة طويلة جداً يمكن أن تحتوي على جميع المعلومات في مكان واحد دون الحاجة إلى التنسيق النموذجي لكتاب، يحتوي كل مجلد بعد ذلك على عنوان الكتاب المضاف على ورقة أخرى بالخبر الأحمر ويتم وضع كلاهما داخل حقيبة تخزين أرجوانية ، تُعرف أيضاً باسم «toga» (٩٠)، تم العثور على الخبر بين الرومان لأول مرة عند شيشرون وبلوتوس ، يذكر بليني طريقة صنع الخبر « لقد تم صنعه من السخام بطرق مختلفة ، مع راتينج أو قار محترق ولهذا الغرض ، قاموا ببناء أفران لا تسمح للدخان بالخروج ، والأكثر جودة يتم صنعه من خشب الصنوبر » كان هناك أيضاً خبر أحمر باهظ الثمن يستخدمه الإمبراطور لكتابة توقيعه (٩١).

سادساً : أهم المؤرخين الرومان (٥٠٠ ق. م - ٢٠٠م)

ورث الرومان التاريخ اليوناني لأفهم ورثوا عناصر أخرى من الثقافة اليونانية ، مدركين لمكانتها ويقلدونها من بعض النواحي ، لكنهم حتماً يمنحونها بصمة مزاجهم المختلف تماماً ، تأتي المصادر لتاريخ البحر الأبيض المتوسط القديم في مجموعة متنوعة من الأشكال، نقوش تسجل الأحداث الهامة ، والبقايا الأثرية المتبقية وأجزاء البردي على سبيل المثال، لكن بعض أفضل المعلومات الباقية لدينا تأتي مباشرة من المصادر الأدبية والتاريخية ، حين ان المؤرخون القدماء الذين سجلوا الأحداث التاريخية ، بعضهم أكثر دقة من البعض الآخر، تظل الأعمال المنسوبة إلى هؤلاء المؤرخين القدماء مصدراً رئيسياً للمعلومات للعلماء وعشاق التاريخ القديم العارضين على حد سواء، فيما يلي تسعة من أهم المؤرخين الرومانيين من العصور القديمة.

١. بوليبيوس (Polybius) (٢١٠ - ١٢٨ ق. م)

ولد بمدينة ميغالوبوليس (Megalopolis)، إحدى مدن أركاديا (Arcadie باليلوبونيز جنوبي بلاد اليونان ، كان أبوه ليكورتاس (Lycotas) قطباً سياسياً مهماً ، لذلك تلقى أفضل تربية ممكنة، وبدأ الاشتغال بالسياسة في سن مبكرة منذ احتدام النزاع بين العصبة الأخية والرومان (٩٢).

علاقته مع القادة الرومان كانت وطيدة وهم الذين شجعوه على كتابة تاريخه، بالإضافة إلى اطلاعه على السياسة الرومانية وكذلك أهله لمهمة المؤرخ خبرته السياسية والعسكرية الواسعة، وسهولة رجوعه إلى السجلات الرسمية والتاريخية في بلاد اليونان وروما، فضلاً عن معرفته الوثيقة بالشخصيات مما جعله ينال تلك المكانة الكبيرة بذلك جمع بين التاريخ والسياسة مما جعله ينال تلك المكانة الكبيرة لدى الساسة الرومان (٩٣). فقد عدد من أعمال بوليبيوس، وهي قصة حياة فيلوبومين (Life Philopomena)، وبحث عن الخطط العسكرية (Treatise on Tactics)، وتاريخ الحرب النومانتيّة (History of the Numantine War)، أثقن بوليبيوس اللاتينية إلى جانب لغته اليونانية الأصيلة ، وألف كتابه التواريخ باللغة اليونانية، ولم يبق سواه ، و هو التاريخ العالمي (the Universal





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

UHistory سليما، فكتبه الأربعون تسرد قصة غزو روما للعالم منذ بداية الحرب البونية الثانية في ٢٢١ حتى الاستيلاء على كورينثوس ١٤٦ (٩٤) .

٢. سالوست (Sallust) (٨٦ - ٣٥ ق.م)

مؤرخاً وسياسياً رومانياً من عائلة إيطالية عامة، معروف أيضاً باسم كايوس سالوستيوس كريسبوس **Gaius Sallustius Crispus** ((أول عضو في مجلس الشيوخ في عائلته (٩٥)، وأحد مصممي الأدب اللاتينيين العظماء، اشتهر بكتابه السردية التي تتناول الشخصيات السياسية والفساد والتنافس الحزبي (٩٦)، على الرغم من وجود بعض الإشارات إلى الأحداث السابقة، إلا أن تاريخه (تاريخ روما)، الذي لم يتبق منه سوى مقتطفات، يغطي في الغالب التاريخ الروماني من ٧٨ قبل الميلاد إلى حوالي ٦٧ قبل الميلاد، يوضح أسلوبه احترامه للمؤرخ اليوناني ثوسيديدس (٩٧) .

ومن بين مؤلفات سالوست كتاب حرب يوغرطة (**Bellum Jugurthinum**) ويشتمل على مقدمة فلسفية ثم ترجمة لشخصية الملك النوميدي واستيلائه على السلطة في مملكة نوميديا، ولقد استفاد سالوست من فترة وجوده في أفريقيا إذ توافرت لديه مصادر أدبية ممتازة كان من بينها ترجمات عن اللغة البونية، وخلال عرض سالوست لهذا الموضوع ألقى الضوء على فساد الحزب الأرستقراطي وارتشائهم وندد بأخلاقهم وعدم كفايتهم، ومع أهمية هذا المصدر عن حرب يوغرطة إلا أنه يجب استخدامه بشيء من الحذر لأنه كان شديد الانغماس في السياسة فلم يسلم من التحيز فضلاً عن افتقاره إلى التسلسل الزمني والمعلومات العسكرية والجغرافية (٩٨) .

٣. تيتوس ليفيوس ((Titus Livius (٥٩ ق.م - ١٧ م)

مؤرخ روماني كبير بل وأشهر من أرخ للعصر الجمهوري، الذي عاش سنواته الأخيرة وأحداثه الكبرى التي أدت إلى قيام النظام الإمبراطوري الروماني، ولد في بلدة بتافيوم (**Patavium**) في شمالي إيطاليا، ونشأ في أسرة نبيلة محافظة تقلد عدد من أبنائها مناصب رفيعة (٩٩) كان ليفي فريداً بين المؤرخين الرومان لأنه لم يلعب أي دور في السياسة (١٠٠) . كتب بعض الحوارات الفلسفية التي فقدت، اشتهر بتأليف كتابه الوحيد الموجود ببعض أجزاءه (تاريخ روما) مبتكر فكرة كتابة تاريخ روما منذ نشأتها الأولى، معتمداً على من سبقوه من المؤرخين، وعلى الجمع بين السجلات التي حفظت مراحل تاريخ روما المبكر وإدماجها كلها في مؤلف واحد، وقد تغنى ليفيوس - في أسلوب يحاكي أسلوب خطباء الإغريق - بمفاخر الجمهورية الرومانية (١٠١)، وقد وضع خطة كتابه على أساس واسع عظيم، وقدر له أن يتمه وإن لم يصل من «كتبه» البالغة مائة واثنين وأربعين كتاباً إلا خمسة وثلاثون، أي الكتب من ١ - ١٠ ومن ٢١ - ٤٥، ووجدت بعض الأجزاء أو المقتطفات من الكتب المفقودة (١٠٢) .

٤. فلافيوس جوزيفوس (Flavius Josephus) (٣٦ - ١٠٠ م)

ولد تيتوس فلافيوس جوزيفوس ترعرع في مدينة القدس، وأصبح مؤرخاً يهودياً في القرن الأول الميلادي. كان أحد أفراد أسرة كهنوتية في القدس من جانب أبيه، وكانت والدته من أصل ملكي (حشمونيم). تلقى تعليمه في القدس عمره حمل على عاتقه اكتساب الخبرة في كل من المدارس الفلسفية، تحديداً تلك الخاصة بالفريسيين (١٠٣) . والصديقين (١٠٤) (١٠٥)، فقد جسدت مؤلفات يوسفوس فكرة شمولية اتجاهاته المعرفية وانفتاحه على دراسة النصوص الدينية التوراتية والغوص في متنها، كما يتضح من قوله: «ففي مؤلفي عن الآثار اليهودية القديمة تمت بالترجمة عن كتبنا المقدسة حيث انني حبر ومنحدر من سلالة أحبار، فإنني على دراية بهذه الكتب وعلى معرفة بفلسفتها» (١٠٦) فقد ألف كتاب الحروب اليهودية (**Jewish Wars**) يتكون من سبعة أجزاء، كتبه يوسفوس في نهاية عام ٧١م (١٠٧)، وكتاب العاديات اليهودية المعروف بـ (العهد اليهود القديم) مستعرضاً فيه تاريخ اليهود من الخلق إلى اندلاع الثورة الكبرى في أورشليم عام ٦٦م (١٠٨)، وهو يتألف من عشرين كتاباً، أما كتاب ضد أبيون كان تلخيصاً دقيقاً لعمله الضخم (الآثار اليهودية القديمة) وجاء كردة فعل على الهجمات التي شنت على اليهود من قبل (أبيون) - المؤرخ المصري الاسكندر - الذي ناصبهم العداء (١٠٩) .





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

٥. بليني الأكبر (Elder Pliny the) (٢٣ م - ٧٩ م)

جالوس بيلينيوس سيكوندوس (Secundus Plinius Gaius)، أو بليني الأكبر (Elder Pliny the) ولد سنة (٢٣ م) في كوموم على بحيرة كومو (Como) شمال إيطاليا عائلته من طبقة الفرسان (١١٠)، كان مؤلف روماني، وفيلسوف طبيعي وعالم موسوعي، وقائداً في بحرية جيش الإمبراطورية الرومانية المبكرة وحاكم مقاطعة وصديقاً شخصياً للإمبراطور فيسباسيان (حكم ٦٩-٧٩ بعد الميلاد) وابنه تيتوس (١١١)، كان عضواً في نظام الفروسية، وهو قسم من النخبة الرومانية في المرتبة الثانية بعد ترتيب مجلس الشيوخ في المكانة الاجتماعية (١١٢)، كان بليني رجل ذا كتابات قيمة لقد وجد دائماً وقتاً للقراءة والكتابة وجمع المعلومات خلال مسيرته المهنية المزدهرة، قام بتدوين ما لاحظته أو سمعه أو قرأه في كتاباته الواسعة النطاق حول العلوم العسكرية، والخطابة، وقد ضاعت جميعها، لكن نجاة عمله الرئيسي (التاريخ الطبيعي)، الذي نُشر الجزء الأكبر منه بعد وفاته (١١٣)، والمستمدة من ١٠٠ كتاب، بالاعتماد على كثير من الملاحظات والتي أضاف لها الكثير من تلقاء نفسه (١١٤).

٦. المفرخ بلوتارخ (Plutarch) (٤٥-١٢٥ م)

لوكيوس مستريوس بلوتارخوس (Lucius Mestrius Plutarchus) فيلسوف ومؤرخ روماني (من اصل يوناني) ولد في مدينة خيرونيا أو شارونة (Chaeronea) في بوبوتيا (Poeotia)، في عام ٤٥ م في عصر الامبراطور كلوديوس (Claudius) (٤١ م - ٥٤ م) اشتهر في كتب المقالات والسير (١١٥). استطاع بلوتارخ تأليف العديد من الكتب للحوادث والأفكار والذكريات، لكن هناك مؤلفات لاتستحق الذكر لأنها فلسفة عامية نتجت عن كبر سنه، اما المؤلفات المهمة فكتابه الموازنات أو المقابلات بين سير العظماء أراد بها المقارنة بين عظماء الرومان ومن يقابلهم من عظماء اليونان (١١٦)، كما كتب مؤلف عن التنظيم السياسي اسماءه (عهد تراجان) (١١٧). فقد ألف كتاب عن مصر اطلق عليه (ازيسواوزير) هو عبارة عن مجلد يناقش فيه الديانة المصرية القديمة (١١٨)، كما كتب (الموراليا) حول الموضوعات الأخلاقية والدينية والجسدية والسياسية والأدبية، وتصل إلى أكثر من ٦٠ جزء تُصوّر بشكل أساسي في شكل حوارات أو كتابات (١١٩).

٧. كورنيليوس تاسيتوس (Cornelius Tacitus) (٥٥-١٢٠ م)

بويليوس كورنيليوس تاسيتوس مؤرخاً رومانياً نشطاً طوال فترة حكم تراجان (٩٨-١١٨ م) والسنوات الأولى من هادريان (١١٧-١٣٨ م)، على الرغم من أن أعمال تاسيتوس تحتوي على ثروة من المعلومات حول المجتمع الذي عاش فيه، إلا أن تفاصيل حياته الخاصة نادرة، ما لا يعرفه الكثير يأتي من التلميحات المتناثرة في جميع أنحاء مجموعة أعماله، ورسائل صديقه و معجبه بليني الأصغر (١٢٠). على الرغم من أنه كان ينتقد بشدة الأباطرة، إلا أن أعماله ما زالت تكشف عن ولاء وتقاني للإمبراطورية، ومع ذلك، غالباً ما يتم انتقاده بسبب معاملته المثيرة للجدل للتاريخ العسكري. أعماله الباقية هي: أجريكولا (Agricola) وجرمانيا (Germania) حوار في الخطابة ((Dialogue on Oratory)) التواريخ (Histories) والحوليات (Annals) (١٢١).

٨. آريانوس النيقوميدي (Flavius Arrianus) (٩٥-١٧٥ م)

سمي آريانوس النيقوميدي نسبة إلى مدينة نيقوميديا الساحلية (Nicomedia) (١٢٢) عاصمة مدينة بيثينيا (Bithynia)، التي وُلد وترعرع فيها (١٢٣)، لم تكن المدينة قديمة مثل المدن اليونانية، فقد بُنيت عام ٢٧٤ ق.م واشتهرت بجمالها، اسمه لوسيسوس فلافيوس آريانوس زينوفون (١٢٤)، وفي المصادر الإنكليزية آريان (Arrian) (١٢٥)، وهو روماني (ذو أصول عرقية يونانية)، من عائلة أرستقراطية، ولد في نهاية القرن الأول الميلادي سنة (٩٥-١٧٥ م)، ويذكر بعض المؤرخين أنه عاش خلال المدة (٨٦-١٦٠ م) (١٢٦)، لكن من خلال تعيينه كاهناً للآلهة ديميترا (١٢٧)، أطلق عليه الأثينيون الشاب زينوفون أو زينوفون الصغير أو الجديد (١٢٨)، اما اهم مؤلفاته فهي:

الانباسة أو الحملة العسكرية ((Anabasis of Alexander the Great)، انديكا (The Indica) الطواف





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

حول البحر الأسود ((Periplus of the Euxine Sea، بيثينيكيا (Bithynica)، بارثيكا (Parthica)، ترتيب المعركة ضد الانون (١٢٩) (Ektaxis kata Alanon)

١. كاسيوس ديو (Cassius Dio) (١٥٠-٢٣٥ م)

لوسيوس كاسيوس ديو كوكايانوس (Lucius Claudius Cassius Dio Cocceianus) ولد في نيقية في بيثينيا، كاتباً ومؤرخاً وقنصلاً عضواً في مجلس الشيوخ الروماني تم ترفيقه إلى منصب الرئاسة من قبل بيرثيناكس (١٣٠). قبل أن يكتب عمله عن تاريخ روما أهدى كاسيوس ديو للإمبراطور سجلاً عن أحلام ومعجزات مختلفة قد تنبأت بارتقائه على العرش، يعد مؤلفه الشهير تاريخ روما (Romaika) الذي كتبه باليونانية وأنفق في تأليفه أكثر من عشرين سنة قمة إنجازاته التاريخية في الحجم والامتداد الزمني، فقد تضمن هذا العمل ٨٠ كتاباً، وامتد تاريخياً منذ تأسيس روما الأسطوري على أيدي أحفاد الأمير الطروادي إينياس حتى عهد الإمبراطور اسكندر سيفيروس، ومما يؤسف له ضياع قسم كبير منه (١٣١)، قد أثر عليه الطابع اللاتيني فقد كان أوضح من مثله الأعلى ثوكيديدس، وقصصه تظهر أسلوب جندي وسياسي خبير (١٣٢).

المصادر والمواضع:

(١) Enos, Richard Leo, Ancient Greek Writing Instruction and Its Oral Antecedents (١٤th Edition, Routledge) (٢٠٢٠)، ١٤.p

(٢) التونجي، محمد؛ الأستر، راجي، المعجم المفصل في علوم اللغة - الألسنيات (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م) ج ١، ص ٥٠٣
(٣) نظام تشير أشكاله إلى مقاطع صوتية متكاملة بذاتها. ينظر: القاضي، هشام بن صالح، أنظمة الكتابة: النظرية وإشكالية التصنيف (بحث منشور في مجلة اللسانيات العربية، ٢٠١٨ م) ص ١٥٨.

(٤) المسلمان، عبد الله، مجموعة باحثين: نقد الحضارة العربية (تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق. م) (كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠٢٠ م) ج ١، ص ١٤٥.

(٥) كريت (Crete): تعد كريت أكبر الجزر الإغريقية حجماً، وكانت في وقت من الأوقات أكثرها أهمية من حيث تأثيرها. وتكون، بطولها الذي يبلغ مائة وستين ميلاً من الشرق إلى الغرب وعرضها الذي يبلغ في أقصى حد له خمسة وثلاثين ميلاً، إلى حد ما، حاجر يغلق بحر إيجة من الجنوب، وتجري سلسلة من الجبال عبر طولها مثل العمود الفقري، ويختلف كل جانب من جانبيها في وضعه إلى حد ما. وقد ازدهرت الجزيرة وطورت ما يسمى الحضارة المنيوية. لمزيد من التفاصيل، ينظر: ديفالبي، بير، آخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، تر: أحمد عبد الباسط (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢ م) ج ٢، ص ١٧٨-١٧٩.

(٦) مصطفى، محمود درويش؛ إبراهيم السايح: مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (حضارة اليونان) (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨/١٩٩٩ م) ص ٨.

(٧) الحفار، نبيل: الموسوعة العربية (اليونان)، المجلد ٢٢، ص ٦٢٩.

(٨) فردريش، يوهانس: تاريخ الكتابة، تر: سليمان أحمد الظاهر (دمشق، مطابع الهيئة السورية للكتاب، ٢٠١٣ م) ص ١٠٣.
(٨) مدينة يونانية محصنة من أواخر العصر البرونزي تقع بين تلين في سهل أرجوليد في بيلوبونيز باليونان، تقع على تل صخري (ارتفاع ٤٠-٥٠ متراً) وتتحكم بالسهل المحيط حتى البحر على بعد ١٥ كم، احتفل بها هوميروس ووصفها بأنها «ذات شارع واسع» و«ذهبية» لمزيد من التفاصيل ينظر:

٦. Britannica, The Editors of Encyclopaedia: «Mycenae». Encyclopedia Britannica September ٢٩ https://www.britannica.com/place/Mycenae. Accessed. ٢٠٢٠. Feb ٢٠٢٢.

Cartwright, Mark. «Mycenaean Civilization.» World History Encyclopedia. Last modified October ٠٢, ٢٠١٩. https://www.worldhistory.org/Mycenaean_Civilization/.

(١١) المسلمان، عبد الله، وآخرون: نقد الحضارة العربية (تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق. م) (كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠٢٠ م) ج ١، ص ٤٥.

(١٢) تقع المدينة على طول الزاوية الجنوبية الشرقية لخليج خانيا وتحتل عنق شبه جزيرة أكروثيري المنخفضة أقصى الشرق من كيدونيا القديمة، كانت المنطقة مأهولة بالسكان منذ العصر الحجري الحديث وكانت مركزاً للحضارة المنيوية. لمزيد من التفاصيل، ينظر:

٢٩. Britannica, The Editors of Encyclopaedia: «Chaniá». Encyclopedia Britannica September ٢٨ https://www.britannica.com/place/Chania. Accessed. ٢٠١٤. Sep ٢٠٢٢.

(١٣) بيلوس (Pylos) مدينة هامة من العصر البرونزي الميسيني تقع في منطقة ميسينيا (اليونان) يقع الموقع على تل أنو إنجليانوس





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

ويحتوي على أكبر مجموعة من الألواح الخطية B في البر الرئيسي وهي أفضل مركز فخم تم الحفاظ عليه من الحضارة الميسينية. لمزيد من التفاصيل. ينظر :

Macquire.Kelly. «Pylos». World History Encyclopedia. Last modified October ٠٦.٢٠٢٠. <https://www.worldhistory.org/Pylos>.

(١٤) طيبة، اليونانية الحديثة (ثيفا) (وسط اليونان) تقع المدينة شمال غرب أثينا (أثينا) وكانت إحدى المدن والقوى الرئيسية لليونان القديمة، كانت طيبة مقراً للملك الأسطوري أوديب وزوجته وأمه، وأولاده وموقع معظم المآسي اليونانية القديمة - ولا سيما أسخيلوس وسوفوكليس وأوديب الملك وأنتيجون. لمزيد من التفاصيل. ينظر :

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. «Battle of Nemea». Encyclopedia Britannica. 23 Mar. 2016. <https://www.britannica.com/event/Battle-of-Nemea>. Accessed 29 September 2022.

((Feuer, Bryan : Mycenaean Civilization: An Annotated Bibliography through (١٥) (McFarland & Company, Inc., Publishers Jefferson, North Carolina, and London 2002) p.126.

((Woodard, D. Roger : Greek Writing from Knossos to Homer: A Linguistic Interpretation of the Origin of the Greek Alphabet and the Continuity of Ancient Greek Literacy (Oxford, Oxford University press, 1977) p.5.

(١٧) مصطفى : المصدر نفسه ، ص ٩.

(١٨) بدوى : الحياة الاجتماعية في العصر اليوناني ، ص ٥٦.

(١٩) ديفالبييه : المصدر نفسه ، ج ٢، ص ١٧٢ .

(٢٠) الحفار : المصدر نفسه ، ص ٦٣٠.

(٢١) لمزيد من التفاصيل ينظر : فردريش ، المصدر نفسه ، ص ١٦١ - ١٦٦.

(٢٢) يسمى «نقش زهرية دييلون» من أثينا (العصر الهندي المتأخر ، حوالي ٧٤٠ - ٧٣٠ قبل الميلاد) هورما يكون أقدم نص أبجدي يوناني مفهوم، محفور على إبريق نيل تم العثور عليه في أثينا عام ١٨٧١ ، بالقرب من مقبرة كيراميكوس القديمة. ينظر :

Filos , Panagiotis : «Dipylon Vase Inscription» (Brill Encyclopedia of Ancient Greek Language and Linguistics I, Leiden-Boston; 2014) p. 499

(٢٣) خليفة، شعبان عبد العزيز : الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م) ، ص ٥٠.

(٢٤) ديموس ينيس ديموستين : قائد عسكري أثيني. شارك في الحرب البيلوبونيسية بين أثينا واسبارطة (٤٣١ - ٤٠٤ ق.م). انتصر على الإسبارطين في موقعتين اثنتين، وفي عام ٤١٣ ق.م. عهد إليه بالتوجه إلى سيراكوسة لتعزيز القوات الأثينية المحاصرة لتلك المدينة ، فوقع في الأسر وأعدم. ينظر : بابي، عزيزة فوال : موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالمين) (بيروت ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م) ج ٢، ص ٢٣١

(٢٥) الحفار : المصدر نفسه ، ص ٦٣٠.

(٢٦) رمضان ، غادة محمد ، الكتب اليونانية والرومانية في العصور القديمة (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الإسكندرية قسم المكتبات والمعلومات في القاهرة لسنة ٢٠٠٣ م) ص ٢٦.

(٢٧) الحفار : المصدر نفسه ص ٦٣١.

(٢٨) وهو حجر البازلت الأسود وتم النقش عليه بالكتابة الهيروغليفية واليونانية ويتضمن ٥٤ سطر لوح حجري ، عُثر عليه في عام ١٧٩٩ بالقرب من رشيد ، يحمل نقوشاً متوازية باليونانية ، والهيروغليفية المصرية ، مما يجعل من الممكن فك رموز الهيروغليفية المصرية القديمة. لمزيد من التفاصيل ينظر : ألفرد ، إرنست ، وليس بدج : حجر رشيد وكشف أسرار اللغة المصرية ، تر : هشام كمال الدين الحناوي (القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٥م)

(٢٩) رمضان ، المصدر نفسه ، ص ٢٦.

(٣٠) برستيد ، جيمس هنري : فجر الضمير ، تر : سليم حسن (المملكة المتحدة ، مؤسسة هندواي ، ٢٠١٤) ص ٢٠١

(٣١) جاكسون ، دونالد : تاريخ الكتابة ، تر : محمد علام خضر (دمشق : وزارة الثقافة) ، ص ٢٦.

(٣٢) من مواد الكتابة في العصور القديمة وكذلك النبات الذي اشتق منه ، (Cyperus papyrus هو نبات مائي يشبه العشب وله سيقان خشبية مثلثة الشكل وينمو حتى ارتفاع ٤,٦ متر (حوالي ١٥ قدماً) ، ان الورق المصنوع من ورق البردي مادة الكتابة الرئيسية في مصر القديمة ، وقد تنبأ الإغريق ، واستخدم على نطاق واسع في الإمبراطورية الرومانية ، تم استخدامه ليس فقط لإنتاج الكتب (في شكل لفائف) ولكن أيضاً للرسائل والوثائق القانونية . لمزيد من التفاصيل ينظر :

١٣, Britannica, The Editors of Encyclopaedia. «papyrus». Encyclopedia Britannica





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

- Oct ٢٠٢٢. <https://www.britannica.com/topic/papyrus-writing-material>.
- (٣٣) خالد، سعيد محمد : أدب الكتابة وفنونها (عمان ،الجنادرية للنشر والتوزيع ،٢٠١٥م) ص ١١- ١٦ .
- (٣٤) خربة قصران او مدينة الملح تحتوي على الكثير من الأبنية الأثرية حيث يتكون من قصر رئيسي وأجنحة ومقابر ،وجد فيها الكثير من موائد الكتابة حيث اخابر المصنوعة من البرونز وبقايا ناشقة من الحجر الأسود . لمزيد من التفاصيل . ينظر : رستم ،اسد : مخطوطات البحر الميت ومخطوطات قصران (ط ٢، بيروت ، منشورات المكتبة البوليسية ، ١٩٩٠م) ص ١٧ وما بعدها .
- (٣٥) خليفة ،شعبان عبد العزيز : الكتب والمكتبات في العصور القديمة (القاهرة ،الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٧ م) ص ١٦٨
- (٣٦) رمضان : المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
- (٣٧) جاكسون : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
- (٣٨) Kidd ,Stephen :Written Greek but Drawn Egyptian: Script changes in a bilingual dream papyrus(Brown University:2013) p.241
- (٣٩) الغاب أو البوص : نبات يستخدم وهو مزهر كاشارة على الوجه القبلي في مصر القديمة، كما استخدم في بناء مساكن فقراء ، وكان كثير الانتشار في اراضي الدلتا وعمل منه الأثاث كالسلال ، فضلا عن السهام، وأتابيب للنفخ في كور الصائغ ، والبراع المثقب ، والأقلام ، والحرايب . ينظر : حسن ،سليم : موسوعة مصر القديمة (القاهرة ،مؤسسة هنداوي ،٢٠١٢م) ج ٢، ص ٧٠ .
- (٤٠) خليفة : الكتب والمكتبات في العصور القديمة ، ص ١٨٥ .
- (٤١) جاكسون : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
- (٤٢) دال ،سفند : تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر (القاهرة ،المؤسسة القومية للنشر ،١٩٥٨م) ص ٢٦ .
- (٤٣) خالد : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
- (٤٤) Kidd ,Stephen ,OP.cit. p.242
- (٤٥) دال : المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
- (٤٦) Longman,Rrown,The Archaeological Journal,V.22 (The Archaeological Institute of Great Britain and Ireland:1865) p136
- (٤٧) يفانبييه : المصدر نفسه ، ج ٢، ص ١٧٦ .
- (٤٨) حسب الله ،السيد ؛ غندور ، محمد جلال : تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية (الرياض ،دار المريخ للنشر والتوزيع ،١٩٩٩م) ص ١٠٦ .
- (٤٩) ديفانبييه : المصدر نفسه ، ج ٢، ص ١٧٦ .
- (٥٠) خالد : أدب الكتابة وفنونها ، ص ١٣ .
- (٥١) حسب الله ، غندور : المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
- (٥٢) الخلوحي ،عبد الستار : لغات من تاريخ الكتب والمكتبات (القاهرة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،١٩٨٨م) ص ٧٠ .
- (٥٣) حسب الله ؛ غندور ،المصدر نفسه ، ص ١٠٥
- (٥٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
- (٥٥) هاليكاناسوس : مدينة تقع في إقليم كاريا باردن ، في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى (غرب الأناضول حاليا) ، كانت إحدى المستعمرات اليونانية قبل أن تخضع للسيادة الأخمينية ، اتخذها الملك اليوناني القديم (بازول) ٣٣٧ ق. م عاصمة لمملكته . ينظر : خدشي ، جلال عبده : عجائب الدنيا السبع (القديمة - الحديثة - المستقبلية - المرشحة) (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) ص ٢٦ .
- (٥٦) هيرودت : تاريخ هيرودت ، تر: عبد الإله فلاح (أبو ظبي ، المجمع الثقافي ٢٠٠١م) ص ٢٠ .
- (٥٧) جميل ، فؤاد : هيرودتس في العراق (بحث ضمن كتاب بلاد النهرين في الكتابات اليونانية والرومانية) (ط ١ ، بيروت ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٥ م) ص ١١ .
- (٥٨) باقر ، طه : المقدمة في تاريخ الحضارات ، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين (بغداد ، منشورات دار البيان ، ١٩٨٦م) . ج ١، ص ١٢٥ .
- (٥٩) الأحمد ،سامي سعيد : العراق في كتابات اليونان والرومان (بحث منشور في مجلة سومر ، م ٢٦ ، بغداد ، ١٩٧٠م) ، ص ص ١١٣-١١٦ .
- (٦٠) السقسطانية : مذهب فكري فلسفي نشأة في اليونان خلال القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد لمزيد من التفاصيل ينظر :عبد الغني ،عباس : الموجز في المسرح الاغريقي (الموصل ،صفحات للدراسات والنشر ،٢٠١٤م) . ص ٧٩
- (٦١) ديفانبييه : المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٦٣
- (٦٢) المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٦١
- (٦٣) الزيات ، أحمد حسن : مجلة الرسالة (تاريخ توكيديلس) (المكتبة الشاملة) ع ٩١١، ص ٢٦ .
- (٦٤) Gomme,Arnold Wycombe: Thucydides (Greek historian) Encyclopedia Britannica
- <https://www.britannica.com/biography/Thucydides-Greek-historian>
- (٦٥) ديفانبييه : المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٦٣ .





نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

- (٦٦) Hornblower, Jane; Hieronymus of Cardia, (Oxford Classical and Philosophical Monographs) Oxford University Press (١٩٨٢), p. ٦.
- (٦٧) تارن، وليم وورد ثورب : الحضارة الهلنستية ، تر : عبد العزيز جاويد (ط ١ ، القاهرة ، وكالة الصحافة العربية ، ٢٠١٥ . م) ص ٢٦٤ .
- (٦٨) Meens, Alexander : Hieronymos of Kardia (The Encyclopedia of Ancient History) (٢٠١٢), p. ٣٢١٤.
- (٦٩) الزين محمد : بوسيدونيوس (الموسوعة العربية) ٥٤١ ص ٥٤١
- (٧٠) عاصمة مملكة تورانيون أو بونتوس (Pontos) على الساحل الجنوبي للبحر الأسود . ينظر : الزين ، سليمان بن عبد الرحمن الزين ، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ٢٠١٥ م) ص ٣٤ .
- (٧١) https://www.britannica.com/biography/Strabo. Accessed ٢٠٢٢ December ٤ Lasserre, François: «Strabo». Encyclopedia Britannica, Feb ٨, ٢٠١٩. Accessed ٢٠٢٢ December ٤
- (٧٢) بايتي : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
- (٧٣) Sly, I. Dorothy : Philo's Alexandria (London, Routledge (١٩٩٦), pp. ٥-٤ .
- (٧٤) بيطار سوسن : الموسوعة العربية ، فيلون السكندري (لحو ٣٠ ق. م . ٥٠ م) ص ١٥٠ .
- (٧٥) Sly, I. Dorothy, Philo's Alexandria, p. ٨.
- (٧٦) غزوان ، معتز عناد ، روبدة فيصل موسى : تاريخ الطباعة والتصميم في الحضارات القديمة (بحث منشور في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، ٢٩ ، ع ٩ ، لسنة ٢٠٢١) ص ٣٠٠ .
- (٧٧) قناع الموت (قالب من الشمع أو الجبس) يشابه وجه الشخص بعد وفاته ، وعادة ما يتم صنعه عن طريق أخذ قالب أو الطباع من الخنة . وهي غالبا تذكارا للموتى ، أو تُستخدم لإنشاء صور شخصية ، من الممكن في بعض الأحيان التعرف على الصور التي تم رسمها من أفعلة الموت بسبب التشوهات الطفيفة المميزة للسمات التي يسببها وزن الجص أثناء صنع القالب . ينظر :
- Wallechinsky, David : The People's almanac (New York, Bantam, 1978) p 1189
- (٧٨) Raaflaub, A. Kurt : Thinking, Recording, and Writing History in the Ancient World (edition first, USA, wiley-blackwell, 2014) p. 257
- (٧٩) الأثروسيون وفدو إلى إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد واستوطنوا في المنطقة المحصورة بين نهر التير وهر الارنو وعرفت هذه المنطقة باسم ارتوريا واخذوا يتوسعون وسيطروا على معظم الأراضي الإيطالية . ينظر : علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ الروماني ، تقديم وتحقيق : إحسان حلاق (ط ١ ، بيروت ، دار النهضة للنشر والتوزيع ، ٢٠١١ م) ص ٣٧-٣٨ .
- (٨٠) خليفة ، شعبان عبد العزيز : الخطوط والأبيديا في دائرة المعارف العربية في علوم المكتبات والمعلومات (١٩٩٩) ص ٥١٥ .
- (٨١) من الآثار الرومانية ، كلية أو كهنوت ، يتألف من اثني عشر عضواً ، يتم انتخابهم مدى الحياة من أعلى الرتب في روما ، وعلى ما يبدو دائماً خلال الإمبراطورية ، بما في ذلك الإمبراطور ، كان واجبه الرئيسي الاحتفال في شهر مايو بمهرجان للرقصات والصلوات وتقديم تضحيات عامة سنوية من أجل خصوبة الحقول . لمزيد من التفاصيل ينظر :
- Coleman-Norton, Paul Robinson ; Bourne, Frank ; Johnson, Allan Chester Card : Ancient Roman Statutes (New Jersey, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data (٢٠٠٣), p. ٢٨٥ .
- (٨٢) علي : المصدر نفسه ، ص ٤١ .
- (٨٣) خليفة ، شعبان عبد العزيز : البيلوجرافيا أو علم الكتاب (دراسة في أصول علم البيلوجرافيا وتطبيقاتها) (ط ١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩ م) ص ١٠٧ .
- (٨٤) خليفة : المصدر نفسه ، ص ٥١٦ .
- (٨٥) دال : المصدر نفسه ، ص ١٢-١٣ .
- (٨٦) خليفة : البيلوجرافيا أو علم الكتاب ، ص ٣٠ .
- (٨٧) A. P. Montague: Writing Materials and Books among the Ancient Romans (American Anthropologist, Oct., 1890, Vol. 3, No. 4 (Oct., 1890) Published by: Wiley on behalf of the American Anthropological Association, p333
- (٨٨) دونت القوائين في اثني عشر لوحا (Leges XII Tabularum) في ٤٥١ - ٤٤٩ ق. م. متضمنة قواعد عرفية بعضها كتب لأول مرة وبعضها الآخر جديد كان جانب منه . متقولاً عن أثينا ، وكانت المدونة - على حد تعبير المؤرخ تاكيوس بعد ذلك بفترة طويلة - هي «اكتمال المساواة في الحقوق» . لمزيد من التفاصيل ينظر : علي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ وما بعدها .



نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

Stoykovich, C. Eric : Writing and Power in the Roman World: Literacies and Material Culture ,Volume 4,Issue 2 (USA ,Cambridge University Press,2018)pp. 27-30 (٨٩)

Rojas,Grace Ancient Roman Writing Tools(An article published on the Age of Empires website on January ٢١,٢٠٢٢) (٩٠)

Smith,William: A Dictionary of Greek and Roman Antiquities (London,1875) p 170-171 (٩١)

(٩٢) ديفالبييه : المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٨٢

(٩٣) حدة ،قادري : بوليبوس مؤرخ الحروب البونية (بحث منشور في أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ،م.٢، ع ١، لسنة ٢٠٢٠ م) ص ص ١٣٧-١٣٨ .

(٩٤) ديفالبييه: المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .

(٩٥) Ring, Abram ,Sallust

Classics – Oxford Bibliographies (22 AUGUST 2019) from <https://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780195389661/obo-9780195389661-0110.xml>

Britannica,The Editors of Encyclopaedia. «Sallust». Encyclopedia Britannica, (3 Apr. 2018) <https://www.britannica.com/biography/Sallust>. Accessed 1 April 2022 (٩٦)

Wasson,D. L. Sallust. World History Encyclopedia. (2020,October 19). from <https://www.worldhistory.org/Sallust> (٩٧)

(٩٨) حجازي ،عبد العزيز عبد الفتاح : روما وأفريقيا (القاهرة ،مكتبة الانجلو مصرية ،٢٠٠٧م) ص ١٠

(٩٩) الزين ،محمد : تيتوس ليفيوس (الموسوعة العربية) م ٣٣٦، ١٧

(١٠٠) Ogilvie ,Robert Maxwell : «Livy». Encyclopedia Britannica (Jan ١ ,20٢٢) <https://www.britannica.com/biography/Livy>

(١٠١) ياغي ،اسماعيل أحمد محمد : مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث (الرياض ،مكتبة العكيان ،٢٠١٣م) ص ١٥٤

(١٠٢) ديورانت ،ول ، قصة حضارة ، ج١٠، ص ٨١ .

(١٠٣) الفريسيون: اسم مشتق من الآرامية (فريشن) التي تعني المعتزلة، وهم فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تعطي شأن الحكم على حساب الكهان. مزيداً من التفاصيل ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (ط ٦، القاهرة، دار الشروق ، ٢٠١٠)، المجلد الثاني، ص ١٢٠ .

(١٠٤) الصدوقيون: طائفة من الطوائف اليهودية شكلوا حزباً سياسياً في القرن الثاني قبل الميلاد واستمروا حتى سقوط أورشليم سنة ٧٠م، ينتمون إلى الكهنة إلى أن اسمهم مرتبط باسم (صادوق) الذي نصبه سليمان () على كهنة أورشليم بعد أن ابعث (ايثار). مزيداً من التفاصيل ينظر: جوهر، هاني عبد العزيز: اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي والمكابين دراسة في الناحية المدنية والسياسية، (القاهرة ، مطبعة دار غنم ، ٢٠٠٥)، ص ٧٠-٧٤ .

Rebecca,R. Denova : Flavius Josephus. World History Encyclopedia. (2021,October 11). https://www.worldhistory.org/Flavius_Josephus (١٠٥)

(١٠٦) يوسفوس: ضد ايون ، تر: وتحقيق محمد حمدي ابراهيم، (القاهرة- ٢٠٠٧)، ص ٣٢ .

(١٠٧) P,٨٦,Hengel,martin: Ancient Judaism and Early christianity.New york, vol ١٥

(١٠٨) P,xiv,(٢٠٠٦) Whiston,William: jewish Antiquits flavius josephus.Briamecing

(١٠٩) يوسفوس: المصدر نفسه ، ص ٥

(١١٠) هتون أجواد جواد ، الجزيرة العربية بين سترابو وبليبي : قراءة في المصادر الكلاسيكية (بحث منشور في مجلة الخليج للتاريخ والآثار





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

نشأة التدوين اليوناني والروماني وتطوره (دراسة تاريخية أثرية)

- ٨ م ، لسنة ٢٠١٣) ص ص ٦١-٦٢.
- (١١١) عبد اللطيف أحمد علي : مصادر التاريخ الروماني (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ م) ص ٢٧.
- (١١٢) Beagon.Mary: the Elder Pliny on the human animal (New York ,Oxford Uni-versity Press,2005) P.1
- (١١٣) William F. Williams.Encyclopedia of Pseudoscience: From Alien Abductions to Zone Therapy (London and New York ,Routledge Taylor ST Francis Group,2013) P.271
- (١١٤) H. Rackham: Pliny Natural History ,P. IX
- (١١٥) بلوتارك : تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، تر: جرجيس فتح الله (ط١، بيروت الدار العربية للموسوعات ، ٢٠١٠ م) ص ١٠، ص ٧.
- (١١٦) بلوطوخرس : عظماء اليونان والرومان ، ص ١٥-١٧.
- (١١٧) زكار ، سهيل ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩ م) ج ٣٦ ، ص ٣٦٣.
- (١١٨) حسن : المصدر نفسه ، ج ١، ص ١٢٩.
- (١١٩) Walbank ,Frank W: «Plutarch», Encyclopedia Britannica,15 Oct. 2022,https://www.britannica.com/biography/Plutarch
- (١٢٠) Syme ,Ronald: Tacitus. Volumes 1 and 2. (Oxford: Oxford University Press ١٩٥٨), pp. ٦١٢-٦١٣
- (١٢١) McDonald,Alexander Hugh:«Tacitus», Encyclopedia Britannica,1 Jan. 2022,https://www.britannica.com/biography/Tacitus-Roman-historian
- (١٢٢) نيكوميديا: مدينة قديمة شمال غربي آسيا الصغرى (مكانها اليوم مدينة إزميت التركية) أعاد تأسيسها نيكوميدس الاول (٢٦٤ ق. م) ، دمرها القوط ٢٠٨ ميلادية واختارها دقلديانوس عاصمة شرقية ، واحتلت القسطنطينية مكانها. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٣٤٥٠.
- (١٢٣) جميل ، فؤاد : أريان يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق (بحث منشور في مجلة سومر، العدد ٢١، لسنة ١٩٦٥ م) ص ٢٦٧.
- (١٢٤) Romm,James : The Landmark Arrain The Campaigns Of Alaxander (New York,Pantheon Books ٢٠١٠) P.III
- (١٢٥) مويلح ،عبد العزيز علي : التسلسل الحضاري لمملكة البحرين في ضوء التنقيبات الأثرية (١٨٧٩-٢٠١٠ م) (ط١، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٩) ص ٤٠٦.
- (١٢٦) Wolfgang Haase: Hildegard Temporini.Aufstieg und Niedergang der romischen Welt: Geschichte und Kultur Roms im Spiegel der neueren Forschung (Berlin ,de Gruyter ١٩٧٤) P. ٢٢٨.
- (١٢٧) الآلهة ديمتر : آلهة قوية جبارة يعتقد انها المسؤولة عن منح الحبوب للأرض ، ومن دون قوتها الخير لا شيء ينبت ، زوجة الآلهة زيوس اله الصواعق ، لديهما ابنة حسناء تسمى برسفونة ، لمزيد من التفاصيل ينظر : نيهاردت : الآلهة والابطال في اليونان القديمة ، ص ٥٥.
- (١٢٨) ٣.Smith ,William: A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Vol (London,Taylor and Walton ١٨٤٤) p. ٣٥٠
- (١٢٩) حيال ،خالد حمد ، إيمان جابر شحخي : آريانوس النيقوميدي (بحث منشور في مجلة آداب البصرة ،م ٢٠٢٠، لسنة ٢٠٢٠) ص ١١٠-١١١
- (١٣٠) Britannica.The Editors of Encyclopaedia. «Dio Cassius», Encyclopedia Britannica,26 May ٢٠٢٢,https://www.britannica.com/biography/Dio-Cassius
- (١٣١) العابد ،مفيد رائف : ديو كاسيوس (الموسوعة العربية) م. ٩، ص ٥٧٩.
- (١٣٢) ١٠ August,٢٠٢٠) .Wasson.D. L. Cassius Dio. World History Encyclopedia /from https://www.worldhistory.org/Cassius_Dio



رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

أ.م. د. بلاسم حسن حمادي الخفاجي
جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) كلية الآداب





المستخلص:

اللغة العربية هي لغة القرآن، ولغة الحضارة، والعلماء، وهي الركن الأساس في التعلم والتعليم في البلدان العربية، لذلك من الضروري إتقانها قراءةً وكتابةً وتحديثاً، للنهوض بالأمة فكرياً وحضارياً، فاللغة أساس الأمة وهي عنوان الوجود والهوية، بعدها المستودع الأمين الذي تحتزن به مقومات الانتماء، وذاكرة المستقبل، ولا تزول إلا بزوال الأمة، لكن في عصرنا الحاضر تواجه لغتنا عدّة مشكلات، ولولا أنّها لغة التنزيل الذي تكفل الله (عز وجل) بحفظه، لكانت مشكلة واحدة فقط من هذه المشكلات كقيلة بالقضاء المبرم على هذه اللغة الشريفة، وللأسف نحن العرب - نعمل في كثير من الأحيان - بشعور أو لا شعور، على ترسيخ هذه المشكلات، وذلك بإهمالنا لها في الخطب الدينية والسياسية، والندوات، والحوارات، والإعلام، والمدارس، والجامعات، بل في مناقشة الرسائل العلمية المختصة باللغة العربية، وهناك ظاهرة ثقافية باتت واضحة للجميع، وهي ظاهرة عزوف الشباب العربي عن استعمال لغة الضاد، والتي تظهر جليّة من خلال توجّه الشباب والشابات إلى استعمال بعض المصطلحات الأجنبية الدخيلة في لغتهم العربية، وقد كثرت الآراء والأقوال في العديد من الندوات والمؤتمرات حول أسباب هذا العزوف، ولاسيما عزوف الطلبة عن التخصص في اللغة العربية، فمن قائل إنّ الطلبة يقبلون - في العادة - على تخصصات تضمن لهم عملاً ناجحاً من دون انتظار طويل، إضافة إلى قولهم بأنّ اللغة العربية صعبة، وهناك أسباب أخرى ساعدت على ضعف اللغة لدى أبناء العربية، مثل: انتشار الأمية، وشتى العوائق المحكيّة في قاعات الدرس، وداخل المدرسة والجامعة، وفي مختلف وسائل الإعلام، وفي الإعلانات التجارية، ومن الأسباب كذلك، مزاحمة اللغات الأجنبية للعربية الفصحى، من خلال الحوار اليومي بين المثقفين، وفي الإعلانات التجارية وأسماء الشركات والمحال التجارية، فقد أصبحت من المؤسفة أنّ تكتب باللغة الأجنبية، وغير ذلك من أسباب، ولعل السبب الأهم من تلك الأسباب هو صعوبة اللغة العربية وطول منهجها.

لذلك كانت هناك محاولات عديدة لتيسير اللغة العربية، فقد حظي النحو بكثير من هذه المحاولات لتجديد وتيسير منهجه، وبدأ تاريخها من محاولة ابن مضاء القرطبي إلى المحاولات الحديثة أمثال: محاولات رفاعة الطهطاوي، إبراهيم مصطفى، شوقي ضيف، نعمة رحيم العزاوي، مهدي المخزومي، وغيرهم.

ومن أجل تعزيز مكانة اللغة العربية، لا بد من الاهتمام بأربعة محاور رئيسة تتمثل في إعادة النظر في إعداد المناهج، وتطوير مهارات ونوعية مدرّسي اللغة العربية، ونشر ثقافة القراءة ودور الإعلام في دعم تعليم اللغة العربية وتعلمها، وتوفير سوق العمل أمام خريجي اللغة العربية. وإنّ أفضل مرحلة لبدء محاولات تعليم اللغة العربية الفصحى، هي مرحلة الطفولة باستعمال طريقة الاكتساب الفطري، فقد ذهب العلّماء واللغويون النفسانيون أمثال: (تشومسكي ١٩٥٩م)، و(إرفن ١٩٦٤م)، و(لينغ ١٩٦٧م) من زهاء نصف قرن إلى أنّ اللغة تُحصّل بطريقتين، هما: طريقة الاكتساب الفطري، والطريقة المعرفيّة.

من هنا على الحكومات أن تهتم بتأسيس رياض الأطفال في كلّ قرية ومدينة، وقد قيل سابقاً « إنّ التعلم في الصغر كالنقش على الحجر ».

الكلمات المفتاحية: رؤية، محاولات، تيسير، اللغة العربية.

Abstract:

Arabic is the language of the Quran, the cornerstone of learning and teaching in the Arab countries, the language of civilization. Therefore, it is essential to master the reading, writing and speaking, to promote the nation intellectually and culturally. Language is the basis of the nation, the title of existence and identity, as the repository of the trust that stores the elements of belonging and memory of the future



رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

But in our present age our language is facing several problems. If it were not the language of download» the Quran « that God – the Almighty – would have saved, it would have been only one of these problems that would have resulted in the total elimination of this honorable language. Unfortunately, we Arabs By our neglect in our religious and political speeches, our seminars, our dialogues, our media, our schools and universities, but in discussing our specialized scientific messages in Arabic . There is a cultural phenomenon that has become clear to all, namely, the phenomenon of Arab youth's reluctance to use the language of Haddad, which is evident by the tendency of young men and women to use the Arabic language combined with exotic foreign terms There have been many opinions and statements in many seminars and conferences on the reasons for this reluctance, especially the reluctance of students to specialize in the Arabic language, it is said that students usually accept the specialties to ensure them work without a long wait, in addition to saying that the Arabic language difficult . There are other reasons that have contributed to the weakness of language among Arab, such as illiteracy, the Spread of colloquial dialect in the classroom, inside the school and the university, in the various media, in commercial advertisements, and in the foreign languages of classical Arabic Commercials and company names and shops, it has become fashionable to write in foreign language, and other reasons . Thus, there have been many attempts to facilitate the Arabic language. Many of these attempts have been successful in renewing its methodology. Their history begins with the attempt of the son of Mourad al-Qurtubi to modern attempts such as the attempts of Rifa'ah al-Tahtawi, Ibrahim Mustafa, Shawqi Daif, Nemeh Rahim al-Azzawi, Mahdi Makhzoumi and others. In order to enhance the status of the Arabic language, attention must be given to four main themes: reviewing curricula development, developing the skills and quality of Arabic language teachers, spreading the culture of reading and the role of media in supporting Arabic language learning and providing the labor market for graduates of Arabic . The best stage to begin attempts to teach classical Arabic is childhood through the method of acquisition of nature. Psychologists and linguists such as Chomsky (1959), Ervin (1964) and (Lenberg 1967) have gone from half a century to two





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

languages , The method of acquisition instinctive, and the cognitive way . Governments should be interested in establishing kindergartens in each village and city. It has been said earlier that «learning is as small as engraving on stone » Meaning : Early Start, Grow Smart.

key words: vision – attempts – facilitation – the Arabic language.

المقدمة:

قال الله (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)
اللغة العربية هي لغة القرآن، ولغة الحضارة، والعلماء، وهي الركن الأساس في التعلم والتعليم في البلدان العربية، لذلك من الضروري إتقانها قراءة وكتابة وتحدثاً، للنهوض بالأمة فكرياً وحضارياً، فاللغة أساس الأمة وهي التي تربط الحضارات بعضها ببعض، وهي التي تحلّد الأمم، فكأنّها مفتاح الغد الذي يحتلّ الماضي وإرثه، وهي عنوان الوجود والهوية، بعدّها المستودع الأمين الذي نخزن به مقومات الانتماء، وذاكرة المستقبل، ولا تزول إلا بزوال الأمة، فهي مكنونها ومصدر تحديد الملامح الأساسية المعبرة عن طبيعتها، ومرتبطة بالتراث والماضي والحاضر، وتتطورها مع تطور العلاقات الإنسانية والتقنية، تتحدد ملامح المستقبل، فاللغة العربية عامل أساسي من عوامل الحفاظ على كياننا .

وفي عصرنا الحاضر تواجه لغتنا عدّة مشكلات، ولولا أنّها لغة التنزيل الذي تكفّل الله (عز وجل) بحفظه، لكانت مشكلة واحدة فقط من هذه المشكلات كفيلة بالقضاء المبرم على هذه اللغة الشريفة، هذه المشكلات تراها - وللأسف - تتضخم يوماً بعد يوم، دون أن نجد خطوة عملية من أهل هذه اللغة نحو القضاء عليها، أو حتى العمل على الحدّ من خطورتها، بل قد أكون غير مبالغ إن قلت: إنّنا - نحن العرب - نعمل في كثير من الأحيان - ونحن نشعر أو لا نشعر - على ترسيخ هذه المشكلات، وذلك بإهمالنا لها في: خطبنا الدينية والسياسية، وندواتنا، وحواراتنا، وإعلامنا، ومدارسنا، وجامعاتنا، بل في مناقشة رسائلنا العلمية المختصة باللغة العربية.

وهناك ظاهرة ثقافية باتت واضحة للجميع، وهي ظاهرة عزوف الشباب العربي عن استعمال لغة الضاد، والتي تظهر جلية من خلال توجّه الشباب والشابات إلى استعمال اللغة العربية المختلطة بمصطلحات أجنبية دخيلة، والكتابة باستعمال الأحرف اللاتينية، وتعتبر هذه الظاهرة مقلقة جداً، لأنّ اللغة مرتبطة دوماً بالهوية والتراث والأصالة وحضارة البلدان، والتخلي عن لغة قومنا سيؤدي حتماً إلى اندثار هذه اللغة على المدى البعيد، وبالرغم أنّها لغة القرآن والحمد لله وأنّها محفوظة من ربّ العالمين إلا أنّها تظلّ محاطة بالخطر خاصة عند الأجيال التي ابتعدت عن القرآن والدين والتراث. بل إنّ هذه الظاهرة تمّددت في عدد من الجامعات العربية، فهناك ضعف في إقبال الطلبة على دراسة اللغة العربية، وهي ظاهرة تثير التساؤل أحياناً، وتثير الدهشة أحياناً أخرى. فاللغة العربية هي لغة التعليم في مرحلة التعليم العام في الأقل، - في المدارس الحكومية حتى هذه اللحظة في بلادنا -، فضلاً عن أنّها لغة التواصل بين الناس في البيت والشارع والعمل - إذا تجاهلنا سيل العاميّات الخكيّة واللغات المهجنة التي أفرزها الواقع -، وهي وسيلة التواصل الوجداني والإعلامي في وسائل الإعلام والآداب والفنون، فهي ليست مادة علمية تفيض عن الحاجة أحياناً، ويطلبها سوق العمل أحياناً أخرى. وقد كثرت الآراء والأقوال في العديد من الندوات والمؤتمرات حول أسباب هذا العزوف، ولاسيما عزوف الطلبة عن التخصص في اللغة العربية، فمن قائل إنّ الطلبة يقبلون - في العادة - على تخصصات تضمن لهم عملاً ناجزاً من دون انتظار طويل في صفوف المتقدمين لوظائف في القطاعين العام والخاص، وتضمن لهم في الوقت ذاته عملاً يجنبهم الحاجة إلى المادة، بل يدُرّ عليهم في المستقبل القريب دخلاً يضمن لهم الراحة النفسية والمادية معاً، ومن قائل إنّ اللغة العربية تقصى بطريقة منهجية منظمة من الاستعمال في سوق العمل في القطاعين العام والخاص.

فلا بدّ لنا من تسليط الضوء على بعض آراء وأقوال العلماء حول عملية تعليم اللغة، من أجل معرفة السبب الأساس في ظاهرة العزوف عن اللغة العربية، وإيجاد الحلول لها والحفاظ على لغتنا، من هنا كان بحثنا الموسوم «رؤية في محاولات





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

تيسير اللغة العربية» يتكون من :

ملخص باللغة العربية والإنجليزية وتمهيد ومبحثين وخاتمة مع ثبت للهوامش وثبت للمصادر والمراجع، وكان المبحث الأول بعنوان « العزوف عن اللغة العربية وأثره في ضعفها » والمبحث الثاني بعنوان « محاولات تيسير اللغة العربية » .

التمهيد:

للتحافات المتعددة تحاور وتداخل وتلاقح وكذلك اللغات، بل هناك أيضاً لغة تميم على الأخرى، يقول «ابن خلدون» : (إنَّ المغلوب مولع أبداً بالافتداء في شعاره وزيّه ونخلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أنَّ النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إمَّا لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أنَّ انقيادها ليس لغلب طبيعي إمَّا هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبَّهت به، وذلك الافتداء أو لما تراه، والله أعلم من أنَّ غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوَّة بأس، وإمَّا هو بما انتحلت من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب) (٢)، ومن هنا تكمن الهيمنة؛ هيمنة اللغة، فالقوة تكمن باللغة في الأساس، فالمغلوب يتبع الغالب ويقلِّده، ويبقى مبهوراً به، متأثراً به من الناحية اللغوية والثقافية والسلوكية وحتى في الزي مثلما يقول ابن خلدون، فاللغة المهيمنة هي لغة الدولة المهيمنة، فحينما كانت الدولة الإسلامية قوية ومسيطرة شاع اللسان العربي وتفوق على غيره من الألسنة، لكنَّ بعد ذلك تزعزع اللسان العربي، وخاصة مع دخول العجم بكثرة، يقول «ابن خلدون» : (ولما تملكَّ العجم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسدَّ اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة) (٣) ناهيك عن محاولات الدولة العثمانية في تترك اللغة العربية، فقد كان الناطق باللغة العربية في العصر التركي يقابل باحتقار وازدراء، بل كانت توضع في فم متحدث اللغة العربية، عقلة الحمار، أو تعلق على صدورهم بطاقة كبيرة مكتوب عليها عبارات تحقير قد تصل إلى درجة السبِّ والشتيمة، وتبقى هذه البطاقة معلقة على صدر الطالب الأثم مدة من الزمن بحيث يراها بقية الطلبة فيتعطون ويتجنبون الوقوع فيما وقع فيه زميلهم، وكان أبناء الطبقة الأرستقراطية يأفون من التحدُّث بلغة الشعب لغة العامة والسوقة، ويظهرون تعاليهم بنيد اللغة العربية.

إنَّ الهيمنة اللغوية تقوم في الواقع بالسيطرة على مخرجات العلم والبحث العلمي والتقني، والمفاهيم الاصطلاحية، وعلى إبقاء حالة من التبعية اللغوية والعلمية والفكرية ولا يحدث هناك نوع من التطور أو الإبداع بسبب جدلية (التبعية / الهيمنة) إلا إذا قامت اللغة الأثم بالسيطرة على المفاهيم والتدريس من خلال التعريب والابتعاد عن الافتداء بالغالب، فالخروج من التبعية اللغوية يجعلنا نستجمع قوانا اللغوية بالتدريس باللغة الأثم، وإنتاج بحث علمي منظور بعيداً عن الهيمنة والضعف، فلا يذكر أنَّ دولة أجنبية تدرِّس وتقدِّم علومها بلغة غير لغتها الأثم، فالياباني لا يقدم علومه بالإنجليزية والفرنسي كذلك لا يتعلم معارفه باللغة الإنجليزية، والإنجليزي لا يتعلم معارفه بالفرنسية، على عكس العربي الذي تنشأ على اللغتين العربية والإنجليزية معاً، بل وتُشترط اللغة الإنجليزية للحصول على الوظيفة في حين العربية لا تُشترط في شيء حتى طلبة اللغة العربية لا يُشترط أن يتقنوا هذه اللغة، وهي لغتهم الأثم.

فقد أصبح معروف أنَّ اللغة وإتقانها يؤثران في مدى الحصيلة المعرفية ودرجة الإبداع والإتقان العلمي، وأنَّ اللغة تميم على الحياة العلمية والعملية وتُغني الحضارة الإنسانية، وعلينا أن نعلم بأنَّ اللغة العربية تحيا بالاستعمال ولا تحيا في بطون الكتب، لأنَّها لغة حياة نعيشها تعبر عنا بمختلف حالاتنا وليست ماضياً مندثراً وتاريخاً لا يصلح لزمنا الحاضر، لذا فإنَّ المحافظة عليها هي مسؤولية وطنية ودينية وأخلاقية، لأنَّها علم وهوية وقيمة .

المبحث الأول : العزوف عن اللغة العربية وأثره في ضعفها

إنَّ سبب عدم الميل للغة العربية، هو طول منهجها، وصعوبتها، وعدم مناسبة طرائق تدريسها، وحاجة المنهج إلى الكثير من الحفظ، كما أنَّ ضعف مستوى مدرِّسي اللغة العربية في الوقت الراهن، شكَّل سبباً رئيساً في العزوف عن اللغة العربية، فهم بحاجة ماسة إلى تطوير مهني مستمر، كما أنَّ للإعلام وسوق العمل دوراً آخر في عدم إقبال الطلبة على تعلم وتعليم اللغة العربية الفصحى . إذن هناك أربعة أسباب رئيسة في العزوف عن اللغة العربية، وهي :





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

أولاً : المناهج :

لاشك في أن العامل النفسي له دور كبير في تفشي ظاهرة العزوف عن اللغة العربية. فقد دخل في روعنا أن اللغة العربية صعبة. لأنها مختلفة المدارس، متعددة الآراء، كثيرة القواعد. وأن الكتابة العربية بما فيها من مشاكل تشكّل عائقاً كبيراً. وسبباً جسيماً في استعمال صحيح للغة، ويُعدّ مقرّر النحو والصرف من أكثر مفردات اللغة العربية شكوى من قبل الطلبة والمُعَلِّمين، وإنّ مناهج اللغة العربية في مستويات الدراسة المختلفة لا زالت أدنى من المأمول، حيث يوجد تكرار للنماذج التقليدية التي ينظر إليها على أنّها تمثّل اللغة العربية وحسب، وإعراضها عمّا يستجدّ من نصوص وأعمال. إنّ سبب عدم تعلّم الطلبة للمفاهيم النحوية، هو أنّ ما يُقدّم لهم لا يُحقّق الغاية من دراسة اللغة، وهي (تحصيل المتعلم القدرة العلمية على تبليغ أغراضه بتلك اللغة بعبارة سليمة، أي من تلك التي ينتمي إلى ما تعارفه الناطقون بها، أوضاعاً ومقاييس، وبعبارة أخرى، فإنّ الغاية القصوى من تعليم اللغة، هي قبل كلّ شيء أن يجعل الطالب قادراً على استعمال اللغة في شتى الظروف والأحوال الخطابية، ولاسيما تلك التي تطرأ في الحياة اليومية، ثم على استعمالها سليمة من كلّ لحن وعجمة ولكنة (٤)، لأنّ اللغة في حقيقة أمرها هي وضع واستعمال، والمراد من الوضع هو الأنظمة والقوانين اللغوية التي تراعى في الكلام منطوقاً أو مكتوباً، والمراد من الاستعمال هو النشاط اللغوي أو الكلام الذي نعبّر به عن مقاصدنا وأغراضنا.

وإذا اقتصر على أحد هذين الجانبين لم نحصل على نتائج حسنة، ويظهر الخلل على المتعلم، من هنا فإنّ (أكبر خطأ ترتكبه مدارسنا هو أنّها تعنى بالقواعد والقوانين في ذاتها، وتعزلها عن الاستعمال؛ إذ لا تمنح الطالب طوال اليوم المدرسيّ فرصة كافية، يطبّق فيها قوانين لغته، بل قد تخصّي الأيام والأسابيع، دون أن يتعرّض الطالب لموقف يقتضيه استعمال اللغة، أو الحديث بها. ومن هنا فإنّ ما يتعلّمه من نظم وقوانين لغويّة، يبقى مجرّداً في ذهنه. إنّ النسيان سرعان ما يأتي على أكثر هذه النظم والقوانين (٥)، إنّ مناهج اللغة العربية في المدارس يستند إلى قاعدة الفهم مقابل الحفظ، وللتغلب على تلك الإشكالية، لا بدّ من معرفة أنّ وظائف اللغة متعددة ولا يمكن حصرها بشكل كامل، مما يتطلب من واضع المناهج الانتقائية - في كلّ مرحلة دراسية - عند اختيار بعض هذه الوظائف دون غيرها، موضوعاً للتعليم.

ثانياً : المُعلِّم

إنّ اللغة العربية في شتى مراحل الدراسة، تسند غالباً إلى مدرّسين غير أكفاء، فهي تفتقر تقريباً إلى معلّمين معيّنين ومدرّسين تدريباً جيّداً، وهناك نسب كبيرة منهم في المراحل الدراسية كلّها يفتقرون إلى المهارات والمعارف المطلوبة للتدريس، بل لا يمتلكون طرائق تدريسيّة مناسبة لهذه اللغة، ومعلوم أنّ طريقة التدريس في العراق والوطن العربي، لها دور كبير في تفاقم المشكلة اللغوية أو علاجها، فتقديم المنهج المقرّر في قالب عامّي محكيّ، له أثر كبير في ضعف اللغة العربيّة، إذ أنّ استعمال المُعلِّم للعنانيّة الخكيّة بدلاً عن الفصحى، فيه اتّهام للفصحى بالعجز عن توصيل المفاهيم، وتزداد خطورة هذا الاتّهام إذا كانت المادة العلمية المقدمة للطلبة هي اللغة العربية شعراً ونثراً، وقد يقول قائل؛ إنّ هذا يحدث مراعاةً لحال الطلبة ! لكنّ هذه حجة واهية، فالطلبة الذين يدخلون كلية الطب - مثلاً - تُلقى عليهم المحاضرات من أوّل يوم باللغة الإنجليزيّة، ومعظمهم لا يؤهّله مستواه فيها لفهم كلّ ما يسمعه، ولكنّ الطلبة يعملون على رفع مستواهم، وشيئاً فشيئاً نجدهم يفهموا ما يسمعون، علماً من أنّنا في حالة التحدث بالفصحى أمام الطلبة، سنخاطبهم بلغتهم الأمّ، فالأمر أيسر كثيراً، وحتى لو وجدنا منهم صعوبة في الفهم، ستكون مؤقتة سرعان ما تزول، بإذن الله تبارك وتعالى، المهمّ أنّ نبدأ، دون تباطؤ أو تكاسل. لكنّ العادة درجت بأنّ يكون الملتحقون بكلّيات التربية الأساسية من أكثر الطلبة ضعفاً من الناحية الأكاديمية، وكثيراً ما رأينا أنّ الملتحقين بهذه الكليات هم الطلبة الذين لم يقبلوا في الكليات الأخرى كالمهندسة والطب والقانون وتقنية المعلومات أو اللغات الأجنبية وغيرها.

ثالثاً : مجال العمل

إنّ سوق العمل يغلق أبوابه أمام خريجي اللغة العربية فضلاً عن اغتراب الطلبة والتلاميذ عن هذه اللغة لمصلحة القراءة





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

باللغة بالإنجليزية، لذلك كان مجال العمل محدوداً أمام الخريجين، والمردود المادي للمتخصصين في اللغة العربية ضئيلاً .

رابعاً: مزاحمة اللغات الأجنبية

حيث تزاخم اللغات الأجنبية اللغة العربية في عدة ميادين، منها :

التدريس في كليات الطب والصيدلة وما شابهها، التدريس في الجامعات والكليات الأدبية والعلمية باللغات العالمية المختلفة والاهتمام البالغ بما على حساب اللغة العربية مع تحفيز المتعلمين بما عن طريق توفير فرص عمل وتقديم المنح الدراسية لهم، لذلك نجد اهتماماً ملحوظاً في الوطن العربي، بتعليم اللغات الأجنبية وتعلمها - خصوصاً الإنجليزية - ويتم ذلك بداية من مرحلة رياض الأطفال، ولا نجد مثل هذا الاهتمام لتعليم وتعلم اللغة العربية، وإنني لست ضدّ تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها، بل إن ذلك يصل في بعض الأحيان إلى درجة الضرورة، أو الفرض الكفائي، ولكن المؤسف أن يكون ذلك قبل نضج التلاميذ، وتمكنهم من لغتهم الأصلية.

مواقع بعض الجامعات على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)، مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة أصبح الفرد ضحية للفصائلية والانترنت ورسائل الجوال وتعامله من خلال هذه الوسائل يقوم عادة على اللغات الأجنبية واللهجات العامية المحكية .

الحوار اليومي بين المثقفين، فقد انساق الشباب خلف الموضة وتقليد الغرب في سلوكياتهم واهتمامهم بالفن الغربي من منطلق الانبهار بهم ونجد في المقابل إهمال الأسرة وعدم تثقيف أبنائها بلغتهم العربية.

الإعلانات التجارية وأسماء الشركات والمحال، أصبحت من الموضة أن تكتب باللغة الأجنبية، بل نجدتها مكتوبة على قمصان الفتيان والفتيات، حتى مع عدم معرفتهم لمعانيها!

إضافة الى ذلك اجتمعت أسباب أخرى، ساهمت في تفشي هذا الضعف، منها :

انتشار الأمية: فمع كل الجهود الحثيثة من الحكومات لمكافحة الأمية، فإن نسبة الأمية لا تزال كبيرة في الوطن العربي .
شيوع العامية المحكية : فمن الأسباب الواضحة في ضعف اللغة لدى أبناء اللغة العربية، مزاحمة العامية المحكية للغة الفصحى في كثير من الميادين، التي ينبغي أن تكون للفصحى دون غيرها، مثل :

قاعات الدرس، داخل المدرسة والجامعة، إن طلاب المدارس والجامعات لا يعرفون الفصحى إلا مكتوبة فقط، إذ نجد تدريس العلوم المختلفة ومنها: اللغة العربية، يتم بالعامية المحكية ، والطالب الجامعي العربي الذي يدرس التاريخ، أو الفلسفة مثلاً، يتساهل مع لغته، لأنه لا يدرس في اختصاص اللغة العربية . بل إن مما يؤسف له أن تُستعمل العامية المحكية في مناقشة الرسائل العلمية، التي تُعنى باللغة العربية الفصحى وآدابها، فكثير من هذه المناقشات - إن لم تكن جميعها - تختلط فيها العامية المحكية بالفصحى، مما يذهب بروق الفصحى وجمالها. وهذا يحمل في طياته اتهاماً للفصحى بعدم صلاحيتها للتدريس، بل لتدريس الفصحى، شعراً ونثراً وقواعداً، وإن هذا لمن أشد الأمور خطراً على هذه اللغة ؛ إذ تُهان على يد من يُفترض فيهم إعلاء شأنها، وإعادة مجدها، والدؤد عن حيائها.

وسائل الإعلام المختلفة، فالناظر إلى الإعلام العربي بوسائله المسموعة والمرئية، يجد أن اللغة المستعملة هي العامية المحكية لا الفصحى؛ فالمحاضرات العامة، والندوات، والخطب الدينية، وغير الدينية، كل ذلك وما شابهه نجد العامية المحكية مسيطرة عليه، عدا قلة قليلة ما زالت متمسكة بالفصحى، أمّا البرامج، والمسلسلات، والأفلام، والمسرحيات، والتعليق على المباريات، وغير ذلك فالعامية هي المستعملة، إذ يستخدم كل بلد محكيته العامية فيما ينتج من برامج وأفلام وغير ذلك .

الإعلانات التجارية، حيث يعتمد أصحاب المصانع والشركات، والمحال إلى الإعلان عن بضائعهم في الصحف والمجلات، والإذاعة والتلفاز، واللافئات، والأوراق المطبوعة، بالعامية المحكية لا الفصحى، ترويجاً لبضائعهم، وفي أحسن الأحوال عندما ننظر إلى هذه الوسائل نجد فيها، أن العامية تختلط بالفصحى اختلاطاً مشيناً .

عدم تشجيع أولياء الطلبة لدويهم، على التحذث بالفصحى، بل وليس للكثير من الحكومات العربية، تشجيع يُذكر





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

في نطاق المدرسة أو العمل .

كانت هذه جملة من الأسباب التي يُعزى لها العزوف عن اللغة العربية وأثره في ضعفها .

المبحث الثاني : محاولات تيسير اللغة العربية

إنَّ الحفاظ على اللغة العربية، هي مسؤولية فردية ومجتمعية على غرس الاعتزاز بها والانتماء لها وغرس حبها في نفوس الأبناء قيمة أصيلة، كي لا تُفقد في الحوار الحي، والاستعمال اليومي، فتحلَّ محلَّها لغةً أجنبية، أو تختلط بها اختلاطاً مشيناً على السنة الناطقين بها، ويمكن أن يتم غرس هذا الاعتزاز في النفوس من طرق عديدة منها؛ بيان الارتباط الوثيق بين الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، وبين القرآن الكريم والسنة النبوية، من حيث أنها وعاء لهما، فضياعها والقضاء عليها، يهدف إلى القضاء على القرآن الكريم، وذلك لن يكون بإذن الله (عزَّ وجلَّ) لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٦)، وتعريف الجمهور العربي بالجهود العظيمة المباركة، التي قام بها علماءنا القدامى، من أجل الحفاظ عليها، ونزولهم البوادي لجمعها، وتحملهم في سبيل ذلك المشاق والمصاعب والآلام، وأنه يجب علينا ألا نكون أقلَّ منهم غيراً على لغتنا، لغة الضاد ولغة القرآن الكريم.

ومن هذه الجهود العظيمة المباركة، كانت هناك محاولات عديدة لتيسير اللغة العربية، فقد حظي النحو بكثير من هذه المحاولات لتجديد منهجه، ويبدأ تاريخها من محاولة ابن مضاء القرطبي (ت: ٥٩٢هـ) في كتابه « الرد على النحاة » حيث هاجم نظرية العامل وما تصوره النحاة لعواملهم من تأثيرات ثم ما نودي إليه من تقديرات وعلل وأقيسة ملأت صفحات النحو بمسائل معقدة لا تجدي في تقويم اللسان .

أمَّا المحاولات الحديثة فمتعددة منها؛ محاولة رفاعة الطهطاوي (ت: ١٨٧٣م) في كتابه « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية »، محاولة حفني ناصف (ت: ١٩١٩م) وزملائه في كتاب « قواعد اللغة العربية »، محاولة علي الجارم (ت: ١٩٤٩م) ومصطفى أمين (ت: ١٩٩٧م) في كتاب « النحو الواضح »، محاولة إبراهيم مصطفى في كتاب « إحياء النحو »، محاولة شوقي ضيف (ت: ٢٠٠٥م) في كتابه « تجديد النحو »، محاولة عباس حسن في كتابه « النحو الوافي »، ومحاولة نعمة رحيم العزاوي في كتابه « في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث » و محاولة مهدي المخزومي في كتابه « في النحو العربي نقد وتوجيه » و « في النحو العربي قواعد وتطبيق » وغيرهم .
إنَّ سلامة اللغة العربية وتعزيز مكانتها واستعادة رونقها بحاجة الى عملية جادة في محورين:

الأول : إصلاح النظام التعليمي للطلبة .

الثاني : إصلاح النظام الثقافي والتوعوي للمجتمع و دور الإعلام في دعم تعليم اللغة العربية وتعلمها .

وعملية الإصلاح في المحور الأول تعتمد على ثلاثة أركان هي؛ المنهج المقرَّر، والمُعَلِّم، والطلبة .

المنهج :

تحتاج المناهج الى إعادة نظر وتنظيم دقيق، في إعدادها لمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، من أجل التغلب على المشكل النحوي، (فإزاء كثرة العلم اللغوي لا بدَّ من الانتقاء وتحري ما يحتاج إليه العربي المعاصر، وترك ما سوى ذلك لمن يروم التخصص وينشد التبحُّر) (٧) فينبغي تيسير مقرَّر النحو وتبسيط تدريسه خطوة مبدئية، كي يقوى ساعد الطلبة اللغوي في التدريب على القريب ليصلوا إلى البعيد، ويبدأوا من السهل ليلجوا أبواب الصعب، لذا ينبغي التفريق بين النحو « العلمي » والنحو « العملي »، فالعلمي للمتخصِّص الذي يبحث عن الظاهرة وأسبابها، والوجه الاستعمالي وعلته، والعملي يكون للمتعلم الذي يكفيه من النحو ظواهره العامة التي إنَّ جهلها فسد نطقه، واضطرب لسانه، فلا بدَّ من أن نعود بالنحو إلى الهدف الأساس، ألا وهو الاستعمال وخدمة المعنى تفعيلاً لمقولة النحو الوظيفي - أي النحو للمعنى - الذي لن يُبنى بيت اللغة العربية في عالمنا المعاصر من جديد، دون الأخذ به عماداً ووتداً، لأنَّ اللغة العربية لغة حياة، فالنحو إذن بحاجة الى (إعادة تنسيق أبوابه بحيث يُستغنى عن طائفة منها برز أمثلتها إلى الأبواب الباقية، حتى لا يتشتَّت فكر دارس النحو في كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية) (٨)، فإنَّ أشدَّ ما يشكو منه الطلبة في تعلم





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

العربية هي مقرّر النحو والصرف الذي يُعدُّ المحرك الأول المسيطر على تسلسل موضوعاتها في معظم المناهج العربية . وتؤكد محاولات تجديد النحو وتيسيره - آنفة الذكر - على ضرورة أن يكون تعلّم اللغة مشافهة قبل أن يكون كتابةً وتحريراً، أي الاهتمام بالتعبير الشفهي لأنّه الأصل الذي عليه استعمال اللغة في الحياة، إذ لا نتعامل بها مكتوبةً، وإنما نتعامل بها منطوقةً.. وأن يكون المقرّر مما يحتاج إليه الطلبة في حياتهم المعاصرة، ومما يكثر دورانه على الألسنة ويتكرّر مجيئه في كتابات الأدباء والمثقفين والإعلاميين وأرباب العلوم المختلفة (٩). وتؤكد هذه المحاولات أيضاً، على التخلي عن طريقة تلقين الطلبة، فهي طريقة تعتمد على طرف يُلقَى، أمّا الآخر فلا يفعل سوى أن يتلقى، وبهذا يفقد الطلبة التفاعل مع لغتهم .

إنّ هذه المحاولات الحثيثة بقيت أسيرة القراءة الناقدة التي لم تضاف إلى النحو شيئاً، وهي لم ولن ترى النور إلا إذا أخذت الحكومات العربية مسؤولية تنفيذها على عاتقها ومتابعتها بكلّ جدية، وذلك من خلال :

جعل اللغة الفصحى اللغة الأساسية في التعليم بمختلف مراحله؛ الأساسي والثانوي والجامعي والعالي، ولا أعني هنا لغة المناهج الدراسية فقط، ولكن اللغة المستخدمة في الشرح والتواصل التعليمي، لتحلّ محلّ العائيات المحكيّة، إنشاء مجامع لغوية عربية رسمية تُعنى بالتعريب والترجمة والبحث العلمي، وتعليم اللغة العربية الفصحى.

تفعيل دور اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية، ووضعه تحت الإشراف المباشر لجامعة الدول العربية، وتوفير كل الدعم اللازم له. إقامة الندوات والمؤتمرات لرفع الوعي اللغوي في أوساط الأمة العربيّة.

إنشاء مراكز متخصصة في الترجمة في جميع المجالات.

تعريب التعليم الجامعي، أي تدريس العلوم الطبيعية باللغة العربية، بشكل نسبي لا يؤدي إلى قطيعة مع اللغة الأجنبية، ومواكبة التقدم العلمي بوضع مصطلحات علمية موحدة، مع ضرورة نشرها على الجمهور العربي عمومًا، وعلى المختصين بالعلوم الطبيعية درسًا وتدريسًا على وجه الخصوص، وذلك بالوسائل المختلفة، لنأخذ تظل حبيسة الأدراج، أو بطون المعاجم.

العمل على تكوين قاعدة علمية في الوطن العربي، تكون نقطة الانطلاق للمشاركة في التقدم التقني، ليكون العالم العربي مشاركاً في صنع التكنولوجيا، لا مجرد مستهلك لها اسمًا ومُسَمًّى.

المعلّم :

يُعدُّ المعلّم حلقة وصل بين المنهج والطلبة، لذلك لا بُد من إنشاء هيئة وطنية مستقلة تصدر اعتمادات المعلمين، حيث يرتبط تحصيل الطلبة بشكل وثيق بمدى حسن إعداد معلمهم، حيث إنّ المعلمين المعيّنين جيّدًا، والمجازين من قبل هيئات وطنية مستقلة هم أفضل أداءً في قاعة الدرس من المعلمين غير المجازين، كما يشترط النجاح في امتحان الكفاءة المقتن الخاص بالمعلمين والذي يكون مكونًا من قسمين؛ قسم لغوي وقسم خاص بطرائق التدريس والتقويم، والانخراط في تعلم مواد ودورات إضافية قد تفرضها الدولة، وينبغي الاستمرار في دورات تدريبية معدّة لتطوير قدرات المعلمين ومهاراتهم اللغوية والتربوية .

إنّ تطوير مهارات ونوعية مدرّسي اللغة العربية في العراق يحتاج إلى تحوّل جذري في الطريقة التي تجذب بها الطلبة إلى كليات التربية عمومًا وأقسام اللغة العربية خصوصاً، حيث إنّ لعملية اختيار نوعية الطلبة الذين يلتحقون بهذه الأقسام أهمّ الأثر في تحديد مخرجات إعداد المعلمين، وتلك العملية يجب أن تكون مدروسة بدقّة وتراعى فيها أعلى المقاييس العالميّة لاختيار طلاب كليات التربية الأساسية .

وبناءً على ذلك فإنّ الوعي بأهمية اختيار طلبة كليات التربية الأساسية ، يشكّل الحجر الأساس في إصلاح التعليم وبخاصة تعليم اللغة العربية، وينبغي أن تولي الكليات والوزارات والجهات الداعمة لإعداد المعلمين أهمية تغيير النظرة إلى مهنة التعليم عمومًا وتعليم اللغة العربية خصوصاً في معدلات القبول والتعيين المركزي لخريجي كليات الآداب في المدارس الحكومية، على غرار خريجي كليات الطب والصيدلة في العراق .





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

الطلبة :

ينبغي إحاطة الطلبة ببيئة لغوية سليمة، لا يسمح فيها لفظاً مخطوئاً، ولا تركيباً ملحوناً، ولا يخاطبوا معلمهم وزملاءهم إلا بلغة سليمة، يتجنبوا فيها اللحن . وتحفيظهم قدر كبيراً من القرآن الكريم، ومن شعر العرب ونثرهم، حتى تترشح في أنفسهم قوانين اللغة بنحو عفوي، ومن هنا قال ابن خلدون (ووجه التعليم لمن ينبغي هذه الملكة أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومحادثات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم... حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم... منزلة من نشأ بينهم... وعلى قدر الحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظماً ونثراً) (١٠)، كما يجب أن تُشكّل الكتب المقررة على الطلبة تشكيلاً تاماً، بحيث لا تقع عيونهم، إلا على كلام مشكول، كي يؤدي إلى انسياب قوانين اللغة وأنظمتها إلى الذهن على نحو عفوي أيضاً (١١). ولا بدّ هنا من أن نشدّد على أولياء الطلبة الاهتمام بلغتهم الأم وتشجيع أولادهم على تعلّم اللغة العربية الفصحى، فالبيت هو البيئة الأولى التي تولد فيها لغة الطفل، وهذا ما يؤكّده قول الإمام عليّ في وصيّته لولده الحسن (عليهما السلام) : ((وَإِنَّمَا قَلْبُكَ أَخَذَ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أَلْقَى فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ...)) (١٢)، فقد ذهب الغلماء واللغوئون النفسيون أمثال؛ (تشومسكي ١٩٥٩م)، و(إرفن ١٩٦٤م)، و(لينرغ ١٩٦٧م) من زهاء نصف قرن إلى أن اللغة تُحصّل بطريقتين؛ طريقة الاكتساب الفطري، إذ يُولد الطفل وفي دماغه قُدرة هائلة على اكتساب اللغات، من الولادة وحتى السنة السادسة من عمره، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (١٣)، والطريقة المعرفية، التي تبدأ من بعد سن السادسة، وتكون بالتعلّم وحفظ القواعد وأمثلتها حفظاً وصفيّاً، لا اكتساباً سلقياً، وذلك بالترجمة إلى اللغة الأولى لغة الأم (١٤).

لذا نشدّد على الحكومات العربية بإعادة النظر في فرض تعليم اللغات الأجنبية منذ وقت مبكر، فإذا كانت لتعليم اللغات الأجنبية فوائد عظيمة، فإنّ هذا يجب أن يبدأ بعد أخذ الطلبة جرعة كافية - إلى حدّ ما - من لغتهم الأصلية، وعلى إدارة المدرسة - البيت الثاني للطلبة -، تشجيعهم على مطالعة الكتب، بل لا بدّ من جعل القراءة جزءاً من الحياة اليومية في المدارس، وتوفير مكتبات صفيّة ورقية وإلكترونية لكل صفٍّ من صفوف اللغة العربية، وإضافة القراءة إلى واجب اللغة العربية بشكل يومي، وعمل مسابقات للمطالعة، وتوفير الجوائز والهدايا للفائزين والمشاركين، وجعل القراءة عملاً تعاونياً بحيث يقرأ الطالب كتاباً مع زميل، فيتشاركان في القراءة وفي النقاش حول الكتاب، وتطبيق القراءة الجهرية في الصف، وتكون نسبة استعمال اللغة الفصيحة عند القراءة نسبة جيدة، وترغب بعض الطلبة بالقراءة من خلال ربطها بالتكنولوجيا التي يحبوها حيث إنّ بإمكانهم القراءة من كتب إلكترونية متوافرة على الإنترنت، وتشجيع أولياء الأمور والعائلات على زيارة المكتبات مرّة في الشهر على الأقل للإطلاع على الكتب الجديدة . أمّا عملية الإصلاح في الخور الثاني، وهو إصلاح النظام الثقافي والتوعوي في المجتمع ودور الإعلام في دعم تعليم اللغة العربية وتعلمها، فتكون كالتالي :

إنّ تاصيل الثقافة المجتمعيّة إنّما يتمّ من خلال التشجيع على مطالعة الكتب ودور الإعلام، فهي - أعني الثقافة المجتمعيّة - مسألة في غاية الأهمية، وتؤثّر تأثيراً إيجابياً ومباشراً في مستوى التعليم والتعلّم، وفي حركة التأليف والنشر والترجمة في الوطن العربي، إضافة إلى تأثيرها المباشر في بلورة الحسّ الفكري عند المواطن العربي، وخاصة أنّ هناك مؤشرات عديدة تدلّنا على أنّ العرب يقرأون بنسبة أقل، فلا بدّ من إنشاء المكتبات الوطنية العامّة في مختلف المناطق والأحياء، مع إجراء الحملات الوطنية للقراءة عن طريق وسائل الإعلام الهادفة كي تساعد على انتشار اللغة العربيّة الفصحى، فينبغي أن تُستثمر وسائل الإعلام بأفضل طريقة وأن تعمل في سياق متزامن مع العناصر الضرورية من أجل إحداث تحسّنة إعلاميّة لبثّ اللغة العربية في فضاءها التعليمي والثقافي .

قيام الأدوات الفاعلة بواجبها في توعية الجمهور العربي، بالمكاند التي يُراد منها ضياع اللغة العربية، وفقدان الشخصية العربية الأصيلة، وأهم هذه الأدوات وسائل الإعلام، لما لها من تأثير كبير في التوجيه والإرشاد.





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

نشر الوعي بالآثار الحميدة التي تترتب على الالتزام باللغة العربية الفصحى، من التفاهم بين أبناء الوطن العربي، مما يؤدي إلى الوحدة المنشودة، وعدم الذوبان في الثقافات الوافدة.

نحوض من هم في موقع المسؤولية بالواجب الذي يُحتم عليهم أن يكونوا قدوة صالحة في غرس الاعتزاز بالفصحى، وذلك كالرؤساء، والحكام، والملوك، والأمراء، والوزراء، وأعضاء هيئات التدريس، وأعضاء المجالس النيابية، وغيرهم، وجعل اللغة الفصحى اللغة الأساسية في المؤسسات الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية؛ وذلك لما للإعلام من دور كبير في التأثير على الناس.

تشريع القوانين اللازمة أو تفعيلها في حال وجودها، لمنع استعمال اللغات الأجنبية في الإعلانات التجارية، وأسماء الشركات والمصانع، والمحال التجارية، والمنتجات، وغير ذلك. ولقد أدركت فرنسا خطورة هجمة اللغة الإنجليزية التي أوصلتها الأقمار الصناعية إلى بيوت الفرنسيين، حتى نجح الإبحار الأمريكي في جذب عدد كبير من المشاهدين، واختراق ألسنتهم، مما دفع حراس المشروع الفرنسي في مايو ١٩٩٤م لتشريع قانون أطلق عليه اسم « لزوم الفرنسية » يمنع أي مواطن فرنسي من استعمال غير الفرنسية طالما أن هناك ألفاظاً أو عبارات ماثلة، تؤدي ذات المعنى في الفرنسية، والمجالات التي يسري عليها الحظر وهي؛ الوثائق والمستندات كافة، والإعلانات المسموعة والمرئية، ومكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية كافة، وبوجه خاص المحال التجارية، والأفلام الدعائية، التي تبث عبر الإذاعة وشاشات التلفزة، بل إن القانون اشترط على الجهات المحلية والحكومية ألا تمول سوى المؤتمرات والندوات التي تكون الفرنسية لغتها الأساس، كما منع نشر أعمال تلك المؤتمرات والأبحاث التي قدمها أجانب بلغتهم الأصلية، ما لم تكن مصحوبة بملخص مكتوب بالفرنسية، وأوصى القانون بقوة المخالف بالسجن أو الغرامة المالية، التي تصل إلى ما يعادل ألفي دولار، وذلك لاستنقاذ التراث الفرنسي المهدد بالإغراق اللغوي. وما أحوجنا إلى مثل هذا القانون، شريطة أن يطبق ويعمل به، ليردع المخالفين، ويردّ للغة العربية كيانها وعزتها، التي كادت تفقدها بين أهلها.

اعتماد اللغة الفصحى في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من الوسائل، قدر الإمكان. أن يحرص الخطباء والفقهاء والدعاة على أن تكون كل خطبتهم ومحاضراتهم باللغة الفصحى، وأن يتجنبوا استعمال العاميات المحكيّة.

دعم البرامج التوعوية عن أهمية اللغة العربية والتعريب والترجمة من قبل الأثرياء والميسورين. تشجيع الشعراء والأدباء الذين يكتبون باللغة الفصحى، بل تشجيع كل من يتكلم بالفصحى، والرفع من شأنه وقدره بين الناس، وبالإمكان نشر هذه اللغة من خلال بعض المسلسلات التمثيلية، من قبيل مسلسل « أحلى الكلام مدينة القواعد » الذي كان يعرض على شاشات التلفزة في العراق ودول الخليج العربي في ثمانينات القرن الماضي. ويجب علينا جميعاً أن نفتخر بلغتنا العربية، ولأنّ شعر بالحرَج والخلج ونحن نتحدث بالفصحى، ويجب أيضاً ألا نفرط فيها؛ فالتفريط فيها تفريط في الدين والهوية والعروة.

الخاتمة:

في نهاية البحث، توصل الباحث إلى أنّ عملية تيسير اللغة العربية، لم تكن حديثة العصر، بل سعى إليها كثير من علماء النحو في عصور خلت أمثال ابن مالك، وابن هشام، وابن مضاء القرطبي وغيرهم، ومن علماء العصر الحديث إبراهيم مصطفى وإبراهيم أنيس ومهدي المخزومي وشوقي ضيف وغيرهم من الباحثين واللسانيين العرب وغير العرب. ولكن هل قام المحدثون بتجديد النحو؟ وماهي وجوه التجديد لديهم؟ وهل اتسمت محاولاتهم باستحضار الجديد في النحو أم بقيت أسيرة القراءة الناقدة التي لم تضيف إلى النحو شيئاً وما تأثير ذلك على الأحكام النحوية؟

ويؤكد الباحث على أنّ عملية تيسير اللغة العربية، بحاجة إلى :

أن يكون هناك اهتمام من الحكومة باللغة العربية انطلاقاً من أهميتها في الوعي السياسي والاجتماعي وعلى أعلى المستويات ولائد من التوجيه بضرورة الاهتمام باللغة العربية والتمكين لها عن طريق تشكيل لجان مركزية وعملية على





رؤية في محاولات تيسير اللغة العربية

مستوى العراق وفي أغلب الوزارات مهمتها متابعة استعمال اللغة العربية الفصحى .
على الحكومات العربية، رعاية خريجي المعاهد والكليات من قسم اللغة العربية، من خلال التعيين المركزي في مدارسها ومؤسساتها الأخرى، بعد جعل درجات القبول المركزي في قسم اللغة العربية بمستوى ٨٥٪ فصاعداً.
على الحكومات العربية الاهتمام بمرحلة الطفولة، رعاية وتعليماً من خلال الإيعاز الى وزارة التربية، بإنشاء رياض الأطفال في كل قرية ومدينة، وتطبيق طريقة الاكتساب الفطري في تعلّم «لغة الأم» اللغة العربية الفصحى .
على وزارة التربية القيام بتطوير المناهج الدراسية و إقامة دورات تأهيل مكثفة للمعلمين والمدرسين في طرائق التدريس، لمعالجة هذا الضعف في اللغة العربية، والسير في التعليم في ركاب التقدم العلمي المنشود .
ينبغي على إدارة المدارس والمدرسين، إجراء مباريات منهجية في مقرر اللغة العربية بمختلف فروعها كالنحو والنصوص والإملاء والخط العربي وتشجيع التلاميذ للاهتمام بها .
إهتمام الأهل بتوجيه أبنائهم نحو الاهتمام باللغة العربية الفصحى، وقراءة الكتب المفيدة التي تقوّي لغتهم .
توجيه وسائل الإعلام ولاسيما الفضائية منها، لمراعاة استعمال اللغة الفصحى ونيل العاقبة المحكّية، وأخذ المبادرة في التشجيع عليها من خلال برامجها المتعددة .
تشريع القوانين اللازمة أو تفعيلها في حال وجودها، لمنع استعمال اللغات الأجنبية في الإعلانات التجارية، وأسماء الشركات والمصانع، والمحال التجارية، والمنتجات، وغيرها .

الهوامش:

القرآن الكريم، سورة الحجر، آية : ١٠ .

ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون . الدار التونسية، ١٩٨٤، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

م. ن. ج ١/٥٧٤ .

مقالات في اللغة وتعليمها ، د. نعمة رحيم العزاوي ، ص ٥٠ .

م. ن.

القرآن الكريم، سورة الحجر، آية : ١٠ .

مقالات في اللغة وتعليمها ، د. نعمة رحيم العزاوي، ص ٥٥

تجديد النحو، د. شوقي ضيف، ص ٤

ينظر: مقالات في اللغة وتعليمها ، د. نعمة رحيم العزاوي، ص ٥٤

مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٥٤ .

ينظر: مقالات في اللغة وتعليمها ، د. العزاوي، نعمة رحيم ، بغداد ، دار الفراهيدي ، ٢٠١١ م ، ص ٥٣

النوري، مستدرك الوسائل، ج ٢/ ص ٣٥٣ .

القرآن الكريم، سورة الرحمن، آية : ٣-٤

ينظر: نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة، د. عبد الله الدنان، ص ١٨٥ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

تجديد النحو، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ج. م. ع، ط ٦ .

مقالات في اللغة وتعليمها ، د. العزاوي، نعمة رحيم ، بغداد ، دار الفراهيدي ، ٢٠١١ م .

مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٢٠٠٢ .

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ٢٣١ هـ)، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء

التراث ، ط ١ ، ٨٠٤١ هـ - ٧٨٩١ م .

نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة تطبيقاتها وانتشارها، د. عبد الله الدنان، شبكة الانترنت.





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة
(مثل نبي يتوسَّلُ معجزة)

م.م إيمان عبد الجبار جمال
جامعة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) كلية الاداب





المستخلص:

تعد المفارقة البناء الحديث وهي من أهم المكونات التي وظفت في الأدب العربي، وتعني ما يخرج عن المألوف، عن طريقها نتعرف على دلالات ومعاني التي يعبر بها الكاتب عما يجول في ذهنه، إذ وظف سلام مكي المفارقة لعبات العنوان بأغماطها المختلفة: اللفظية، والسياقية؛ لينتج عن دلالات النصوص الخاصة به. ووظفها الشاعر؛ ليعبر عن الدلالات التي عاشها في ظل ظرف بلده، فصنع من حروفه صوراً شعرية بارعة، من خلال مفارقات العتبات النصية للعنوانات الخارجية والداخلية، فضلاً عن توظيف الآيات القرآنية بصور مختلفة من القرآنية المباشرة المخورة والمباشرة غير المخورة ليضيف مسحة جمالية دينية على رونقه الأدبي. الكلمات المفتاحية: المفارقة، المفارقة اللفظية والسياقية، عتبات العنوان، القرآنية.

Abstract:

Irony is considered a modern construct and one of the most important components employed in Arabic literature. It means what goes outside the ordinary. Through it, we learn about the connotations and meanings with which the writer expresses what is on his mind, as Salam Maki employed irony for the title thresholds in their various styles: verbal and contextual. To result from the meanings of its texts. And the poet employed it; To express the connotations that he experienced in light of the circumstances of his country, he created brilliant poetic images from his letters, through the contrasts of the textual thresholds of the external and internal titles, as well as employing Quran verses in different forms, from direct, modified, and direct, unaltered, to add a religious aesthetic touch to his literary elegance.

Keywords: irony, verbal and contextual irony, title threshold, the Qur'an.

المقدمة:

تعد المجموعة ذا أهمية أدبية إذ ذكرها «ناجح معموري» حول غلافها قائلاً: يلتقط سلام مكي ما هو مذوب، ليجعل منه ما هو خاص به.. وشعره يعيد انتاج الارتباك في اللامعقول ويومي به، أسطوريات محتشدة في كثير من نصوصه المفصية لأحلام العود الرمزي.. ويعد شاعر النواة الصغيرة، والحلالي المشكلة لوحداث شعرية صلتها باليومي واضحة. وهو شاعر عراقي من الحلة تولد ١٩٨٦م، حاصل على بكالوريوس قانون جامعة بابل ٢٠٠٩، وبكالوريوس تربيه، قسم اللغة العربية، جامعة بابل ٢٠١٥، ويعمل عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب، وله عدة مؤلفات تم ذكرها في غلاف المجموعة التي نقوم الدراسة عليها، وسوف تدور الدراسة حول فقط هذه المجموعة على ثلاث مباحث ومنها «مفهوم بنية المفارقة، العنوان عتبة نصية، القرآنية»، فضلاً عن قائمة تحتوي على أهم النتائج.

المبحث الأول / مفهوم بنية المفارقة

لمعرفة مفهوم البنية فيجب ان نرجع إلى الأساس في مفهومها لوجدنا أن البنية مشتقة من أصل لاتيني بمعنى البناء التشديد (structure)، من أصل (struere)، وهذا المعنى ليس حديثاً إنما استعمل بالتراث اللساني العربي وتعرف البنية صلاحاً هي الكيفية التي تنظم بها عناصر التركيب ما (١) وبين هذا أن أي مجموعة تحتوي على عناصر فيجب ان تكون داخلها بنية.

فيجب العودة الى المعجم العربي لمعرفة تعريف هذه البنية وتعني ((البُنْيَةُ: ما بُنِيَ - بُنِيَ - ما بُنِيَ - بُنِيَ وهي البناء،





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها ((٢)).
ما يدل هذا التفسير من بنية الكلمة هي صيغتها؛ لذلك تعد البنية مهمة جداً في النص الأدبي، أما الآن نتطرق إلى المفارقة لبيان مفهوم بنية المفارقة على نحو أوضح.
تعرف بنية المفارقة بأنها أسلوب بلاغ ويكون معنى متضاداً مع المعنى الآخر، ويعد مفهوم المفارقة ذا توظيف مهم في الأدب، والشعر بشكل خاص عبر المتضادات التي تنبع من نص القصيدة بدلالات مختلفة (٣).
إذ شاع هذا المفهوم في الغرب ((وظف المفارقة شعراء كبار في الغرب منهم شكسبير واليوت... إلخ، ولا يقتصر في الغرب إنما في العرب قديماً وحديثاً؛ وذلك لأن أغلب القصائد الشعر العربي تعتمد على عناصر المفارقة سواء كانت لفظية أو سياقية وتقاس المفارقة بشدة التضاد كل ما زادت زادت حدة المفارقة)) (٤).
لذلك تعرف المفارقة في معجم المصطلحات الأدبية هي ((تناقض ظاهري، لا يلبث أن نتبين حقيقته، وهي ذات أهمية خاصة بحكم أنها لغة شاعرة، لا مجرد محسن بديعي، فهي إثبات لقول، يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما، بالاستناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام)) (٥)، ويقصد به التناقضات في المعنى والدلالات التي توجد في النص وتنسب بحسب صياغتها ولغتها الشعرية للتعبير الخفي.
فضلاً عن تعريف الدكتور علي عشري زيد حول المفارقة ووصفها بأنها ((تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين، بينهما نوع من التناقض)) (٦).
وهذا تناقض له أهمية في دلالية عند الشاعر، وأصبح يتردد هذا المفهوم بكثرة في الأدب العربي المعاصر، واعتبرت المفارقة صيغة للتعبير الأسلوبي عن المعنى الخفي ضد المعنى الظاهر، وبات توظيفه شائع في الدراسات الحديثة التي تقوم على دراسة النص الأدبي واستنطاقه باحتمالات المفارقة (تضاد) المتعدد (٧).
ولمعرفة أنواع المفارقة، فالمفارقة على نمطين أساسيين هما:
أولاً: المفارقة اللفظية: ويعني من المفارقة اللفظية إن ((المعنى الظاهري واضحاً ولا يتسم بالغموض وذا قوة دلالة مؤثرة)) (٨)، حيث يمكن للقارئ معرفتها بسهولة كونها ((تعد من أوضح الأشكال المفارقات وأبسطها في الإبداع العربي الحديث)) (٩).
ووظف الشاعر سلام مكّي المفارقة اللفظية في نصوصه حينما قال:

كرماح حمر

لأكون: إلهاً للحقول

التي تحصد المناجل

قبل أوانها (١٠).

وفي قصيدة أخرى يقول:

السيف الأحمر

هوى على رأسه

كمقصلة (١١).

نجد أن الشاعر وظف المفارقة اللفظية في صورتين شعريتين الأولى (رمح حمر)، والثانية (سيف أحمر)، وأن المعنى الحقيقي الظاهر (الرمح والسيف) ليس باللون الأحمر، لكن جعل الشاعر من هذا الاختلاف مفارقة لفضية ذات دلالة على اللون الأحمر الذي يرمز إلى لون القتل والدم أي بمعنى الرمح والسيف الملطختان بالدم والموت والقتال.
ثانياً: المفارقة السياقية / وتعني مفارقة الموقف أو الحدث، وتعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث فيما يحيط به (١٢)، إذ وظف سلام مكّي هذه المفارقة عن طريق نصوصه إذ قال:
أريد شرعاً بلا سقينة





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

كي أبحر إليك دون رجعة
أريد نجمة تعصمني من العتمة
ونسمة من القيط
وصمتاً من الصراخ (١٣).

وتبرز المفارقة السياقية بين المتناقضات وبين إحساس الشاعر، فكيف تبحر السفينة من دون الشراع؟ وهذا دلالة على روحه التي أصبحت مميتة بسبب واقع المرير، فالسفينة هي روح الشاعر، والبحر هي حياته التي عاشها التي ارد اللهاب منها دون رجعة، وهذا دلالة على الألم الذي عاشه الشاعر في ذلك الوقت .. ثم يوظف تضاد آخر في نهاية النص نفسه قائلاً: (وصمتاً من الصراخ) فالمعنى اللغوي للصمت هو متضاد مع المعنى الصراخ (الصمت الصراخ)، إذ برز الشاعر صورة شعرية اتكى فيها على التضاد ليصور عالم القصيدة والآلام التي عاشها فجمع بين متضادين (الصمت)، (الصراخ)، وهذا دلالة على كتمان الشاعر للألم الذي يسكن داخله رغم داخل الشاعر بركان من الألم لكن يظهر بروح ساكنة وهادئة.

فضلا عن توظيف الشاعر تكنيك فني من المفارقات وهي مفارقة أسلوبية ((تعد المفارقة الأسلوبية تكنيكاً فنياً لجأ إليه الشاعر المعاصر فاستخدمه لإبراز التناقض بين طرفي متقابلين بينهما نوعاً من التناقض)) (١٤)، فرسم الشاعر سلام مكي تناقضات عبر نصه الشعري إذ قال:

مثل رصاصة بلا بارود

مثل ظل، بلا جسد

مثل باحة، بلا شمس

مثل قضبان، بلا سقف (١٥).

وأعتمد الشاعر في هذا النص تكنيك إطار تعبيرياً عاماً وجمع بين المتناقضات والشيء المناقض له، فكيف تكون قيمة الرصاصة من دون البارود؟، وهي دلالة على أن رصاصة لم تقتل أحداً، ثم صور الشاعر الجسد بلا ظل، لمن يكون ذلك الظل إذا؟ وهنا أيضا دلالة على عدم وجود الجسد، وذلك لعدم وجود ظل له، ثم صور الشاعر حول النفس الحبيسة رغم أنها حرة عندما قال (قضبان بلا سقف) القضبان بمعنى المعتقل، فهل يجوز المعتقل الذي يسجن فيه بلا سقف! وذلك دلالة على ان الشاعر رغم هو على قيد الحياة لكن يعيش في ظروف تجعل الشاعر يعبر عن هذه الظروف بهذه الصورة الشعرية متناقضة ذات مفارقة حادة، فالحياة التي يجب أن يكون فيها حر فعاشها الشاعر بين القضبان.

المبحث الثاني: العنوان عتبة نصية

يقع العنوان تحت ظل مصطلح العتبات النصية وبعد ذا أهمية في النص الأدبي، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت عناية النقاد والعلماء بدراسة العتبات النصية ومن أبرز الدراسات دراسة جيران جنيت كونه يعد ((من الأوائل الذين تبنا قضية العتبات عن طريق بحثه المعيق في كتابه «أطلس palimpsestes»، وكتابه «عتبات senils» عبر عن الانتقال من مركز الاهتمام في شعرية نصية إلى أخرى متعالية)) (١٦).

فضلاً عن تعريف جنيت للمناص في عتباته وعدّ ((نمط من أنماط المتعالية النصية وشعرية عامة يتشكل من رابطة، هي عموماً أقل ظهوراً وأكثر بعداً من المجموعة الذي يشكله عمل أدبي)) (١٧)، وعن طريق هذا التعريف تبرز أهمية المتعاليات النصية الذي ينتمي لهم العنوان فضلاً عن ((إن العتبات النصية في الشعر الحديث نص جديد يدعم النص الأصلي، وتقف على الصالة النص الأدبي وتفرد)) (١٨)، وهذا ما يوضح تسليط الضوء على النص الحديث دون إلغاء النص القديم وأضاف العنوان في تشكيلة إضاءة للنص للكشف عن دلالات النصوص داخل العمل الأدبي.

إذ يعد العنوان هو ضمن «النص المحيطين النصي» للمناص النصي الذي يشمل كل من الغلاف العنوان الرئيسي واسم المؤلف والأيقونة .. الخ (١٩).





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

وعندما ندرس عتبة النصية للعنوان عن طريق المفرق نجد أنه غلاف المجموعة (مثل النبي يتوسل معجزة) يشد انتباه القارئ في عالم المفارقات مما نجد التشكيل البصري يحمل العديد من المفارقات، كما موضح في هذا النحو:
كيف يجو كتيب وسماء غائمة يوجد ظل للمقعد؟ أي كيف يتولد الظل دون ضوء الشمس وسط جو غائم! ، مما نجد حمامة بيضاء اللون تحمي خلف ظل ومقعد، ونلاحظ توجد قطعة سوداء اللون فوق المقعد ذا لون أحمر.
وعن طريق هذه الأيقونة تكون لنا صورة من المتناقضات التي تزيد حدة المفارقة وهي:
القطعة X الحمامة اللون الأسود X اللون الأبيض صورة ظل X دون ضوء.

في بداية الأمر يعكس تناقضات الألوان «الأسود X ولأبيض» تناقضات إحساس الشاعر؛ لذلك وظف الشاعر في الغلاف تقنية الضوء بالألوان المتضادة ((تعد تقنية الإضاءة الأكثر فعالية في تجسيد ترجمة التحولات دراماتيكي في تسلسل البناء الدرامي للوصول إلى بث علامات الثيمة الرئيسة على نحو إشارات إبحاءات تحمل دلالات واضحة ومعروفة من قبل المشاهد، وصولاً إلى الذروة الأساسية للموضوع بعد تقسيم الأبعاد الثلاثية الأشكال والكتل وتكوينات والتي بدورها تساهم في عملية الإيهام الطبيعي لخلق الأجواء الإيقاعية البصرية)) (٢٠).

وإن رؤية الصورة مع (ضدية العنوان) يلتبس حضور واضح للمعادل البصري في هذه المجموعة فيعكس المفارقة اللونية عن طريق « العنوان» الذي جزؤه الشاعر الى اللونين (الأسود) و (الأحمر) فاختلاف اللون هنا ليس ضدي أي اللون الأسود ضد الأبيض وليس الأحمر لذلك يكون اللونين هنا موازياً من الأصل، لكن جأت مفارقة له بقسم العنوان إلى قسمين:

مثل ونبي _____ اللون الأحمر

يتوسل معجزة _____ اللون الأسود

اللون الأحمر يعد من الألوان الأساسية الساخنة وهو يدل على الروح والقوة وهو رمز للدم والنار والقتال ويعبر عاطفياً عن الحب والسعادة (٢١)، وهنا جاءت دلالة على الدم والقتل أما اللون الأسود فهو يدل على الحزن والحداد من أجل سيلان هذا الدم، رسم مشاعر المفارقة عن طريق الألوان؛ ليعزز دلالة العنوان للمجموعة الشعرية فضرب الشاعر مثلاً لصورة حية ما دلالة دينية وهي دلالة النبي ومعجزاته التي وهبه الله بها؛ لذلك جعل الشعر العنوان يظهر على نحو كبير وبشكل متدرج أي للصعود.

كما في رمز الحمامة هي للسلام ورمز القطع السوداء للعدو اما المقعد فهو ما يترأس فيه المكان ورمز له اللون الأحمر دلالة على القتال من أجل هذا المكان.

يتساءل المتلقي عن هوية النبي الذي توسل المعجزة. في كل الأنبياء لها معجزات هذا ما يجذب المتلقي لقراءة النصوص ومعرفة هوية هذا النبي، وسوف نوضح ذلك عن طريق تحليل النص الذي يكون مناس مع العنوان الخارجي.

في حين يتصدر اسم المؤلف سلامك فوق العنوان الخارجي وأيقونة، وهذا دلالة أن شاعر عاتشة فوق كل ما تلت عليه الأيقونة والعنوان الخارجي من دلالات التي عاشها في ضوء بلده العراق.

وهذا ما يخص العنوان الخارجي أما العنوان الداخلي فيندرج تحت نوع المناص التألفي هو نوع ثان من أنواع العتبات النصية يشمل كل ما يؤلفه المبدع من العنوان الثاني منها العناوين الفرعية والمفتتحات والتشكيل الهندسي وغير ذلك (٢٢).

يعد العنوان الداخلي للمجموعة الخيط الذي يجر المتلقي إلى النص وبيان دلالاته وهو أهم عنصر من عناصر العتبات ويتكون من نوعين رئيسي كما أوضحنا في النص الخيط النشرة وثانوي (٢٣) ، وسوف نتطرق إليه الآن، نجد هناك مفارقة في صياغة العناوين الداخلية لهذه المجموعة كما في عنوان قصيدة (جنانز معلقة) (٢٤)، وهي مفارقة لفظية كونها تعد باسم (جنانز معلقة) لكن إرادة الشاعر تهي لبيان المفارقة دلالة على الدمار والحروب جعلت من الحدائق إلى مقبرة تعلق فيها الجثث البرينة في ظل ظروف البلد لما أصبح الموت معتم في بلده.

فضلاً عن عنوان قصيدة (غيمة في المراعي) (٢٥)، ففي الحقيقة الغيمة توجد في السماء كما هو متعارف عليها وهنا





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

مفارق فكيف لقيمة أن توجد في المراعي لكن أراد الشاعر أن يرمز إلى الغيمة بدلالة الهموم الذي سادة في مدينته .
وأيضاً في عنوان قصيدة (ظل المطر) (٢٦)، حيث صور الشاعر عن طريق صورته الشعرية أن للمطر ظل وهذا غير متعارف عليه في الواقع لذلك أحدث مفارقة السياق؛ لأنه الظل يكون ناتجاً عن ضوء الشمس وليس المطر وهذا دلالة على أن الشاعر يتأمل أن يكون هناك أمل للنهوض والمطر دلالة على الخير.

وقصيدة التي عنوانها (موجة تعزف الناي) (٢٧)، المفارق هنا هي

الموجة = البحر

والعزف = الناي

الموجة x العزف

أي صف العزف على الحياة عن طريق توظيف رمز البحر دلالة على الحياة وهذه النوع من المفارقة هي سياقية مضمرة. وفي ضوء ذلك فإن لعلامة العنوان وظائف محددة حيث وظفها الشاعر عن طريق مجموعته الشعرية وهذه الوظائف كانت الأساس الذي أرتكن عليها جيران جنيت ومنها:

أولاً: الوظيفة التعينية: ((هي الوظيفة التي تحدد اسم النص أو الكتاب بصرف النظر عن محتواه وقيمه الفكرية.. وتعرف بالتعريفية كونها تشكل تسمية قد تكون اعتباطية للنص أو الكتاب تمنح للنص اسمه)) (٢٨)، إذ التزم بها الشعر سلامك وجعل لكل نص تسمية، وبعد استقراء العنوانات للخطاب الشعري له وجدت الباحثة أنه الصياغات الفعلية أكثر من الصياغات الاسمية للعنوانات، حيث إن نسبة الفعلية (٧٠٪) والاسمية (٤٠٪)، وهذه الهيمنة الفعلية تتعلق في مضمون النص الشعري فضلاً عن توظيف العنوانات المفردة بالنسبة (٢٠٪) كما في عنوان قصيدة «امرأة» عنوان قصيدة «أي»، وهذا دلالة على أن الشاعر وظف هذه النسبة القليلة من العنوانات المفردة فإنه إرادة من عنوانه قصائده الجميع وليس فقط هو.

ثانياً: الوظيفة الوصفية: ((هي الوظيفة التي تكشف عن محتوى النص أو الكتاب، أو تكون المرشدة أي موضوعاته)) (٢٩)، وتسمى هذه الوظيفة الدلالية كأنها تدل على النص فتجعل المتلقي يتعرف على قيمة النص ونوعاً عن طريق عنوانه، إذ وظيفة سلام مكي عنوان قصيدة «أي» هو دلالة على النبي يعقوب (عليه السلام)، وذلك عن طريق النص حيث وردا في تحويل النص الأدبي في قصيدته:

رامي قميصه على الجدران

فلم تبصر شيئاً

تمتم بكلمات لا يفهمها

امسك معوله الهواني

وأخذ يشتم الجميع

من أكون، حتى لا يعرفني أحد؟ (٣٠)

حيث تنص دلالة هذا البيت على قصة نبينا يوسف (عليه السلام)، عندما فقد والده نبي يعقوب (عليه السلام) فقد بصره بسبب فراقه، وكان في القميص دلالة على وجود ولده، إذ ربط الشاعر دلالة العنوان مع النص الشعري بعنوان «أي» ووظف شاعرنا في وظيفة العنوان الوصفي

وهناك عنوان آخر أيضاً موظف هو الشاعر بالوظيفة الوصفية هو «مثل نبي يتوسل معجزة» يقول في النص:

وجه صبي

يطرق الأبواب

ثم يختبئ

لينتظر صبية تخرج





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

أو صوتاً، يعبد روحه الوعة
ومرّة، طرق باباً خاوية
فأمسكه الموت من قميصه
وتزاحم حوله الجيران والملائكة (٣١).

نجد دلالة قصة النبي يوسف (عليه السلام) أيضاً وهي قصة مذكورة في القرآن الكريم أيضاً في الآية الكريمة قول تعالى: (وَاسْتَيْقَظَ اللَّيْلَ وَفُتِّقَ قَمِيصُهُ مِنْ ذُبُرٍ وَأَلْفَيْ سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣٢)، وهذا دلالة على أن العنوان ذو وظيفة وصفية تمثل النبي هو النبي يوسف (عليه السلام) يتوسلون معجزة، أي ما تتعرض له النبي يوسف مظلوم في البر وفي بيت حاكم مصر وفي السجن كلها تدل على أن النبي كان يدعي ربه أن تنزل به معجزة يفرج عنه الظلم الذي يتعرض له من قبل إخوته وزوجة عزيز مصر، وهذا العنوان جواباً للقارئ عن اسم الكتاب الخارجي.

ثالثاً: الوظيفة الإيحائية: وهي مرتبطة بالوظيفة الوصفية؛ كونها متضمنة للوظيفة الإيحائية، وهذا الأمر خارج عن إرادة المؤلف ويتحقق دون قصد منه أي يصرح عن محتوى النص (٣٣).

كما في عنوان قصيدة «امرأة» فنجد النص يدل على قصة امرأة فالتعنوان هنا يوحي للنص الاتي، يقول الشاعر:

تفتش في حقيبتها

عن بقايا رجل

أيقن

أنه مثل شجرة

لم يفرسها أحد (٣٤).

رابعاً: الوظيفة الإغرائية: - أي أن يكون العنوان عنصر جذب للقارئ يستهدفه في الأصل أن طريق التشويق والإثارة وصفه جزار جنيت بالمضرة للنص (٣٥)، موظف الشاعر هذا النوع كما في عنوان قصيدته (سادن الإلهة) (٣٦) وقصيدة (مالم يقوله كلكامش) (٣٧)، عن طريق هذه العناوين جذب المتلقي نحوها من هي السادن إلاله وما هو القول الذي لم يقله كلكامش...، فيرجع إلى النص لمعرفة الشيء الذي انجذب له.

المبحث الثالث: القرآنية

لهيمنة هذا المصطلح مكانة عظيمة وأهمية القرآن الكريم جعل المؤلفون يكتب نصوصاً من كلامه فأصبح القرآن ذا قيمة فكرية ودينية؛ لأن ((النص القرآني يجيب عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير بشكل جمالي فني، ولهذا يمكن وصفه نص لغوي... وهذه اللغة ليست مجرد مفردات وتراكيب، وإنما تحمل رؤية معينة للإنسان والحياة والكون)) (٣٨)، وهذه وظيفة الشاعر القرآنية أي اقتباس من النصوص القرآنية في شعره؛ لأن القرآنية تعد خط معاصر وظفه الشعراء بدقة مع النص الشعري لا شباع نصوصهم للإبداع البلاغي بأنماط مختلفة (٣٩)، فوظف سلام مكي في نصوصه القرآنية بأنماطها الثلاثة: في قصيدته « يريد مستعجل من الله » قال الشاعر:

إن الله يأمرك أن تعيد الأمانة إلى أهلها

أنما في الشوارع، خذوا ما خف حملة، ولا تسالوا عن الآخر فالكل بلا أثمان (٤٠).

نجد الشاعر وظف القرآنية المباشرة غير محورة وهو الذي يحفظ الشكل الدلالي للنص القرآني يتم النقل الحرفي من غير تعديل أو تبديل لتمكين المعنى الشعري (٤١)، حيث وظف الشاعر النص « إن الله يأمرك أن تعد الأمانة إلى أهلها » وهو مقتبس من القرآن الكريم كما في سورة النساء قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (٤٢)، فلم يجد الشاعر أي تبديل أو تغيير كذلك هنا هذا النص هو قرآنية مباشرة غير محورة.

أما في قصيدة (جنائز معلقة) حيث قال الشاعر:





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

وجاء من أقصى القرية

رجل لا يسعى لشيء سوى الرحي (٤٣).

وهنا وظف الشاعر القرآنية المباشرة المحورة هو جعل المؤلف النص القرآني ممتزج مع النص الشعري مع تحوير في النص القرآني لفظ ودلالة وحذف (٤٤)، وظيف الشاعر النص القرآني من سورة ياسين قوله تعالى: وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٤٥)، فنجد الشاعر قام بتحويل الناس من رجل (يسعى) إلى رجل (لا يسعى)، و(القرية) بدل (المدينة) وهذا ما تم توظيفه من القرآنية المباشرة المحورة أيضا في قصيدة (السقف العاري) عندما قال الشاعر:

قلت ما تلك بيمينك أيها القدر؟

قال: هي أيامك، أتوضأ بها

فرحت بعيداً (٤٦).

وهو قرآنية مباشرة محاوره مع النص القرآن من سورة طه في قول: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَرْبٌ أُخَرَى) (٤٧)، وهنا جاءت القرآنية مباشرة ولكن حولها الشاعر (أيها القدر) بدلا من (موسى) و(أيامك) بدلا من (العصا).

أما في قصيدة (إي) قال الشاعر:

وأحرق بقاياها بجمرة طائشة

رامي قميصه على الجدران

فلم تبصر شيئا (٤٨).

حيث وظف الشاعر هنا القرآنية غير مباشرة المحورة ((تكون السلطة المنتجة للنصوص وفقا لهذه التقنية منطاة بالمبدع الجديد، أما النص القديم فمغيب عن المتلقي غياباً قد يفقد حق الملكية الإبداعية التي ورثها المبدع جديد، إذ لا تكاد تقف على صراح النص القديم الا أعلى بعض إشعارات يقوي ضوءها)) (٤٩).

نجد من هذا النص فقط إشارات إلى آية قرآنية من سورة يوسف في قوله تعالى: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا (٥٠)، هنا هذه الإشارات هي التي جعلتنا نعرف قصة النص كون أن الشاعر هنا وضعف القرآنية الغير مباشرة وحولها من القوة على وجه أي إلى رمي قميصه على الجدران، ومن يأت بصيراً إلا فيلم تبصر شيئاً، هذا ما وظف الشاعر من القرآنية غير مباشرة المحورة وظفها أيضا في نص آخر من قصيدة (رصاصة في جيبه بندقية) قال الشاعر:

وأختار منها ما يدعوني للبكاء

هل أنا كأس، لتشربني الحياة؟

هل أنا بقرة صفراء لتذبحني النوس؟ (٥١).

إذ نجد الشاعر وظف القرآنية الغير مباشرة المحورة عن طريق إشارات في سورة البقرة في قوله تعالى: (اذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا) (٥٢)، وهي إشارة إلى البقرة الصفراء ثم اختتم بيته لا تذبحني النوس؟ وهذا أيضا إشارة إلى سورة البقرة عندما قال تعالى: فَذَنِّبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٥٣)، وهذه الإشارات دلالة على توظيف الشاعر القرآنية الغير مباشرة وإقامة بتحويلها وجعل من البقرة ضمير أنا واستخدمه علامات الترقيم ومنها الاستفهام.

وفق ما وجدنا من إحصائية حول توظيف الشاعر إلى هذه الأنماط الثلاثة حيث وظف القرآنية المباشرة الغير المحورة بنسبة (٢٠٪)، أما نسبة التوظيف القرآن الغير المباشرة المحورة مساوية لنسبة القرآنية الغير مباشرة وغير محورة (٤٠٪) ما أراد الشاعر من هذا إضافة مسحة دينية الخطابة والشعري.

الخاتمة:

تعرفنا على بنية الكلمة وأهميتها في النص الأدبي ؛ وذلك لكوننا لا نعرف الجمل وصور التي تكونها النصوص إلا





بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

بالرجوع إلى المباني الصرفية ومعرفة الأساس الدلالي للكلمة، مما وجدنا أن شعرية سلام مكّي ترتكز على حدة المفارقة التي برز بها الإلام التي عاشها في مجتمعه، ومثل هذه المجموعة توازي ما بين معجزات وما بين مرارة الحياة؛ لذلك صاغ الشاعر عتبة العنوان بمفارقة من حيث التركيب ومن حيث اللون ليترك دلالات مختلفة يدفع القارئ للتفكير بما يقصده، ولم يقتصر عن العنوان الخارجي إنما انبثقت سلسلة تضاديات في العناوين الداخلية للمجموعة محبوكة بعمق لغوي مع ربطها بالنص الأدبي، مما عكست المفارقة الروية المزدوجة للحياة التي كان يعيشها الشاعر، أما النصوص القرآنية إضافة مساحة دينية جمالية على مجموعته الأدبية.

الهوامش:

- (١) ينظر: توظيف مفهوم البنية في اللغة، د. مزياتي مريم، مجلد ٧، العدد ١، السنة ٢٠٢٣: ٤٥٩-٤٦٠.
- (٢) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية- مصر، ط٤، ٢٠٠٤: ٧٢.
- (٣) ينظر: جماليات المفارقة النصية «قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي محمد صبحي»، أسامة عبد العزيز جاب الله (web).
- (٤) المصدر نفسه.
- (٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، ط١، ١٩٨٥: ١٦٢.
- (٦) بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، مكتبة الأدب القاهرة، ط٤، ٢٠٠٢: ١٣٠.
- (٧) بنية المفارقة وانماطها في رميات أبي فراس الحمداني، د. سالم عبد الرزاق، مجلة السرديات، العدد ٣٢، سنة ٢٠١٩: ٩٦.
- (٨) جماليات المفارقة النصية «قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي (web).
- (٩) اليات اشغال المفارقة في قصة القصيدة جداً» قراءة في مجموعة جلال عبد الحبيب لسعيد بوطاجين، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مجلد ٧، عدد ٢، سنة ٢٠٢١: ٢٦٥.
- (١٠) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكّي، دار الطبع شهباز، ط١، ٢٠٢١: ١٠.
- (١١) المصدر نفسه: ١١٢.
- (١٢) جماليات المفارقة النصية «قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي (web).
- (١٣) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكّي: ٩.
- (١٤) تحليلات المفارقة الأسلوبية في النص الأدبي، د. محمد حسين، مجلة الجامعة الاسمية: ٣١٤.
- (١٥) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكّي: ٧.
- (١٦) النص والنص الموازي، مقامات الحريري ومنتينات الوسطي قراءة في سيميائية الصورة: ٥٥.
- (١٧) عتبات جبرار جنبيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقدم سعيد يقطين، دار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠٠٨: ٤٣-٤٤.
- (١٨) العتبات النصية في شعر محمود عموش، د. محمد عبد الباري، دراسة سيميائية موازنة: ٢.
- (١٩) ينظر: الرمز في شعر احمد الشيخ علي، ايمان عبد الجبار، جامعة بغداد، ٢٠٢٢: ٩١.
- (٢٠) الخطاب البصري الجمالي والمنظومة السمعية في العرض المسرحي، طالب عبد الحسين فرحان، مجلة الاكاديمية كلية الفنون جميلة، عدد ٦٩، سنة ٢٠١٤: ١٦١.
- (٢١) ينظر: الألوان، كلود عبيد، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣: ٧٣-٨٠.
- (٢٢) العنوان مناصاً تأليفاً قراءة في انماط النص الخيطي، د. احمد علي محمد، مجلة السلم السنة الاولى، مجلد ١، العدد ١-٢، سنة ٢٠١٧: ٤٧٢.
- (٢٣) ينظر: عتبات جبرار جنبيت من النص الى المناص: ٦٥.
- (٢٤) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٢٧.
- (٢٥) المصدر نفسه: ٣١.
- (٢٦) المصدر نفسه: ٤١.
- (٢٧) المصدر نفسه: ١٠٧.
- (٢٨) عتبات جبرار جنبيت من النص الى المناص: ٨٦.
- (٢٩) المصدر نفسه: ٨٧.
- (٣٠) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٩٢.
- (٣١) المصدر نفسه: ٤٦.
- (٣٢) سورة يوسف / ٢٥.
- (٣٣) ينظر: عتبات جبرار جنبيت من النص الى المناص: ٨٧.
- (٣٤) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٨٣.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة (مثل نبي يتوسل معجزة)

- (٣٥) ينظر: عنيات جبرار جينيت من النص الى المناس: ٨٨.
(٣٦) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٧٥.
(٣٧) المصدر نفسه: ٣٥.
(٣٨) النص القرآني وافي الكتاب، ادونيس، دار الكتاب العربية: ٢٠.
(٣٩) ينظر: القرآنية في شعر الرواد، احسان الشيخ حاجم التميمي، دار الشؤون الثقافية، ط١، ٢٠١٣: ٣٥.
(٤٠) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ١٦.
(٤١) ينظر: القرآنية في شعر الرواد: ٣٥.
(٤٢) سورة النساء / ٥٨.
(٤٣) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٢٨.
(٤٤) ينظر: القرآنية في شعر الرواد: ٤٥.
(٤٥) سورة يس / ٢٠.
(٤٦) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٥٣.
(٤٧) سورة طه / ١٧.
(٤٨) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٩٢.
(٤٩) تأصيل النص، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣: ١٨٣.
(٥٠) سورة يوسف / ٩٣.
(٥١) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ١٠٥.
(٥٢) سورة البقرة / ٦٩.
(٥٣) سورة البقرة / ٧١.

المصادر:

- القرآن الكريم
– الألوآن «دورها وتصنيفها ومصادرها ورمزيتها ودلالاتها»، كلود عبيد، مراجعة وتقديم د. محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣ م.
– الرمز في شعر احمد الشيخ علي، إيمان عبد الجبار، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٢٢ م.
– العنيت النصية في شعر محمود عموش و محمد الباري، دراسة سيميائية موازنة، أمل تحسين يحيى أبو عاصي (رسالة ماجستير)، جامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٩ م.
– العنوان مناصاً تاليفاً «قراءة في أنماط النص الغيبي»، د. احمد علي محمد، مجلة السلم السنة الأولى، جامعة بغداد - كلية الآداب، مجلد ١، العدد ١-٢، سنة ٢٠١٧ م.
– القرآنية في شعر الرواد «دراسة لتفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي»، د. احسان الشيخ حاجم التميمي، دار الشؤون الثقافية، ط١، ٢٠١٣ م.
– النص القرآني وافي الكتاب، علي احمد سعيد ادونيس، دار الكتاب العربية القاهرة، دار الأدب بيروت، (د.ط)، (د.ت).
– النص والنص الموازي، مقامات الحريري ومنمنيات الوسطي قراءة في سيميائية الصورة، لبنى خشة (اطروحة)، جامعة الإخوة منتوري - كلية الآداب، قسنطينة، ٢٠١٨ م.
– اليات اشغال المفارقة في قصة القصيدة جداً «قراءة في مجموعة جلال عبد الحبيب لسعيد بوطاجين، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مجلد ٧، عدد ٢، سنة ٢٠٢١ م.
– بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، مكتبة الأدب القاهرة، ط٤، ٢٠٠٢ م.
– بنية المفارقة وأنماطها في رميات ابي فراس الحمداني، د. سالم عبد الرزاق، مجلة السرديات، العدد ٣٢، سنة ٢٠١٩ م.
– تأصيل النص «قراءة في ايدلوجية التناس»، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣ م.
– تحليلات المفارقة الأسلوبية في النص الأدبي، د. محمد حسين، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد ٢٢، سنة ١١.
– توظيف مفهوم البنية في اللغة، د. مزياتي مريم، مجلد ٧، العدد ١، السنة ٢٠٢٣ م.
– جماليات المفارقة النصية «قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي ل محمد صبحي»، أسامة عبد العزيز جاب الله. (www.diwanaalarab.com web)).
– ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكي، دار الطبع شريار، ط١، ٢٠٢١ م.
– عنيات جبرار جينيت من النص إلى المناس، عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، دار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠٠٨ م.
– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، ط١، ١٩٨٥ م.
– معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية - مصر، ط٤، ٢٠٠٤ م.
– الخطاب البصري الجمالي والمنظومة السمعية في العرض المسرحي، طالب عبد الحسين فرحان، مجلة الأكاديمية كلية الفنون جميلة، عدد ٦٩، سنة ٢٠١٤ م.





الروايات التاريخية للنهائيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

أ.د. خليل حسن الزركاني
جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية





المسلم المستخلص:

تأتي النهايات المأساوية للأئمة المعصومين (عليهم السلام) لتجسد مدى الحقد الذي يمارسه خلفاء الدولتين الأموية والعباسية على المذنبين بسبب تجمع المسلمين حول كل واحد من المسلمين. اثني عشر إماماً، وكانوا يفرعون من وجود الشيعة الملتفين حولهم، المعصومين، وخوف هؤلاء من فقدان الخلافة. ولعب الجانب السياسي دوراً مهماً في ظهور النهايات المأساوية للأئمة، وقتلهم بطرق مختلفة، والتخلص منهم. ويهدف البحث إلى دراسة نكبات الأئمة المعصومين. وكيف تخلص الخلفاء من الأئمة بزعجهم في السجون واستخدام السم كوسيلة لقتلهم، وهذا يشمل أكثر الأئمة المعصومين باستثناء الإمامين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (عليه السلام) و ابنه الإمام الحسين (عليه السلام). قُتل الحسين في حادثة اللطف سنة ٦١ هـ. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث اضطهاد الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي للأئمة المعصومين عليهم السلام لاعتقادهم أن هؤلاء الأئمة سيأخذون منهم الخلافة، حيث سيطر العامل السياسي. تفكيرهم.

الكلمات المفتاحية : النهايات المأساوية ، لآل البيت عليهم السلام

Abstract:

The tragic ends of the infallible Imams, peace be upon them, embody the extent of the hatred exercised by the caliphs of the Umayyad and Abbasid states against the sinners, peace be upon them, because of the gathering of Muslims around every one of them. Twelve imams, and they were terrified by the presence of the Shiites surrounding them, the infallible ones, and their fear of losing the caliphate. The political side played an important role in the tragic endings of the imams, their killing in various ways, and their disposal. The research aims to study the endings of the infallible Imams. How did the caliphs get rid of the imams by putting them in prisons and using poison as a means to kill them? This includes most of the infallible imams with the exception of the two imams, the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib, peace be upon him, and his son Imam Hussein (peace be upon him). . . Al-Hussein was killed in the Lutf incident in the year 61 AH. One of the most prominent findings of the research was the persecution of the infallible imams by the caliphs in the Umayyad and Abbasid eras, peace be upon them, because they believed that these imams would take the caliphate from them, as the political factor dominated. Their thinking.

Keywords: The tragic endings of the Prophet's family, peace be upon them

١. شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

واشتهرت الرواية عن عثمان بن المغيرة ، قال : كان عليّ (عليه السلام) لما دخل رمضان يتعشّى ليلةً عند الحسن ، وليلةً عن الحسين ، وليلةً عند عبد الله بن جعفر ، زوج زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان لا يزيد علي ثلاث لقم ، فقبل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك ، فقال : « يأتيني أمر الله وأنا خميص ، إنما هي ليلة أو ليلتان ». فلم تمض ليلة حتى قُتل (١). سبب قتله : (٢)

وكان سبب قتله أن نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكة ، فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولائهم ، ثم ذكروا أهل النهر فترجّخوا





الروايات التاريخية للنهائيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أنمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد !
وقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي . لعنه الله . : أنا أكفيكم علياً ، وكان من أهل مصر . وقال البرك بن عبد الله التميمي
الضُرعي : أنا أكفيكم معاوية . أما عمرو بن بكر التميمي ، فقال : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا على ذلك
وأخذوا سيوفهم فسمّوها ، وأتعدوا لسبع عشرة من رمضان ، وقصد كلٌ منهم الجهة التي يريد .
فأتى ابن ملجم الكوفة كأنما أمره ، فبينما هو هناك إذ زار أحداً من أصحابه من تيم الرباب ، فصادف عنده قطام بنت
الأخضر التيمية .. وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل أباه وأخاه بالنهروان ، فلما رآها أخذت قلبه فخطبها ،
فأجابته إلى ذلك على أن يُصدقها : ثلاثة آلاف وعبداً وقينة ، وقتل علي !!

فقال لها : والله ، ما جاء بي إلا قتل علي ، فلك ما سألت !
قالت : سأطلب لك من يشدّ ظهرك ويساعدك ، وبعثت إلى رجل من قومها اسمه : وردان وكلمته فأجابها .. وروي أن
الإمام (عليه السلام) سهر في تلك الليلة التي قُتل فيها ، وكان يكثر الخروج والنظر إلى السماء ، وهو يقول : « والله
ما كذبت ولا كذبت ، وأما الليلة التي وعدت بها » ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول :
أشدّد حيازتك للموت

فإن الموت آتيك

ولا تجع من الموت

إذا حلّ بواديك (٣)

وأخذ ابن ملجم سيفه ومعه شبيب بن بكرة ووردان ، وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي عليه السلام للصلاة .. فضربه
ابن ملجم أشقى الآخرين لعنه الله ، ليلة تسعة عشر من شهر رمضان ، سنة أربعين من الهجرة ، في المسجد الأعظم بالكوفة ،
ضربه بالسيف المسموم على أُم رأسه .

فمكث (عليه السلام) يوم التاسع عشر وليلة العشرين ويومها ، وليلة الحادي والعشرين إلى نحو الثالث من الليل ثم قضى نحبه
شهيداً محتسباً صابراً وقد ملأ قلبه غيضاً ..

بتلك الضربة الشرسة التي ارتجّ لها المسجد الأعظم ، دوى صوت الإمام المظلوم بنداء : « فزت وربّ الكعبة » لم يتلّكاً ولم
يتلّعم في تلك اللحظات التي امتحن قلبه ، وهو القائل « والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » هذا الإمام العظيم الذي
طوى صفحات ماضيه القاسية بدمائه الزكية الطاهرة ، أدرك في لحظاته الأخيرة أنه أنهى خطأ الجهاد والحنّة ، وكان أسعد المخلوقين
في هذه اللحظات الأخيرة ، حيث سيغادر الكفر والنفاق والغش والتعسف .. سيترك الدنيا لمن يطلبها ؛ ليلحق بأخيه وابن
عبيّه ورفيق دربه في الجهاد في سبيل الله صابراً مظلوماً ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ..

اللهم احشرونا معهم واجعلنا من أتباعهم والمتوسمين خطاهم .. آمين . وقيل : كان عمره يوم استشهد ثلاثاً وستين سنة ، وتولّى
غسله وتكفينه ابنه الحسن والحسين بأمره ، وحمله إلى الغرّين من نجف الكوفة ، ودفناه هناك ليلاً ، وعمّياً موضع قبره بوصيته
إليهما في ذلك ، لما كان يعلم من دولة بني أمية من بعده ، وأنهم لا ينتهون عمّا يقدرّون عليه من قبيح الأفعال ولئيم الخلال ،
فلم يزل قبره مخفياً حتّى دلّ عليه الصادق عليه السلام في الدولة العباسية ، وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة (٤) .

٢ . شهادة الإمام الحسن (عليه السلام)

استشهد في السابع من صفر ٥٠ هـ ، وقيل : في الثامن والعشرين من صفر بالمدينة المنورة ، ودفن بمقبرة البقيع . كيفية استشهاده
، قتل مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث الكندي ، بأمر من معاوية بن أبي سفيان . قال الشيخ المفيد ، « وضمن [أي :
معاوية] لها أن يزوجه بابنه يزيد ، وأرسل إليها مائة ألف درهم ، فسقته جعدة السم » (٥) ، ففعلت وسمّت الإمام الحسن (عليه
السلام) ، فسوّغها المال ولم يزوجه من يزيد .

تشيعلا

جاء موكب التشيع يحمل جثمان الإمام (عليه السلام) إلى المسجد النبوي ليدفنوه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ،





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

وليجتدوا العهد معه، على ما كان قد وصى به الإمام الحسين (عليه السلام) فجاء مروان بن الحكم وبنو أمية شاهرين سلاحهم، ومعهم عائشة بنت أبي بكر. وهي على بغل. إلى الموكب الحافل بالمهاجرين والأنصار وبنو هاشم وسائر المؤمنين في المدينة المنورة.

فقال مروان: «يا زُب هيجاء هي خير من دعة! أيدفن عثمان بالبيع، ويدفن حسن في بيت النبي! والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف» (٦)، وقالت عائشة: «والله، لا يدخل داري من أكره» (٧)، أو قالت: «ما لي ولكم؟ تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب» (٨).

وبذلك قال الشاعر:

منعته عن حرم النبي ضلالةً وهو ابنه فلا بُدَّ أمر يُمنع

فكأنه روح النبي وقد رأت بالبعد بينهما العلائق تُقطع (٩).

ولولا وصية الإمام الحسن (عليه السلام) لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) ألا يُراق في تشييعه ملء محجمة دم، لما ترك بنو هاشم لبني أمية في ذلك اليوم كيئاً.

لذا ناداهم الإمام الحسين (عليه السلام) قاتلاً: «الله الله لا تُضيّعوا وصية أخي، وأعدّلوا به إلى البيع، فإنه أقسم عليّ إن مُنعت من دفنه مع جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا أخاصم أحداً، وأن أدفنه في البيع» (١٠).

هذا وقبل أن يعدلوا بالجثمان، كانت سهام بني أمية قد تواترت على جثمان الإمام (عليه السلام)، وأخذت سبعين سهماً مأخذها منه.

٣. شهادة الامام الحسين (عليه السلام) (١١).

يوم عاشوراء:

وترتبط قصة مقتل الامام الحسين (عليه السلام) بيوم عاشوراء، وهو يوم العاشر من شهر محرم، وفي هذا اليوم استعد الإمام الحسين ومعه ٣٢ فارساً و ٤٠ رجلاً، في المقابل تهيأ جيش يزيد، بقيادة عمر بن سعد ومعه ٤ آلاف مقاتل، ووقع القتال ومقاتل أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) بين يديه حتى استشهدوا جميعاً، وكان أول شهيد من أهل الإمام الحسين هو علي الأكبر بن الحسين، فخرجت السيدة زينب (عليها السلام) أخت الإمام الحسين تنكب عليه تبكي ثم أدخلها الإمام الحسين (عليه السلام) بيده الخيمة (١٢).

وشهدت قصة مقتل الامام الحسين (عليه السلام) مأساة استشهاد شباب أهل البيت فقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل، ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قتل عبدالرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكذلك قتل عبد الله بن الحسين، وأبو بكر والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بن علي ابن أبي طالب إخوة الإمام الحسين (عليهم السلام) (١٣).

مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) (١٤).

رغم التفاف عدد من جيش يزيد بن معاوية، حول الإمام الحسين (عليه السلام)، إلا أنه ظل يحاربهم ويجول فيهم بالسيف في كل الاتجاهات، وكانوا يهربوا منه، حتى تقدم «زُرعة بن شريك التميمي» - عليه لعائن الله - فقام بضربة على يده اليسرى وضربة آخر على عاتقه (١٥).

لم ينتهي الأمر بتلك الضربات، بل طعنه «سنان بن أنس» - عليه لعائن الله - بالرمح فوق الإمام الحسين عليه السلام على الأرض شهيداً، وتقدم شمر بن ذي الجوشن، وفصل رأس الإمام الحسين عليه السلام الشريف عن جسده الطاهر. واستشهد الإمام الحسين عليه السلام، عن عمر ٥٦ سنة، يوم الجمعة في العاشر من محرم سنة ٦١ من الهجرة الشريفة (١٦).

٤. شهادة علي بن الحسين (عليه السلام).

قال ابن الصباغ: «توفي علي بن الحسين زين العابدين في الثاني عشر من المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وله من العمر سبع وخمسون سنة، أقام منها مع جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنتين، ومع عمه أبي محمد الحسن بعد وفاة





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

جده علي أحد عشر سنة وكان بقاؤه بعد مصرع أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة، يقال: انه مات مسموماً، وان الذي سمه الوليد بن عبد الملك، ودفن بالقيع في القبر الذي دفن فيه عمه الحسن في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب» (١٧)، وقال ابن سعد «كان علي بن الحسين مع أبيه بطف كربلاء، وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة، لكنه كان مريضاً ملقى على فراشه وقد أضعفته العلة والمرض، ولما قتل والده قال الشمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا الغلام، فقال بعض أصحابه تقتل مريضاً لم يقاتل فتركوه، قال ابن عمر: هذا هو الصحيح وليس قول من قال بأنه كان صغيراً حينئذ لم يقاتل وأنه ترك بسبب ذلك بشيء» (١٨).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «لما حضر علي بن الحسين الوفاة أغمى عليه ثلاث مرات فقال في المرة الأخيرة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَغَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (١٩) ثم مات صلوات الله عليه» (٢٠). روى الباقر عن أبيه علي بن الحسين «أنه أتى في الليلة التي قبض فيها بشارب فقيل له: اشرب، فقال: هذه الليلة وعدت أن أقبض فيها» (٢١).

روى الحسن بن علي ابن بنت الياس عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سمعت يقول: ان علي بن الحسين لما حضرته الوفاة أغمى عليه، ثم فتح عينيه وقرأ إذا وقعت الواقعة، وانا فتحنا لك، وقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَغَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) ثم قبض من ساعته ولم يقل شيئاً» (٢٢).

قال سهل بن زياد: «لما حضر علي بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة أغمى عليه فبقي ساعة، ثم رفع عنه الثوب ثم قال: «الحمد لله الذي أورثنا الجنة نتبوء منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين». ثم قال: احفروا لي وابلغوا الى الرسخ، قال: ثم مد الثوب عليه فمات» (٢٣).

قال أبو جعفر (عليه السلام): «لما حضر علي بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة ضمني الى صدره وقال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، ومما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله» (٢٤)، وقد: اختلف في تاريخ وفاة الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام).

قال الأربلي: «فانه مات من سنة أربع وتسعين وقيل خمس وتسعين» (٢٥).

وقال الطبرسي: «توفي في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة» (٢٦).

وقال المفيد: «توفي بالمدينة سنة خمس وتسعين من الهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة» (٢٧).

وقال الشيخ الطوسي: «وفي اليوم الخامس والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين كانت وفاة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (٢٨).

٥. استشهاد الإمام الباقر (عليه السلام)

رغم إبتعاد الإمام الباقر، ومن قبله أبوه الإمام السجاد عليهما السلام، عن كل ما يمت بصلة إلى السلطة ورموز بلاطها، إلا أنه يمثل بالنسبة للسلطات الأموية هاجساً من الخوف المشوب بالغيرة والحقد ونصب العدا، ويدخل ذلك ضمن الثقافة التي توارثها الأبناء عن الآباء من رجالات السلطة، ذلك لأنهم يدركون خطورة النشاط الذي يمارسه عليها، لكونه مصدر الوعي الإسلامي الصحيح ورائد الحركة الإصلاحية في الأمة، التي تكن له التبجيل والاحترام، فعملت السلطة على تصفيته جسدياً، ولجأت إلى سلاحها المعهود فاغتالته بالسّم في زمان هشام بن عبد الملك، الذي نقل أنه كان شديد العداوة والعناد لأبي جعفر الباقر (عليه السلام) ولأهل بيته (٢٩)، ولم تذكر الروايات تفاصيل أسباب دس السم إليه وكيفية شهادته.

ومهما يكن فإن بعض المصادر ذكرت أن سبب موته مرض، بينما اكتفت بعض المصادر أن الإمام الباقر (عليه السلام) استشهد مسموماً كآبيه، ولم تذكر الذي باشر ذلك، في حين ذكرت بعضها أن هشام بن عبد الملك هو الذي سمّه، وذكرت أخرى أن إبراهيم بن الوليد هو الذي سمّه (٣٠).

غير أن هناك رواية طويلة لأبي بصير عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، جاء فيها أن سبب إقدام السلطة على





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

قتل الإمام عليه السلام هو وشاية زيد بن الحسن إلى عبد الملك بن مروان ، وأنه قال له حين دخل عليه : أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك تركه ، وأنّ عنده سلاح رسول الله وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه وتركته ، مما أثار حفيظة عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنّ زيداً خصم الإمام الباقر (عليه السلام) في ميراث رسول الله إلى القاضي ، ثمّ أنّ عبد الملك بعث بسرج إلى الإمام الباقر (عليه السلام) ، فلمّا أسرج له نزل متورّماً ، وعاش ثلاثاً ، ثمّ مضى إلى كرامة ربّه (٣١). وتقدّم أنّ الرواية تذكر الأحداث في زمان عبد الملك ، ولا يصحّ إلا بافتراض السقط والتحريف ، لتكون أجواء الرواية في أيام هشام بن عبد الملك.

ومّا يدلّ على إصرار هشام على قتل الإمام (عليه السلام) ، أنّه كتب إلى عامل المدينة بعد أن أشخص الإمام مع ولده الصادق (عليهما السلام) أن يحتال في سمّ أي جعفر (عليه السلام) عند عودته في طعام أو شراب ، فلم يتهيأ له شيء من ذلك (٣٢).

قال الشاعر :

هلم بنا نبكي على باقر العلم سليل النبي المصطفى الأئمة
على لذّة العيش العفا بعد ما قضى شهيداً بلا ذنب آتاه ولا جرم (٣٣).

٦. الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

بعد ما استقر سلطان الدولة العباسية بدأ الحاكم المنصور الدوانيقي بالتضييق على الإمام (عليه السلام) وتوجيه الاستدعاء اليه بين فترة وأخرى ورصد كل تحركاته حتى ضيق عليه ولم يرقب كونه من أولياء الله ولا منزلته العلمية في العالم الاسلامي ولم يشفق على نحوه بسبب عبادته ولا يياض شيبته الكريمة، وحينها نعى الامام (عليه السلام) نفسه وشكى مايعانيه من الآلام والحن والضيق ، حتى قال : (عزّت السلامة ، حتى لقد خفي مطلبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الحمل ، فإن طلبت في الحمل فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها) (٣٤).

ولكن المنصور اصر على اختياله فحاول صديقه المقرب وصاحب سره محمد بن عبد الله الاسكندري منعه عن ذلك وصرف فكره عنه قائلا له: إنّ رجل أخلته العبادة ، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة ولكن لم يرتض المنصور مقالته فردّ عليه: يا محمد قد علمت أنّك تقول به ، وبإمامته ولكنّ الملك عقيم! (٣٥). فشدد الحاكم المنصور الدوانيقي الحناق حتى عزم على اختياله وقتله تحت تأثير دافع الملك والسلطان قدس اليه السم الفاتك على يد عامله وحينما سقى عامل المنصور الامام عليه السلام بالسم شعر الامام بالآلام قاسية وأحس بتقطع أمعائه حتى استشهد على إثر ذلك في الخامس والعشرين من شهر شوال رحل الى جوار ربه شهيدا مظلوما صابرا محتسبا وعم الحزن والأسى بين الناس حتى دفن في البقيع الغرقدي بجوار والده الامام محمد الباقر وجده الإمام زين العابدين (عليهما السلام) وسادت أجواء الأحزان والآهات ورتاه أحد أصحابه وهو أبي هريرة العجلي بقوله:

أقول وقد راحوا به يحملونه على كاهل من حامله وعاتق
أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حتى الحاثون فوق ضريحه تراباً ، وأول كان فوق المفارق (٣٦)

٧. استشهاد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

ذهب أكثر المؤرخين والمترجمين للإمام إلى أن الرشيد أو عز إلى السندي بن شاهك الأثيم بقتل الإمام (عليه السلام) فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك وأقدم على تنفيذ جريمة في الإسلام فاغتال حفيد النبي العظيم (صلّى الله عليه واله). فعمد السندي إلى رطب فوضع فيه سما فاتكا وقدمه للإمام فأكل منه عشر رطبات فقال له السندي « زد على ذلك » فرمقه الإمام بطرفه وقال له :حسبك قد بلغت ما تحتاج اليه.ولمّا تناول الإمام تلك الرطبات المسمومة تسّم بدنه وأخذ يعاني آلاماً شديدة وأوجاعاً قاسية ، قد حفت به الشرطة القساة ولازمه السندي بن شاهك الخبيث فكان يسمعه في كل





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

مرة أحسن الكلام وأغلظه ومنع عنه جميع الاسعافات ليعجل له النهاية المحتومة .
وفي الأثناء استدعى السندي بعض الشخصيات والوجوه المعروفة في قاعة السجن ، وكانوا ثمانين شخصا كما حدث بذلك بعض شيوخ العامة - حيث يقول : أحضرنا السندي فلما حضرنا انرى إلينا فقال :
انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل به مكروه ، ويكثرون من ذلك ، وهذا منزله وفراشه موسّع عليه غير مضيق ، ولم يرد به أمير المؤمنين - يعني هارون - سوءا وإنما ينتظره أن يقدم فيناظره ، وها هو ذا موسّع عليه في جميع أموره فاسألوه .
يقول الراوي : ولم يكن لنا هم سوى مشاهدة الإمام (عليه السلام) ومقابلته فلما دنونا منه لم نر مثله قطّ في فضله ونسكه فانبرى إلينا وقال لنا :
أما ما ذكر من التوسعة ، وما أشبه ذلك ، فهو على ما ذكر ، غير أني أخبركم أيها النفر أني قد سقيت السمّ في تسع ثمرات ، واني اصفر غدا وبعد غد أموت » .
ولمّا سمع السندي ذلك انهارت قواه واضطرب مثل السعفة التي تلعب بما الرياح العاصفة (٣٧). فقد أفسد عليه ما رآه من الحصول على البراءة من المسؤولية في قتله .

إلى الرفيق الأعلى

وبعد أكله للطرب سرى السمّ في جميع أجزاء بدن الإمام (عليه السلام) وقد علم أنّ لقاءه برّبه قد حان فاستدعى السندي . « فلما مثل عنده أمره أن يحضر مولى له ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله ، وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه فأبى وقال (عليه السلام):
إنّا أهل بيت مهوون نساننا وحجّ ضرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا ، وعندي كفي (٣٨).
واحضر له السندي مولاة ، وثقل حال الإمام (عليه السلام) ، وأشرف على النهاية المحتومة ، فأخذ يعاني آلام الموت فاستدعى المسيب بن زهرة فقال له :
إني على ما عرفتكم من الرحيل إلى الله عزّ وجلّ فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت ، واصفرّ لوني واحمرّ واخضرّ وتلون ألوانا فأخبر الطاغية بوفائي .
قال المسيب : فلم أزل أراقب وعده حتى دعا (عليه السلام) بشربة فشربها ثم استدعاني ، فقال لي : يا مسيب ، إنّ هذا الرجز السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلني ودفني .
وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبدا .

فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قریش فالحدوني بها ، ولا ترفعوا قبوري فوق أربعة أصابع مفرجات ، ولا تأخذوا من تربتي شيئا لتتركوا به فإنّ كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدّي الحسين بن علي فإنّ الله عزّ وجلّ جعلها شفاءا لشيئتنا وأوليائنا .

قال المسيب : ثم رأيت شخصا أشبه الاشخاص به جالسا إلى جانبه ، وكان عهدي بسيدي الرضا (عليه السلام) وهو غلام ، فأردت أن أسأله ، فصاح بي سيدي موسى ، وقال : أليس قد نهيته؟ ثم إنّ ذلك الشخص قد غاب عني ، فجنّت إلى الإمام وإذا به جثة هامدة قد فارق الحياة فأخبرت الخبر إلى الرشيد بوفاته » .
لقد لحق الإمام بالرفيق الأعلى وفاضت نفسه الزكية إلى بارئها فاضلّمت الدنيا لفقدته وأشرقت الآخرة بقدمومه ، وقد خسر الإسلام والمسلمون ألمع شخصية كانت تدبّ عن كيان الإسلام ، وتنافح عن كلمة التوحيد وتطالب بحقوق المسلمين وتشجب كل اعتداء غادر عليهم .

فسلام عليك يا بن رسول الله ، يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث حيا .
والمشهور أن وفاة الإمام (عليه السلام) كانت سنة (١٨٣ هـ) خمس بقين من شهر رجب (٣٩).
وقيل سنة (١٨٦ هـ) (٤٠).





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف كان يوم استشهاده «خمساً وخمسين سنة» (٤١) «أو أربعاً وخمسين سنة» (٤٢).

٨. شهادة الإمام الرضا (عليه السلام):

• ذكر الشيخ عباس القمّي في سفينة البحار: تحت كلمة أمن: واحتال [المأمون] في قتله فقتله بسم لم يعلم به أحد، حتى أنكره بعض علمائنا مع ما ورد في اللوح السماوي مشيراً إليه: (يقتله غفريت مستكير، يُدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي) (٤٣). وعن أبي الصلت الهروي في خبر طويل عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: ما منّا إلا مقتول، وإني والله لمقتول بالسمّ باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهود معهود إليّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عزّ وجلّ (٤٤).

وعن النعمان بن سعد قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً، اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى (عليه السلام). ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار، و ورق الأشجار (٤٥). وعن الحسين بن زيد عن الصادق (عليه السلام) قال: يخرج رجل من ولد ابني موسى، اسمه اسم أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فيُدفن في أرض طوس. وهي بخراسان، يُقتل فيها بالسمّ فيُدفن فيها غربياً، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل (٤٦). وعن سليمان بن حفص المروزي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول: إنّ ابني عليّاً مقتول بالسمّ ظلماً، ومدفون إلى جنب هارون بطوس. من زاره كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)، (٤٧).

وعن الهروي قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: والله ما منّا إلا مقتول شهيد. فقل له: فمن يقتلك يا ابن رسول الله؟ قال: شرّ خلق الله في زمان، يقتلني بالسمّ ثم يدفني في دار مضيعة وبلاد غربة (٤٨).

• وعن الحسن بن فضال قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: إني مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة. أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاء له يوم القيامة، ومن كنا شفعاء له نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين (٤٩).

• وعن إسحاق بن حماد: كان الرضا (عليه السلام) يقول لأصحابه الذين يثق بهم: لا تغتروا منه بقوله [أي المأمون الذي كان يتظاهر له بالإجلال ويتملق له]، فما يقتلني والله غيره. ولكنّه لابدّ لي من الصبر حتّى يبلغ الكتاب أجله (٥٠). وبعد جوابه (عليه السلام) على أسئلة المأمون الطويلة الغريبة الغامضة، كان المأمون بعد كل جواب يقول له: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً.. لله درك يا ابن رسول الله.. بارك الله فيك يا أبا الحسن.. جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن.. لله درك يا أبا الحسن!

وأخيراً قال المأمون له: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله، وأوضحت لي ما كان ملتبساً، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً. قال عليّ بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد. وكان حاضر المجلس. وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال: عالم، ولم نره يختلف إلى أحدٍ من أهل العلم. فقال المأمون: إنّ ابن أخيك من أهل بيت النبوة الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وآله): ألا إنّ أبرار عترتي، وأطياب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلالة. قال عليّ الجهم: وانصرف الرضا (عليه السلام) إلى منزله، فلما كان من الغد غدوت إليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمّه محمد بن جعفر له، فضحك الرضا (عليه السلام) وقال: يا ابن الجهم! لا يفرّتك ما سمعته منه، فإنّه سيغتالني، والله ينتقم منه (٥١).

وهكذا يفهم أنّ المأمون كان مأكراً في سياسته، حتّى نفذ جرمته العظمى بعد أن ضاق بالإمام الرضا (عليه السلام) فلم تجد نفسه الخبيثة إلا القتل.. ولكنّه حين قتله أصابته الحيرة وأخذ يهدي، وبين هدياته الكثير من الإقرار: فمرة يقول: ما أدري أيّ المصيبتين عليّ أعظم: فقدي إياك، أو تهمّة الناس لي أنّي اغتلتك وقتلتك؟! (٥٢). ومرة يرمي بنفسه على الأرض ويجور





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

قائلاً: ويلك يا مأمون! ما حالك، وعلى ما أقدمت؟! لعن الله فلاناً وفلاناً فإنهما أشارا عليّ بما فعلت (٥٣).
• ومرة أخرى يقول قلقاً: ويل للمأمون من الله، ويل له من رسول الله، ويل له من عليّ! وهكذا إلى الرضا (عليه السلام)... هذا والله الخسران المبين. يقول هذا ويكرّره (٥٤). وقد تأخر عن إعلان وفاة الإمام (عليه السلام)، وكأنّه تحيّر كيف يرتّب الأمر وهو يعلم أنّ الناس يوجهون أصابع الشكّ إليه. وأخيراً.. نقرأ هذه العبارات من زيارة الإمام الجواد لأبيه الرضا (عليهما السلام): السلام عليك أيّها الصديق الشهيد، السلام عليك أيّها الوصيّ البرّ التقيّ... السلام عليك من إمام عصب، وإمام نجيب، وبعيد قريب، ومسموم غريب...
السلام على من أمر أولاده وعياله بالنياحة عليه، قبل وصول القتل إليه.. (٥٥).

٩. **استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)**
بوقع أبي إسحاق المعتصم محمد بن هارون في سنة ٢١٨ هـ ما أن استتب له أمر الملك وانقادت البلاد له شرقاً وغرباً ، حتى أخذ يتناهى إلى سمعه بروز نجم الإمام الجواد عليه السلام ، واستقطابه لجماهير الأمة ، وأخذه بزمَام المبادرة شيئاً فشيئاً. وتَسارع التقارير إلى الحاكم الجديد بتحريك الإمام أبي جعفر (عليه السلام) وسط الأمة الإسلامية.
عليه ، يقرر المعتصم العباسي ومشورة مستشاريه ووزرائه ، ومنهم ابن أبي دؤاد الإيادي ، قاضي القضاة المعروف حاله الشخصي ، المبغض لأهل البيت النبوي (عليهم السلام) الذي كان يسيطر على المعتصم وقراراته وسياسته ، يقرر المعتصم بكتاب يعينه إلى واليه على المدينة محمد بن عبد الملك الزيات (٥٦) في عام « ٩١٢ هـ » بحمل الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) وزوجته أم الفضل بكل إكرام وإجلال وعلى أحسن مركب إلى بغداد.
لم يكن بد من قبل الإمام (عليه السلام) من الاستجابة لهذا الاستدعاء ، الذي يُشم منه الإكراه والإكراه ، وقد أحسن الإمام عليه السلام بأن رحلته هذه هي الأخيرة التي لا عودة بعدها ؛ لذلك فقد خلف ابنه أبا الحسن الثالث في المدينة بعد أن اصطحبه معه إلى مكة لأداء موسم الحج ، وأوصى له بوصاياه وسلّمه موارث الإمامة ، وأشهد أصحابه بأنه إمامهم من بعده.. (٥٧). وتستمر الاستعدادات لترحيل الإمام إلى بغداد ، ويستعملهم الإمام (عليه السلام) حين أداء الموسم ، وفعلاً يؤدي الإمام الجواد عليه السلام الموسم ، ويترك مكة فور أداء المناسك معرجاً على مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) ليخلف فيها ابنه الوصي الورث ، ولكن يبدو أنه (عليه السلام) خرج من المدينة متجهاً إلى بغداد ولم يزر جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وكأنه أراد بهذه العملية التعبير عن احتجاجه على هذا الاستدعاء ، وأن خروجه من مدينة جده إنما هو مكره عليه.

ويواصل الإمام عليه السلام رحلته إلى المصير المحتوم وقد أخبر أحد أصحابه بأنه غير عائد من رحلته هذه مرة أخرى (٥٨) كما روى محمد بن القاسم ، عن أبيه ، وروى غيره أيضاً ، قال : لما خرج الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة في المرة الأخيرة ، قال : « ما أطيبك يا طيبة ! فلست بعائد إليك » (٥٩). ويُعيد هذا فقد أخبر الإمام (عليه السلام) أصحابه في السنة التي توفي فيها بأنه راحل عنهم هذا العام. فعن محمد بن الفرج الرخجي ، قال : (كتب إليّ أبو جعفر (عليه السلام) : « احمّلوا إليّ الخمس فإنّي لست آخذ منكم سوى عامي هذا » . فقبض في تلك السنة) (٦٠).

وأخيراً ينتهي به المسير إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية ، مقرّه ومثواه الأخير الأبدى ، ويدخلها لليلتين بقيتا من الحرم من سنة « ٢٢٠ هـ » (٦١). وما أن وصل إليها وحطّ فيها رحاله حتى أخذ المعتصم يدبّر ويعمل الحيلة في قتل الإمام (عليه السلام) بشكل سري ؛ ولذلك فقد شكّل مثلثاً لتدبير عملية الاغتيال بكل هدوء.. على الرغم من تعدد الروايات في كيفية شهادة الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) ، فإن أغلبها يجمع على أن الإمام اغتيل مسموماً. ولو أن البعض توقف في أن يشهد بذلك ؛ لعدم ثبوت خبر لديه (٦٢)، وأن مثلث الاغتيال قد تمثّل في زوجته أم الفضل زينب بنت المأمون ، وهي المباشرة الأولى التي قدّمت للإمام عبأ مسموماً ، ثم في أخيها جعفر ، يدبّرهم ويساعدهم على هذا الأمر المعتصم بن هارون.

فقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين ومنهم المؤرخ الشهير المسعودي فقال : (فلما انصرف أبو جعفر إلى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبّرون ويعملون الحيلة في قتله ، فقال جعفر لأخته أم الفضل . وكانت لأمه وأبيه . في





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

ذلك ؛ لأنه وقف على الخرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ، مع شدة محبتها له ؛ ولأنها لم ترزق منه ولد ، فأجاب أخاها جعفر (٦٣) .

وقال غيره : (ثم إن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار إلى ابنة المأمون زوجته بأن تسمه ؛ لأنه وقف على الخرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها عليه ؛ لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ؛ ولأنه لم يرزق منها ولد ، فأجابته إلى ذلك) (٦٤) .

أما ابن شهر آشوب فقد نقل في مناقبه أنه : (لما بويع المعتصم جعل يتفقد أحواله ، فكتب إلى عبد الملك الزيات أن ينفذ إليه التقي وأم الفضل) (٦٥) .

وبناء على كون عمر الإمام الجواد عليه السلام عند وفاته قد ضبط في بعض المصادر بخمس وعشرين سنة ، وشهرين ، وثمانية عشر يوماً (٦٦) ، ولو رجع تاريخ مولده في ١٧ رمضان سنة (١٩٥ هـ) (١٢) ، فإن وفاته (عليه السلام) ستكون وفق ذلك البناء يوم الثلاثاء خمس خلون من ذي الحجة سنة (٢٢٠ هـ) (٦٧) .

ومما يعضد هذا الرأي وجود رواية في الكافي في الإشارة والنص على أبي الحسن الثالث (عليه السلام) : « شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه وأخواته .. إلى أن ينتهي من بعض وصاياه ويؤرخ الوصية بقوله : وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومئتين .. » (٦٨) .

من هذا يتبين أن الإمام (عليه السلام) حي يرزق في يوم الأحد ، حيث كتب وصيته وأشهد عليها ثلاثة من أصحابه المقربين إليه : خادمه ، ومولاه ، وأحد أبناء عمومته ، ثم كانت بعد ذلك شهادته (عليه السلام) يوم الثلاثاء . وقيل : يوم الثلاثاء لست ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومئتين (٦٩) .

أما كيفية وفاته عليه السلام فإنه اختلف فيها أيضاً ، فمن قائل بشهادته مسموماً بعنب رازقي ، ومن قائل بمسمومته في مندبل ، وهناك من قال إنه سُمَ بِشَرَاب ، أو من قال إن المعتصم أشار إلى أعوانه بدعوته إلى مائدة فقَدِمَ له طعام مسموم فأكل منه ، ومنهم من صرح بعدم ثبوت خبر موته بالسم ، وسكت البعض الآخر عن كيفية موته واكتفى بكلمة (قُبِض) ولعل أقدم نص توفّرنا عليه الخبر الذي أورده العياشي المتوفى سنة « ٣٢٠ هـ » في تفسيره .

قال العياشي : (... قال زرقة : إن ابن أبي دؤاد قال : صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة ، فقلت : إن نصيحة أمير المؤمنين علي واجبة ، وأنا أكلّمه بما أعلم أي أدخل به النار .

قال : وما هو ؟

قلت : إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين ، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزارؤه وكتابه ، وقد تسمع الناس بذلك من وراء باب ، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ، ويدعون أنه أولى منه بمقامه ، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء !!

قال : فتغير لونه وانتبه لما نبهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً ، قال : فأمر (المعتصم) يوم الرابع فلاناً من كتاب وزرائه بأن يدعو إلى منزله ، فدعاه . فأبى أن يجيبه وقال : « قد علمت أي لا أحضر مجالسكم » . فقال : إني إنما أدعوك إلى الطعام ، وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك ، فقد أحب فلان بن فلان (من وزراء الخليفة) لقاءك .

فصار إليه ، فلما أطلع منها أحسن السم ، فدعا بدابته ، فسأله رب المنزل أن يقيم ، قال : « خروجي من دارك خير لك » . فلم يزل يومه ذلك وليله في خلقة حتى قُبِض (عليه السلام) (٧٠) .

أما الشيخ المفيد رحمه الله فقد نقل في إرشاده بأنه (عليه السلام) : (قُبِضَ ببغداد ، وكان سبب وروده إليها أشخاص المعتصم له من المدينة ، فورد بغداد لليلتين بقيتا من الحرم من سنة عشرين ومئتين ، وتوفي بها في ذي القعدة من هذه





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

السنة. وقيل : إنه مضى مسموماً ، ولم يثبت بذلك عندي خير فأشهد به (٧١) .
في حين نجد أن المؤرخ علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة « ٤٣٦ هـ » يقول : (وقيل : إن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمته (٧٢) .

وفي موضع آخر ذكر أن مثلث الاغتيال (المعتصم . جعفر . أم الفضل) كانوا قد تشاوروا وتعاونوا على قتل الإمام والتخلص منه بعد قدومه إلى بغداد ، بل ما استدعي إلا للغرض ذاته . فقال : (.. وجعلوا . المعتصم بن هارون وجعفر بن المأمون وأخته أم الفضل . سمّاً في شيء من عنب رازقي وكان يعجبه العنب الرازقي ، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي . فقال لها : « ما يكاؤك ؟ والله ليضربنك الله بفقر لا ينجير ، وبلاء لا ينستر » ، فلبثت بعلة في أغمض المواضع من جوارحها صارت ناسوراً ينتقض عليها في كل وقت . فأنفقت ما لها وجميع ملكها على تلك العلة حتى احتاجت إلى رغد الناس . وتردّى جعفر في بئر فأخرج ميتاً ، وكان سكراناً . ولما حضرت الإمام عليه السلام الوفاة نصّ على أبي الحسن وأوصى إليه ، وكان قد سلّم الموارث والسلاح إليه بالمدينة (٧٣) . وأضاف ابن شهر آشوب السروي المازندراني (ت / ٥٨٨ هـ) ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠ هـ) ، « إن امرأته أم الفضل بنت المأمون سمته في فرجه بمنديل ، فلما أحس بذلك قال لها : « أباك الله بداء لا دواء له » ، فوقع الأكلة في فرجها ، وكانت تنصب للطبيب فينظرون إليها ويسرون . أو يشيرون . بالدواء عليها فلا ينفع ذلك حتى ماتت من علتها (٧٤) .

وقال ابن شهر آشوب قبل ذلك أن الإمام (عليه السلام) لما تجهّز (وخرج إلى بغداد فأكرمه . أي المعتصم . وعظمه ، وأنفذ أشناس (٧٥) بالتحف إليه وإلى أم الفضل ، ثم أنفذ إليه شراب تخاض الأثرج (٧٦) تحت ختمه على يدي أشناس ، وقال : إن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دؤاد ، وسعد بن الخضيب وجماعة من المعروفين ، ويأمر أن تشرب منها بماء الثلج ، وصنع في الحال . فقال . أي الإمام (عليه السلام) : « أشربها بالليل » . قال : إنّها تنفع بارداً ، وقد ذاب الثلج ، وأصر على ذلك ، فشربها علماً بفعلهم (٧٧) .

وبعد ، فهذا إجمال لما ورد في شأن وفاته وكيفيتها ، والذي يبدو راجحاً هو إن الإمام (عليه السلام) قُضي عليه بالسّم ، وأن المشاركين في عملية الاغتيال قد عرفتهم ، وعرفت تديبرهم . مع العلم أن محاولات سبقت كانت تدبر لاغتيال الإمام ؛ لكنّه عليه السلام كان يعلم بما ، وكان حذراً وقد أخذ بالاحتياط في التعامل سواء مع زوجته أو مع أعوان السلطان في مأكله ومشربه . ولقد كان متوقعاً هذا الأمر قبل وقت غير قليل ، فيوم دخل عليه محمد بن علي الهاشمي صبيحة عرسه في بغداد كان يتوقع هذا أن يأتوا للإمام بماء مسموم حين طلب ماء للشرب . كما أفلت عليه السلام من محاولة استهدفت سمّه في طعام قدّم له ، فقد نقل أبو جعفر المشهدي باسناده : (عن محمد بن القاسم ، عن أبيه ، وعن غير واحد من أصحابنا أنّه قد سمع عمر بن الفرج أنّه قال : سمعتُ من أبي جعفر (عليه السلام) شيئاً لو رآه محمداً أخي لكفر . فقلت : وما هو أصلحك الله ؟ قال : إني كنت معه يوماً بالمدينة إذ قرب الطعام ، فقال : « أمسكوا .

فقلت : فذاك أي ، قد جاءكم الغيب ! فقال : « عليّ بالخباز » . فجيء به ، فعاتبه وقال : « من أمرك أن تستني في هذا الطعام ؟ » . فقال له : لجعلت فذاك (فلان) ، ثم أمر بالطعام فرفع وأتى بغيره (٧٨)
وروي أن ابنه علي الهادي عليه السلام قام في جهازه وغسله وتحنيطه وتكفينه كما أمره وأوصاه ، فغسله وحنطه وأدرجه في أكفانه وصلّى عليه في جماعة من شيعته ومواليه (٧٩)

وجاء في الأخبار أن الواثق صلّى عليه بحضور جماهير غفيرة من الناس ، ثم حُمل جثمانه في موكب مهيب تشييعه عشرات الآلاف من الناس إلى مقابر قریش حيث مثوى جدّه الإمام الكاظم موسى بن جعفر (عليهما السلام) . فأقبر إلى جواره في ملحودة أصبحت اليوم عمارة شامخة تناطح السماء بما ذنبا الذهبية ، وقبلة يؤمها آلاف المسلمين يومياً للترك باعتمادها ، وطلب الخواص من ساكنيها . ولطالما انقلب الملقون والمستغيثون إلى أهلهم فرحين بما وجدوا من إنجاز طلباتهم التي تعسر حلّ مشكلتها ، بل وإن البعض منها كان في حكم الخال حلّ معضله .

١٠ . استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام) .





الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

وضع الإمام تحت المراقبة المباشرة. ولذلك أكره على مغادرة المدينة والحضور إلى سامراء بصحبة أفراد عائلته حيث خضع للإقامة الجبرية عشرين عاماً وعدة أشهر كان الإمام فيها مكرماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكل في إيقاع حيلة به للخط من مكانة الإمام (عليه السلام) في قلوب الناس. ومن ذلك أنه عند دخول الإمام (عليه السلام) سامراء احتجب المتوكل عنه ولم يعين داراً لنزوله (عليه السلام) حتى اضطر الإمام إلى النزول في خان يقال له خان الصعاليك، وهو محل نزول الفقراء من الغرياء. ومن ذلك أنه كان يوجه إليه الأتراك فيدهمون منزله ويحضرونه ليلاً إلى مجلس المتوكل العامر بالخمر والمجون. ولكن هذه السياسة لم تثمر شيئاً بل كانت ترفع من مكانة الإمام ومقامه واستطاع بذلك أن يكسب ولاء عدد من حاشية المتوكل إلى درجة أن والده المتوكل كانت تنذر باسمه النذور. وأمام هذا الواقع قرّر المتوكل التخلص من الإمام فسينه مقدمة لقتله. ولكن إرادة الله حالت دون ذلك فلم يلبث إلا قليلاً حتى هجم عليه الأتراك في قصره وقتلوه شر قتلة. ولم تنته محنة الإمام الهادي (عليه السلام) بهلاك الطاغية المتوكل، فقد بقي تحت مراقبة السلطة باعتباره موضع تقدير الأمة وتقديسها.

وثقل على المعتز العباسي ما يراه من تبجيل الناس للإمام وحديثهم عن مآثره وعلومه وتقواه فسوّلت له نفسه اقتراح أخطر جريمة في الإسلام حيث دسّ له السم القاتل في طعامه. فاستشهد الإمام (عليه السلام) في سنة ٢٥٤ هـ من شهر ذي الحجة عن عمر يناهز الواحد والأربعين سنة.

روى الحسين بن حمدان الحضيبي في كتاب الهداية في الفضائل: عن أحمد ابن داود القمي، ومحمد بن عبد الله الطلحي قالا: حملنا ما لا اجتماع من خمس ونذور من بين ورق وجوهر وخلي وثياب من بلاد قم ومايلها، وخرجنا نريد سيدنا أبا الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) بها، فلما صرنا إلى دسكرة الملك (٨٠).

تلقانا رجل راكب على جمل، ونحن في قافلة عظيمة، فقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو يعارضنا بجملته حتى وصل إلينا، فقال: يا أحمد ابن داود ومحمد بن عبد الله الطلحي معي رسالة إليكم، فأقبلنا إليه فقلنا له: ممن يرحمك الله فقال: من سيدكما أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) يقول لكما: أنا راحل إلى الله في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر أبي محمد الحسن، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك، ولم نظهره، ونزلنا بدسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحزننا ما حملناه فيه، وأصبحنا والخبر شائع في الدسكرة بوفاة مولانا أبي الحسن (عليه السلام)، فقلنا: لا إله إلا الله أتري الرسول الذي جاء برسالته أشاع الخبر في الناس؟

فلما أن تعالى النهار رأينا قوماً من الشيعة على أشد قلق مما نحن فيه، فأخفينا أمر الرسالة ولم نظهرها (٨١).
وأما السبب في دفن الإمام الهادي (عليه السلام) داخل بيته، يعود إلى حصول ردود الفعل من الشيعة يوم استشهاده (عليه السلام) وذلك عندما اجتمعوا لتشيعه مظهرين البكاء والسخط على السلطة والذي كان بمثابة توجيه أصابع الاتهام إلى الخليفة لتضلعه في قتله.

وللشارع الذي أخرجت جنازة الإمام (عليه السلام) إليه الأثر الكبير، حيث كان محلاً لتواجد معظم المواليين لآل البيت (عليهم السلام) إذ ورد في وصفه:

الشارع الثاني يعرف بأبي أحمد.. أول هذا الشارع من المشرق دارختيشوع المتطّيب التي بناها المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان وأسيابهم من العرب، ومن أهل قم، وأصبهان، وقزوین، والجليل، وآذربيجان، بمنة في الجنوب ممّا يلي القبلة (٨٢).

ويشير إلى تواجد أتباع مدرسة أهل البيت في سامراء المظفري في تاريخه إذ يقول: فكم كان بين الجنيد، والقواد، والأمراء، والكتّاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت (عليهم السلام) (٨٣).

كلّ هذا أدّى إلى اتّخاذ السلطة القرار بدفنه (عليه السلام) في بيته، وإن لم تظهر تلك الصورة في التاريخ بوضوح، إلا أنه يفهم ممّا تطرق إليه البيهقي في تاريخه عند ذكره حوادث عام (٢٥٤ هـ) ووفاة الإمام الهادي (عليه السلام) حيث يقول:

وبعث المعتز أخيه أحمد بن المتوكل فصلّى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، فلما كثر الناس واجتمعوا أكثر بكاءهم وضجّتهم، فردّ النعش إلى داره، فدفن فيها... (٨٤).





الروايات التاريخية للنهائيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

وتمكنوا بذلك من إخماد لميب الانتفاضة والقضاء على نقمة الجماهير الغاضبة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وجود التحرك الشيعي رغم الظروف القاسية التي كان يعاني منها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم من سلطة الخلافة الغاشمة. عن المنصور، عن عم أبيه اقل: قلت للإمام علي بن محمد (عليهما السلام): علمني يا سيدي دعاء أتقرب إلى الله عز وجل به، فقال لي هذا دعاء كثيراً ما أدعوه به وقد سألت الله عز وجل أن لا يخيب من دعا به في مشهدي وهو: يا عدي عند العدد ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، صلى على جماعتهم وافعل بي كذا وكذا (٨٥).

١١. استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

بعد أن أدى الإمام العسكري (عليه السلام) مسؤوليته بشكل كامل تجاه دينه وأمة جده (صلى الله عليه وآله) وولده (عليه السلام) نعى نفسه قبل سنة ستين وميتين، وأخذ يهدئ روع والدته قائلاً لها: لا بد من وقوع أمر الله لا تجزي، ونزلت الكارثة كما قال، والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن اعتل (عليه السلام) في أول يوم من شهر ربيع الأول من ذلك العام (٨٦). ولم تزل العلة تزيد فيه والمرض يثقل عليه حتى استشهد في الثامن من ذلك الشهر، وروي أيضاً أنه قد سُم وأغتيل من قبل السلطة حيث دس السم له المعتمد العباسي الذي كان قد أزعجه تعظيم الأمة للإمام العسكري وتقديعهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين فأجمع رأيهم على الفتك به (٨٧).

ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد (الحجة) وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وقد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب (٨٨). ودفن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) إلى جانب أبيه الإمام الهادي (عليه السلام) (٨٩). في سامراء، وقد ذكر أغلب المؤرخين أنّ سنة وفاته كانت (٢٦٠ هـ) وأشاروا إلى مكان دفنه دون إيضاح لسبب وفاته (٩٠).

وروى ابن الصباغ عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال: لما اعتل (ابن الرضا) (عليه السلام) بعث (جعفر بن علي) إلى أبي: أن ابن الرضا (عليه السلام) قد اعتل فركب أبي من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم الخليفة كلهم من ثقافته ورجال دولته وفيهم تحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبين وأمرهم بالاختلاف إليه وتعاوده في الصباح والمساء، فلما كان بعدها بيومين جاءه من أخبره أنه قد ضعف فركب حتى بكر إليه ثم أمر المتطبين بلزومه وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه فأحضرهم وبعث بهم إلى دار الحسن (عليه السلام) وأمرهم بلزوم داره ليلاً ونهاراً فلم يزلوا هناك حتى توفي لأيام مضت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومائتين (٩١). يتضح لنا من خلال متابعة تاريخ الإمام العسكري (عليه السلام) وموقف السلطة العباسية منه أنّ محاولة للتخلص من الإمام قد دبرت من قبل الخليفة المعتمد خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار سلسلة الإجراءات التي اتخذتها السلطة إزاء الإمام علي الهادي (عليه السلام) أولاً، ثم ما اتخذته من إجراءات ضد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، فقد قامت بسجنه عدّة مرات فضلاً عن المراقبة المشددة على بيته، كما حاولت نفيه إلى الكوفة، وغيرها من الإجراءات التعسفية ضده وضد شيعته وضد العلويين، ووفقاً لذلك وبضم رواية أحمد بن عبيد الله بن خاقان والذي كان أبوه أحد أبرز رجالات الدولة، يتأكد لنا أنّ استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) كانت وراءه أيدي السلطة الأئمة دون أدنى شك.

الصلاة على الإمام العسكري (عليه السلام)

وكان لاستشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) صدى كبير في سامراء حيث عطّلت الدكاكين وسارع العامة والخاصة مهرعين إلى بيت الإمام، ويروي أحمد بن عبيد الله واصفاً ذلك اليوم العظيم قائلاً: ولما رفع خبر وفاته، ارتجت سُر من رأى وقامت ضجة واحدة: مات ابن الرضا (٩٢).. وعطّلت الأسواق، وغلّقت أبواب الدكاكين وركب بنو هاشم والكتاب والقواد والقضاة والمعدّلون وسائر الناس إلى أن حضروا جنازته فكانت سُر من رأى شبيهاً بالقيامة (٩٣)... وبعدما جُهِز الإمام العسكري (عليه السلام) خرج عقيد خادمه، فنادى جعفر بن علي فقال: ياسيدي قد كُفّن أخوك





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

، فقم وصل عليه ، فدخل جعفر بن علي والشيعه من حوله يتقدمهم عثمان بن سعيد العمري وهو أحد وكلائه (ووكيل الإمام الحجة (عليه السلام) فيما بعد) ، ولما دخلوا الدار فإذا بالحسن بن علي (عليهما السلام) على نعهه مكثاً ، فتقدم جعفر بن علي ليصلي عليه ، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمره بشعره ققط ، وبأسنانه تفليج فجذب رداء جعفر وقال : يا عم ، أنا أحق بالصلاة على أبي ، فتأخر جعفر وقد اربد وجهه واصفر ، فتقدم الصبي فصلى عليه (عليه السلام) (٩٤) ..

ولما أخرج نعت الإمام العسكري (عليه السلام) صلى عليه أبو عيسى بن المتوكل (٩٥) .. بأمر الخليفة المعتمد العباسي ، تمويهاً على الرأي العام حول استشهاد الإمام (عليه السلام) ، وكان السلطة ليس لها في ذلك يد بل على العكس ، فإنما قد أظهرت اهتماماً كبيراً أيام مرض الإمام (عليه السلام) وخرج كبار رجالات البلاط العباسي مشيعين ... ولكن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تنطلي على شيعة الإمام ومواليه ، وهكذا غالبية المسلمين الذين عاصروا ما جرى للإمام (عليه السلام) من قبل السلطة من سجن وتضييق .

الخاتمة :

١. كان بطش الخلفاء في العصر الأموي والعباسي قويا ضد الائمة المعصومين عليهم السلام لانهم كانوا يعتقدون بان هؤلاء الائمة سوف يأخذون منهم الخلافة فقد سيطر العامل السياسي على تفكيرهم
٢. كان التفاف الشيعة من محبي آل البيت (عليهم السلام) قد اثار غضب الخلافة وبالتالي كان ذلك سببا في النهيات المأساوي لا آل البيت (عليهم السلام).

٣. لقد تصدى الائمة من آل البيت (عليهم السلام) لكل الحركات المنحرفة التي تطعن بالاسلام وتحاول اطفاء جذوته بين المسلمين وبالتالي كان ذلك عاملا اضافيا ساهم في تلك النهيات التي وصل اليها الائمة (عليهم السلام) .

الهوامش:

- (١) المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العسكري (ت. ٤١٣هـ) الإرشاد ، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ج ١ ، ص ١٣ ، وانظر ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، الطبعة : الأولى ، (بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ج ٣ ، ص ٢٥٤ .
- (٢) ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، الطبعة : الأولى ، (بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ج ٣ ، ص ٢٥٤ : ٢٥٤ ، المفيد ، الإرشاد ، ج ١ ، ص ١٤ - ١٧ ؛ الطبرسي لفضل بن الحسن ، (من اعلام القرن السادس الهجري) ، اعلام الوري بأعلام الهدى ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، الناشر : دار المعرفة للطباعة و النشر (بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ج ١ ، ص ٣٠٩ ، ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى (بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ج ٤ ، ص ٣٥ .
- (٣) أنظر قصة قتله عليه السلام في الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، تقديم: بشار عواد معروف ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط ٣ (بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ج ٢ ، ص ٢٨٤ ؛ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج ٣ : ص ٢٥٤ ص ٢٥٨ ، الطبرسي ، اعلام الوري ، ج ١ : ص ٣٨٩ وما بعدها ، المفيد ، الارشاد ج ١ ، ص ٩ .
- (٤) الطبرسي ، اعلام الوري ، ج ١ ، ص ٣١١ .
- (٥) المفيد ، الارشاد ، ج ٢ ، ص ١٥ .
- (٦) ابن عساکر ، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله (ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق : دراسة وتحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠ .
- (٧) البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث ، الطبعة : الأولى (بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ١٦١ .
- (٨) المفيد ، الارشاد ، ج ٢ ، ص ١٨ .
- (٩) السفاريني الخبيلي شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (المتوفى : ١١٨٨هـ) لوايع الانوار البهية وسوايع الاسرار الأثرية لشرح الدرّة المضيئة في عقد الفرقة المرضية ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها (دمشق ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص ٩٢ .
- (١٠) الخصيبي ، أبي عبد الله الحسين بن حمدان ، (المتوفى ، ٣٣٤هـ) الهداية الكبرى ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان





الروايات التاريخية للنهائيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

- ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ص ١٨٦.
- (١١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) انساب الاشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١ (بيروت، ١٩٩٦ م) ج ٣، ص ٢٢٦.
- (١٢) الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (مصر، ١٩٦٠ م) ص ٣٧٩.
- (١٣) الاصفهاني، مقتل الطالبين، ص ١١٥.
- (١٤) ابن اعثم الكوفي، أحمد، (ت، ٣١٤) الفتح، تحقيق: علي شيري، (قم، ١٤١١ هـ) ج ٢، ص ١٢٧.
- (١٥) البعقوني، تاريخ البعقوني، ج ٢، ص ١٧٠.
- (١٦) البعقوني، تاريخ البعقوني، ج ٢، ص ١٧٠.
- (١٧) بسط المارديني، محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقي، بدر الدين (ت ٩١٢ هـ) شرح الفصول المهمة في موارث الأمة، المحقق: أحمد بن سليمان بن يوسف العربي، الناشر: دار العاصمة (بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ص ٨٠٢.
- (١٨) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ج ٣، ص ٢٤٢.
- (١٩) سورة الزمر: الآية ٧٤.
- (٢٠) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء (بيروت - لبنان، د. ت) ج ٦، ص ١٤٧.
- (٢١) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٤٩.
- (٢٢) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي، (المتوفى ٣٢٩ هـ) علق عليه علي أكبر الغفاري الناشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة (طهران، ١٣٨٨ هـ) ج ١، ص ٣٨٩.
- (٢٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٥٣.
- (٢٤) المصدر ج ٤٦، ص ١٥٣.
- (٢٥) الإربلي ابن أبي الفتح، (ت، ٦٩٣ هـ): كشف الغمة، دار الأضواء (بيروت لبنان، د. ت) ج ٢، ص ٨٢.
- (٢٦) الطبرسي، اعلام الوري ص ٢٥٦.
- (٢٧) المقيد، الارشاد ص ٢٣٧.
- (٢٨) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت، ٤٦٠ هـ) مصباح المنهج، منشورات دار الاعلمي، (بيروت، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م)، ص ٣٥.
- (٢٩) الخصبي، الهداية الكبرى: ٢٣٧.
- (٣٠) المازندراني أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي، مناقب آل أبي طالب، دار الاضواء، (بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م) ج ٣، ص ٣٣٩؛ الطبري أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الصغير من اعلام القرن الخامس الهجري دلائل الإمامة تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٣ هـ): ص ٢١٥ - ص ٢١٦، الشبلنجي، مؤمن بن حسن (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) نور الابصاري مناقب آل بيت النبي المختار، شركة ومكتبة مصطفى الباني الخلي وأولاده (مصر ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م): ص ١٩٥، الهيتي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (المتوفى: ٩٧٤ هـ) الصواعق الخرقية على أهل الرفض والضلال والزندقه، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة (لبنان، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م) ص ٢٠١، الهيتي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (المتوفى: ٩٧٤ هـ) الصواعق الخرقية على أهل الرفض والضلال والزندقه، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة (لبنان، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م) ص ٢٥٤، الكفعمي، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن، المصباح، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٥٢٢، بسط المارديني، الفصول المهمة: ص ٢٢٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢١٧، العاملي، تاج الدين بن علي، التتمة في التواريخ الائمة (من اعلام القرن الحادي عشر الهجري) قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٢ هـ. ق) ص ٩٦.
- (٣١) أبو حمزة، عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي، الناقب في المناقب، عرض وتقديم نبيل رضا علوان، دار الزهراء (بيروت، د. ت) ص ٣٨٩، العاملي، زين الدين أبي محمد علي بن يونس (المتوفى ٨٧٧ هـ) الصراط المستقيم إلى مستحقني التقديم صححه وحققه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية الطبعة الأولى - مطبعة الخيدري (طهران، ١٣٨٤ هـ) ص ١٨٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٢٩.
- (٣٢) الطبري، دلائل الإمامة: ٢٤٠.
- (٣٣) مراجع من العلماء والاعلام، مجموعة وفيات الائمة، دار البلاغة، (بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م) ص ٢١٠. <https://research.rafed.net>
- (٣٤) الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٢١٥؛ الكشي، أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز، رجال الكشي، قدم له أحمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي، (كربلاء، د. ت)، ص ٣٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار ج ٤٧، ص ٨٥.
- (٣٥) السيد علي ابن طاووس، رضي الدين علي، (ت، ٦٦٤) مهج الدعوات و منهج العبادات (إيران، قم، ١٤١١ هـ)، ص ٢٤٧.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

الروايات التاريخية للنهيات المأسوية لآل البيت (عليهم السلام)

- (٣٦) الجواهري، أبي عبدالله بن عبيد الله بن عباس (المتوفى ٤١٠هـ) مقتضب الآثار في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم ١٣٨٧هـ) ص ٥٢.
- (٣٧) النيسابوري، فتال، (المتوفى ٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تقديم محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، (قم، د، ت): ج ١، ص ٢٦٠.
- (٣٨) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية، (اصفهان، د، ت) ص ٣٣٣؛ الطوسي، أبو جعفر، محمد ابن الحسن (ت، ٤٦٠هـ) كتاب الغيبة، اصدار مكتبة نينوى الحديثة، (طهران، ناصر خسرو مروي، د، ت) ص ٢٦ - ٣١؛ المجلسي، بحار الأنوار ج ٤٨، ص ٢٣٤.
- (٣٩) ابن عتبة، جمال الدين أحمد بن علي (المتوفى سنة ٨٢٨ هجرية) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية (النجف، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م): ص ٨٥؛ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، ١٩٦٨) ج: ١٠، ص ٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٥٤؛ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) ج ٣، ص ٣٢؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن (ت ٧٣٢هـ) المختصر في أخبار البشر، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، د، ت: ج ٢، ص ١٧؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت ٦٨١هـ) وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر (بيروت، ١٩٩٤) ج ٢، ص ١٧٣؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) ج ٣، ص ٢٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، حمد بن علي شهاب الدين أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن (الهند، ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ): ج ١٠، ص ٣٤٠.
- (٤٠) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (المتوفى: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الناشر: دار الهجرة (قم، ١٤٠٩هـ) ج ٣، ص ٣٥٥.
- (٤١) بسط المارديني، الفصول المهمة: ٢٥٥.
- (٤٢) أبو حمزة، عماد الدين أبو جعفر محمد، المناقب: ج ٤، ص ٣٤٩؛ <https://almerja.net/reading>؛ ١٩٢٩٤٦=php?idm
- (٤٣) الشاهرودي علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، (المتوفى ١٤٠٥هـ) تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، ١٤١٩هـ) ج ١، ص ١١٥.
- (٤٤) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) عيون أخبار الرضا (ع)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ج ٢، ص ٢٠٣.
- (٤٥) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٨. الصدوق، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧هـ)، ص ١١٩. المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٥.
- (٤٦) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الصدوق، أمالي، ص ١١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٥.
- (٤٧) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٦٠.
- (٤٨) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٦؛ الصدوق، أمالي، ص ٦٣.
- (٤٩) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٦؛ الصدوق، أمالي، ص ٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٥.
- (٥٠) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٤.
- (٥١) الطبرسي، لأبي منصور أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج. مكان النشر: (مشهد، ١٤٠٣هـ)، ص ٤٢٦ - ٤٣٢.
- (٥٢) أبو فرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٥٧٢؛ المفيد، الإرشاد، ص ٣١٦.
- (٥٣) المسعودي، إثبات الوصية، ناشر: انصاريان، (قم، ١٣٨٤هـ)، ص ٢٠٩.
- (٥٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٤٥؛ ص ٣١٦.
- (٥٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٠٢؛ <http://www.ruqayah.net/print.php?id>
- (٥٦) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٨٤.
- (٥٧) المسعودي، إثبات الوصية، ص ١٩٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٦؛ الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٥٨) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٥٩) ابن حمزة الطوسي: الثاقب في المناقب، ص ٥١٦.
- (٦٠) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٨٩.
- (٦١) المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٩٥. وروضة الواعظين ١: ٢٤٣.
- (٦٢) المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٩٥، والسبب في ذلك أن الشيخ المفيد لا يعمل ولا يأخذ إلا بالأخبار المتواترة.
- (٦٣) المسعودي، إثبات الوصية: ١٩٢. وراجع الطبري: دلائل الإمامة: ٣٩٥.



- (٦٤) حسين بن عبد الوهاب، (الوفاة: القرن الخامس) عيون المعجزات حقوق الطبع محفوظة للناسر محمد كاظم الشيخ صادق الكنتي منشورات المطبعة الحيدرية (النجف ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م) ص ١٣٢.
- (٦٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤ : ص ٣٨٤.
- (٦٦) الكليني، أصول الكافي، ج ١ : ٤٩٢.
- (٦٧) المسعودي إثبات الوصية : ص ١٩٢.
- (٦٨) الكليني، أصول الكافي، ج ١ : ص ٣٢٥.
- (٦٩) السيد محمد رضا الحسيني الجليلي، تاريخ اهل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، (قم ١٩٩٠ م) ص ٨٥.
- (٧٠) العياشي، ابي النصر محمد بن محمد مسعود، (٣٢٠ هـ) التفسير، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم ١٤٢١ هـ) ج ١، ص : ٣٢٠ - ١٠٩ : المجلسي، بحار الأنوار : ج ٥، ص ٧.
- (٧١) المفيد، الإرشاد : ٢ : ٢٩٥.
- (٧٢) المسعودي مروج الذهب، ج ٤ : ص ٦٠.
- (٧٣) الطبري، دلائل الإمامة : ص ٣٩٥. حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات : ١٣١ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠ : ١٦ - ص ٢٦.
- (٧٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤ : ص ٣٩١، الطبري، دلائل الإمامة : ص ٣٩٥.
- (٧٥) أشناس : من كبار قواد جيش المعتصم، تركي الأصل. اشترك في فتح عمورية سنة « ٢٢٣ هـ ». عهد إليه المعتصم بناء مدينة سامراء لتكون ثكنة للجيش التركي الذي ضاقت به بغداد. تولى إمرة دمشق في عهد الواثق. مات سنة « ٢٣٠ هـ ». وقيل سنة « ٢٥٢ هـ ».
- (٧٦) الأتروج أو الأترنج : ثمر من جنس الحمضيات ويقال له (الترنج) أيضاً والحقاض : ما في جوف الأترنج من اللب.
- (٧٧) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤ : ص ٣٨٤.
- (٧٨) ابو حمزة، الثاقب في المناقب : ٤٤٦ ص - ص ٥١٧.
- (٧٩) مراجع من العلماء والاعلام، مجموعة وفيات الأمة، ص ٣٤٢.
- (٨٠) الدسكرة: قرية في طريق خراسان قريبة من شهربان (وهي قرية كبيرة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد)، وهي دسكرة الملك (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م) ج ٢، ص ٤٥٥ وج ٣، ص ٣٧٥.
- (٨١) البههائي محمد باقر بن عبد الكريم (ت ١٢٨٥ م)، الدعوة الساقية في احوال النبي والعترة الطاهرة، مكتبة العلوم العامة - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، د. ت) ج ٨، ص ٢٢٣.
- (٨٢) الخليلي جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، ١٩٨٧ م) ج ١٢، ص ٨٢.
- (٨٣) المظفر، محمد حسين، تاريخ الشيعة، دار الزهراء، للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) ص ١٠١.
- (٨٤) البعقوي، بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ البعقوي، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥ م) ج ٢، ص ٥٠٣.
- (٨٥) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٤ هـ) ج ١ ص ٢٨٦. <https://annabaa.org/arabic/ahlalbayt> ١٨٣٦.
- (٨٦) المفيد، لارشاد: ج ٢، ص ٣٣٦ : السيد علي ابن طاووس، ومهجع الدعوات : ص ٢٧٤ .
- (٨٧) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة : ص ٣١٤ .
- (٨٨) المفيد، الارشاد: ج ٢، ص ٣٣٩.
- (٨٩) المفيد، الارشاد: ج ٢، ص ٣٣٦ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفي ٥٩٧ هـ) منتظم في تاريخ الأمم والملوك الخلق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، (بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ج ٧، ص ١٢٦ .
- (٩٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٤ : ص ٤٤.
- (٩١) المارديني، الفصول المهمة، ص ٢٧١، الكليني، أصول الكافي: ج ١، ص ٥٠٣.
- (٩٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين ونظام النعمة، تحقيق: السيد محمد كاظم الموسوي، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة - العراق، ج ١ : ص ٤٣ .
- (٩٣) المارديني، الفصول المهمة : ٢٧١ .
- (٩٤) الصدوق، كمال الدين : ج ٢، ص ٤٧٥ .
- (٩٥) الصدوق، كمال الدين: ج ١، ص ٤٣ : المجلسي، بحار الأنوار : ج ٥٠، ص ٣٢٨ .

المصادر والمراجع :

القران الكريم

١. ابن الاثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، (بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣م

٢. ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)
٣. ابن اعثم الكوفي، أحمد ، (ت، ٣١٤) الفتوح ، تحقيق: علي شيري ، (قم ، ١٤١١هـ)
٤. الإريلي ابن أبي الفتح ، (ت، ٦٩٣هـ) : كشف الغمة، دار الاضواء (بيروت لبنان، د، ت)
٥. الاصفهاني، أبو الفرج ، علي بن الحسين ، مقاتل الطالبين ، المكتبة الحيدرية ، (اصفهان ، د ، ت)
٦. البهيهاني محمد باقر بن عبد الكريم (ت، ١٢٨٥م) ، الدفعة الساكنة في احوال النبي والعزة الطاهرة، مكتبة العلوم العامة - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، د، ت)
٧. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة، المحقق: د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)
٨. الجواهري، أبي عبدالله بن عبيد الله بن عياش ، (المتوفي ٤١٠هـ) مقتضب الاثر في النص على الائمة الاثني عشر ، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية ، مؤسسة البعثة ، (قم ١٣٨٧هـ)
٩. الجلاي، السيد محمد رضا الحسيني ، تاريخ اهل البيت عليهم السلام ، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، (قم ١٩٩٠م)
١٠. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفي ٥٩٧هـ) لمنظم في تاريخ الأمم والملوك المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، (بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)
١١. أبو حجر العسقلاني ، حمد بن علي شهاب الدين أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن (الهند، ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ)
١٢. حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات، (الوفاة: القرن الخامس) حقوق الطبع محفوظة للناس محمد كاظم الشيخ صادق الكنتي منشورات المطبعة الحيدرية (النجف ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م)
١٣. أبو حمزة ، عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي الطوسي، الثاقب في المناقب، عرض وتقديم نبيل رضا علوان ، دار الزهراء (بيروت ، دت)
١٤. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الاسلامي الطبعة: الأولى، (بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)
١٥. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر (بيروت، ١٩٩٤)
١٦. اخليلى جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، ١٩٨٧م)
١٧. الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (مصر، ١٩٦٠م)
١٨. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣ (بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)
١٩. الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)
٢٠. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)
٢١. السفاريني الخليلي شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (المتوفي: ١١٨٨هـ) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضوية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها (دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)
٢٢. الشاهرودي علي النمازي ، مستدرک سفينة البحار، (المتوفي ١٤٠٥هـ) تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، ١٤١٩هـق)
٢٣. الشبلنجي، مؤمن بن حسن (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، شركة ومكتبة مصطفى الباني الخليلي واولاده (مصر ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)
٢٤. ابن شهر اشوب، المازندراني أبي جعفر محمد بن علي ، مناقب آل أبي طالب، دار الاضواء ، (بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م)
٢٥. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) عيون أخبار الرضا (ع)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)
٢٦. الصدوق، الاماني ، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ١٤١٧هـ





٢٧. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١ هـ)، كمال الدين وقام النعمة، تحقيق: السيد محمد كاظم الموسوي، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة - العراق.
٢٨. ابن طاووس، علي رضي الدين علي (ت، ٦٦٤ هـ) مهج الدعوات و منهج العبادات (إيران، قم، ١٤١١ هـ).
٢٩. الطبرسي لفضل بن الحسن، من اعلام القرن السادس الهجري، اعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار المعرفة للطباعة و النشر (بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
٣٠. الطبرسي، لآي منصور أحمد بن علي الطبرسي، الإحتجاج على أهل اللجاج. مكان النشر: (مشهد، ١٤٠٣ هـ).
٣١. الطبري أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري دلالت الإمامة تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٣ هـ).
٣٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم (مصر، ١٩٦٨).
٣٣. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت، ٤٦٠ هـ) مصباح المتجهذ، منشورات دار الاعلمي، (بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).
٣٤. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت، ٤٦٠ هـ) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٤ هـ).
٣٥. الطوسي، أبو جعفر، محمد ابن الحسن (ت، ٤٦٠ هـ) كتاب الغيبة، اصدار مكتبة نينوى الحديثة (طهران، ناصر خسرو مروي، د، ت).
٣٦. ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله (ت، ٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
٣٧. العاملي، تاج الدين بن علي، التتمة في التواريخ الاثمة (من اعلام القرن الحادي عشر الهجري) قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٢ هـ ق).
٣٨. العاملي، زين الدين أبي محمد علي بن يونس (المتوفى ٨٧٧ هـ) الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم صححه وحققه وعلق عليه محمد الباقر البهوتي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية الطبعة الأولى - مطبعة الحيدري (طهران، ١٣٨٤ هـ).
٣٩. ابن عتية، جمال الدين أحمد بن علي (المتوفى سنة ٨٢٨ هـ) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه محمد حسن آل الطائفي، منشورات المطبعة الحيدرية (النجف، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م).
٤٠. العياشي، أبي النصر محمد بن محمد مسعود، (٣٢٠ هـ) التفسير، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم، ١٤٢١ هـ).
٤١. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن (ت ٧٣٢ هـ) المختصر في أخبار البشر، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، د، ت.
٤٢. الكشي، أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز، رجال الكشي، قدم له أحمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي، (كربلاء، د، ت).
٤٣. الكفعمي، الشيخ تقى الدين إبراهيم بن علي الحسن، المصباح، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).
٤٤. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (المتوفى ٣٢٩ هـ) أصول من الكافي مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري فخص بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي الناشر دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي تهران - بازار سلطاني الجزء الأول الطبعة الثالثة (١٣٨٨).
٤٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء (بيروت - لبنان، د، ت).
٤٦. مراجع من العلماء والاعلام، مجموعة وفيات الاثمة، دار البلاغة، (بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م).
٤٧. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (المتوفى: ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الناشر: دار الهجرة (قم، ١٤٠٩ هـ).
٤٨. المسعودي، إثبات الوصية، ناشر: انصاريان، (قم، ١٣٨٤ هـ).
٤٩. المظفر، محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، دار الزهراء، للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧).
٥٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العسكري (ت، ٤١٣ هـ) الإرشاد، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م).
٥١. النيسابوري، قتال، (المتوفى، ٥٠٨ هـ) روضة الواعظين، تقديم محمد مهدي الخراسان، منشورات الشريف الرضي، (قم، د، ت).
٥٢. الحيتي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (المتوفى: ٩٧٤ هـ) الصواعق الخرقية على أهل الرفض والضلال والزندقة، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة (لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).
٥٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥ م).
٥٤. البعقوي، بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، ٢٩٢ هـ)، تاريخ البعقوي، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥ م).







الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

أ.م.د. محمد بادي منشد

جامعة أهل البيت (عليهم السلام) إيران/ قم المقدسة





المستخلص:

ان موضوع الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المئة سنة الاخيرة موضوع فيه من الاهمية ما يمكن ان يقدم على انه محور بحث يتسابق عليه الباحثون من مختلف التوجهات التاريخية والفكرية والعلمية ، نعم ان بداية البحث تقتضي ان نقدم عدة اسئلة حول البحث وهي اسئلة مختصرة ومقتضية وليست اسئلة تفصيلية لان الموضوع يبحث هنا من الناحية التاريخية الصرفة مع لمح بصر حول رؤية قصيرة في التحليل ومن تلك الاسئلة من هي النجف الجغرافية وما هي الحياة العلمية في النجف الاشرف ؟

من هم علماء النجف وماهي الاثار العلمية التي وضحت الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المئة سنة الاخيرة ؟ من هم الذين مثلوا الحياة العلمية بنتائجهم العلمية من مؤلفات وتربية نخب علمية ؟ العصر الذهبي لو صح التعبير الذي مثلته الحركة العلمية في النجف خلال المئة سنة الاخيرة؟ من خلال ما سيتم ذكره والتعريف به في المصادر التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة ونذكر منها (تاريخ ابن عساكر- تاريخ اليعقوبي- الفيروزابادي في القاموس المحيط و محسن الامين في اعيان الشيعة وغيرها)

Abstract:

The topic of scientific life in the Holy City of Najaf during the last year is a topic of importance that can be presented as a research focus that competes for it from various strategic, intellectual and scientific orientations. Yes, the beginning of the research requires that we present several questions about the research, and they are brief and succinct and not a specialized approach because The current moving here is purely historical, with a glimpse of a short vision in analysis. Among those questions: Who is Najaf geographically and what is the scientific life in Najaf Al-Ashraf?

man hum eulama' alnajak wamahi alathar aleilmiat alati wadahal alhayat aleilmiat fi alnajak alashraf khilal almiat sanat alakhira ?

man hum aladhin mathaluu alhayat aleilmiat binitajatihim aleilmiat min mualafat watarbiat nakhab eilmia ? aleasr aldhababiu law saha altaebir aladhi mathalath alharakat aleilmiat fi alnajak khilal almiat sanat alakhirati?

min khilal ma sayatimu dhikruh waltaerif bih fi almasadir altaarikhiat alqadimat walhadithat walmueasirat wanadhkur minha (tarikh aibn easakri- tarikh alyaequbi- alfiyruzaabady fay alqamus almuhyt w muhsin alamin fay aeyan alshayeat waghayruha)Who are the scholars of Najaf and what are the scientific monuments that clarified the scientific life in the holy city of Najaf during the last hundred years?

Who are those who represented scientific life through their scientific productions, including writings and the education of scientific elites? The golden age, so to speak, represented by the scientific movement in Najaf during the last hundred years?

Through what will be mentioned and introduced in ancient, modern and contemporary historical sources, including (The History of Ibn Asakir - The History of Al-Yaqubi - Al-Fayrouzabadi in Al-Qamoos Al-Muhit and Mohsen Al-Amin in Shiite Notables and others)





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

المقدمة:

تعد الحياة العلمية في اشهر مدينة تاريخية إسلامية عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الإمام أمير المؤمنين وقبل ذلك التاريخ تعتبر من الحواضر العلمية ويمتد تاريخ هذه المدينة إلى ما قبل الإسلام أما في الإسلام فقد أصبحت بعد ورود الخلافة الإسلامية إليها وتعاقب الأئمة الخلفاء فيها للدرس والوعظ مهمة ومعتبرة في نظر جميع المسلمين حتى ان أكثر ائمة المذاهب الإسلامية ورواد حضارتها قد كانوا في هذه المدينة لعموم الاسباب المعروفة ، أصبحت النجف تنافس باقي المدن العلمية في العالم الاسلامي وقد انتجت الكثير من النخب والقادة في في العصور المختلفة وأضحت في العصر الحديث والمعار رائدة للنهضة العلمية وخصوصا في الزمن المعاصر . لذا افردت هذه الدراسة المتواضعة لتكون عينا يشرب منها المتخصصين والباحثين كونها اشتملت على بحث تاريخي اصيل ومقاربات نقدية واصلاحية وتناولت فيها النهضة العلمية التجديدية والاصلاحية والتي وردت على السنة الكتاب والمؤرخين بعض مختصين بالجانب العلمي وذكرت نماذج من مخرجات هذه الفترة من علماء ومؤلفات كانت تعتبر الى عهد قريب نوافذ علمية بحثية يستفاد منها من طريق التعليم كوجود الاساتذة العلماء والمؤلفات التي رفدت الممتية الاسلامية وعرفت بالاسلام الاصيل وذكرت الجوانب المؤثرة على الحركة العلمية كالسياسة والتحولات العلمية الحديثة وإن كانت بشكل مختصر إلا انها تنفع كثيرا للاطلاع والاستفادة لهذه المرحلة الزمنية (المائة عام الاخيرة) التي تعتبر مرحلة مهمة نتيجة التطور العلمي في التعليم والبحث والتأليف واصبحت النجف لا تعرف اليوم تاريخيا انها مدينة اسلامية فقط بل حاضرة علمية فما ان تذكر النجف ينصرف الذهن الى العلم والتعلم والبحث والعلماء والمراجع القادة كانت النجف خلال المائة عام الاخيرة تحفل باحداث متنوعة شكلت تاريخا مشرقا وحافلا ومتنوعا فمن العلم الى السياسة الى التوسع في الافق الفكري والعلمي وايجاد نظريات علمية في الجانب النظري من حيث افكار الباحثين والحققين والمؤلفين واحتضنت أكثر النخب والطلبة من العالم الاسلامي لاسيما من اتباع مدرسة أهل البيت فورد اليها ابناء الجمهورية الاسلامية الايرانية منذ فترات طويلة وخصوصا هذه المرحلة او الحقبة الزمنية المعنية ففيها الشيخ الاخوند الخراساني صاحب الكفاية والحقق الفيلسوف الشيخ محمد حسين الكمباني والشيخ اقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة في تصانيف الشيعة والحقق النابني والحقق اقا ضياء الدين العراقي ومرجع الطائفة السيد ابوالقاسم الخوئي والامام روح الله الخميني والشيخ ميرزا جواد التبريزي والسيد محمود الشاهرودي والشيخ الاميني صاحب موسوعة الغدير والسيد ميرزا علي القاضي استاذ ومؤسسة مدرسة العرفان المعاصرة والعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان في تفسير القرآن والسيد مفتي الشيعة والسيد عبد الهادي الشيرازي والشيخ محمد تقي مجتهد والشيخ محمد حسن الجواهري صاحب كتاب اجواهر الكلام في شرح شرايع الاسلام والسيد الاستاذ محمد كلاتر مؤسس جامعة النجف الدينية وغيرهم الكثير من العلماء الماضين رحمهم الله تعالى واما الاحياء فمنهم الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله والمرجع السيد علي السيستاني وكذلك من دول افغانستان كالمدرس الافغاني والعلامة محمد سرور والشيخ الاستاذ محمد اسحاق الفياض ووغيرهم وباكستان والهند واذربيجان السيد حسين الباذكوي استاذ الفلسفة والعرفان والدول العربية كالشيخ محمد مهدي شمس الدين والعلامة محمد حسين فضل الله وتركيا وروسيا والدول الافريقية وباقي اصقاع الارض واعتذر لو صدر مني سوء فهم او تقصير في اي مجالات البحث واعدكم اني سوف اكمل هذا البحث كعنوان كتاب يستفاد منه الكتاب والباحثين ويجدون ما يحون عنه بصحبة الاستاد الواعي والمفكر المتخصص الدكتور محمد الله اكبري دام عزه.

الكلمات الافتتاحية : النجف، الحوزة، العلمية، الحياة، العلماء، الطلبة.

١- الاسماء:

٢- النجف :

تعد من أكثر التسميات شهرة والتي عرفت بها منطقة النجف، وهي الأكثر استعمالا ووقوعاً في كتب اللغة والتاريخ والجغرافيا، فضلاً عن الأحاديث الدينية الواردة عن أهل البيت . ففي كتب اللغة، النجف اسم عربي ومعناه (المنجوف)





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

وقال ابن زكريا: (النجف مكان مستطيل لا يعلوه الماء) أي المكان المرتفع أو الخلل المرتفع، الذي لا يعلوه الماء، و(النجفة شبه التل)، والجمع نجاف وهي (بطون الأرض في أسفلها سهولة تنقاد في الأرض، لها أودية تنصب إلى لين من الأرض)، وقال عنها الأزهري (النجفة التي يظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها). أما ابن جبير فقد عبر عنها بقوله (وهي بظهر الكوفة كأنه حد بينها وبين الصحراء وهو صلب من الأرض منفسح متسع للعين فيه مراد واستحسان والشرح) وقد أشار إليها حنين الحيري المغني بقوله: أنا حنين ومنزلي النجف وما تديني إلا الفتى القصف ويرى (ماسنيون) أن اسم النجف يطلق قديماً على الجزء الغربي المطل على البصرة الماخة من ذلك اللسان أي بتحديد أكثر دقة هي المنطقة التي تعرف (بظهر الحيرة - ظهر الكوفة). وذهبت بعض الروايات المنقولة عن الأئمة أن النجف هو الجبل الذي قال عنه ابن نوح (سأوي إلى جبل يعصمني من الماء)، وكان في المنطقة بحر يسمى (التي) ثم جف بعد ذلك ف قيل (ني جف، فسمي نجف ثم صار بعد ذلك يسمونه (نجف) لأنه كان أخف على السنتهم).

٣- الجودي:

ورد هذا الاسم في كتب التفسير واللغة والتاريخ والبلدانيين (الجغرافيين) وكتب الأخبار ففي كتب اللغة الجودي موضع وقيل جبل، وهذا ما عنته الآية الكريمة بقوله تعالى (وقيل يا أرض أبلعي ماءك، ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين). فذكر أن المراد من (الجودي) جبل في النجف استوت عليه سفينة نوح، لما نضب الماء وأصبح علماً لهذه البقعة الشريفة. وذهب بعض اللغويين إلى القول أنه هو فرات الكوفة، وعند استعراض المفسرين لحادثة الطوفان وتفسيرهم لهذه الآية (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) حيث يروى أن هذا التنور، تنور أهل نوح فار الماء منه وذكروا أنه في ناحية الكوفة وهذا ما أكدته بعض المؤرخين. ويروي الشيخ المجلسي أن الجودي بقرب الكوفة وربما هو الغري.

٤ - الطور:

عرفت النجف بالطور وكلمة (الطور) حسباً جاءت في كتب اللغة هي الجبل، وقد أشار الامام بوصيته لأولاده حول موضع مدفنه بقوله (إن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفوني، وهو أول طور سينا، ففعلوا ذلك)

٥ - الربوة:

وهي إحدى التسميات التي عرفت بها النجف، وقد وردت هذه التسمية في كتب اللغة والتفسير والجغرافية. ففي اللغة (الربوة) كل ما ارتفع عن الأرض وربما جمعها ربي، وفي الأخبار الواردة عن الامام جعفر الصادق تأكيد أن المراد ب(الربوة) النجف. فعن سليمان بن نميك عن أبي عبد الله الصادق في قول الله عز وجل (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال الربوة نجف الكوفة والمعين الفرات. وهذا ما أشار إليه ابن عساكر عن (محمد بن مسلم) قال سألت الصادق عن قول الله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين) قال: الربوة النجف، والقرار المسجد، والمعين البكسر النون، وهي من التسميات التي عرفت بها منطقة النجف، وقد حدد موقعها الجغرافي البكري، بقوله (أرض بالنجف دون الكوفة)، أما الفيروز آبادي (بانقيا بالكوفة). وقد أشار الشاعر ميمون بن قيس إلى هذا الموقع بقوله: فما نيل مصر إذا تسامى عبايه ولا بحر بانقيا إذا راح مفعماً وقد أشار الشاعر إلى بحر بانقيا والمراد به بحر النجف، ويميل الدكتور الحكيم وفق هذا القول إلى أن (بانقيا على بحر النجف، أو في المنطقة الواقعة بين النجف والحيرة).

٦- الظهر:

(ظهر الحيرة - ظهر الكوفة) هما من التسميات المعروفة عند المؤرخين والجغرافيين حيث يشار إلى هاتين التسميتين بدلالة (النجف)، وأرتبط ظهورهما بتأسيس مملكتي الحيرة العربية، أي منذ القرن الثاني الميلادي، حيث كانت تمثل النجف الوجه الحضاري والعمراني لهذه المملكة، وذلك من خلال انتشار القصور والأديرة والحصون والقلاع فيها.

٧- الغري:





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

من التسميات المتداولة الشائعة التي عرفت بها منطقة النجف منذ عصر ما قبل الاسلام حتى وقتنا الحاضر، حيث وردت في المعاجم اللغوية وكتب التاريخ والأدب والأخبار والمراد منها بقعة النجف. ففي اللغة الغري معناه الحسن من كل شيء، فالرجل إذا كان حسن الوجه فهو مليح فهو غري، والبناء الجيد حسن التصميم فهو غري. قال ياقوت الحموي أن (الغري نصب كان يذبح عليه الفئائر، والغريان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب مشهد أمير المؤمنين). ويعلل الدكتور الحكيم صعوبة تحديد الموقع الجغرافي للغريين نتيجة لانطماس معالمهما من الوجود، وقد ذكر القزويني أن الغريين يقعان قرب مرقد أمير المؤمنين.

٨ - المشهد:

وهي من التسميات التي عرفت بها مدينة النجف بعد ظهور القبر وعمارته والمشهد كما جاء في مصادر اللغة (مجمع الناس أو محضر الناس)، وقد أوفى الشيخ محبوبة هذا التعريف بقوله (وهو مجمع الخلق، ومحفلهم وكل مكان يشهده البشر وتحتشد به فهو مشهد)، وهي صفة غالبية على مرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ويرى الدكتور الحكيم أن مصطلح (المشهد) أخذ يحل تدريجياً محل مصطلح (الغري) منذ القرن الثاني للهجرة أي بعد أن أخذت العمارة طريقها لبناء المرقع العلوم.

٩ - وادي السلام:

من الأسماء التي عرفت واشتهرت بها بقعة النجف، وأن تسمية وادي السلام لا تشير إلى وجود واد في المنطقة، بل إلى معنى أرض السلام، أرض الطمأنينة والراحة، فكل من أخذته رجلاه لزيارته دخل قلبه الخشوع والرهبة من مصير محتوم لا مفر منه. وتعتبر مقبرة وادي السلام وهي أكبر مقبرة إسلامية في العالم.

تاريخ الحياة العلمية (الحوزة العلمية)

نبدأ بتقديم عرض تاريخي لنشأة الحياة العلمية متمثلة بالحوزة العلمية وتطور مناهج التعليم بها، ثم الأرضية اللازمة للتحديث العلمي والفضاء الخاص الذي يساعد عليه، كما نعالج مسارات التحديث التي ارتبطت دائماً بالمنعطفات السياسية الكبرى والفكرية، وتنتهي برصد مستويات التحديث وتركز الاهتمام على المستوى الذي يطال بنية المعارف الإسلامية الحوزوية العلمية.. كمقدمة تاريخية:

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلى ما يقارب ألف سنة، فقد دشّن الدراسة فيها الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، بعد أن اضطر للهجرة إليها من بغداد عام ٤٤٨ هـ، إثر الاضطهاد الذي تعرض له على أيدي السلاجقة. ومنذ ذلك التاريخ أضحت النجف حاضرة علمية تحتضن طلاب العلوم الإسلامية المهاجرين إليها من شتى الأقطار، وكان بعض الوافدين يتوطنون فيها، فيما يعود آخرون إلى مواطنهم لممارسة التبليغ والدعوة والإرشاد، والعمل على تأسيس حلقات للتعليم الديني في المساجد التي يخطبون فيها. وتعرضت الدراسة في النجف لحالات نمو وازدهار في مراحل تاريخية معينة، كما تعرضت في مراحل أخرى لانحسار وضمور، تبعاً للتحوّلات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في العراق، والخطط الإقليمية للبلدان التي ترفد النجف بالتلامذة المهاجرين لطلب العلوم الدينية. وبموازاة ذلك كانت تتوالد وتندثر حواضر علمية أخرى باستمرار، في حلب، والحلة، وجبل عامل في لبنان، وأصفهان، وكربلاء، وقم، وسامراء... وشبه القارة الهندية، وآسيا الوسطى. ومنذ القرن التاسع عشر أمست حوزة النجف الحاضرة العلمية الأوسع والأهم، لا سيما بعد تبلور مؤسسة المرجعية وتدخلها المباشر في المنعطفات السياسية والاجتماعية في التاريخ القريب لإيران والعراق، مثل نخبة المشروطة وصياغة دستور سنة ١٩٠٦ م في إيران، وقبلها حركة الاحتجاج الشعبي على امتياز شركة التبغ البريطانية، ومقاومة الاستعمار البريطاني ١٩١٤-١٩١٧، وثورة ١٩٢٠ في العراق.

إنّ الحياة العلمية منذ عام ١٩٢٠ ميلادي في النجف كانت تنقسم الى قسمين الاول هو التعليم الديني ومركزه الحوزة الدينية النجفية وأبرز العلماء في تلك المرحلة الميرزا محمد الشيرازي زعيم ثورة العشرين والسيد محمد صادق بحر العلوم والشيخ محمد حسن النائيني وعبد الكريم الحائري مؤسس حوزة قم والشيخ محمد حسين الاصفهاني الغروي المعروف بالغروي والسيد ابو





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

الحسن الأصفهاني والسيد حسين الطباطبائي ومحمد حسين كاشف الغطاء والسيد حسين الحمادي والسيد جمال الدين بن حسين الكلبايكاني وغيرهم لا يسع المجال لذكرهم واما التعليم الثاني فهو التعليم الغير ديني او العلماني حسب المسميات من المقابل وقد اسس تلك المدارس العثمانيين الذين كانوا يحكمون العراق وكانت النبي من ضمن ولاية بغداد فتم تأسيس العديد من المدارس الابتدائية او الاساسية وتدرس باللغة العربية احياناً وبالتركية احياناً اخرى وكانت في النجف مدرستين واحدة في ولاية النجف والثانية في كربلاء واستمرت هذه المدارس بالعمل ولكن لم تتطور لان رذال الدين عارضوا هذا النوع من التعليم بذرائع انما علمانية لم تتخذ من الاحكام الشرعية طريقة عمل لها واعتبروا التعليم فيها غير جائز واصبحت الجراسي في النجف الاشرف دينية بامتياز.

وانّ ما يهمنا في مراحل الحياة العلمية النجفية هي تزامنها مع أحداث سياسية وعقائدية مثلاً ثورة العشرين بقيادة الميرزا محمد تقي الشيرازي ووجود الدولة الوهابية الثالثة وقيام الحركة الوهابية بالاعتداءات على اماكن الدراسة العلمية في النجف وكربلاء والاعتداء على المراقد المطهرة لحرمي الامام الحسين وابي الفضل العباس بين عامي ١٩٢٥ وعام ١٩٢٧ م حيث قتل العديد من العلماء وطلبة العلوم الدينية والعوام من الناس ونهب الممتلكات والمقتنيات في المراقد وحرقت المكتبات العامة والخاصة . وقد واجه علماء النجف الحركة الوهابية بقوة وتمكنوا من صد الوهابيين وردهم بقيادة الشيخ جعفر كاشف الغطاء وبقية العلماء ومن اثار ذلك الشاهدة اليوم على تلك الجهود هو وجود السور الذي كان يحمي المدينة ضد الهجمات. هذه نبذة تعريفية بما مرت به حوزة النجف الاشرف اوائل نشوئها في القرن الحادي والعشرين.

الشخصيات العلمية النجفية في المائة سنة الاخيرة

ومن أبرز العلماء الذين كانت لهم لمسات معرفية أحدثت تغييراً واضحاً في تاريخ هذه الحوزة الاصيلية كل من :

الميرزا حسين الثاني:

العالم الجليل المدقق صاحب التنقيب والتحقيق أصولي فقيه له الآراء السديدة في علمي الأصول والفقه متين في الحكمة والفلسفة وقد درس على علماء أبرزهم صاحب الكفاية وكان من عمدة تلامذته. لقد كان صاحب فكر ومدرسة وتخرج من على يديه مجموعة من العلماء أبرزهم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي. كما أنه تسلم الزعامة والمرجعية للطائفة الشيعية في وقته وله كتاب في السياسة اسمه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) كتبها في ربيع الأول سنة ١٣٢٧ هـ يشرح فيه النظام السياسي في الإسلام وله آراء ومناقشات على العلماء السابقين في علم الأصول كتبها وسجلها تلاميذه في تقارير لدروس أستاذهم الثاني (١).

السيد محمد كاظم اليزدي:

ولد عام ١٢٤٧ هـ ١٨٢٦ م في مدينة يزد ودرس العلوم التمهيدية في يزد ثم في أصفهان ثم هاجر إلى بلدة باب مدينة علم الرسول | النجف الاشرف ودرس على الميرزا الشيرازي الكفاية والأصول وبلغ مرتبة عالية أهلته للمرجعية فأصبح زعيماً بلا منازع للشيعية في العالم وألف كتباً كثيرة أشهرها (العروة الوثقى) الذي أصبح مرجعاً لجميع الفقهاء من بعده للشرح والتعليق إلى هذا اليوم.

توفي ليلة ٢٨ رجب عام ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م في النجف الاشرف ودفن في الصحن الشريف (٢).

الشيخ ضياء الدين العراقي النجفي

كان عالماً متكلاً أصولياً وقد برع في علم الأصول حتى تخصص به وأبدع فيه وأصبح المدرس الوحيد بالنجف في علم الأصول فحسب من دون أن يعتبر من الفقهاء اللامعين. وكان له تلاميذ قد التزموا ببحث الأستاذ وأصبحوا من خواصه الذين استوعبوا آرائه. توفي يوم الاثنين ٢٨ ذي القعدة ١٣٦١ هـ ١٩٤٠ م (٣).

السيد أبو الحسن الأصفهاني:

هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد الموسوي الأصفهاني النجفي ولد عام ١٢٨٤ في قرية من قرى أصفهان ودرس المقدمات هناك ثم هاجر إلى كربلاء ودرس قليلاً ثم توجه إلى النجف وأكمل الدراسة على الشيخ محمد كاظم الخراساني





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

وبعد وفاة الشيخ الثاني والشيخ أحمد كاشف الغطاء انحصرت فيه المرجعية للطائفة الشيعية (٤). وكان ذكياً جداً في سلوكه الاجتماعي. وقد نفي لبعض الوقت مع جمع آخر من الأعلام من العراق إلى إيران لموقفه السياسي من النظام الحاكم في إيران آنذاك ثم أعيد إلى العراق وفي أواخر حياته مرض وسافر إلى الشام وبعثك للاستجمان والنقاهة ولكن الموت قد وافاه في الكاظمية يوم التاسع من شهر ذي الحجة عام ١٣٦٥ هـ.

السيد محسن الحكيم

وهو من المراجع الكبار ألف كتاب (مستمسك العروة الوثقى) في أربعة عشر مجلداً وتصدى لزعامة الطائفة في العراق وقسم كبير من البلاد العربية وإيران واهند. حارب الشيوعية في العراق أيام شوكتهم وقدرتهم بفتواه الشهيرة (الشيوعية كفر والحاد والانتماء إليها انتماء إلى الكفر والإلحاد) وحارب الظالمين حتى يوم وفاته. يضاف إلى ذلك ما قام به أيام مرجعيته العامة من تأسيس مكتبات في مختلف مدن العراق بالإضافة إلى إرسال المبلغين إلى القرى والأرياف في العراق أيام العطل الدراسية وكانت لها آثار حسنة في توجيه المسلمين.

السيد الشهيد محمد باقر الصدر:

هو السيد محمد باقر بن السيد حيدر بن السيد إسماعيل الصدر الكاظمي الموسوي. وأسرته آل الصدر من الأسر العربية الأصلية الواضحة النسب الكريمة الحسب العريقة الأصول الزكية الفروع، أما أمه فهي كريمة الشيخ عبد الحسين آل ياسين وهي أخت العلماء العظام الشيخ محمد رضا والشيخ مرتضى والشيخ راضي، وأسرته آل ياسين من الأسر العراقية المعروفة بالعلم والصلاح والفضيلة والتقوى.

ابتدأ السيد الشهيد دراسته لمقدمات العلوم بالكاظمية وهو في سن العاشرة، وفي سن الحادية عشرة بدأ بدراسة المنطق، وفي سن الثانية عشر درس الصدر علم الأصول على يد أخيه السيد إسماعيل، والسيد إسماعيل كان أستاذاً أخيه الأول وعنده درس المقدمات والسطوح.

وقد حضر بحث الخارج عند خاله آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين وكان يحضر في بحثه كبار الفقهاء مثل: آية الله صدر الباذكوي وآية الله الشيخ عباس الرميثي وآية الله الشيخ محمد طاهر آل راضي وآية الله عبد الكريم علي خان وآية الله السيد باقر الشخص وآية الله السيد إسماعيل الصدر. كما حضر عند خاله الشيخ مرتضى آل ياسين تأييداً واحتراماً له. وقد درس السيد الصدر عند آية الله العظمى السيد الخوئي منذ سنة ١٣٦٥ هـ إلى سنة ١٣٧٨ هـ. فنال السيد درجة الاجتهاد وهو في أواخر العقد الثاني من عمره. وأن مدة دراسة السيد الصدر منذ الصبا وحتى إكمالها لم تتجاوز ١٧ أو ١٨ عاماً.

بدأ السيد الصدر في إلقاء دروسه ولم يتجاوز عمره خمس وعشرون عاماً، فقد بدأ بتدريس الدورة الأولى في علم الأصول بتاريخ ١٢ / جمادى الآخرة / ١٣٧٨ هـ وأنهاها بتاريخ ١٢ / ربيع الأول ١٣٩١، وشرع بتدريس الدورة الثانية في ٢٠ رجب من نفس السنة، كما بدأ بتدريس البحث الخارج في الفقه على منهج العروة الوثقى في سنة ١٣٨١ هـ. قال فيه صاحب كتاب أعيان الشيعة: هو مؤسس مدرسة فكرية إسلامية أصيلة تماماً، اتسمت بالشمول من حيث المشكلات التي عنيت بها ميادين البحث، فكتبه عاجلت البنى الفكرية العليا للإسلام، وعنيت بطرح التصور الإسلامي لمشاكل الإنسان المعاصر... مجموعة محاضراته حول (التفسير الموضوعي) للقرآن الكريم طرح فيها منهجاً جديداً في التفسير، يتسم بعبقريته وأصالته (٥).

ألف آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر العديد من الكتب القيمة في مختلف حقول المعرفة، وكان لها دور بارز في انتشار الفكر الإسلامي على الساحة الإسلامية وهذه الكتب هي:

- ١- فذلك في التاريخ: وهو دراسة لمشكلة (فذلك) والخصومة التي قامت حولها في عهد الخليفة الأول.
- ٢- دروس في علم الأصول: في ثلاثة حلقات.
- ٣- بحث حول المهدي: وهو عبارة عن مجموعة تساؤلات مهمة حول الإمام المهدي





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

- ٤- نشأة التشيع و الشيعة.
- ٥- نظرة عامة في العبادات.
- ٦- فلسفتنا: وهو دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية، وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية والديالكتيكية الماركسية.
- ٧- اقتصادنا: وهو دراسة موضوعية مقارنة، تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية للماركسية والرأسمالية والإسلام، في أسسها الفكرية وتفصيلها.
- ٨- الاسس المنطقية للاستقراء: وهي دراسة جديدة للاستقراء، تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية والإيمان بالله تبارك وتعالى.
- ٩- رسالة في علم المنطق: اعترض فيها على بعض الكتب المنطقية، ألفها في الحادية عشرة من عمره الشريف.
- ١٠- غاية الفكر في علم الأصول: يتناول بحوثاً في علم الأصول بعشرة أجزاء، طبع منه جزء واحد، ألفه عندما كان عمره ثماني عشرة سنة.
- ١١- المدرسة الإسلامية: وهي محاولة لتقديم الفكر الإسلامي في مستوى مدرسي ضمن حلقات متسلسلة صدر منها:
أ- الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية؟
ب- ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي؟
- ١٢- المعالم الجديدة للأصول: طبع سنة ١٣٨٥ هـ لتدريسه في كلية أصول الدين.
- ١٣- البنك اللاروي في الإسلام: وهذا الكتاب أطروحة للتعويض عن الربا، ودراسة لنشاطات البنوك على ضوء الفقه الإسلامي.
- ١٤- بحوث في شرح العروة الوثقى: وهو بحث استدلائي بأربعة أجزاء، صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٩١ هـ.
- ١٥- موجز أحكام الحج: وهو رسالة عملية ميسرة في أحكام الحج ومناسكه، بلغة عصرية صدر بتاريخ ١٣٩٥ هـ.
- ١٦- الفتاوى الواضحة: رسالته العملية، ألفها بلغة عصرية وأسلوب جديد.
- ١٧- بحث فلسفي مقارنة بين الفلسفة القديمة والفلسفة الجديدة: ألفه قبيل استشهاده ولم يكمله، تحدث فيه حول تحليل الذهن البشري، ومن المؤسف جداً أن هذا الكتاب مفقود ولا يعرف أحد مصيره. ١٨- بحث حول الولاية: أجاب السيد في هذا الكتاب عن سؤالين، الأول: كيف ولد التشيع؟ والثاني: كيف وجدت الشيعة؟.
- ١٩- تعليقة على الرسالة العملية لآية الله العظمى السيد محسن الحكيم، المسماة (منهاج الصالحين).
- ٢٠- تعليقة على الرسالة العملية لآية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين، المسماة (بلغة الراغبين).
- ٢١- المدرسة القرآنية: وهي مجموعة المحاضرات التي ألقاها في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.
- ٢٢- الإسلام يقود الحياة: ألف منه ست حلقات في سنة ١٣٩٩ هـ، وهي:
*لحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران.
*صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي.
*خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي.
*خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.
*منابع القدرة في الدولة الإسلامية.
*الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي.

لقد خشي الطاغية صدام من وجود السيد الشهيد، لذلك اعتقل السيد المجاهد وأخته العلوية الطاهرة «بنت الهدى» بتاريخ ١٩٨٠/٤/٥ م ونقلوا إلى بغداد حيث قام النظام الكافر بأخس جريمة في سجله الإجرامي بقتل المرجع المفكر العظيم ودفن في مدينة النجف الأشرف وذلك يوم الأربعاء المصادف ١٩٨٠/٤/٩ م. فسلام الله عليه وعلى أخته



الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

العلوية المجاهدة يوم ولدا ويوم استشهدا ويوم يبعثان أحياء.

زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي

ولد عام (١٨٩٩م - ١٣١٧هـ) وترجع على كرسي تدريس البحث الخارج في الحوزة العلمية في وقت مبكر من عمره واستمر لأكثر من سبعين سنة. فحاز خلالها على المرجعية العلمية قبل المرجعية الدينية، التي جاءت منقادة إليه، حتى أصبح الزعيم الأعلى للحوزة العلمية في النجف الأشرف (٦).

تولى آية الله العظمى السيد الخوئي + زعامة الحوزة العلمية في أشد مراحلها حساسية منذ تأسيسها عام (١٤٤٩هـ) على يد الشيخ الطوسي +، حيث تعرضت إلى أقسى الحملات، وعاشت ظروفًا قاهرة؛ وذلك بالتزامن مع حاكم ديكتاتوري متعسف جائر في العراق لم تشهد الدنيا طغياناً مثل طغيانه. جعل من الشيعة والتشيع هدفاً لطغيانه وإرهابه، وخصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حتى ظن الكثيرون بأن دور الحوزة العلمية في النجف الأشرف قد انتهى، حيث المدارس الدينية خالية من طلاب العلوم نتيجة تسفير النظام البعثي لطلاب الحوزة من أصول إيرانية لإيران، ومطاردته لكل العناصر الخيرة في الحوزة.

فخلال تلك الظروف الصعبة كانت مهمة آية الله الخوئي + صعبة للغاية ومضاعفة من عدة جهات، وكان يرى أن للحوزة العلمية ناصرًا وراعياً وهو الإمام الحجة #، وأنها أمانة بيده وعليه أن يحافظ عليها ويهتم بإدارتها وإبقائها واستقلاليتها متابعة مهامها العلمية والفقهية، والحرص على استمرار دور المرجعية العليا لإدارة شؤون الطائفة في العالم بصورة عامة. واستمرار الدور التاريخي لمدينة النجف الأشرف، التي تضم مرقداً أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب x، وتحتضن الحوزة الدينية ومعاهدها العلمية (٧).

ولقد تحمل الصعوبات ومشاكل الحوزة العلمية في النجف الأشرف وما نالته الشيعة في الاعتبار المقدسة بصير وأناة لعدم الإمكانيات للمواجهة مع الحكومة الجائرة إلا بالهداية والنصيحة. ولكن رجال الحكومة لم تصغ إلى نصائحه، وما كانت تلتزم بأي مبدأ إنساني أو قانوني. فعمل بحكمة وحكمة بالغة، حتى اعتبرت مرجعيته (المرجعية الرشيدة). وزعامته وإمامته ليس بالمحافظة على الدور البارز لحوزة النجف العلمية فحسب، وإنما بالتجديد والتطوير الذي حصل في زمانه ومن مختلف النواحي العلمية والاجتماعية حتى لُقّب بـ (الإمام المجدد). ولا شك في أنه تحمّل في أداء ذلك الواجب، الكثير الكثير من العناء والصعاب من الأعداء وأحياناً من بعض القريبين الجاهلاء (٨).

فقد كان حريصاً على أن يتعامل مع ظروفه السياسية تعاملًا دقيقاً، وأن يوازن بين معادلات سياسية دولية خطيرة وداخلية حرجة، فهو من جهة كان يعيش تحت وطأة نظام متسلط يترصد جميع تحركاته ويتحين الفرص للنيل منه ومن خاصته ومن شيعة أهل البيت عامة، ومن جهة ثانية لا يمكنه السكوت على انتهاكات النظام وقهوره، فمن حربه للجمهورية الإسلامية التي استغرقت ثمان سنين إلى غزوه الكويت إلى قتله وترويعه للقرى الكردية الآمنة. كان النظام يزوج بشيعة أهل البيت خاصة وبالشعب العراقي عامة في حرب ليس لها ما يبرزها، ومن الطبيعي أن السيد الخوئي + يخوض هذه الأحداث بدقة ولياقة حسيماً تقتضيه الموازين الشرعية وما يفرضه التكليف الإسلامي في موارد التضاحم والتعارض والمصلحة والمفسدة والتقبة وعدمها والجهاد والهدنة، فكانت اهتماماته السياسية على ضوء الدين، لا يحيد عنها قيد أنملة. هكذا كانت ملايسات الظرف السياسي القاهر الذي عاشه السيد الخوئي (٩).

بعد نجاح الثورة في إيران وتحويلها إلى حكومة إسلامية قلبت كثيراً من الموازين السياسية في المنطقة، اعتبرها النظام البعثي في العراق خطراً مباشراً عليه. حيث أرادت الحكومة العراقية أن تحصل على تأييد المرجعية في أعمالها الإنسانية والمتعارضة مع أحكام الإسلام. فطالبت آية الله الخوئي + بإصدار فتوى ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، واعتبار الحرب عليها شرعية، ومن يقتل فيها شهيداً، لكن السيد الخوئي رفض وصمد بكل إصرار على عدم تقديم أدنى تأييد لتهورات النظام في حربه المجنونة، حتى واجه مسئول النظام بالتهديد أحياناً إن تكررّت ضغوطهم في هذا الشأن. حتى أنه كان يفتي لمقلديه الثقات منهم بأنها حرب ظالمة، ويحرم المشاركة فيها، ولو أجبروا على المشاركة يحرم عليهم إطلاق النار





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

على القوات الإيرانية؛ لأنه لا تقيّة في إراقة الدماء، وكان يصاحب هذا الموقف الجريء من اتّخاذ قرارات عدم المشاركة في جبهات القتال من قبل الشباب المؤمن (١٠).

وعندها بدأت الحرب على الحوزة، حرب قدرة يقودها طاغية جلاد ليست لديه أي معايير ولا أخلاق، فبدأت الاعتقالات والإعدامات. حيث قامت العصابة اللإنسانية بالأعمال الإجرامية ضد الحوزة، بالاعتداء على منزل لجله الأكبر جمال الدين في محاولة لقتله عام (١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ)، حيث اضطر إلى مغادرة العراق والذهاب إلى سوريا وتوفي بعدها في إيران عام (١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ). واعتقال مجموعات كبيرة من رجال الدين وتلامذة السيد الخوئي، وأعدمت الكثير منهم وفي مقدمتهم تلميذه وابنه البار الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

وفي عام (١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ) قامت السلطات الجائرة بتفجير سيارته الخاصة، وهو في طريقه إلى جامع الخضراء لأداء صلاة الظهر، وقد نجا من تلك الحادثة بأعجوبة بالغة. وتم إعدام آية الله السيد محمد تقي الجلالي معاونه الخاص عام (١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ) في محاولة للضغط عليه. وفي عام (١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ) اغتيل صهره آية الله السيد نصر الله المستنبت بواسطة زرقه بإبرة سامة. واعتقال وإعدام آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري، وآية الله الشيخ علي أكبر هاشميان، وآية الله الشيخ أحمد الأنصاري. واعتقال وإعدام عدد كبير من السادة آل الحكيم وآل بحر العلوم وآل الغريفي وآل الخلخالي وغيرهم من الأسر العلمية والأفاضل من أساتذة وطلبة الحوزة العلمية. وهدمت السلطات مدرسة السيد الخوئي (دار العلم) والتي كانت مقر الحوزة العلمية عام (١٩٩٠م - ١٤١٠هـ) (١١).

في آب (١٩٩٠م - ١٤١١هـ) عندما قام النظام الطائفي بغزو الكويت وانتهاك حرمة الأهالي من نهب وسلب وسرقة، قام آية الله الخوئي بإصدار فتوى تستنكر وتشجب تلك العملية وحرم فيها تداول البضائع الكويتية بيعاً وشراءً مما أغاظ النظام الطائفي.

في آذار (١٩٩١م - ١٤١١هـ) وبعد انسحاب صدام من الكويت، قامت الانتفاضة الشعبانية التي شملت البلاد أغلبها. وكان السيد الخوئي قائداً لانتفاضتها فعين لها القيادة الحكيمة الحاسمة التي تمثله، مكوّنة من تسعة أشخاص لقيادة حركة الثوار، وأصدر بياناً دعا فيه الثوار إلى التمسك بالموازين الإسلامية وعدم مخالفتها. ونص البيان كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناءؤنا الأعزّاء المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله على نعمه وآلائه والصلاة والسلام على أفضل أنبيائه محمد (صلى الله عليه وآله).

وبعد، لا شك أنّ الحفاظ على بيضة الإسلام، ومراعاة مقدّساته أمر واجب على كل مسلم، وإنّي بدوري إذ أدعو الله تبارك وتعالى أن يوفّقكم لما فيه صلاح الأمة الإسلامية، أهيب بكم أن تكونوا مثلاً صالحاً للقيم الإسلامية الرفيعة برعاية الأحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل أعمالكم، وجعل الله تبارك وتعالى نصب أعينكم في كل ما يصدر عنكم، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم وكذلك جميع المؤسسات العامة لأنّها ملك الجميع والحرمان منها حرمان الجميع، كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع ووفق الموازين الشرعية لا المثلّة بها؛ لأنّها ليست من أخلاقنا الإسلامية، وعدم التسرع في اتّخاذ القرارات الفردية غير المدروسة التي تتنافى والأحكام الشرعية والمصالح العامة. حفظكم الله ورعاكم لما يحب ويرضى، إنّه سميع الدعاء.

اخوئي: ١٨ شعبان المعظم ١٤١١

وكذلك وجه ندائه إلى العراقيين بشأن أحداث شعبان (١٤١١هـ)، وعين فيه لجنة عليا تقوم بالإشراف على شؤون البلاد. ونص النداء كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فإنّ البلاد تمرّ في هذه الأيام بمرحلة عصبية تحتاج فيها إلى حفظ النظام واستتباب الأمن والاستقرار والإشراف على





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

الأمر العاقل والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشياً من خروج المصالح العامة عن الإدارة الصحيحة إلى التسيب والضياع. من أجل ذلك نجد أن المصلحة العامة للجميع تقتضي منا تعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على شؤوننا بحيث تمثل رأينا وما يصدر عنها يصدر عنا، وقد اخترنا لذلك لجنة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسماؤهم أدناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم، على أبنائنا المؤمنين إتباعهم وإطاعتهم والانصياع إلى أوامره وإرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز هذه المهمة. أسأل الله عز وجل أن يوفقهم لأداء الخدمة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) إنه ولي التوفيق وهو حسينا ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- ١- السيد محيي الدين الغريفي.
- ٢- السيد محمد رضا الموسوي الخليلي.
- ٣- السيد جعفر بحر العلوم.
- ٤- السيد عز الدين بحر العلوم.
- ٥- السيد محمد رضا الخرسان.
- ٦- السيد محمد السبزواري.
- ٧- الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي.
- ٨- السيد محمد تقي الخوئي.

ملحوظة: نود إضافة السيد محمد صالح والسيد عبد الرسول الخرسان إلى اللجنة المذكورة.

الخوئي - ٢١ شعبان المعظم ١٤١١ هـ (١٢).

وعندما كادت الانتفاضة أن تنجح، وخطر ما ستؤول إليه الأمور بعد نجاحها تدخلت القوى العظمى ضد الانتفاضة لتساند صدام الذي قام وبعد أن مسك زمام الأمور بيده من جديد بالانتقام من الشعب العراقي شر انتقام وخاصة من شخص السيد الخوئي. حيث اعتقلت السلطات سماحته مع أفراد أسرته ونقلتهم إلى بغداد حيث اقتيد إلى مقابلة رأس النظام الدكتاتوري، واضطرت إلى إرجاعه إلى النجف الأشرف بعد ثلاثة أيام إثر الاستنكارات والضغوطات الشعبية والرسومية العالمية. وعندها فرض النظام عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته بعد عام في منزله في الكوفة بأمور غامضة. ولم تفرج السلطات عن أكثر من مائة من أفراد أسرته ومعاونيه ومساعديه من العلماء الأفاضل، تبين فيما بعد استشهادهم، نجله السيد إبراهيم، وصهره السيد محمود الميلاني.

رحل آية الله الخوئي إلى بارئه تعالى في (٨ / صفر / ١٤١٣ هـ) الموافق (٨ / ٨ / ١٩٩٢ م) عن عمر ناهز الخامسة والتسعين، ودفن في مقبرة الأسرة في جامع الخضراء في النجف الأشرف، ولم تسمح السلطات العراقية بتشيع جثمانه أو إقامة مجلس العزاء والفاخرة على روحه الطاهرة. وكانت آخر الأعمال الإجرامية بحقه بعد وفاته، هو منع المؤمنين من زيارة مرقده الشريف وغلقت أبواب مسجده (جامع الخضراء) بحجة الترميمات. كما اغتالت أيادي النظام الشريرة نجله الشهيد العلامة السيد محمد تقي الخوئي بحادث سير مدبر على طريق كربلاء. النجف في ليلة الجمعة ١١ صفر ١٤١٥ هـ، الموافق ٧/٢١/١٩٩٤ م (١٣). وقد أشاد بمواقف السيد الخوئي السياسية في إيران والعراق قائد الثورة الإسلامية آية الله الخامني (حفظه الله) في بيانه الصادر عقب وفاته ما ترجمته:

كان هذا الرجل العظيم ممن يعمل منذ بدء النهضة الإسلامية في إيران. بقيادة الإمام الخميني. على توجهات الحوزة العلمية في النجف إلى حوادث إيران، إذ كان يسعى. جاهداً. مواكبة هذه الحركة العظيمة لرجال الدين والشعب المسلم، كما كان في الثورة الدموية في رمضان ١٤١٣ هـ قطب رحي النهضة الإسلامية، ومركز صدور الحكم بالقيام الإسلامي في العراق (١٤).

بعد وفاة السيد الخوئي استمر القتل والسجن والتهجير والاضطهاد الكبير لعلماء وطلبة الحوزة العلمية في النجف حتى





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

تقلص عدد طلبتها الى سبعمائة نفر بعد الانتفاضة الشعبانية، يطلبون العلم بشكل سري في البيوت والبساتين، ويقوم برعايتهم عدة من المراجع العظام من أمثال:

١- المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري

٢- المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دامت بركاته)

٣- الشهيد آية الله العظمى الشيخ البروجردي

٤- الشهيد آية الله العظمى الشيخ الغروي

٥- آية الله العظمى السيد حسين بحر العلوم

٦- آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (قدس سره)

٧- آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض (دامت بركاته)

مع سقوط دكتاتور العراق الطائفي في ٧/ صفر/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩/٤/ ٢٠٠٣ م فإن حوزة النجف لم يزل عنها الاضطهاد فقط، بل أصبحت في يوم وليلة القيادة السياسية العليا للعراق، وعاد إليها معظم أساتذتها وعلمائها والآلاف من طلبة العلم الذين نشأوا في الحوزات العلمية في المهجر، ودخلت فيه نظم ومناهج تعليمية جديدة لم تألفها حوزة النجف من قبل، وكذلك ظهرت فيها انقسامات وتيارات فكرية جديدة، وأمور أخرى عديدة، مما جعلها تعيش في حالة ارتباك وحذر وتقدم وتراجع في الآراء والمواقف، وتسعى للجمع بين أصالة الماضي ومتطلبات العصر. ولكن هرت مرجعي النجف الاشرف في التصدي للتحديات والاضطرابات وبرزها داعش واصدار فتوى الجهاد الكفائي من قبل المرجع الديني ايه .. السيد علي السيستاني وكيفية التفاعل الواسع معها وقدمت حوزة النجف استمرارا لعطائها في تقديم الدماء فقدمت ثلة كبيرة من الشهداء في الحشد الشعبي للدفاع عن الاسلام والمسلمين واصبحت حوزة النجف تستقطب النخب الاسلامية والمفكرين والقادة ومثالنا الشهيد الحاج قاسم سليمان ورفيق دربه الشهيد ابو مهدي المهندس واصبحت الحوزة النجفية لها تأثير عالمي كبير فضلا عن التأثير العلمي فقد اصبحت الرؤساء والمفكرين وقادة الديانات يزورون تلك المرجعية وزيارة البابا وممثلي الام المتحدة وغيرهم كثير يدل على ان الحياة الحوزوية العلمية بامتياز اثرت في الواقع الفكري لباقي اتباع الديانات والمذاهب .

طبقات الحوزة العلمية من حيث العلماء:

الطبقة الأولى: مراجع الدين

وهم علماء الدين الكبار، الذين قد تصدوا للإفتاء والتقليد، ولديهم مكاتب رسمية في النجف وخارجها، ووكلاء منشرين في كل العالم يستل مون الخمس والحقوق الشرعية. وينشغلون في الغالب بإعطاء دروس البحث الخارج، وجواب الاستفتاءات، وإدارة الحوزة العلمية، ولقاء زائريهم من بلدان العالم. ويعرفون بلقب (آية الله العظمى)، وفي الغالب يعملوا أحد المراجع على الجميع ويشتهر أسمه في العالم وبين العوام ويغلب تقليده على الجميع، ويعرف بلقب (المرجع الأعلى) أو (زعيم الحوزة).

وقد قسم السيد الشهيد محمد باقر الصدر تاريخ تطور المرجعية الشيعية الى اربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة المرجعية الذاتية التي تبدأ بأصحاب الائمة المعصومين الى تاريخ العلامة الحلي حيث خدم المراجع كمراكز لبث الاحكام الشرعية على جماهير الشيعة.

المرحلة الثانية: كانت مرحلة المرجعية العامة التي تأسست بواسطة الشهيد الاول (المتوفي سنة ١٣٧٤م)، حيث بدأ المرجع بإرسال نواب عنه الى مختلف المناطق للوعظ الديني وجمع الحقوق الشرعية.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة المرجعية المركزية التي من أهم مميزاتها هو تمحور القيادة الدينية في مرجع واحد، وبدأت بمرجعية كاشف الغطاء (المتوفي سنة ١٨١٣) وأصبح المرجع الأعلى هو القوة المؤثرة على الشيعة في أنحاء العالم جميعاً.

المرحلة الرابعة: كانت المرجعية العالمية التي بدأت مع بداية الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي حيث أصبحت المرجعية





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

ضالعة وبصورة مباشرة بالهموم السياسية للمسلمين لحماية الدين والمدافعة عن حقوق المسلمين. وفي مواقف عديدة كانت المرجعية هي السباقة في قيادة النضال ضد القوى الاستعمارية (١٥).

يوجد الآن في حوزة النجف الأشرف أكثر من عشرين شخص متصدي للمرجعية الدينية، بعضهم مسلم الاجتهاد والعدالة (حفظهم الله ودامت بركاتهم)، ولكن البعض الآخر يوجد كلام في اجتهادهم أو عدالتهم. وعلى كل حال نحن ندرس الموضوع من نظرة استراتيجية بعيدة عن التعصب والانحياز، كما هو منهجنا في كل مباحث هذا الكتاب -وسوف نقوم بتقسيم هؤلاء المتصدين للمرجعية الى ثلاث مراتب طبقاً لأستاذتهم في البحث الخارج والاتجاه الفكري الذي يحملونه، وهذه المراتب الثلاث كالتالي:

المرتبة الأولى: تلاميذ السيد الخوئي

نورد هنا قائمة بأسماء المتصدين للمراجعة الدينية في النجف الأشرف من تلاميذ زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي، بغض النظر عن اجتماع شرائط المرجعية متوفرة فيهم أو لا، والتسلسل يكون على وفق تاريخ الولادة، مع نبذة مختصرة عن أسماء أساتذتهم في البحث الخارج:

١- السيد مرتضى الفياض الحسيني

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٢٨ م وقد بدأ حياته الحوزوية منذ نعومة أظفاره، وشهد له زعماء الحوزة العلمية باجتهاده، منهم: (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد عبدالله الشيرازي، والسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محمود الشاهرودي) (١٦).

٢- السيد علي الحسيني السيستاني

ولد في التاسع من شهر ربيع الأول عام (١٣٤٩ هـ. ق) في إيران مدينة مشهد الرضوي، وحضر بحوث العلمين آية الله العظمى السيد الخوئي والعلامة الشيخ حسين الحلي في الفقه والاصول ولازمهما مدة طويلة، وفي أواخر عام (١٣٨٠ هـ. ق) كتب له شهادتين ببلوغه درجة الاجتهاد (١٧).

٣- الشيخ محمد إسحاق الفياض

ولد سنة ١٩٣٠ م في قرية (صوبة) إحدى قرى محافظة (غزني) في وسط أفغانستان، أخذ دروس المقدمات في أفغانستان ومدينة مشهد المقدسة في إيران، ثم انتقل إلى النجف فدرس مرحلة السطوح، وسرعان ما التحق بمحلقات بحوث كبار العلماء لمرحلة الخارج، له كتاب (محاضرات في أصول الفقه) في عشر مجلدات وهو تقارير درس زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي (١٨).

٤- الشيخ شمس الدين الواعظي

ولد في سنة (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ م) تربي وترعرع في مدينة الكاظمية المقدسة، وقد أكمل الدراسة الابتدائية، ثم درس العلوم الحوزوية من المقدمات والسطوح على يد أساتذة الكاظمية العظام، ثم انتقل إلى مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٥٤ م، حيث تلقى دروس السطح العالي على يد كبار الأساتذة، ثم حضر البحث الخارج فقهياً وأصولاً لكل من آية الله العظمى زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي، وآية الله العظمى السيد الميرزا حسن البجنوردي. وحصل على إجازة اجتهاد من سماحة آية العظمى السيد محمود الشاهرودي، وله إجازة اجتهاد ورواية من أستاذه سماحة آية الله العظمى الشيخ فاضل النكراني المتوفى في مدينة الكاظمية (١٩).

٥- الشيخ بشير حسين النجفي

ولد عام ١٩٤٢ م في مدينة (جالندهر) من بلاد الهند. درس المقدمات في مدينة لاهور على يد جدّه لأبيه العالم الفاضل الشيخ محمد إبراهيم الباكستاني وعمه الفاضل الشيخ خادم حسين والعلامة الشيخ أختر عباس الباكستاني. ثم هاجر إلى النجف سنة ١٩٦٥ م، وحضر درس آية الله العظمى المرحوم السيد محمد الروحاني أصولاً وفقهياً لأكثر من سبع سنوات. ودرس عند زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي دورة أصولية كاملة (٢٠).





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

٦- السيد علاء الدين الغريفي

ولد في بغداد عام ١٣٦٥ هـ. ٥١٩٤ م أخذ دروسه الابتدائية والمقدمات والسطوح على يد أعلام الكاظمية آنذاك. في أواخر الستينيات استقرّ في النجف الأشرف وأخذ في الحضور أبحاث مراجع عصره، منهم: (زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي، وآية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي، وآية الله العظمى السيد محمد الشاهرودي، وآية الله العظمى السيد نصر الله المستنبت، وآية الله الشيخ محمد تقي الجواهري، وآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، وآية الله العظمى الشيخ ميرزا علي الغروي). نال على إجازتين اجتهد من قبل أستاذه آية الله العظمى السيد نصر الله المستنبت وآية الله الشيخ فاضل اللنكراني أستاذه في الكاظمية (٢١).

٧- الشيخ محمد أمين المامقاني

ولد في النجف الأشرف في الخامس من شهر رمضان في عام ١٣٧١ هـ. ١٩٥٢ م درس العلوم الشرعية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وحضر البحث الخارج فقهاً عند أستاذ الفقهاء آية الله العظمى السيد الخوئي، وأصولاً عند الشهيد آية الله العظمى الميرزا علي الغروي التبريزي. وحضر يسيراً عند غيرهما (٢٢).

٨- السيد علي الحسني البغدادي

ولد في مدينة النجف الأشرف في شهر ربيع الأول عام (١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م)، حضر دروس زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد الخوئي، وآية الله الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، وآية الله الشيخ محمد تقي آل الشيخ راضي، وآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، وآية الله العظمى الشيخ الغروي، وآية الله العظمى السيد محمد الروحاني، وغيرهم (٢٣).

منذ وفاة آية .. العظمى السيد أبو القاسم الخوئي تولى الزعامه السيد عبد الأعلى السبزواري ولكنه لم تدم مرجعته لعدة اشهر بعدها تولى السيد السيستاني المرجعية الشيعية في العالم منذ وفاة السيد السبزواري والى يومنا ، وفي عام ١٩٩٢ تزعم السيد محمد الصدر ادارة الحوزة العلمية بشكل عملي كادارة المدارس وتنظيم امور الطلبة فيها وقام بدور ريادي في تعبئة الطلبة والجماهير وحدث ان تعرض العلماء والمراجع من اغتيال حكومي تمثل بغتيال الشهيد الشيخ اية ... مرتضى البروجردي والشهيد الشيخ الاستاذ اية .. علي الغروي وقبلهما اغتيل السيد محمد تقي الخوئي مع بعض اقاربه على طريق النجف كربال ليلة الجمعة وهي عادة عندنا في النجف الاشرف لزيارة المولى ابو عبد الله الحسين واخذ يصلي صلاة الجمعة في مسجد الكوفة واعلن انه يتبنى القول بولاية الفقيه على غرار اساتذته السيد الامام الخميني والسيد الشهيد محمد باقر الصدر ودخل في صراع مع القوى الظالمة البعثية ادى بعد ذلك عام ١٩٩٩ الى استشهاده مع ولديه السيد مصطفى والسيد مؤمل الصدر بالقرب من داره في اغتيال حكومي واضح ، واتخذ السيد السيستاني على عاتقه استكمال ادارة المدارس والدروس والشهریات للطلبة والافاضل وقد عانت مره ثانية كما حدث بعد استشهاد السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠ م واحداث الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ واستمر الوضع الراهن الى يومنا هذا وقد واجهت الحوزة النجفية كل ذلك بعلم وعقيدة راسخة لقد انجحت الحوزة النجفية اجيالا من القادة والمراجع والمفكرين والعلماء في مختلف العلوم الانسانية

أولاً: تميز مقام المرجعية الدينية بالعديد من نقاط القوة الاستراتيجية التي من أهمها ما يلي:

- ١- **الزعامة العلمية:** لهم أعلى كرسي علمي في الحوزة العلمية يدرسون فيه مرحلة البحث الخارج في الفقه والأصول، والإفتاء في كل مجالات الحياة، وهم كلمة الفصل في المسائل العقائدية والتفسير والتاريخ وجميع المعارف الإسلامية.
- ٢- **الزعامة السياسية:** يرجع لهم أتباع أهل البيت في المسائل السياسية لكون الفقهاء نواب الإمام المهدي ولهم الولاية العامة.
- ٣- **الزعامة القضائية:** حيث يشترط في مذهب أهل البيت أن يكون القاضي مؤمن ومجتهد وعادل وذكر.
- ٤- **الزعامة الإدارية:** من حيث قبول الطلاب الجدد وإجراء الامتحانات وتوزيع الرواتب والغرف وتنظيم شؤون المدارس وأمثال ذلك.





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

٥- الزعامة الاقتصادية: حيث يصلهم أكثر أموال الخمس والحقوق الشرعية في العالم الى وكلائهم ومكاتبهم الشرعية، ويمتلكون الولاية الشرعية على بيت أموال المسلمين.

ثانياً: نقاط الضعف

على الرغم من اشتغال مقام المرجعية الدينية بالعديد من نقاط القوة الاستراتيجية، ولكن يبقى مجال التطبيق يشوبه بعض النواقص ونقاط الضعف التي من أهمها ما يلي:

١- عدم التدخل في الأمور الاجتماعية والتصدي لعلاج المفساد الاجتماعية، نعم في بعض الحالات النادرة يكتفون بإصدار فتاوى التحريم، وينتظرون من المجتمع أن يصلح نفسه بنفسه.

٢- عدم التصدي للقيادة السياسية أو السعي لإقامة الحكومة الإسلامية، كما فعل الإمام الخميني والشهيد الصدر (رحمهم الله). نعم في بعض الحالات النادرة يكتفون بإصدار البيانات السياسية للتوجيه السياسي، ولكن هذه القيادة توجيهية وليست تنفيذية وافرقت كبير بين الأمرين.

٣- عدم التصدي للقضاء أو السعي لفتح المحكمة الإسلامية، نعم قد يتصدون للقضاء الشرعي في بعض الحالات النادرة بين المؤمنين المتزمين من أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، الذين يرفعون أمور منازعاتهم إليهم لحلها، عملاً بأوامر الأئمة (عليهم السلام) في تحريم التحاكم إلى قضاة غير الشرعيين.

٤- ضعف المستوى العلمي، والجمود على شرح تراث الفقهاء السابقين في الفقه والأصول، وترك تدريس العلوم والمعارف الإسلامية كال تفسير والكلام إلا من قبل الأوحدين منهم، وعدم طرح مسائل العصر المهمة في البحوث العلمية.

٥- ضعف الزعامة الإدارية، مما أدى الى ظهور بعض الدجالين والمنحرفين وأدعاء المرجعية الفقهية والسياسية من الصبيان غير المؤهلين في الحوزة العلمية الحالية.

٦- سوء الإدارة المالية للحقوق الشرعية، ووقوعها بيد بعض من لا يخاف الله، وتفضيل المعارف والمحسوبيات في العطاء وحرمان المستحقين، وعدم الاستفادة منها في المشاريع الاقتصادية المفيدة.

ثالثاً: الفرص

تمتلك المرجعية الدينية العديد من الفرص الاستراتيجية، للارتقاء والتخلص من نقاط الضعف كما سيأتي ذكرها في الفصل الثالث، والتي تلخص في تأسيس مؤسسات كبيرة تقوم بوظائف المرجعية الدينية في الأمور الادارية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية وغير ذلك.

رابعاً: التهديدات

تواجه المرجعية الدينية العديد من المخاطر الخارجية التي من أهمها ما يلي:

١- ظهور بعض الدجالين والمنحرفين وأدعاء المرجعية الفقهية والسياسية من الصبيان غير المؤهلين في الحوزة العلمية الحالية.

٢- تشكيل الفكر العلماني والوهابي بمقام المرجعية الدينية.

الطبقة الثانية: المجتهدون

وهم من حصلت عندهم ملكة الاجتهاد والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية في جميع أبواب الفقه أو بعضها، فيحق لهم الإفتاء والقضاء والولاية. ولكنهم لم يتصدوا للإفتاء والمرجعية الدينية بسبب وجود من هو أعلم منهم أو لأسباب خاصة، وينشغلون عادةً بالبحث والتدريس في السطوح العالية والبحث الخارج، وقد يكون لبعضهم مكتب ووكلاء لاستلام الخمس والحقوق الشرعية، ويعرفون بلقب (آية الله).

لا توجد إحصائية تذكر عدد المجتهدين في الحوزة العلمية، خصوصاً وأن الكثير منهم يكتفون بجتهادهم خوفاً من تكذيبهم، ولكنهم بالعشرات. ومن المجتهدين البارزين اليوم هم: (الشيخ هادي آل راضي، الشيخ محمد باقر الأيرواني، الشيخ محمد السند، الشيخ الأصفي، السيد علي السبزواري، السيد علي أكبر الخانري، السيد محمد باقر السيستاني،





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

السيد محمد رضا السيستاني، وغيرهم الكثير

الطبقة الثالثة: طلاب العلم

وقد يطلق عليهم أيضاً لفظ (طلبة الحوزة) وهو كل من لم يصل لمرتبة الاجتهاد، وينشغلون بالتحصيل والتدريس في المراحل الثلاث (المقدمات والسطوح والبحث الخارج). ويعرف طلبة السطوح بلقب (ثقة الإسلام)، ويعرف طلبة البحث الخارج بلقب (حجة الإسلام).

يوجد واجب يمثل له الطالب والأستاذ معاً، وهو واجب تلقي العلوم الإلهية من جهة وواجب تربية جيل من العلماء الدينين من جهة أخرى، بيد أن لهذا الواجب حوافر روحية تتفاعل في باطن الشخص، إذ أن العلوم الحديثة التي يندفع لتعلمها وتلقيها الطالب في عصرنا الراهن لها جاذب مادي مغري، حيث أن طالبها سوف يصبح على سبيل المثال طبيباً أو مهندساً أو تقنياً أو خبيراً في لإدارة والمحاسبات وغيرها، لكي يعيش بعد ذلك عيشة مريحة، وليحظى بموقع اجتماعي متميز، وليحصل على الأموال الطائلة، غير أن طالبي العلوم الدينية تنتفي عنده مثل هذه الحوافر والمغريات المادية، فهو مندفع بحافز روحي ورغبة نفسية لتلقي هذه العلوم، ليكون بعد ذلك في خدمة الناس المؤمنين ولتدبير قضاياهم الروحية، وتسيير شؤونهم الدينية، وليعيش في ذات الوقت على الكفاف، زاهداً بمباهج الدنيا، ومبتعداً عن زينتها وبريقها، حتى يصبح القدوة والأمثل، وليضرب من نفسه المثل الحميد، فيقتدي به الناس ويحذوا حذوه. وفي غير ذلك يفقد مصداقيته بوصفه رجل دين وحامل قيم السماء.

ويبلغ اليوم تعداد طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ما يقارب سبعة آلاف شخص، من خصائصهم المميزة ما يلي:
١- طلبة حوزة النجف يهتمون بالمراتب العلمية الحوزوية فقط، وليس لهم أي اهتمام آخر في المواضيع الأخرى غير الحوزوية، بل لا يفكرون بها إلا نادراً. وعندما يكون الطالب الحوزوي همه الوحيد هو المباحث الحوزوية فإنه يكون مجبوراً أن يسعى جاداً في المباحث العلمية والتحقيقية ويقضي أكثر أوقاته بذلك.

٢- السلوك الظاهري لطلاب النجف يختلف عن بقية الناس ويكون فيه دقة كافية، على سبيل المثال ان طلاب النجف غير المعممين لا يلبسون السترة والبنطلون (القاط) ولا يضعون في أيديهم ساعة و..... بالطبع لا يكون هناك مؤسسة خاصة تذكركهم بذلك بل ان العرف الرائج في الحوزة يجبرهم رعاية ذلك.

٣- أهم خصوصية لطلاب حوزة النجف في الوقت الحاضر هو العيش بالبساطة، هؤلاء الطلاب يبرزون الى الساحة على أساس علميتهم ونموهم العلمي، ورغم ان السابقة العالمية لها دور في انتخاب المسيرة الحوزوية، لكن يجب عليه ان يبرز حصيلته العلمية لان السابقة الحوزوية للعائلة لا تكفي وحدها.

٤- لا يوجد طبقات بين صفوف حوزة النجف بل يظهرون وكأنهم طبقة واحدة، والكل يعلمون ما يجري داخل الحوزة من اخبار ومعلومات، لا يوجد هناك فارق بين طلاب الحوزة من حيث أن فلان ينتمي للبيت الفلاني بل هناك روابط حسنة بين الكل، وكل علماء النجف يؤيد أحدهما الآخر رغم انه يوجد تفاوت بينهم من حيث التوجه الفكري والثقافي والسياسي، والسبب الأصلي يرجع للزعامة في الحوزة، وعلى سبيل المثال: عندما يكون زعيم الحوزة في وضع إمكانات تحت اختيار طلاب الحوزة، فإنه لا يلتفت لمجموعة من العلماء ويترك غيرهم.

٥- تشير الإحصائيات الى شبابية طلاب وأساتذة حوزة النجف وأن الشباب هم الفئة الغالبة، وان أغلب الكبار وقدماء حوزة النجف قد هاجروا أو قتلوا بيد النظام السابق باستثناء عدد قليل، وهذه المسألة تبين ان السطح العلمي حوزة النجف لا يزال متديناً، وهذا لا يعني ان العمق العلمي حوزة النجف قد ذهب لأنه يوجد في الحوزة من كبار العلماء والاساتذة ولكنهم يعتبرون أقلية في حوزة النجف. وسوف يثمر هذا الطابع الشبابي بفوائد كثيرة في المستقبل القريب إنشاء الله تعالى.

٦- تشير الإحصائيات بأن ٦٠٪ بالمائة من أساتذة حوزة النجف في السطوح والبحث الخارج هم ممن درس في حوزة قم، وهذا المورد حرك البحث الفكري في حوزة النجف وانتقال تجارب حوزة قم اليها، وخصوصاً أن حوزة قم على تفاعل مع





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

حكومة الجمهورية الاسلامية في المسائل الفقهية والنظريات الفكرية، ومنفتحة أكثر على رد شبهات العلمانيين واصحاب النظريات والمسائل العقائدية.

٧- حوزة النجف تهم في الامور التعليمية وقليل ما تهم في الامور النظرية والفكرية التي تعتبرها امور جانبية، لأن أكثر مشاكل العراق هو الوضع الامني والوضع التنفيذي، ونادراً ما تطرح مسائل فكرية جديدة حتى يلزم جواب عليها من قبل العلماء، وعلى الأقل أن حوزة النجف لها نظر فقط في المسائل الفقهية والشبهات التي تطرح من قبل أهل السنة، وأما الأفكار النظرية الجديدة تطرح نفسها بشكل تدريجي في حوزة النجف.

٨- وجود نوع من الحرية في طرح العلوم العقلية، على سبيل المثال: لم يكن هناك مجال للفلسفة في حوزة النجف في العقود الماضية وان تدريس المنظومة في حوزة النجف كان بشكل مخفي ولم يكن علنياً، وأما اليوم فإنه تدرس المنظومة والاسفار وبصورة علنية، ويوجد عشرة دروس في نهاية الحكمة وثلاثين درس في البداية، ولا يوجد أي اعتراض عليها، رغم أن حوزة النجف هي مبتنية على أساس الفقه والاصول وبعض الادبيات ولكن في نفس الوقت لم يكن هناك من يمنع تدريس العلوم الاخرى.

٩- الجمود على أعراف الحوزة فلا يسمح لأي أحد ومهما كانت مرتبته العلمية من داخل الحوزة أو خارجها أن ينادي بكلمة الإصلاح أو التغيير أو التجديد في الحوزة العلمية أو بمناهجها الدراسية أو بنظامها الإداري، وكان كيانها معصوم أو منزل من السماء لا نقص فيه أو عيب !!! وقد نال المصلحون في الحوزة العلمية العناء الشديد، من خلال العتاب من الكبار والصغار لهم، بل قد يصل الأمر الى مقاطعتهم أو اتهامهم بالفسق والضلال والعمالة للكفر وما شابه ذلك، حتى لمن كان لديه الحجة الشرعية ويعمل طبق تكليفه الشرعي. وقد وصف المفكر الإسلامي السيد الشهيد محمد باقر الصدر + هذه الظاهرة بالنزعة الاستصحابية، حيث قال:

(الاستصحاب الذي قرأناه في علم الأصول، طبقناه على أساليب العمل، وطبقناه على حياتنا، فكان نتجه دائماً إلى ما كان، ولا نفكر أبداً في أنه هل بالإمكان أن يكون أفضل مما كان؟ لا بد أن نتحرر من النزعة الاستصحابية، ومن نزعة التمسك بما كان حرفياً بالنسبة إلى كل أساليب العمل، هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا، حتى أن كتاباً دراسياً مثلاً، أمثل بأبسط الأمثلة. إذا أريد تغييره بكتاب آخر في مجال التدريس. وهذا أضالٌ مظاهر التغيير. حينئذ يقال: لا ليس الأمر هكذا، لا بد من الوقوف، لا بد من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه، أو المحقق القمي رضوان الله عليه. هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائماً نعيش مع أمة قد مضى وقتها، مع أمة قد ماتت وانتهت بطروفيها وملابساتها؛ لأننا نعيش بأساليب كانت منسجمة مع أمة لم يبق منها أحد، وقد انتهت وحدثت أمة أخرى ذات أفكار أخرى، ذات اتجاهات أخرى، ذات ظروف وملابس أخرى) (٢٤).

وأما الآثار العلمية فقد ذكرنا منها مؤلفات السيد الشهيد محمد باقر الصدر وكذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١- مؤلفات الفقه والاصول للمرحوم النائي واقا ضياء الدين العراقي والسيد الخوني والشيخ حسين الحلبي وعبد الهادي الشيرازي والشهداء السيد محمد باقر الصدر الذي تعد ادواره مدرسة علمية من حيث التجديد والتحديث بكتبه حلقات الاصول والمعالم الجديدة في علم الاصول وغيرها والسيد محمد الصدر في منهج الاصول وغيرها والشيخ علي الغروي صاحب التنقيح في شرح العروة الوثقى تقريراً لأبحاث استاذ السيد الخوني والشيخ مرتضى البروجردى صاحب المستمسك في شرح العروة الوثقى تقريراً لأبحاث استاذ الخوني وغيرها لا حصر لها.

٢- مؤلفات في التاريخ ومنها دورة كاملة في حياة اهل البيت لاستاذنا الشيخ باقر شريف القرشي ومؤلفات الشهيد السعيد محمد الصدر دورة كاملة في المهدي والشيخ حرز الدين في دورة موسوعة العتبات المقدسة قرابة ٢٠ جلدًا.

٣- في العلوم العربية والادب منها كتب الشيخ الكرباسي في اعراب القرآن وغيرها.

٤- مؤلفات في الفلسفة وادواتها العقلية مثلاً كتاب فلسفتنا وكتاب الاسس المنطقية للاستقراء. وكتاب العلامة المظفر (المنطق - شرح الاسفار)

٥- كتاب اقتصادنا للشهيد السيد محمد باقر الصدر.





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

٦- في الرجال والمؤلفات الموسوعية كثير نكر منها كتب العلامة اقا بزرك الطهراني ومنها طبقات اعلام الشيعة والذريعة الى تصانيف الشيعة وغيرها واما الموسوعات معجم رجال الحديث للسيد الخوئي وتحقيق الكتب الرجالية وكتاب رجال بحر العلوم وغيرها .

نظام القبول في الحوزة :

مسألة القبول في الحوزة العلمية لها أهمية كبيرة للغاية، فلا بد أن يعتمد على أسس صحيحة للقبول، وهي (الأسس الكيفية) كالذكاء والعمر وحسن الخلق للمقبولين، وكذلك على (الأسس الكمية) مبتنية على إحصائيات دقيقة تتناسب مع حاجة العراق والعالم لعلماء الدين. فكلما كان القبول في الحوزة يستند الى أسس كمية وكيفية صحيحة كان العطاء الفكري والعملية للحوزة أكثر وأفضل.

ولذلك يتوقف على القبول جميع مسائل الحوزة العلمية كالمناهج الدراسية والإدارة والاقتصاد والتبليغ وغير ذلك، فكلما كان العدد السنوي للقبول كبير لزم معه اختصار مدة التعلم وتغيير المناهج وإيجاد إدارة كبيرة وتخصصات متناسبة مع الحاجة الطلاب في حوزة النجف على نحوين: (رسمي وغير رسمي). (الرسمي): هو الذي يجري له امتحان (كل ستة اشهر) للمقدمات والسطوح، من قبل مكتب أحد المراجع وهو لغرض اعطاء الراتب الشهري. و(غير الرسمي): هو الطالب الذي لم يوفق في الامتحان أو المستغني عن الراتب الشهري فلا يلزمه الخضوع لنظام الامتحانات.

كان في السابق كل مرجع يعلن امتحان لأجل اعطاء الشهيرة، الآن بعد تشكيل لجنة رباعية تتكون من مندوبين من قبل مكاتب اربع مرجعيات دينية (السيستاني، الحكيم، الفياض، النجفي) لإدارة شؤون الامتحانات والقبول، فاصبح الامتحان الذي يجريه مكتب آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم هو الخور ويغني عن بقية الامتحانات. لكن بعض المكاتب قد تجري امتحانات من دون التنسيق مع هذه اللجنة، بل يتم قبول واجتياز الكثير من دون امتحان؛ وذلك لأنه يتوسط في تركيبتهم بعض الأساتذة فيعفون من الامتحان.

والعجيب اليوم يشترط في المتقدم للحوزة اجتياز امتحان القبول فقط، ولا يشترط العمر، ففي يوم الامتحان يأتي الصغير والكبير، وكل من يرغب. ويكون الامتحان في كتاب (منهاج الصالحين للسيد الخوئي) أي في السنة الثالثة من الدراسة، وبشرط نجاحه في الامتحان سوف يشمل بالراتب الشهري والعينية والمهداية، والجرد يعطى غرفة في المدارس الموجودة، وقبل ذلك لا تشمل الشهيرة ويجب عليه أن يدرس على حسابه الخاص.

ويشترط أيضاً أن يأتي بورقة توثيق، وهي ما تُعرف في أوساطهم ب(التركية) فالطالب الذي يرغب في الالتحاق بالحوزة العلمية لا بد من أن يؤثق من رجل أو اثنين من رجالات الحوزة العلمية أو ممن تثق به الحوزة خارج نطاقها. لا يشترط في الدخول للحوزة الحصول على الشهادة الثانوية، فيمكن للطالب أن يلتحق بالحوزة بعد اكمال مرحلة الابتدائية والمتوسطة. وقد يلتحق بالحوزة العلمية ممن يحملون شهادات جامعية في مختلف التخصصات كما شهدناه في العقدين الماضيين وإن كانت هذه القضية نسبية، هذا فيما يتعلق بالخلفية الثقافية التي ينحدر منها الملتحق بالحوزة العلمية. كما لا يشترط في الطلبة الوافدين أن يكونوا من جنسيات معينة، فالحوزة تحتضن الطلبة المسلمين من كافة الجنسيات، ولعل المجتمع النجفي من أكثر المجتمعات العراقية تنوعاً في الجنسيات والقوميات.

إن وضع شروط ملائمة لقبول الطالب في الحوزة العلمية، كقيلة بتطويرها النوعي، والحصول على طلبة متميزين ومثمرين في الأوساط الحوزوية والمجتمع، وتكون مؤثرة أيضاً في تطوير الاختصاصات العلمية بشكل واسع.

لذا على أقل التقادير يشترط أن يكون المتقدم حاصل على شهادة الإعدادية بفروعها المختلفة، ويفضل خريجو الجامعات والمعاهد، لأهليتهم الاستيعابية العالية وسعة إدراكهم، وسرعة عطائهم. فقد مضى الزمان الذي تقبل الحوزة العلمية من يستطيع القراءة والكتابة فقط، والا سيكون إنتاج الحوزة على مستوى الكمية دون النوعية، وهذا لا يعني حرمان أولئك الذين لم تنهيا لهم فرصة الدراسة لأسباب موضوعية تستدعي التقدير والجبران.

النظام التعليمي :





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

يوجد اليوم في الحوزة العلمية في النجف الأشرف نظامين أو أسلوبين للتعليم، وهما النظام التعليمي الحر القديم و النظام التعليمي المدرسي الجديد:

أولاً: النظام التعليمي الحر:

تعتبر الحوزة العلمية في النجف الأشرف من أكثر الجامعات الإسلامية غنى وسابقة، حيث حافظت على نشاطها العلمي في أعلى المستويات في هذه الفترة الطويلة من تاريخها المشرق وتستطيع أن تفخر بحرية التعليم، والعمق العلمي، وتطبيع شخصية منتسبيها بطابعها المتميز، حيث لا يخضع نظام التعليم فيها لنقوذ الدولة، ولا يعول من قبلها، ولا هيئة من خارج الحوزة تسيطر عليها، أو تقوم بإدارتها، وإنما يستطيع أي فرد مهما كان عمره، أو مستواه الثقافي أن ينضم إليها، حيث لا قانون يديرها، أو ينظمها غير الوازع الديني، والانضباط النفسي، ألا وهو (النظام الحر).

فهي دراسة لا تعتمد على أساس نظام الصفوف، وهي فردية تتم على شكل حلقات تمارس اليوم كما بدأت منذ عهد الشيخ الطوسي، وليس هناك نظام للامتحانات أو لمنح الشهادات كما هو متعارف عليه اليوم في الكثير من المدارس الحديثة، وإنما يترك للطالب اختيار الكتاب الذي يريد دراسته، والأستاذ الذي يتلقى من علومه، وحتى مكان الدرس وزماته فإنه يتم الاتفاق عليه بين التلميذ والأستاذ، من دون أي سلطة رقابية غير الله تعالى.

وتخرج من هذا الأسلوب الكثير من العلماء الكبار ومراجع الدين على طول تاريخ الحوزة العلمية. وهذا ما لا نجده في الجامعات الحديثة، بل لا مثيل له في كل العالم سوى في الحوزات العلمية الشيعية.

ولقد شهدت الحوزة العلمية خلال العقود الأربعة الماضية دعوات لتطوير النظام القديم في التدريس، فيما وجدنا في المقابل إصراراً على ضرورة إبقاء الأسلوب في الدراسة كما هو

ثانياً: النظام التعليمي الجديد:

بسبب نقاط الضعف العديدة في النظام التعليمي الحر أوجد بعض المجددين في حوزة النجف مدارس ذات (النظام الأكاديمي) مثل: منتدى النشر، وكلية أصول الدين، وجامعة النجف الدينية....

وقد توسع النظام التعليمي الجديد بشكل هائل بعد سقوط النظام البعثي، فقد تأسست خمسة عشر مدرسة بوساطة العلماء الذين قد درسوا في قم المقدسة زمن النظام السابق. وهذه المدارس الجديدة تختلف عن المدارس القديمة للنجف، فلهم مدير وأساتذة وبرنامج تعليمي وامتحانات وحضور وغياب وشروط معينة للقبول وغير ذلك. ولكن لا يوجد لهذه المدارس الجديدة نظام تعليمي موحد لأنه لا يجمعها إدارة مركزية واحدة، وهم هذه المدارس مايلي:

- ١- مدرسة الإمام الحسن: السيد عمار ابو رغيف.
- ٢- مدرسة صاحب الامر: السيد عبد الاعلى الهندي.
- ٣- مدرسة الشهيد الصدر: تابعة لمكتب السيد كاظم الخائري.
- ٤- الجامعة الاسلامية: السيد صدر الدين القبانجي.
- ٥- مدرسة دار الحكمة: السيد عمار الحكيم.
- ٦- مدرسة الإمام الكاظم: السيد حسين الحكيم.
- ٧- مدرسة أهل البيت: تابعة الى حزب الدعوة الاسلامية.
- ٨- مدرسة الامام الخميني: تحت إشراف جامعة المصطفى العالمية.
- ٩- مدرسة الولاية الكبرى: السيد جاسم الجزائري و.....

يوجد اليوم في حوزة النجف كلا النظامين في التعليم، وبعض التقديرات أن ٧٠٪ من طلاب النجف هم يدرسون على ضوء النظام التعليمي القديم أي الدراسة الحرة. وأن ٣٠٪ من طلاب النجف قد توجهوا الى النظام التعليمي الجديد، والدليل من توجه الطلاب الى النظام الجديد؛ بأنه في بداية التعليم والتحصيل في المدارس الجديدة يوجد سكن وشهيرة ثابتة لهم، بخلاف الطلاب في النظام القديم فعلى الأقل ثلاث سنوات لا تشملهم الشهيرة وكذا السكن في المدارس،





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

وإنما بعد نجاحهم في الامتحانات وتدوين اسمائهم فسوف تشملهم الشهيرة والسكن.

المناهج الدراسية:

من البديهي أن المناهج الدراسية في جميع العلوم ركن أساسي في تطورها. وهي تتغير نوعاً ما بتغير الأزمنة، والأمكنة، وتطور العلوم وتكاملها، وكذلك الكتب الحوزوية حيث لها الأهمية الكبرى في سير الدراسة في الحوزات العلمية الدينية، ونظم أمرها وارتفاع مستواها.

ومنذ تأسيس الحوزات العلمية ولحد الآن لم يكن هناك كتاب درسي معين يدرس على مَرَّ العصور، فهناك كتب دراسية خصوصاً في المرحلة الأولى قد تجددت مرّات عديدة إلى حيث الكتاب الأفضل تنظيماً وطرحاً ومحتوىً.

نعم، هناك كتب قد سلمت من التغيير لفترة طويلة إما لجودة تنظيم أبوابها، أو لرصانة محتواها، أو سهولة أسلوبها وطرحها، أو لعدم ظهور كتب بمستواها. وهذا أمر يلاحظه طالب العلم الحوزوي، وبعض أهل الاختصاص من العلوم الأخرى كـ بعض طلبة الجامعات، فيطالبون بالتجديد والتحديث فيها.

كما أن المجال مفتوح للعلماء بتأليف كتاب درسي في شتى المجالات، ولكن قد لا يجد نصيباً للقبول من قبل أساتذة الحوزة وطلبتها، وقد تكون هناك أمور معنوية وراء تقبل الحوزة لبعض الكتب الدراسية، ففي النتيجة تعين كتاب للمنهج ليس بفرض فارض في الحوزات العامة بل الكتاب الجيد من حيث التنظيم والطرح والمحتوى، وقدسية المؤلف هو الذي يشق طريقه إلى حيث القبول والرضا كمنهج للدرس.

كيفية الدراسة في حوزة النجف الأشرف العريقة، لا تجري وفق نظام معين كالمدارس، والمعاهد الحديثة، حيث المنهج المكتوب، والتقسيم إلى مراحل وأجزاء واضحة، وأوقات ثابتة، وأساتذة معينين، وإنما لا تعتمد على أساس نظام الصفوف، بل تمارس على شكل حلقات في المدارس، أو المساجد، أو الحسينيات، أو البيوت كما كانت في عهد الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وعهد الشيوخ المفيد والطوسي، ولا يوجد هناك نظام للامتحانات الشهرية، أو الفصلية، أو السنوية، ولا منح الشهادات كالمتعارف في المدارس، والجامعات الحديثة. بل الطالب يختار الكتاب، والمكان، والزمان المناسب، وله اختيار الأستاذ المناسب متى شاء و أراد.

للحوزة العلمية ثلاث مراحل دراسية منذ أن يدخل الطالب إلى الحوزة بالآلية السابقة إلى أن يمن عليه الله سبحانه بملكة الاستنباط، وهذه المراحل الثلاث غير مقتصرة على حوزة النجف فحسب وإنما في الحوزات العلمية كافة :

مرحلة المقدمات: وهي بمثابة المرحلة المتوسطة والثانوية في الأنظمة التربوية الحديثة.

مرحلة السطوح: وهي بدورتين (سطوح الفقه و سطوح الأصول)، وهي بمثابة مرحلة المعاهد والجامعات.

مرحلة البحث الخارج: بدورتين بحث الخارج (الأولية والعليا)، وهي بمنزلة مراحل الدراسات العالية.

أما السقف الزمني لهذه المراحل الثلاث فغير محدد بمدة معينة فالدراسة مفتوحة من دون أن يحاسب أي طالب على مقدار إنجازها وتقدمه أو إخفاقه وتأخره إلا أن المتوقع أو المتعارف عليه أن الطالب الذكي يمكن أن يجتاز مرحلة المقدمات بستين وغيره في أربع سنوات، أما مرحلة السطوح فمن المتوقع أن يجتازها الطالب الجيد في أربع سنوات أو خمس، وأخيراً مرحلة البحث الخارج يمكن أن يجتازها الطالب الذكي في ثماني إلى عشر سنوات فتكون حصيلة المدة الزمنية المتوقعة للطلاب المثابر أربع عشر إلى تسع عشر سنة، بعدها يمكن أن تظهر عنده ملكة الاجتهاد ولكن مع ضم اللطف الإلهي؛ ليرتقي إلى مصاف نواب الإمام (عليه السلام) الذين أشار بالرجوع إليهم.

أولاً: مرحلة المقدمات:

وهي الدورة الأولى لطلبة الحوزة العلمية، فيدرس الطالب الحوزوي فيها العلوم العربية (النحو والصرف والبلاغة)، والمنطق، والأخلاق، والتاريخ، وعلوم القرآن، ومختصر علم الأصول. أما الكتب الدراسية المقررة لهذه العلوم فالمطلوب من الطالب هو الإمام بهذه العلوم في أي مؤلف متخصص، هذا هو الأصل النظري إلا أن العرف الحوزي اتفق على مجموعة كتب دراسية أقرها بوصفها مناهج لتدريس هذه العلوم، وهي كالتالي:





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

- ١- الفقه غير الاستدلالي: وهو العلم الذي يبحث أحكام الشريعة (الوجوب والحرمة والمستحب والمكروه والمباح). ويدرس من كتبه: منهاج الصالحين للسيد الخوئي، مع كتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي.
 - ٢- علم النحو: هو العلم الذي يبحث في حركة آخر الكلمة. ويدرس من كتبه: متن الأجرومية، وشرح قطر الندى، وشرح ابن الناظم أو شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وللتخصص يدرس مغني اللبيب.
 - ٣- علم الصرف: فهو العلم الذي يبحث في بنية الكلمة نفسها. ويدرس من كتبه: مراح الأرواح، وشرح النظام على شافية ابن الحاجب.
 - ٤- البلاغة: فهي العلم الذي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ويدرس من كتبه: جواهر البلاغة، ومختصر المعاني والمطول كلاهما للتفتازاني.
 - ٥- علم المنطق: هو القواعد العقلية التي تعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ. ويدرس من كتبه: منطق المظفر، وحاشية ملا عبد الله على التهذيب، وشرح الشمسية للقزويني.
 - ٦- علم الكلام: فهي العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي. ويدرس من كتبه: عقائد الإمامية للمظفر، شرح الباب الحادي عشر للمقداد السيوري، وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي.
 - ٧- الأصول: وهو العلم بالعناصر المشتركة التي تدخل في عملية استنباط الحكم الشرعي. يدرس من كتبه: المعالم، والحلقة الأولى للشهيد الصدر.
 - ٨- الأخلاق: وهو العلم الذي يهذب الصفات الأخلاقية في الإنسان. يدرس من كتبه: منية المريد، وجامع السعادات للنراقي.
- ثانياً: مرحلة السطوح:
- هذه المرحلة هي مرحلة التخصص في دورتين: دورة سطوح الفقه ودورة سطوح الأصول، أي دراسة أصولية وفقهية معمقة، في طائفة من كتب الفقه الاستدلالي والأصول بالإضافة الى دراسة بعض المناهج الجديدة، كعلم الرجال، ودراية في الحديث، والفلسفة، والعرفان، مع تكميل بعض ما تقدم من المناهج في المرحلة السابقة.
- ١- الفقه الاستدلالي: يدرس كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) للشهيد الأول والثاني، وطرح الآن بديلاً عنه كتاب (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) للايرواني، ومن بعده كتب (المكاسب والبيع والخيارات) للشيخ الأعظم الأنصاري.
 - ٢- الأصول: وعادة ما يدرس الطلبة من كتبه: أصول المظفر، وفرائد الأصول للشيخ لأعظم الأنصاري، الكفاية للأخوند الخراساني، وطرح بديلاً عنها كتاب حلقات السيد الصدر.
 - ٣- علم الرجال: وهو العلم الذي يدرس صحة صدور الأحاديث، يدرس من كتبه: قواعد الحديث لسيد محي الدين الغريفي، وكتابات علم الرجال للسبحاني، ودروس تمهيدية في علم الرجال للايرواني.
 - ٤- الدراية في الحديث: وهو العلم الذي يدرس متن الأحاديث، يدرس من كتبه: الدراية للشهيد الثاني، أصول الحديث وقواعده للسبحاني.
 - ٥- الفلسفة الإلهية: فهي العلم الذي يبحث عن أحوال حقائق الموجودات ومبادئها وعلتها الأولى. ويدرس من كتبه: شرح منظومة السبزواري في المنطق والحكمة، وبدلاً عنها يدرس كتابي بداية الحكمة ونهاية الحكمة كلاهما للعلامة الطبطبائي، والحكمة المتعالية المعروف بالأسفار ملأ صدرا.
 - ٦- العرفان النظري: وهو العلم الذي يتكفل ببيان المعارف الإلهية. ودرسته في حوزة النجف بشكل سري بالاستفادة من الدروس المسجلة في حوزة قم المقدسة، منهج دراسته كالتالي: كتاب تمهيد القواعد، بعده مقدمة القيصري، ثم الفصوص شرح القيصري، ثم نص النصوص، ثم مصباح الأنس.
 - ٧- العرفان العملي: وهو علم السير والسلوك من الخلق للحق، وكانت حوزة النجف مزدهرة في هذا المجال، وآخر





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

أستاذ كبير لهذا العلم هو السيد علي القاضي، ويدرس من كتبه: السير والسلوك المنسوب للسيد مهدي بحر العلوم، ولب الباب للعلامة الطباطبائي، وكتاب منازل السائرين.

طرق تدريس الفقه في مرحلتَي المقدمات والسطوح

الطريقة الأولى: وهي الطريقة التقليدية، وتمثل في قيام الأستاذ بشرح المادة التي يتناولها للدرس لذلك اليوم من الكتاب على نحو التقرير بتوضيح المصطلحات المستعملة ثم بيان المطالب الموجودة عن ظهر قلب وإيراد الأسئلة المناسبة لها، والإجابة عن استفسارات الطلبة لو وجدت، ثم القيام بتطبيق ما قرره على متن الكتاب. والإشارة إلى المطالب والنكات المذكورة، وهذا يستغرق مدة ساعة، أو أقل.

الطريقة الثانية: وهي نفس الطريقة الأولى، ولكن يقوم الأستاذ بتقطيع البحث إلى عدة مقاطع فيتناول مقطعاً ويشرحه، ويوضحه إلى الطلبة وهكذا، ويكون التطبيق بعد الشرح أيضاً مقطعياً، وهذه الطريقة تستعمل مع الطلبة الذين يقل استيعابهم للمادة، حتى لا يختلط عليهم المباحث. وفي كلتا الطريقتين، يقوم بعض الطلبة بكتابة شرح وتقرير الأستاذ حين الدرس.

الطريقة الثالثة: هي نفس الطريقة السابقة. ولكن الأستاذ يتفق مع الطالب، بأن يقرأ الطالب المتن بعد شرح الأستاذ ويطبّق ما ذكره الأستاذ من المطالب والنكات على المتن، ويكون التطبيق في كل يوم على عهدة طالب من الطلبة. وهذه الطريقة تسلك عادةً في الدروس الخصوصية مع الطلبة الأذكياء، والموهوبين الذين يعنى بهم الأستاذ أكثر، وغالباً لا يتعدى الحضور عدد أصابع اليد وعلى الطالب في هذه الطرق المطالعة قبل الحضور لاستيعاب المطالب.

الطريقة الرابعة: أن يقوم الأستاذ بعد تقرير الدرس وتطبيقه على المتن طرح بعض الأسئلة على الطلبة لمعرفة مقدار استيعاب كل طالب، وحثه على المراجعة والتحقيق، وبدونه قد يعتذر له الأستاذ عن الاستمرار في حضور درسه، ليجد بعد ذلك حلقة أخرى تناسب مستوى استيعابه وفهمه، نعم منع الطالب من الحضور نادر جداً.

ثم إنّ بعض الأساتذة يقوم بكتابة بعض الأسئلة المرتبطة بالبحوث السابقة، ويطلب من الطلبة بالإجابة عليها تارة على نحو الكتابة بعد الدرس، أو في البيت، وهذا غالباً يكون في آخر الأسبوع. ليطلع الأستاذ على مهارات طلبته، واستعدادهم و مقدار استيعابهم. وقد يتفق أن يجعل الأستاذ اختياراً تقريرياً لطلبته بعد شهر، أو أكثر، أو يطلب منهم كتابة بحث مختصر عما استفادوه من درس الأستاذ، وهذا غالباً يكون في المرحلة الثانية. ويجدر الإشارة إلى أمور:

١- إنّ مداخلات الطلبة بالاستفسار، أو الإشكال، أو إبداء الرأي، مع الأستاذ يكون بعد الانتهاء من الدرس، ولكن قد يتفق ذلك أحياناً حين الدرس لضرورة.

٢- إنّ دروس بعض الأساتذة قد يستمر لمدة ساعتين أحياناً، وهذا غالباً في الدروس الخاصة، ونقص الدروس الخاصة تلك الدروس التي لا يسمح لأي طالب بالحضور فيها، بل يختصّ الدرس بالطالب المتفوق، والموهوب الذي يريد الأستاذ الإعتناء به أكثر، وتنمية مواهبه وقدراته، وتربيته تربية خاصة.

٣- إنّ الطالب الموهوب قد لا ينتظر الأستاذ ليكمل عنده المنهج لمدة سنة أو أكثر، بل يستغل أوقات الفراغ، أو أيام العطلة ليكمل جزءاً آخر من المنهج مع أستاذ آخر مناسباً له. لذا نرى بعض الموهوبين يقطعون شوطاً كبيراً بينما أقرانه بعد في أول الطريق. كما أن بعض الطلبة يكرزون حضور درس الكتاب الواحد عند أكثر من أستاذ ليستوعب المادة أكثر.

٤- هناك طريقة أخرى متبعة في هاتين المرحلتين لاستيعاب ما ذكره الأستاذ، وفهم مطالب الكتاب. وهي المباحثة الإثنية بين طالين، أو أكثر. ففي كل يوم يقوم طالب منهم باستحضار وإعادة ما ذكره الأستاذ ومدارسته ومناقشته فيما بينهم ليزيدهم قوةً في فهم الدرس وحفظه. ويعرضون على الأستاذ في اليوم التالي ما صعب عليهم فهمه، واستيعابه، لتوضيحه إليهم.

ثالثاً: مرحلة بحث الخارج:

سميت هذه المرحلة بالبحث الخارج نظراً إلى كون الدراسة فيها تتم خارج نطاق متون الكتب الفقهية التي يعتمد عليها الأستاذ في تحضير مادته، من غير أن يتقيد الأستاذ بكتاب خاص. ويقوم بتدريسها كبار علماء الحوزة العلمية ومراجعها.





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

وعلى الطالب في هذه المرحلة أن يحضر بحثاً خارجاً في الأصول وبحثاً خارجاً في الفقه، كل واحد منهما يستغرق ثمان سنوات تقريباً، إذا كان من الطلاب المجدين. وتمثل هذه المرحلة الدور الأخير من حياة الطالب الدراسية، بعد أن وقف على أفاق رحبة من الفكر الإسلامي خلال المرحلتين السابقتين.

وهنا تقع مهمة التحضير على الطالب نفسه، من غير أن يتقيد بمصدر علمي خاص (ومن هنا كانت تسميتها بالخارج). فعليه قبل أن يحضر المحاضرة أن يقوم بأعداد مادة المحاضرة من فقه أو أصول، ثم مراجعة أقوال العلماء في هذه المادة وما يمكن أن يصلح دليلاً لها، وما يمكن أن يناقش به الدليل ثم يحاول أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في هذه المسألة. فإذا فرغ من هذا الإعداد حضر البحث الخارج، ليستمع إلى توجيهات الأستاذ في دراسة المادة المتفق عليها، والبحث عن أطرافها وعما يتصل بها، وما يمكن أن يصلح دليلاً لها، أو يناقش به، ورأي الأستاذ في نهاية المطاف. ويختلف الأستاذ كثيراً عن طلابه في صياغة الدليل وإعداد البحث ومناقشة الآراء والرأي الذي يتبناه. فيتعرض الطالب لمناقشة الأستاذ فيما يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث، بعد أن يكون الطالب قد كون لنفسه رأياً في المسألة.

وتتسع حلقات الدرس الخارجي تبعاً لشهرة الأستاذ العلمية ومدى نجاحه وطريقة عرضه، وربما يحضر حلقة من هذه الحلقات أكثر من ألف طالب. وقد كان يحضر درس المحقق الخراساني، مؤلف كفاية الأصول، أكثر من ثلاثمائة مجتهد، وأكثر من ألفي طالب خارج ومجتهد. وتقسم هذه المرحلة على دورتين: أحدهما دورة بحث الخارج الأولية، والأخرى دورة بحث الخارج العليا النهائية.

أما الدورة الأولى: فيدرس فيها الفقه وأصوله على مستوى عالٍ، إذ يكون الأستاذ معتمداً حافظته في سرد الروايات والأحاديث من دون أن يعتمد على أي كتاب في أثناء البحث ومن هذه الطريقة في البحث سميت هذه المرحلة بـ (بحث الخارج)، والظاهر أن المراحل الدراسية الخوزية العليا تعتمد على امكانيات الطالب الشخصية في تحصيل علومه وامتلاك ملكة الاستنباط، فالطالب يحاول مقابلة طروحات الأستاذ مع المصادر ويحقق فيها تحقيقاً كاملاً ثم يجر ما يراه مناسباً ليقدمه إلى أستاذه ليحصل على امضائه على التقرير. إن بعض هذه الإماءات أو الإجازات لها آثار علمية، فاستاذة البحث الخارج قد يكتبونها لطلابهم المتميزين، فضلاً عن الإفادة منها مستقبلاً في إثبات اجتهادهم أو علميتهم، ولكنها ليست شرطاً في إثبات الاجتهاد أو العلمية.

أما الدورة الثانية: فهي المرحلة العليا النهائية في الخوزة العلمية تكتمل فيها أدوات المتفقهين البحثية في استيعاب الأصول والفقه الاستدلالي والمباحث الدقيقة وما يتفرع منها. وعندما يبلغ الطالب مرحلة علمية عالية، ويطمئن الأستاذ إليه في البحث والاستنباط وصياغة الدليل والجمع بين الأحاديث ووجوه الرأي ومناقشة الأقوال يشهد له بالاجتهاد، فينتقل الطالب بعد قطع هذه المرحلة الطويلة التي تستغرق مما يقارب الربع قرن، يستقل بالاجتهاد وإبداء الرأي والتوجيه والطرق المتبعة في التدريس لهذه المرحلة على قسمين، وهي:

أولاً: طرق تدريس الفقه في البحث الخارج

الطريقة التقليدية: وهي أن يعرض الأستاذ مادة البحث عرضاً شاملاً مع أهم آراء علماء الشيعة الإمامية، والمذاهب الإسلامية الأخرى مع بيان دليل كل صاحب رأي، ليناقش كل واحد من تلك الآراء فيفندها بالدليل العلمي أو يثبتها كذلك، حتى يصل بالدليل إلى الرأي الخاص من تلك الآراء في المسألة مع التقليم أحياناً و التطعيم أخرى - ثم يقوم بدفع ما يحتمل إيراده على مختاره الذي اعتمده في المسألة الفقهية بالدليل العلمي ثم يستقر على ذلك الرأي، وهنا يأتي دور الطالب لإبداء بعض المناقشات مع الأستاذ أثناء الدرس أحياناً، وبعد الدرس غالباً. وقد يتفق أن الأستاذ يغير رأيه عندما يرى قوة حجة الطالب فينزل عند آراء الطلاب.

نقل عن آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي من عدم رضاه بالإشكال، أو السؤال حين الدرس، وكان يقول أن الإشكال يعثر الدرس ويشتت أذهان الطلبة، فمن كان لديه إشكال، أو مناقشة فلينتظر بعد الدرس فكان يجلس في مكانه ويأتي الطلاب ويعرضون عليه مناقشتهم بصورة كتيبة، أو شفوية، ويتلقون جوابهم.





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

الطريقة الثانية: ما ينقل عن السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي+، أنه قد انفراد بأسلوبه الخاص، فكان لا يطرح ما عنده من دقائق المطالب، وإنما كان يستثير أفكار طلابه من خلال عرضه لموضوع البحث، واستدراجهم بالأسئلة، ثم ينتظر الجواب منهم كل حسب استعداده، حتى إذا اجتمعت الأجوبة بدأ بجمع أطراف البحث وتنظيمه وتحقيقه. وهنا كان دور التلميذ دوراً فاعلاً لا منفعلاً، وكان الطلاب يشعرون بالحياة والنشاط والثقة بالنفس، والإجلال والإكبار من أستاذهم. وهذه الطريقة متبعة الآن في مجالس إستفتاء المراجع التي تنعقد في مكاتبهم، ويجتمع فيها بعض الأفاضل من طلبة الحوزة العلمية الذي يقع عليه الإختيار، فيتداولون أطراف البحوث العلمية للوصول إلى الجواب ثم عرضه على المرجع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطالب في البحث الخارج الفقهي، غالباً يقرّر محاضرات الأستاذ لغرض جمعها وتحديثها، ثم توجيه بعض المناقشات عليها ثم عرضها بعنوان بحث فقهي على الأستاذ، والإستذنان منه لطبعه لزيادة الفائدة، فإذا وجد الأستاذ إستيعاب الطالب للدرس وتقريره بشكل مناسب، يشجعه الأستاذ على الطبع والتكثير، وقد يكتب الأستاذ تقريراً على تقريراته تحفيزاً له للمضي قدماً نحو التحقيق أكثر. وقد يقتصر الأستاذ في بحوثه على تقريرات طلابه من دون أن يقوم بنفسه بطبع بحوثه وتقريراته. وقد يعتمد بعض الأساتذة الفقهاء بكتابة بحوثه وتقريراته بنفسه، وطبعها باسمه.

ثانياً: طرق تدريس الأصول في البحث الخارج

ولا يخفى أن علم الأصول قد وضع لممارسة تكوين النظريات العامة وتحديد القواعد المشتركة للنشاط الفقهي التطبيقي، وهو علم واضح المعالم ومستقل عن علمي الفقه والكلام، ويرتبط بعلم الفقه بترابط وثيق على مدى العصور ويتطور تبعاً لتطور البحث الفقهي واتساعه في مختلف المجالات. وموازة النشاط الفقهي تدرس كتب أصولية على طبق المستويات المذكورة في الفقه، من حيث التدرج من كتاب أصولي بسيط، حتى الوصول إلى مباحث أصولية عميقة، ثم بلوغ البحث الخارج الأصولي ليتسنى للمجتهد بعد ممارسات دقيقة ومناقشات مضيئة أن يختار رأياً في المسألة الأصولية لأجل تطبيقه على المسألة الفقهية، فإن نسبة علم الأصول إلى علم الفقه كنسبة العلم النظري إلى العلم التطبيقي. ومن هنا فإن المنهجية المتبعة في النشاط الأصولي بمراحلها الثلاثة نفس ما يتبع في النشاط الفقهي من دون فرق يذكر.
والجدير بالذكر أن ما وصلت إليه الحوزات الشيعية من التطور والتكامل في علم الأصول، لم يبلغ إليه سائر المذاهب الإسلامية. ونشير هنا إلى بعض طرق التدريس الأصولي لمرحلة البحث الخارج في الحوزة العلمية في النجف، لبعض فطاحل علمائها:

الأولى: طريقة الإمام الخوئي: لما كان مباحث علم الأصول قد أخذت طابعاً فلسفياً في عصر الآخوند وتلامذته، قام السيد الخوئي+ زعيم الحوزة العلمية في تدريسه بتهديب المباحث الأصولية وتجريدها عن البحوث الفلسفية وعلم الكلام. وكانت طريقة إستدلاله في الفقه والأصول من قنوات القياس الأرسطي بأشكاله المعروفة، ولا يتعداها إلى الفلسفة والمعقول، وكان يمتاز بمنهج علمي متميز وأسلوب خاص به في البحث والتدريس، ويشهد لذلك حضور أعداد كبيرة من طلبة الحوزة العلمية والأساتذة اللامعين من مختلف بلدان العالم عنده. وقد تجاوزت فترة تدريسه السبعين عاماً، ولشدة وضوح بيانه وسلاسته كان يوصل الفكرة إلى أذهان تلامذته بصورة واضحة ودقيقة. وقد اتجه هذا الإتجاه في تدريسه وبحوثه الأستاذ المعظم سماحة آية الله العظمى الشيخ الفياض (دام ظله)، حيث هو الآن الأستاذ الأول للبحث الخارج الفقهي والأصولي في النجف الأشرف، ويحضر بحوثه ثلثة من فضلاء الحوزة العلمية من مختلف البلدان.

الثانية: طريقة السيد محمد باقر الصدر: كان للسيد الشهيد منهجية فنية فريدة في التدريس والبحث، وقد تبلورت بشكل خاص في بحوثه الأصولية، وبشكل عام في سائر بحوثه الفقهية والمعرفية الأخرى، ولقدرته الفائقة على منهجة البحوث وتنسيقها المتناسك كان يفرز الجهات المتشابهة في كلمات الأصوليين ولاسيما في المسائل المعقدة، فكان يوضح الفكرة وينظمها بشكل موضوعي، لا يجد الباحث المختص نظيره، كما كان يميز طريقة الإستدلال في كل موضوع، وهل أنها لابد أن تعتمد البرهان، أو أنها تعتمد الإستقراء، أو الوجدان؟ ولم يقتصر على دعوى وجدانية المدعى





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

المطلوب إثباته، بل كان يستعين بالمنتبهات اللازمة لإثارة هذا الوجدان وإيصال الفكرة إلى ذهن الطالب. وكان يتعرض في كل مسألة إلى جذورها الواقعية، وإلفات النظر إلى موقعها الطبيعي بالنسبة إلى سائر البحوث والأهداف المقصودة، والنتائج المرجوة من البحث.

و يجدر الإشارة أنه أدخل عنصراً جديداً في الاستدلال الشرعي في البحث الأصولي والفقهية وغيرهما، يعتمد على حساب الاحتمالات، ويعتبر استخدام حساب الاحتمالات لأول مرة بهذا الشكل في هذه المباحث وفي موارد مختلفة من إبداعات الشهيد الصدر. وكان بحق رائد المعارف المتخصصة الحوزوية.

أماكن الدراسة في حوزة النجف

أولاً: المساجد وأكثرها ارتياداً من قبل الطلاب هي المساجد التالية: مسجد الهندية، مسجد الشيخ الأنصاري المسمى بمسجد الترك، مسجد الشيخ الطوسي، مسجد الخضراء، مسجد السبزواري، أو أي مسجد أو حسينية أخرى يتفق عليها الأستاذ وطلابه.

ثانياً: الصحن الشريف: في الغرف والأواوين في الطابق الأرضي وعددها (٤٤) غرفة، ولا سيما في مقبرة السيد اليزدي والحبوبي وشيخ الشريعة وغيرها.

ثالثاً: المدارس الحديثة التي هي أشبه بنظام المدارس الأكاديمية.

رابعاً: الدور: دار الأستاذ، أو دار الطالب على حسب اتفاق الاستاذ وتلميذه.

خامساً: بما تبقى من المدارس القديمة في قاعة التدريس أو في نفس غرف السكن، وفي الوقت الحاضر يوجد سبعة وعشرون مدرسة قديمة في النجف، على شكل غرف سكنية وكلها مسكونة. يدرس فيها طلبة النظام الحر. ومجموع المدارس الدينية في السابق أربعون مدرسة.

الاتجاهات السياسية

ابتعدت الحوزة العلمية عن السياسة منذ انتقالها للنجف على يد الشيخ الطوسي سنة ١٢٤٨ هـ، ولا ننكر تدخل بعض علماء الدين في بعض الأحداث السياسية ولكن السلوك العام هو فصل الحوزة عن السياسة، حيث يعتبر ممارسة السياسة في عرف الحوزة أمر مذموم يشنع به على صاحبه، يقول الإمام الخميني + في هذا المجال: (لقد طرح الاستعمار قضية فصل السياسة عن علماء الدين بمنتهى الدهاء والتزوير والمخادعة بحيث أن الأمر أشبه علينا نحن أيضاً، وإلى درجة أصبحت معها كلمة «المعجم السياسي» شتيمة في أوساطنا، فإذا قيل أن فلان «معجم سياسي» فهذا يعني الذم) (٢٥).

وعليه فحوزة النجف ابتعدت عن السياسة لأكثر من ألف سنة، حتى أن تراثها (الفقهية والكلامي والفلسفي والأخلاقي...) يخلو من الفكر السياسي، بل حتى النظرة الفقهية للأحكام هي نظرة فردية تحدد تكاليف الأفراد وليس فيه نظرة اجتماعية تبين تكاليف المجتمع أو الحكومة كما في كتب الأحكام السلطانية لأهل السنة.

ولا ننكر وجود علماء كبار تصدوا للشأن السياسي في بعض العصور مثل محمد حسين كاشف الغطاء والجدد الشيرازي والشيخ النائيني وغيرهم، وقد كتبوا بعض الكتيبات في هذا الشأن، وشاركوا في أحداث سياسية، مثل ملحماتهم الكبيرة في ثورة العشرين وما تلاها من اعتراضات شديدة على حكومة الملك فيصل الأول.

ولكن هذا الأمر لم يتم طويلاً لقيام الحكومة بإبعاد العلماء المعارضين من العراق، فأبعدت الشيخ مهدي الخالصي إلى الحجاز، وآية الله أبو الحسن الأصفهاني وآية الله النائيني إلى إيران، ولم تعدا إلى حوزة النجف إلا بعدما أخذت تعهد منهما بعدم تدخل الحوزة العلمية في الأمور السياسية. فمن ذلك الوقت بقيت الحوزة العلمية مشغولة بالجانب العلمي والثقافي فقط (٢٦).

أن المؤسس للاتجاه السياسي في الحوزة العلمية المعاصرة هو المفكر الإسلامي والمرجع الديني السيد الشهيد محمد باقر الصدر، حينما قام بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية، وتفنيدته للمباني الاقتصادية والفلسفية للشيعوية والرأسمالية، ومقاومته





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

للنظام البعثي في العراق، وأتلف حوله طلبته والكثير من النخب المؤمنة في العراق، ولكن البعث الكافر قضى على الجميع بين القتل والتشريد، حتى وصل تعداد من أستشهد ثلاثمائة ألف قتيل خلال عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ م (٢٧).
تفرع عن هذه التجربة ثلاثة من الاحزاب والتيارات إسلامية متأثرة بنهضة وأفكار الشهيد محمد باقر الصدر+، (حزب الدعوة الإسلامية، المجلس الأعلى الإسلامي، تيار الشهيد محمد الصدر)، جميعهن قد ولدته من رحم الحوزة العلمية يقودهن تلامذة الشهيد الصدر+، وهي اليوم تمسك بحدود ٦٠ ٪ من السلطات السياسية في العراق رغم الانقسامات المتعددة لكل واحد منها.

ولهذه الاحزاب مدارس حوزوية في النجف الاشرف وباقي محافظات العراق، تدرس طلبتها الدروس الحوزوية وتخرج معها بعض العلوم بما يتناسب مع الأيدولوجية السياسية لكل حزب.
الشيء المشترك بين طلاب العلم هذه الاحزاب هو أيمانهم بضرورة وحدة الحوزة والسياسة، بخلاف الحوزة العلمية الأم فهي تؤمن بضرورة الفصل بين الحوزة والسياسة، وتعتبر السياسة خطر لا يهدد الحوزة فقط بل يهدد سلامة المذهب والإسلام ككل؛ لأن السياسة في نظرهم لا صديق لها. فهم بذلك يحصرون نشاط وحركة طالب الحوزة بين المحراب والمذبح، أي في داخل دور العبادة المساجد والحسينيات، وترك إدارة المجتمع لغير الحوزة العلمية، وهم بذلك يقدمون خدمة كبيرة للعلمانية من حيث لا يشعرون.

ومن الناحية النظرية الفقهية يرى مراجع الدين في النجف بأن ليس من وظائفهم التدخل في الشؤون السياسية والأمور التنفيذية إلا بمقدار الضرورة القصوى، ما يعبرون عنها بـ(الأمر الحسبي). ولكنهم من الناحية العملية قد أسندوا هذه المهمة - بعد سقوط النظام البعثي والتفاف الأمة حولهم - الى المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد السيستاني(دامت بركاته) ، والذي بدوره تولى مهمة الهداية والإرشاد للعملية السياسية في الأمور الضرورية والمصيرية، فقد مسك عصى السياسة من النصف، ولم يتولى القيادة المباشرة في الحكومة الجديدة، بل أكتفى سماحته بالتوجيه والإرشاد في وضع الخطوط الأساسية للعملية السياسية الجديدة في العراق، من أهمها مايلي:

- ١- إخراج الاحتلال سلمياً، من دون إراقة المزيد دماء الشعب العراقي.
 - ٢- إيكال الأمر للشعب العراقي لتقرير مصيره واختيار نظام الحكم.
 - ٣- إصراره على كتابة الدستور بأيادي أمينة من أبناء الشعب العراقي.
 - ٤- إصراره على الانتخابات المبكرة ولم يسمح بتعطيلها أو تأجيلها.
 - ٥- لم يأمر بانتخاب أشخاص معينين بل أكتفى بالتوجيه لانتخاب الأصالح.
 - ٦- لم يسمح بتمديد فترة بقاء القوات المحتلة في العراق.
 - ٧- لم يسمح باندلاع حرب أهلية بين السنة والشيعة.
 - ٨- لم يسمح لوكلائه بتولي مناصب تنفيذية في الحكومة الجديدة.
 - ٩- طالب المسؤولين السياسيين بتقديم الخدمات الضرورية للشعب العراقي المحروم.
 - ١٠- أصدره فتوى الجهاد الكفائي في مساندة القوات الحكومية لطرد عصابات داعش الإرهابية من أرض العراق .
- مع أن الحكومة العراقية اليوم بأمر الحاجة للحوزة العلمية سواء في التشريعات البرلمانية، أو في المحاكم القضائية، أو في المدارس الأكاديمية لتعليم وتربية الأجيال القادمة، أو في الجامعات لتوضيح النظريات الإسلامية، أو في السينما والمسرح والأعلام وغير ذلك الكثير.

نماذج من حركات الإصلاح العلمي النجفي

لم يعرف النجف حركة إصلاحية منظمة كالتي غيرت وجه الأزهر على مراحل متوالية بدفع من محمد عبده ومن تبعه من المصلحين بل كانت التجارب في هذا المجال غير منتظمة ومتأخرة نسبياً. وعلى الرغم من ذلك فقد عرفت بعض أوساط رجال الدين في النجف عقلية إصلاحية منذ بدايات القرن العشرين، وذلك في مدار أحد المجتهدين وهو الملاً





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

كاظم الخراساني (م. ١٩١١) الذي ساند الحركة الدستورية في إيران ووقف وراء بعث مدارس ذات نمط حديثي في المدينة المقدسة العراقية أين كان يضطلع بدور المرجعية. ولقد ظهرت في مجلة العرفان في صيداسنة ١٩٠٩ أولى النقود العلنية لنظام التعليم الديني الشيعي. وأغلب الظن أن لا يكون كاتب المقال، الذي كان يمضي بالحروف الأولى من اسمه (ص.ن)، سوى رجل الدين المقيم آنذاك في النجف، صدر الدين الصدر (١٨٨٢-١٩٥٣)، الذي لعب فيما بعد إلى جانب الحائري دورا في إعادة تنظيم الحوزة في قم وظهر الانتقاد الثاني في كتاب لأحد تلامذة الخراساني، والذي نشر في إسطنبول سنة ١٩١٠. اعتمد النقد الأول مقارنة بين الحوزة والمدارس غير الدينية، وقام الثاني بمقارنة مع الأزهر. ويخبر النصان المذكوران عن مضمون النصوص التي جاءت فيما بعد، على مدى القرن، والتي تشير إلى قلة التنظيم وبالتالي إلى الفوضى السائدة في المدارس وغياب أي نظام لانتداب الطلبة ومراقبة مستواهم وفرض القوانين عليهم، إلى آخره. وكان لابد من الانتظار حتى سنوات ١٩٢٠، وخاصة تيار سنوات ١٩٣٠، لتطرح المسألة، بشكل فعلي في أوساط رجال الدين الشيعة. استهل النقاش، في البداية، على يد رجلي دين لبنانيين هما: محسن الأمين (١٨٦٧-١٩٥٢)، وهو مجتهد مقيم في دمشق، ومحسن شرارة (١٩٠١-١٩٤٦)، رجل دين شاب كان لا يزال طالبا في النجف. قام الاثنان بكيال الانتقادات المتواصلة على النظام التعليمي، وقدموا إقتراحات من أجل تحسينه وإصلاحه عبر وضع برامج (تعليمية) محددة ومدرسة، إدراج كتب تعليمية أكثر وضوحا وتبسيطا، بعث أقسام تأخذ بنظر الاعتبار المستوى العلمي للطلبة وتقييم كفاءاتهم، إلى آخره. وذهب محسن شرارة إلى حد الدعوة إلى إدخال العلوم الحديثة مثل السوسولوجيا والبيسيكولوجيا في البرامج التعليمية، كما دعا إلى تدريس اللغات الأجنبية كالإنجليزية مثلا وكذلك الدراسات المقارنة للأديان. ولقد أثارت هذه الدّعوات إلى إصلاح التعليم الديني موجة عارمة من المجادلات المشتتة في الصحافة وفي أوساط رجال الدين؛ ووصل الأمر إلى حد اتهام محسن شرارة بالكفر. مما اضطره، على إثر محاولة لاغتياله، إلى الانسحاب والاختفاء. لقد اصطدم رجال الدين الإصلاحيون، ليس فقط بنظرانهم من التقليديين، بل بتصميم شيعي عام على حماية خصوصيات الحوزة التي تقوم. كما أسلفنا على الحرية الكاملة في النظام التعليمي. وفي الثلاثينيات، اجتذبت الحركة من أجل الإصلاح بعض المتعاطفين من بين العلماء المقيمين بالمدن المقدسة. وقام أكثرهم عزما بالانضمام إلى مجموعة من رجال الدين اللبنانيين والعراقيين والإيرانيين الذين عرفوا بالتحاميم بمدار مجلة الهاتف التي كان يديرها جعفر الخليلي، وذلك للتعبير عن آراءهم. وكانوا يتبنون أفكارا تدعو إلى تنظيم وعقلنة وتحديث العلم، وكذلك، فتح الحوزة على العالم. وأدت بعض التجارب الإصلاحية على نموذج الحوزة إلى محاولات لبعث مدارس مجددة. ولكنها لم تكن سوى ثمرة جهود ومبادرات فردية لشخصيات ورجال دين بارزين. وهكذا قام محمد حسين آل كاشف الغطاء (م. ١٩٥٤) بإعادة فتح مدرسة جده جعفر ليجعل منها بعد مؤسسة على النمط المجدد أضاف إليها مكتبة وبعد سنوات قام رجل دين عراقي، عز الدين الجزائري، بتأسيس مدرسة تعمل حسب نمط المدارس الحديثة، وتعتمد على برنامج للدروس ومواقيت مضبوطة مع إدراج امتحانات للمراقبة ومشاركة فريق ممتاز من الأساتذة. وقد أولى للإجازة في اللغة العربية اهتمام خاص. وعبرت كل هذه التجارب عن أولى إشغالات المصلحين. كما افتتحت مدرسة النجف دورتها الأولى سنة ١٩٤٣، ولم يتم فتح كل أقسامها وتشغيلها بشكل واسع إلا مع حلول سنة. وأراد بعد ذلك المرجع محسن الحكيم، سنة ١٩٦٠، أن يطور، بدوره، برامج الحوزة ويصنع جيلا جديدا من رجال الدين القادرين على التفرغ لعمل التبليغ. فقام لهذا الغرض، سنة ١٩٦٣، بتأسيس مدرسة العلوم الإسلامية. لقد شعر العلماء في تلك الفترة بأنهم مطالبون بالرد على الأفكار الشيوعية التي بدأت في الانتشار، حسب نظرهم، بين الشباب من المثقفين الشيعة. وكان لابد لهم من وضع حد أمام هروب أصحاب العمامات. وتصدى محمد باقر الصدر (م. ١٩٨٠) الذي برز حينذاك كزعيم للحركة الإسلامية العراقية لإعداد - باسم القيم الإسلامية - الأدوات النظرية لمواجهة الشيوعية والفلسفة الغربية، فأصدر كتابيه المشهورين: اقتصادنا وفلسفتنا. وأدرجت على إثر ذلك مادتا الاقتصاد والفلسفة في برامج المدرسة التي أسسها محسن الحكيم، واضطلع تلامذة محمد باقر الصدر بتدريس المادتين. ولم تفلح هذه التجربة، كسابقاتها، في إعادة





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

هيكلية الحوزة كمؤسسة، ولو أنها نجحت في تعجيل حركة التحديث وكذلك تحسيس الطلبة بالمشاكل التي أضحت يطرحها المجتمع. وقامت هذه المدارس بنشر العديد من المجالات التي كانت بمثابة همزة الوصل بين رجال الدين الشبان والعالم الخارجي، ومثلت في ذات الوقت المنبر الحر للأفكار الجديدة وللترويج لمشاريع الإصلاح. وبالإضافة إلى ذلك، قامت تلك المدارس بإعداد طلبتها في مجال الخطابة بشكل تطبيقي وفي إطار دورات أعدت للغرض، بينما شهدت الحوزة حركة إصلاحية جذرية تمثلت في إنشاء كلية الفقه سنة ١٩٥٨. واستمدت هذه المبادرة جذورها من جذوة النقاشات التي عرفتها الحوزة منذ بدايات سنوات ١٩٣٠. حيث التفت مجموعة من رجال الدين الشبان حول محمد رضا المظفر (م. ١٩٦٣) وقامت، بعد العديد من المدارس، بتأسيس جمعية منتدى النشر سنة ١٩٣٥. وكان هدفهم من وراء ذلك، إصلاح التعليم رغم إدراكهم لحساسية هذه المبادرة، بسبب المعارضة القوية لهذا المشروع ولكل مشروع إصلاحى يصدر عن أوساط رجال الدين. فبدؤوا بتنظيم المحاضرات ونشر بعض الكتب التراثية، ثم انكبوا على نشر الكتب المدرسية المحددة الموجهة للمدارس الدينية. وهي عبارة عن كتب بيداغوجية مبسطة ومفهومة من أجل تعويض الكتب القديمة التي يتداولها العلماء فيما بينهم، والتي يكتبها بعضهم في لغة تتوجه إليهم لا إلى مجموع الطلبة. وقام محمد رضا المظفر نفسه بتحرير العديد منها: كتاب مدرسي في المنطق وآخر في أصول الفقه وواحد في العقيدة. وهي كتب لا تزال تدرس حتى يومنا هذا. وقام بعدها بنشر دروسه في الفلسفة الإسلامية.

وفي سنة ١٩٣٩، قام منتدى النشر بفتح مدرسة ابتدائية تدرس كامل مرحلة السطوح. ثم أنشأ عام ١٩٥٨، «معهدا» للفقه الإسلامي (معترف به لدى الحكومة العراقية) وذلك بفضل الجهود التي بذلها محمد رضا المظفر نفسه، و يشغل حسب نظام الجامعة. ولقد تحقق لكلية الفقه ما هو أهم، حيث أصبحت سنة ١٩٧٤ جزءا من الجامعة العراقية، وذلك حتى سنة ١٩٩١ حيث أعلنت الحكومة العراقية حلها مما يعني غلقها. وبالإضافة إلى العلوم الدينية التقليدية التي يعتمد في تدريسها على الكتب المدرسية المستصلحة، تقوم المدرسة بتقديم عدة مواد أخرى كالنقد الأدبي والإنجليزية والسوسيولوجيا والبيسيكولوجيا. وقامت المدرسة للمرة الأولى بتقديم دروس في أصول الفقه المقارن، وهو ميدان تخصص كل من عميدها الأول، محمد تقي الحكيم (م. ٢٠٠٢)، أحد أعمدة منتدى النشر، ورجلا الدين اللبنانيان اللذان كانا يدرسان فيها، الأخوان محمد جعفر ومحمد مهدي شمس الدين وحسب هذا الأخير حاولت كلية الفقه، التي شارك في تأسيسها، «الاضطلاع بتكوين علماء وخطباء ومبلغين وأساتذة واعين بالقضايا والإشكالات التي تطرحها المدينة الحديثة والتي تتصل بشؤون وحياة المسلمين» وفي الواقع، لم يكن هدف المسيرين للمدرسة تكوين نخبة من رجال الدين فحسب، وهو ما كانت تقوم به الحوزة العلمية التقليدية، وإنما حسن تكوين طبقة وسطى من رجال الدين تكون قريبة من المؤمنين؛ وفي ذات الوقت، تأهيل أساتذة ومعلمين من أصحاب الكفاءة في العلوم الدينية ومؤمنين بالقيم الإسلامية بإمكانهم التدريس في المستقبل في المدارس العلمانية. ويعني هذا، سعي المدرسة لتعميم التعليم الديني العالمي، الذي لا يزال حتى ذلك الحين يدعم الأرستقراطية الدينية دون السماح إلا نادرا بظهور نخبة جديدة. وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت إلى كلية الفقه واللغة الذي أثير حولها، فقد كان لها تأثير كبير في تاريخ التعليم الديني الشيعي وانتظام الحوزة. لاشك أنه لا يزال هناك أشخاص متحمسون دائما للنظام التقليدي وللمدارس التي تشتغل وفق هذا النمط، إلا أن أغلب هذه المدارس باتت متأثرة بدرجات متفاوتة بفعل الإصلاح. وحسب هذه التجربة، يتعلق أكثر الأسئلة حساسية بمسألة الاستقلالية بالنسبة إلى الدولة. وفي أوج القمع ضد الشيعة وحركتهم الإسلامية، بعد إنتفاضة ١٩٩١، استطاعت الحكومة العراقية القضاء نهائيا على كلية الفقه. وقد أمكن لها ذلك بأكثر سهولة لاندراج هذه الأخيرة في النظام التعليمي الوطني. يعتبر أغلب رجال الدين الشيعة أن استقلالية الحوزة «في برامجها ومناهجها ومواقفها فيما يخص الفقه الإسلامي، وأيضا في الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية» أمر ضروري، كما لاحظ محمد حسين فضل الله، الذي أضاف أن الحوزة في إيران كذلك، التي تعتبر دولة إسلامية، ما فتئت مستقلة وهي تعتمد كما في كل مكان على الأداءات الشرعية التي يقوم المؤمنون بدفعها لمراجعهم. وهذا ما يجعلها شديدة الارتباط بالمرجعية، وذلك





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

سواء على المستوى المالي أو على المستوى الروحي حيث تفتدي كل حوزة بمرجعها. وفي سنة ١٩٦٠، ظهرت أولى المدارس المحددة في إيران. من المؤكد أنه على أثر إعادة تنظيم حوزة قم على يد الخانري، تم قطع أشواط عديدة في هذا الاتجاه. ولكن الروح التقليدية بقيت سائدة على مستوى المدارس التي تدعمها مالياً أوساط تجار البازار. ولم يكن من السهل، إذاً، أن يوفق المرجع البوروجوردي (م. ١٩٦١) إلى تنظيم الحوزة، التي أدخل عليها على سبيل المثال نظاماً للامتحان وخرجت إلى النور، بعد ذلك في قم، ثلاث مدارس مجددة هي: مدرسة حقاني، دار التبليغ التي أسسها آية الله شريعة مداري ثم مدرسة أمير المؤمنين ومؤسسها ناصر مكارم تعتبر هذه المدارس هي الأكثر نشاطاً وتجديداً وكان لها دوراً مهماً في عملية الإصلاح وحملت رياح ثورة ١٩٧٩ وتأسست الجمهورية الإسلامية معها إلى الحوزة العديد من التغيرات: زيادة عدد الطلبة، تدفق الأجانب عليها، فتح أقسام خاصة بالنساء، إدماج مواد عصرية، زيادة الاهتمام بالفلسفة الإسلامية ووضع نظام تسوية بين الحوزة والجامعة يسمح بالمرور من أحدهما إلى الأخرى. وبهذا أصبحت قم غطاً جديداً يتحدى به ويمكن أن نلاحظ اليوم تأثيرات كل من قم والنجف، على المدارس الدينية الشيعية في كل من لبنان وسوريا، أين يتجلى إضافة إلى ذلك التاريخ الطويل للإصلاح في الحوزة والمراجعات التي كانت تجري في أوساط رجال الدين، وفي ما يلي نجد بعض الملاحظات، وهي النتائج الأولية لتحقيق نحن بصدد القيام به ولم تنفرغ منه بعد. في نهاية الستينات وبداية السبعينات، قام بعض العلماء اللبنانيون الذين درسوا في النجف بفتح مدارس في بيروت وجنوب لبنان، وذلك عقب عودتهم من المدن المقدسة. كما قام بعض العلماء العراقيون، منذ سنوات ١٩٧٠، بإنشاء مدارس دينية شيعية حول مقام السيدة زينب قرب دمشق، عندما بدأ يستوطنها عدد كبير من الجالية العراقية الشيعية. لم يكن الهدف من وراء ذلك مزاحمة النجف أو قم، وإنما إعداد الطلبة للالتحاق بما لإكمال تعليمهم، وذلك بعد استيعاب تخبّيات العلوم (بعد بلوغ منتصف المرحلة الثانية أي السطوح). لازالت بعض المدارس، خاصة في جنوب لبنان، تشتغل حسب النمط الحوزوي التقليدي. ويتجاهل القائمون عليها الفائدة من الإصلاح محتجين على عدم تأثيره على مضامين الدرس، متذرعين بأن الإصلاحات لا تقوم بشيء سوى إدخال تحويرات على مناهج وآليات التدريس. ويقومون لينتقدوا بعد ذلك المستوى (العلمي) في المدارس المستصلحة، التي لا تقدم حسب رأيهم سوى «معلومات عامة» لا غير. ويستوجب على الطلبة، الذين ينوون إتمام مرحلة الخارج وبلوغ درجة الاجتهاد، أن يلتحقوا بقم أو النجف ليمتدوا دراساتهم. علماً وأن أغلب المؤسسات التي فتحت في السيدة زينب أو في لبنان هي مما يمكن اعتباره مدارس مستصلحة. وهي ترتبط في توجهاتها واختياراتها المهمة، المتعلقة بمسألة التحديث، بما يراه المرجع أو المجتهد الذي يشرف عليها. ويحيط بهذا الأخير عدد من الأساتذة الذين يشاركونه آراءه. تخضع كل مدرسة من هذه المدارس إلى السلطة الروحية لأحد المراجع أو من يمثله من المجتهدين، وإن كانت تشتغل كمؤسسة بيروقراطية يرأسها مدير مخصوص. ويقوم المجتهد بالتدريس فيها المستوى الأعلى (دروس الخارج) ويقدم المحاضرات.

استكشاف:

أولاً: نقاط القوة

تمتلك الحوزة العلمية العديد من نقاط قوة في المجال السياسي، وهي التي منحتها سر البقاء والعظمة، ونذكر هنا بعضها لا على سبيل الحصر بما يلي:

أولاً: سعة القاعدة الشعبية: تمتلك الحوزة قاعدة شعبية عريضة، مؤثرة على الرأي العام المحلي والعالمي، تلقى بضلالتها على ثقل الحوزة السياسي والاجتماعي وقوة قراراتها.

ثانياً: المرجعية العليا وزعامة الحوزة: من أهم مصادر القوة، إلتفاف ومساندة المراجع والمجتهدون والعلماء والفضلاء، مرجعاً واحداً أعلا للحوزة العلمية في النجف الأشرف، يتميز بالوعي والحكمة، يكون متصدياً لحل الأزمات وإليه ترجع القرارات ذات الطابع السياسي والاجتماعي والديني، وتوكل إليه مهمة تحديد المصلحة والمفسدة والقرارات الاستراتيجية.

ثالثاً: الاستقلالية وعدم التبعية: يشكل استقلال الحوزة العلمية وعدم تبعيتها للدولة. بعكس ما هو عليه في المدارس





الحياة العلمية في النجف الأشرف خلال المائة عام الأخيرة

الدينية السنية - مصدر قوة واعتبار عند الجميع، مما يجعل قراراتها صائبة وخالية من شوائب التأثير. ومن هنا نجد تزايد ثقة الأمة بها، والاستعداد للتفاني من أجلها، وتسعى الحكومات دائماً إلى كسب رضا المرجعية العليا، للحصول على تأييد الشعب لها، ومن هذه الجهة القوية، تمارس الحوزة العلمية دور الإرشاد والنصح للحكومة كما تقوم بدور الرقابة والإشراف على جميع تصرفاتها لتحقيق مصالح وحقوق الشعب.

رابعاً: المواقف التاريخية المشرفة: تمتلك الحوزة العلمية تاريخاً ناصعاً في الحفاظ على الدين والمذهب الحق، والوقوف بوجه كل التيارات الفكرية المنحرفة، والصمود أمام الغزو والاحتلال الأجنبي للبلاد الإسلامية، ومواجهة الأنظمة الظالمة من خلال عدم تأييدها وانصياعها وراء متطلباته وإرادته، وقد دفعت الدماء من أجل هذا الموقف الإسلامي، فضلاً عن حبسها الكامل عن الأمة. وكيفما كان فإن للحوزة العلمية موقفاً سالياً من الحكومات الظالمة والمستبدة على طول التاريخ، وإن اختلفت أدوار المواجهة بحسب المكان والزمان وتقدير المصلحة والمفسدة الدينية.

خامساً: الكوادر الرسالية: تمتاز الحوزة العلمية عن باقي المؤسسات العلمية الأخرى، بامتلاكها كوادر وأتباع من العلماء يعتقدون بوجوب حمل الرسالة والتضحية بكل شيء من أجلها، ولذلك نجد من علماء الحوزة العلمية رجال جدوا واجتهدوا من أجل الوصول إلى الهدف الإلهي، حتى أشتهر عن بعضهم أنه أمة في رجل. وكان من بينهم الإمام الخميني والشهيد الصدر رحمهم الله نموذجان رساليان ومصدر قوة للحوزة والمسلمين أجمع.

سادساً: انتشار الوكلاء المعتمدين: من المسائل المؤثرة في هداية الناس وحلحلة مشاكلهم الاجتماعية، هو وجود عالم دين يتواجد ويعيش بين أوساطهم، وهو ما توجهت له المرجعية العليا في النجف الأشرف في هذا الزمان، حيث نشرت الوكلاء والمعتمدين في جميع أنحاء العراق، وبشكلية تنظيمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ حوزة النجف، وهو عمل يعود بشمار طيبة مؤثرة في المجتمع سياسياً واجتماعياً وتربوياً.

سابعاً: الإيمان بتطوير الحوزة: تؤمن المرجعية العليا في النجف اليوم بتطوير الحوزة العلمية، ونجد أثر ذلك واضحاً من خلال تأسيس بعض المشاريع الدينية والإصدارات الثقافية ونحو ذلك. وما يؤيد هذا الطموح والهمة، رأي المرجعية في جواب إحدى المسائل، والذي ينص على ما يلي:

نأمل أن تتوفر الظروف المناسبة لاستعادة الحوزة العلمية في النجف الأشرف نشاطها وتتمكن من تطوير نفسها بما يناسب موقعها المتميز في الساحة الشيعية، ولكن ذلك سوف لن يضعف مكانة غيرها من الحوزات، وسماحة السيد دام ظله يرمي جميع الحوزات العلمية، والخدمات التي يقدمها مكتبه في قم المقدسة إلى الحوزة العلمية فيها معروفة (٢٧).

ثامناً: متابعة الأحداث السياسية والاجتماعية: تقوم الحوزة العلمية في النجف الأشرف بدور مراقبة ومتابعة الأداء الحكومي، والتعقيب عليه وتحليله وإعطاء رأي المرجعية بخصوصه، في خطوة لم يسبق لها مثيل، تجعل الجماهير على متابعة وترقب ووعي بما يجري على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان اختيار المكان موقفاً، حيث مرقد الإمام الحسين (ع) وفي صلاة الجمعة وخطبتيها، والتي تقام من أحد ممثلي المرجعية العليا في النجف الأشرف.

تاسعاً: اصطفااف المرجعية مع أهداف الأمة الإسلامية: تحظى مرجعية النجف الأشرف بمقبولية عالمية، نظراً لاتحاد مواقفها مع المواقف المصرية للمسلمين، وكونها تعيش هموم المسلمين فتبادلهم الأفراح والأحزان والتعازي وتقف بصفهم في بياناتها شجراً وتأييداً ونحو ذلك. ونذكر هنا بعض النماذج:

١. الموقف من احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ م: وقفت المرجعية الدينية موقفاً مشرفاً، يدل على إمكانيتها لقيادة المجتمع وتنظيم أمورهم الدينية، فقد رفضت الاتصال واللقاء بقيادة التحالف، وأعلنت قلقها الشديد تجاه أهدافهم، ويقائهم في العراق، ودعت إلى الإسراع في إعادة السيادة إلى العراقيين (٢٨).

٢. الإشادة بالجهاد والمقاومة ضد المحتلين: تضمنت الرسالة - إلى الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، بعد تصريحاته حول ولاء الشيعة والطعن في وطنيتهم - التلويح إلى المواقف الجهادية وتأريخ الشيعة المشرف ضد الاحتلال. فقد ذكرت الرسالة موقف جهاد العراقيين في ثورة العشرين، ومقاومة اللبنانيين التي حررت معظم أراضيهم من الاحتلال الإسرائيلي،





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

ومقاومة الكويتيين عندما تعرض بلدهم للغزو والاعتداء، والموقف الحاسم لأهل البحرين في الاستفتاء على استقلالها. وهذه الرسالة تدل على اهتمام المرجعية بهذه الأجداد والإشادة بالمواقف المشرفة، وحالها تقول: إياك أعني واسمعي يا جارة، والحليم تكفيه الإشارة (٢٩).

٣. التركيز على وحدة المسلمين ونبذ الخلاف بجميع أشكاله: تميز موقف المرجعية في النجف الأشرف من خلال مجمل أجوبة المسائل الفقهية والسياسية والاجتماعية، إنها حريصة على الوحدة الإسلامية وبث روح الإخاء الإسلامي والألفة والتعاون والمحبة بين المسلمين. بل نجد أن المرجعية رغم الظروف الأمنية الراهنة، رجحت إقامة صلاة الجمعة العبادية والسياسية، حيث تكون مظهراً لوحدة كلمة المؤمنين في المدينة التي تقوم فيها صلاة الجمعة (٣٠).

ثانياً : نقاط الضعف

١- الاتجاه العام في الحوزة العلمية يؤمن بضرورة الفصل بين الحوزة والسياسة، وتعتبر السياسة خطر لا يهدد الحوزة فقط بل يهدد سلامة المذهب والإسلام ككل؛ لأن السياسة في نظرهم لا صديق لها. فهم بذلك يحصرون نشاط وحركة طالب الحوزة بين المحراب والمنبر، أي في داخل دور العبادة والمساجد والحسينيات، وترك إدارة المجتمع لغير الحوزة العلمية، وهم بذلك يقدمون خدمة كبيرة للعلمانية من حيث لا يشعرون.

٢- من الناحية النظرية الفقهية يرى مراجع الدين في النجف بأن ليس من وظائفهم التدخل في الشؤون السياسية والأمور التنفيذية إلا بمقدار الضرورة القصوى، ما يعبرون عنها بـ(الأمر الحسية).

٣- عدم التصدي للقيادة السياسية أو السعي لإقامة الحكومة الإسلامية، كما فعل الإمام الخميني والشهيد الصدر (رحمهم الله)، نعم في بعض الحالات النادرة يكتفون بإصدار البيانات السياسية للتوجيه السياسي، ولكن هذه القيادة توجيهية وليست تنفيذية وفرق كبير بين الأمرين.

ثالثاً: الفرص المتاحة:

اغتنام الفرص واستثمارها، مما أكد عليه الإسلام، لأنها تشكل شرائط موضوعية لتحقيق الهدف. فقال أمير المؤمنين: الفرصة تمر كمر السحاب، فانتهزوا فرص الخير (٣١). وقال أيضاً: <إضاعة الفرص غصة (٣٢). وهناك فرص كثيرة يجب أن تستغل لتطوير العمل والبناء منها ما يلي:

أولاً: وحدة المراجع والعلماء وتوافقهم: التوافق والانسجام الموحد ووحدة الكلمة بين مراجع الشيعة وعلمائهم، من أجل تحقيق الأهداف العليا للإسلام، ووعيهم وإدراكهم لحجم التحديات والمخاطر العالمية على مذهب أهل البيت^ع، باعتباره يمثل المدرسة الفقهية التي تؤمن بقيادة المجتمع، وإنما يكون ذلك رغم اختلاف المباني الفقهية والقناعات الفردية. ثانياً: طاعة الحكومة للمرجعية الدينية: الطاعة التي توليها الحكومة للمرجعية الدينية الحالية، من تنفيذ إرشاداتها وتحقيق إرادتها، تعد من الفرص التاريخية لتأسيس وبناء المعالم الإسلامية، وتوجيه الأمة الإسلامية ودعم المواقف الرسالية، لتقوية شوكة الإسلام ونشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في أصقاع العالم.

ثالثاً: الجمهورية الإسلامية الشيعية في إيران: وجود النظام الإسلامي القائم على مذهب أهل البيت^ع في إيران وتجربته الممتدة إلى أكثر من ثلاثين عاماً، يعتبر فرصة ثمينة وعاملاً مساعداً على تطوير المستويات المختلفة، العلمية منها والثقافية والاقتصادية والأمنية والصناعية والتجارية بين الشعبين العراقي والإيراني وبين الحكومتين وبين الحوزتين.

رابعاً: وعي الشعب العراقي: ومن الفرص الاستراتيجية هي: وعي الشعب العراقي ودفاعه عن هويته الإسلامية الشيعية والتمسك بما بقوة، والتفاني والتضحية من أجل إحياء الشعائر الإلهية، وعدم الرضوخ للتحديات والمصاعب، ورفض عودة الطاغوت والعبودية وحكم الأقلية. وما يحدث من تخريب وقتل للأبرياء إنما زاد التمسك بالهوية الإسلامية والمذهبية والإسلامية النصاعة والأصيلة، وانكشف الوجه القبيح والحقيقي لأعداء الدين، الذي شوهوا تعاليم الإسلام السمحاء والقيم الإنسانية العالية، وهم بالأمس القريب متآمرون على الشعب وداعمين للنظام البعثي البائد.

خامساً: انتشار المذهب الإمامي: التوجه العالمي لمذهب أهل البيت^ع، وتأثيره السياسي والاجتماعي على العالم بأسره،





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

حقق انتشاراً واسعاً وكان لدور المرجعية الشيعية الرشيدة، ومواقفها الصائبة من الأحداث والأزمات، تأثيراً ملموساً في إيجاد هذا التوجه، ولدور نظام الجمهورية الإسلامية كنموذج حكم إسلامي شيعي تأثيراً بالغاً ومشهوداً. ومن هنا نجد أن الإسلام الأصيل يتزايد بشكل واسع في العالم، متأثرين بالمدرسة الإسلامية والفكرية التي أرسى قواعدها النبي " وأهل بيته، ومن الشواهد على ذلك:

أ. قال الدكتور (بيتر بريولي) المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث المسيحية في بريطانيا: <استناداً إلى الأرقام الموجودة، يعتبر الإسلام أحد أكثر الأديان نمواً وتطوراً في العالم (٣٣).>

ب. قال البروفيسور (خوزه ماريترز)، عميد كلية التاريخ القديم بجامعة (كمبلو تنسه): <إنني أوري ولكني مع ذلك أود أن أقول دون تحيز، بأن الإسلام دين كامل يشتمل على جميع القوانين الصحيحة للعيش، ولقد قرأت بنفسني القرآن خمس مرات، فلاحظت أن كل سطر من سطره يتضمن قانوناً ونظاماً... (٣٤).>

ج. يقول بول ويريتش رئيس معهد المؤتمر الحر في الولايات المتحدة ومؤسس الجمعية المعروفة بـ(هريتيج)... إن الإسلام اليوم ينتشر في كل بقعة من بقاع العالم... (٣٥).

ولا يخفى أن المذهب الوهابي والأنظمة الراحية له، كانت ولا تزال حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام، نظراً لأعمالهم الدموية التكفيرية المسينة لأداب الإسلام وتعاليمه السمحاء والإنسانية.

سادساً: توفر الطاقات الشبابية المؤمنة: وجود طاقات شبابية متتورة بمحى الإسلام، وأدركت أن الإسلام يقود الحياة الإنسانية، ينبغي استثمارهم في أعمال ثقافية وعلمية، وعدم فسح المجال إلى أعداء الدين والمذهب لاحتوائهم وتعبثهم، وبالتالي تشويه أفكارهم وإبعاد جيل المستقبل عن هويته الإسلامية والمذهبية.

سابعاً: إيجابية المتصدين للحكم في العراق: وجود حكومة عراقية بأغلبية إسلامية، ومن أصحاب التأريخ الجهادي ومعروفين بالتدين، يعتقدون مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ولأول مرة بهذا الحجم في تأريخ العراق القديم والحديث، يؤمنون بضرورة حكم الإسلام وتعاليمه السمحاء في جميع مرافق الحياة الإنسانية، ويتمتعون بعلاقات وتوافقات وانسجامات مع جميع المكونات العراقية، القومية منها والدينية والمذهبية وغيرها. وهذه فرصة مزدوجة بين الحوزة العلمية والحكومة، لذا على الحكومة الالتفات إلى الفرصة التاريخية واستغلالها لمسانده ورعاية العمل الثقافي والمؤسسات العلمية، بما يتناسب مع تأريخ العراق الحضاري والثقافي وتشجيع البحث العلمي، ورعاية التفوق والإبداع والابتكار. ويجب أن لا يرتبط التحرك العلمي والثقافي، بالوضع الأمني والسياسي الذي يحتاج إلى عقود زمنية لحين إتمام المنظومة السياسية الأمنية، ولعل ذلك هو السبب في تلكؤات العمل الثقافي والعلمي. وقد نصت المادة (٤٤) ومن (٣٤/ ثانياً) من الدستور لعام ٢٠٠٥ م، وعلى هذه الرعاية والتشجيع (٣٦). فضلاً عن دور الحوزة العلمية الواضح في مساندة الحكومة المنتخبة وإرشادها وتوجيهها، من أجل خدمة المجتمع وتوفير الظروف الحدمية والثقافية والعلمية لهم.

رابعاً: التهديدات والمخاطر

تنضال وتضمحل التهديدات والمخاطر لكل عمل إذا كانت وراءه أيادي مؤمنة به ومصممة على تنفيذه، خصوصاً بعدما يكون مدروساً ناضجاً قد توفرت جميع مستلزماته، وهو أشبه بما يعبر عنه بـ (وجود المقتضي وارتفاع المانع)، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه: (من طلب شيئاً ناله) (٣٧)، ومنه: (اعقل وتوكل).

وتوجهات المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف، تأييداً واضحاً ورغبة ملموسة لكل عمل يؤدي إلى ارتقاء الحوزة وتطويرها وعودة نشاطها العلمية. ويمكن افتراض بعض التهديدات والمخاطر من أجل أن نتبع الأسلوب الأمثل للتخلص منها، ووضع الحلول والبدائل المناسبة لها، ومنها ما يلي:

أولاً: التردد والتأمل: وجود وجهة نظر، تحكم على أغلب المشاريع والاقتراحات بالفناء والتمويع، من خلال ذرائع سياسية أو أمنية أو مراعاة الأولوية، أو كونها سابقة لأوانها، وما إلى ذلك، واعتقد أن منشأ هذا هو التردد الشديد بين النجاح والفشل، مثل مقوله: (فاز باللدات من كان جسوراً).





الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

ثانياً: العداء الخفي: تريض بعض العناصر العدائية الخفية النافذة والمؤثرة، للسعي في إفشال المشاريع الاستراتيجية، التي من شأنها تأسيس مستقبل قوياً وناجحاً لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في العراق والمنطقة والعالم، بدوافع سياسية أو اقتصادية أو نفسية.

ثالثاً: الشعور بالحساسية: الحساسية الشديدة وعدم الاطمئنان عند البعض الناتجة من الإيمان بضرورة استقلال الحوزة العلمية وعدم تبعيتها، رغم الإجماع القطعي على استقلالها بين الأعلام المعاصرين. وبالتالي عدم الاطمئنان للمشاريع الإصلاحية التي تستهدف الكيان الحوزوي، فالتحدث عن التجديد والتطور عندهم يساوي صيرورتها نظاماً جامعياً أو تبعيتها للانكليز، والتحدث عن تدوين المناهج أو إصلاحها يساوي ارتفاع البركة والأنفاس القدسية، وأما الحديث عن سبيل لتحقيق الوضع المالي والاقتصادي، فيساوي حب الدنيا والجاه وطلب الشرف والعافية.

الخاتمة:

من خلال ما تم ذكره اعلاه في طيات البحث يظهر تاريخ النجف القديم والتأسيس للحياة العلمية كونها حاضرة اسلامية ومدينة مشهورة ومعروفة بالعلم والسياسة ايام الدولة الاسلامية في خلافة الامام امير المؤمنين وانها تحتضن اول حوزة علمية في تاريخ الغيبة الكبرى للامام المهدي عليه السلام وقد تأسست من ما يقارب ١٠٠٠ سنة حينما وردها الشيخ الطوسي بعد وفاة استاذة الشيخ المفيد وتقريباً بعد احداث سقوط خلافة بني العباس فقط اسس فيها حوزة يوم كانت هناك هوزات اخرى في الحلة وكربلاء إلا ان الحوزة النجفية مرت بمراحل تطور وهجرة عقول علمية اليها منذ مطلع القرن العشرين وليومنا هذا وتعرضت للعنف والقتل والتهجير ولكنها صمدت وحافظت على وجودها الريادي في تربية العلماء والمخرجات العلمية من مؤلفات ونظريات علمية وردود على التحديات الفكرية والاشكالات العقائدية واستطاعت الحوزة النجفية من الثبات في تلك البيئة السياسية والقاعدية ذات الاشكالات المتعددة والمتنوعة واصبحت تنتج شخصيات علمية كبيرة غيرت تاريخ الامة العلمي والفكري والثقافي فتجد منها مؤسس الحوزة القمية الشيخ عبد الكريم الخائري والعلامة الطباطبائي وتأثرت العقول الاسلامية بما فخرج المبلغون المتخصصين بالدعوة الى العلم والفضيلة فمن اولئك السيد الامام الخميني والسيد الشاهرودي وغيرهم كثير. استطاعت الحوزة العلمية ان تؤسس مناهج بحثية ومتون دراسية استمرت لفترات طويلة وربما الى يومنا هذا فتلهم مؤلفان وراء النائي والشهيد الصدر وكتبه المعرفية وجسدت الحياة العلمية مربوطة بالحياة الفكرية فقد تأسست الحياة السياسية في ازمة تحدي الاحتلال البريطاني وثورة العشرين وتأسيس حزب الدعوة الاسلامي ودعم حركات التحرر في العالم الاسلامي ومنها دعم السيد الخوئي للثورة الاسلامية بقيادة الامام الخميني والقيام بانتفاضة ضد النظام البعثي وغيرها ولقد قدمت الحوزة النجفية من خيرة رجالها من مراجع وفضلاء ومحققين على طريق الحرية والعدالة شهداء كبار من ال الحكيم وال بحر العلوم وال الصدر ولم تتوقف الحركة العلمية في النجف عن الابداع التقليدي فقد واجهت الشيوعية والرأسمالية ولكن لم تخرج الى حد كبير عن تقليدها للسلف السابق إلا محاولات الشهيدين الصدرين والعلامة المظفر واليوم هي في نفس الطريق وبحاجة الى ابداع خلاق لكي تكون بمستوى المسؤولية حاولت في هذه الدراسة ان ابين بعض الامور التي كانت وما زالت الحوزة العلمية النجفية اليها وان وفقت فهو وإلا فهذا جهد العاجز.

الموامش:

- (١) معارف الرجال: مج ١ ص ٣٨٥ .
- (٢) معارف الرجال: مج ٢ ص ٣٢٧ .
- (٣) معارف الرجال: مج ١ ص ٣٨٦ .
- (٤) معارف الرجال: مج ١ ص ٤٧ .





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١) السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة

- (٥) الأمين، محسن. أعيان الشيعة. ج ٩، ص ١٨٤.
- (٦) الحكمي، مجلة الغري، الصادرة عن مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، عدد ١١، ص ٢٢.
- (٧) الشاكري. مجلة الغري، ص ٣٩.
- (٨) المصدر نفسه، ص ٣٩.
- (٩) الحكمي. مجلة الغري، ص ٥١، ٢٢.
- (١٠) مجلة الغري، ص ٢٠، ٣٧، ٥١.
- (١١) الكاظمي. مجلة الغري، ص ٤٧، ٣٩.
- (١٢) اندیشه سیاسی آية الله خونی، ٢٠٢ / مجلة الغري، ج ١١، ص ٤٠ / مجلة الموسم اللبنانية، ع ١١، ج ٣، سنة ٩٨-٩٩.
- (١٣) الحكمي، مقدمة موسوعة الإمام الخوئي، ج ١، ص ٢٤.
- (١٤) يراجع: الصدر، الخمة، صوت الوحدة، ص ٥٦.
- (١٥) موقع آية الله العظمى السيد مرتضى الفياض، تلخيص لسيرته الذاتية: www.al-fayyadh.com
- (١٦) موقع آية الله العظمى السيد علي السيستاني، تلخيص لسيرته الذاتية: www.sistani.org
- (١٧) موقع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض، تلخيص لسيرته الذاتية: www.alfayadh.org
- (١٨) موقع آية الله العظمى الشيخ شمس الدين الواعظي، تلخيص لسيرته الذاتية: www.wadhy.com/ar
- (١٩) موقع آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي، تلخيص لسيرته الذاتية: www.alnajafy.com
- (٢٠) موقع آية الله العظمى السيد علاء الدين الغريفي، تلخيص لسيرته الذاتية: www.ghoraifi-alnajaf.org
- (٢١) موقع آية الله العظمى الشيخ محمد أمين المامقاني، تلخيص لسيرته الذاتية: www.mamakani.com
- (٢٢) موقع آية الله العظمى السيد علي البغدادي تلخيص لسيرته الذاتية: www.albghdadi.com/sera.htm
- (٢٣) تلمذ الأحكام، ج ٦، باب من الزیادات في القضايا والأحكام، ح ٥٣، ص ٣٠٣.
- (٢٤) الحسيني، روح الله. الحكومة الإسلامية في رؤية الامام الحميني. استخراج محسن زين العابدين. ط ١: ١٤٣٢ هـ. الناشر مركز المصطفى العالمي. ص ٤١.
- (٢٥) الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق، ص ٢٧.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص.
- (٢٧) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني دام ظله، ص ٢١٧.
- (٢٨) انظر: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني دام ظله، ص ١٧٨-١٨٢.
- (٢٩) انظر: المصدر السابق، ص ٢٣٨.
- (٣٠) انظر: المصدر السابق، ص ٢٤٠.
- (٣١) فتح البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص ٤٧١.
- (٣٢) المصدر نفسه ص ٤٨٩.
- (٣٣) صحيفة (ساندي تاغیر)، الصادرة في بريطانيا.
- (٣٤) خلال حديثه مع صحيفة (كيهان هوائي). الصادر في يناير - فبراير ١٩٩٢ م.
- (٣٥) مجلة الهداية، التابعة للمقاومة الشعبية، العدد ١٧، بتاريخ سنة ٢٩٩٤ م.
- (٣٦) نص المادة (٤٤) من الدستور لعام ٢٠٠٥ م: *ترعى الدولة النشاطات والمؤسسات الثقافية، بما يتناسب مع تاريخ العراق الحضاري والثقافي، وتحرص على اعتماد توجيهات ثقافية عراقية حقيقية*، ونص المادة (٣٤ / ثانياً): *تشجع الدولة البحث العلمي للأغراض السلمية بما يخدم الإنسانية، وترعى التفوق والإبداع والابتكار ومختلف مظاهر النبوغ*. دساتير الدولة العراقية، وائل عبد اللطيف الفصل، ص ٢٤٠ و ٢٤٣.
- (٣٧) فتح البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص ٥٤٤.





المصادر:

- ١- موقع آية الله العظمى السيد مرتضى الفياض: www.al-fayyadh.com
- ٢- موقع آية الله العظمى السيد علي السيستاني: www.sistani.org
- ٣- موقع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض: www.alfayadh.org
- ٤- موقع آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم: www.alhakeem.com
- ٥- موقع آية الله العظمى الشيخ شمس الدين الواعظي: www.wadhy.com/ar
- ٦- موقع آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي: www.alnajafy.com
- ٧- موقع آية الله العظمى السيد علاء الدين العرفي: www.ghoraifi-alnajaf.org
- ٨- موقع آية الله العظمى الشيخ محمد أمين المامقاني: www.mamakani.com
- ٩- موقع آية الله العظمى السيد علي البغدادي: www.albghdadi.com/sera.htm
- ١٠- موقع آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي: www.marjaiaa.com
- ١١- موقع آية الله العظمى الشيخ البعقوي:
- ١٢- موقع آية الله العظمى الشيخ قاسم الطائي: <http://www.kassimaltaai.org>
- ١٣- موقع آية الله العظمى الشيخ عبد الأمير الخطيب: <http://www.aalkhateb.com>
- ١٤- موقع نادي روما على الرابط: <http://www.clubofrome.org>
- ١٥- موقع مؤسسة راند على الإنترنت عبر الرابط: <http://www.rand.org>
- ١٦- مجلة فقه أهل البيت. الخوارج العلمية وتطوير البرامج والخطط التعليمية، السيد علي الخامنئي، العدد ٣٥، السنة التاسعة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ١٧- مجلة البيان، من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية، د. هاني الجير، الرياض، ١٤٢٩ هـ.
- ١٨- مجلة التسامح، العناية دراسات المستقبلية النشأة والتطور والأهمية، د. وليد عبد الحفي، الرابط: <http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=44>
- ١٩- مجلة المستقبلية، الطريق إلى اكتشاف المستقبل، العدد ١.
- ٢٠- مجلة المستقبلية، الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، العدد ٢.
- ٢١- مجلة المستقبل العربي، مفهوم وموضوع مصطلح المستقبلية، د. محمد بريش، عدد ٤٤.
- ٢٢- مجلة الهداية، التابعة للمقاومة الشعبية، العدد ١٧، بتاريخ سنة ٢٩٩٤ م.
- ٢٣- مجلة الغري، الصادرة عن مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، عدد ١١.
- ٢٤- مجلة الموسم اللبنانية، ع ١١، ج ٣، سنة ٩٨، ٩٩.
- ٢٥- الحميني، روح الله، الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الحميني، استخراج محسن زين العابدين، ط ١: ١٤٣٢ هـ. الناشر مركز المصطفى العالمي.
- ٢٦- الحرس، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق
- ٢٧- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني دام ظله
- ٢٨- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح
- ٢٩- الحكمي، مقدمة موسوعة الإمام الخوئي، ج ١
- ٣٠- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٩،
- ٣١- القاموس المحيط الفيروز آبادي مؤسسة الرسالة دمشق ١٩٩٨ م، ط ٦.
- ٣٢- تاريخ البعقوي، ١٣٧٩ ق بيروت دار صادر.





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

الحياة العلمية في النجف الاشرف خلال المائة عام الأخيرة





القبلة البيضاء



White Dome Magazine





فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد (١)
السنة الأولى ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م

General supervision the professor

Alaa Abdul Hussein Al-Qassam

Director General of the Research and Studies Department editor

a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim

managing editor

Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani

Editorial staff

Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi

Mr. Dr. Ali Abdul Kanno

Mother. Dr . Muslim Hussein Attia

Mother. Dr . Amer Dahi Salman

a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr

a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair

a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan

M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi

M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh

M. Dr . Tariq Odeh Mary

Editorial staff from outside Iraq

a . Dr . Maha, good for you Nasser

Lebanese University / Lebanon

a . Dr . Muhammad Khaqani

Isfahan University / Iran

a . Dr . Khawla Khamri

Mohamed Al Sharif University / Algeria

a . Dr . Nour al-Din Abu Lhia

Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria

Proofreading

a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas

Translation

Ali Kazem Chehayeb

